

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف

كلية الآداب والفنون

قسم اللغة العربية



أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم

تخصص: دراسات لغوية

العنوان:

دلالة السياق عند ابن القيم "بدائع الفوائد أنموذجاً"

إشراف الأستاذ :

أحمد بن عجمية

إعداد:

صالح زيدور

أعضاء لجنة المناقشة

الصفة	الجامعة	الرتبة	اسم الأستاذ ولقبه
رئيسا	جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف	أستاذ محاضر (أ)	عبد القادر بعداني
مشرفا ومقررا	جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف	أستاذ	أحمد بن عجمية
عضوا مناقشا	جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف	أستاذ محاضر(أ)	مجيد هارون
عضوا مناقشا	المدرسة العليا للأساتذة -الأغواط	أستاذ	الطاهر لوصيف
عضوا مناقشا	جامعة أحمد زبانة - غليزان	أستاذ	إبراهيم بوداود
عضوا مناقشا	جامعة عبد الحميد بن باديس -مستغانم	أستاذ محاضر(أ)	نور الدين دحماني

السنة الجامعية: 2021/2020

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ  
مَنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾

صدق الله العظيم

سورة طه الآيات: (25-28)

## الإهداء

إلى روح والدي الطاهرة

إلى والدتي العزيزة -حفظها الله-

إلى زوجتي الكريمة وأولادي

إلى الإخوة والأخوات وأولادهم

إلى كل الأهل والأحباب

أهدي هذا العمل المتواضع

## شكر وعرّفان

أتوجه بخالص تقديري وعظيم امتناني إلى الأستاذ المشرف

الأستاذ الدكتور: "أحمد بن عجمية"

الذي أحاط هذه الرسالة بكامل اهتمامه وعنايته.

و الشكر موصول أيضاً لأعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة، وعلى ما قدموه من ملحوظات أغنت هذا العمل، وتحملهم عبء تدبرها ولا يفوتني تسجيل شكري ودعائي لجميع أساتذتي الذين أفادوني كثيراً. ولجميع إخواني وزملائي ومن أبدى لي منهم رأياً أو مشورة أو مساعدة أو أعارني كتاباً.

فلجميع منّي الشكر والعرّفان، والدعاء من الله أن يحفظهم ويرعاهم وأن يسدد على الحق خطاهم.

# مقدمة

يعدّ السياق أساساً لغوياً في تحديد الدلالة منذ القدم وقد أشار العلماء إلى أهمية السياق، أو المقام، وما يتطلبه من مقال مخصوص يتلاءم معه، وللسياق أهمية كبيرة في التحديد والتفريق بين معاني المشترك اللفظي، وأن التحديد الدقيق للدلالة إنما يرجع إلى السياق اللغوي، لذا اهتم علماء الأصول ببيان المعنى في النصوص الشرعية، لأن الإخبار عن الله يقتضي الدقة عندهم في تحديد الدلالة، وهي على نوعين: قرائن لفظية، وقرائن مقامية (حالية ومكانية)، وفهم أثر هذه القرائن في تحديد دلالة النص، ذلك أن السياق هو الذي يحدد دلالة الكلمة ضمن النص، والمعنى المراد رغم تعدد معاني، ودلالات الألفاظ المتشاكلة والمتشابهة خارج السياق، أو تعدد الألفاظ والكلمات الدالة على نفس المعنى خارج السياق أيضاً، و أن ضبط دلالة معاني الألفاظ يكون أكثر وضوحاً وانضباطاً داخل السياق.

يقوم السياق في أحيان كثيرة بتحديد الدلالة المقصودة من الكلمة في التراكيب وقد أشار علماء اللغة إلى أهمية السياق، أو المقام، وتطلبه مقالا مخصوصا يتلاءم معه، وقالوا " لكل مقام مقال". فالسياق مُتضمّن داخل التعبير المنطوق بطريقة ما، ولذلك ركز النحاة على اللغة المنطوقة، فتعرّضوا للعلاقة بين المتكلم والمخاطب، والأحوال المحيطة بالحدث الكلامي.

واعتمد الأصوليون على فكرة السياق في بيان معنى النصوص الشرعية، إذ يُعد اللجوء إلى قرائن السياق من أهم الوسائل لتحديد المعنى، وقد أدركوا تماماً أن ثمة نوعين من القرائن السياقية، الأولى: القرائن اللفظية، والثانية: القرائن المقامية أي الحالية، أو المكانية، وفهموا الأثر الذي تقوم به هذه القرائن في تحديد دلالة النص، ومن عناصر السياق اللغوي التي اعتمد عليها الأصوليون في رصد الدلالات المختلفة الأمر والنهي، وما يتعلق بأمور و قضايا الناس.

والسياق هو الذي يحدد دلالة الكلمة ضمن النص، والمعنى المراد رغم المعاني والدلالات المختلفة، والمتنوعة، ويتم به بلوغ المعنى وفهمه في صورة من لفظة مناسبة في أحسن صورة يُبلّغ بها الإفهام من غير ملل، أو شك في ذلك. ومن هذا المنطلق فدلالة السياق متعلقة بكل ماله علاقة

بالدلالة وتحديديتها وضبطها داخل نطاق السياق الذي ترد فيه، والمقام أو الموقف الذي يستعملها فيه المتكلم.

ولهذا قد وقع الاختيار على شخصية العالم الجليل ابن القيم التي لها أثرها البارز في إثراء اللغة العربية والعلوم الأخرى التي لها علاقة بها، من خلال كتابه (بدائع الفوائد) الذي يحتوي على ثروة لغوية تحتاج إلى إثراء الجوانب اللغوية بفوائده ومكنوناته، وكذا إثراء المكتبة الوطنية والعربية بما فيه، فاقضى هذا وسم موضوع بحثنا "بدلالة السياق عند ابن القيم" بدائع الفوائد أنموذجا "والإشكالية: التي يسعها البحث الإجابة عنها، ففيما يكمن دور السياق في تحديد الدلالة، وهل يمكن للسياق ذلك، وكيف وظف ابن القيم السياق باعتباره أصوليا ومجتهدا في استنباط الأحكام وإصدار الفتاوى؟. إذن فما دور وأهمية السياق عند ابن القيم في تحديد الدلالة اللغوية من خلال كتابه بدائع الفوائد؟.

من الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع الميول الشخصية لدراسة علم من أعلام اللغة العربية وعلومها، ومن خلال هذه دراسة أسعى إلى استجلاء مكامن السياق وأثره في دلالة الألفاظ اللغوية التي بلغت أوجها في عصره. والسياق في القرآن يعد من أفضل النظم الذي تحدى به الله عز وجل أهل هذه اللغة .

تتمثل أهمية دراسة هذا الموضوع في تميز الأصوليين في دراسة الموضوعات اللغوية عن باقي علماء اللغة لأنهم يطرقون قضايا قلما تطرق إليها اللغويون، كما أن نظرهم إلى اللغة جمعت بينالعلمية النظرية وتطبيق.

أما الصعوبات التي واجهتني هي صعوبة الوصول إلى بعض المصادر لعدم توفرها على شبكة الإنترنت، وعدم توفرها في المكتبات الوطنية.

ومن الدراسات التي تناولت مثل هذه الموضوعات (ردة الله الطلحي) دكتوراه موسومة بـ " دلالة السياق"، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، سنة 1424 هـ، وأيضا (ابن خويا إدريس) دكتوراه موسومة بـ "الدرس اللغوي ابن القيم"، جامعة وهران 2011-2012 .

لقد اخترتُ لهذه الدراسة المنهج اللساني الذي تضمن مناهج متعددة منها: المنهج الوصفي، والمنهج التاريخي، وهذا بحسب ما نحتاجه لدراسة كل فصل.

ولأجل دراسة دلالة السياق لا بد أن نتناوله ضمن مستويات اللغة ( الصوتي، و صرفي، ونحوي، والمعجمي الدلالي) .

وقد قسمنا بحثنا إلى إلى مدخل وخمسة فصول:

المدخل: تناولنا فيه مفاهيم حول الدلالة والسياق،

وأما في الفصل الأول الموسوم بـ **دلالة السياق عند العرب والغربيين**: فهو فصل نظري توسعنا فيه أكثر في التعريف بنشأة الدلالة، والدلالة عند العرب وعند الغرب، والسياق عند العرب و عند الغرب.

أما في الفصل الثاني: الموسوم بـ **دلالة السياق الصوتي**: فقد تناولنا فيه دلالة سياق الصوت ( الحرف ) ، ودلالة سياق الصوت المركب ( الكلمة ) ، ودلالة سياق فوق التركيب (الجملة، النص).

أما الفصل الثالث: **الموسوم بـ دلالة السياق الصرفي**: فتناولنا فيها دلالة سياق المصادر، ودلالة سياق المشتقات، ودلالة سياق مشتقات أخرى، ودلالة سياق الأفعال.

أما الفصل الرابع: **الموسوم بـ دلالة السياق النحوي**: فتناولنا فيه دلالة سياق التقديم والتأخير دلالة، دلالة سياق الحذف، سياق حروف المعاني.



أما الفصل الخامس: الموسوم بـ دلالة السياق المعجمي الدلالي: فتناولنا فيه المشترك اللفظي، والترادف، والتضاد، الفروق اللغوية، دلالة سياق الكلمات المفردة، الدلالة سياق التعبير الاصطلاحي (المجاز، والتأويل، والإشارة).

وخاتمة: تناولنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها، من خلال هذه الدراسة المتمثلة في أن السياق هو المسؤول عن تحديد المعنى الدلالي للألفاظ ضمن التراكيب التي ترد فيها.

وفي خاتمة هذا البحث أحمد الله على توفيقه لإتمام هذا العمل، كما لا يسعني إلا أن أشكر أستاذي المشرف: أحمد بن عجمية، الذي كان معينا معينا لي بـ توجيهاته وإرشاداته طيلة هذا البحث، كما لا يفوتني أن أشكر لجنة المناقشة التي تجشمت عناء قراءة هذا العمل، وقبولها مناقشته، والشكر موصول إلى كل من ساهم في هذا العمل من قريب أو بعيد .

حرر بتاريخ: 2021/01/24

الطالب: زيدور صالح

# مدخل:

## دلالة السّيق

### I- علم الدلالة

أولاً: علم الدلالة لغة واصطلاحاً

ثانياً: نشأة علم الدلالة

1- نشأة علم الدلالة عند القدماء

2- نشأة علم الدلالة عند المحدثين

ثالثاً: علاقة علم الدلالة بالعلوم الأخرى

### II- السيق:

أولاً: السيق لغة واصطلاحاً

ثانياً: السيق في الدراسات الحديثة

## I- علم الدلالة:

تعدّ الدلالة من أهم العلوم التي اهتم بها العلماء لمعرفة معنى الأشياء، وعملها، بل وأصولها خلافاً ونمواً وتطوراً.

## أولاً: علم الدلالة لغة واصلاحاً:

أ- الدلالة لغةً: جاءت في المعاجم اللغوية على معاني عدة تتفق جلها في معنى واحد، وهو "الإبانة والإيضاح".

«جاء في (الصحاح) للجوهري(ت393): دَلَّ: دليل: ما يستدل به، والدليلُ الدالُّ، وتدله على الطريق يد له دلالة. ودلالةٌ ودُلولةٌ والفتح أعلى. وأنشد أبو عبيدة:

\*أني امرؤُ بالطرق ذو دلالات»<sup>1</sup>.

و«الدليلُ: الدليلُ: وجاء في القاموس والدليلي كحليفي»<sup>2</sup>.

وفلان يدل على أقرانه في الحرب، كالبازي يُدُّ على الصيد، وهو يدل بفلان: أي يثق به، قال أبو عبيدة: الدالُّ قريب المعنى من الهدئي وهما من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك.<sup>3</sup>

وفي (مقاييس اللغة) لابن فارس (ت395هـ) «(دل) الدال و اللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمانة تتعلمها، والآخر اضطراب في الشيء، فالأول قولهم، دلت فلان على الطريق، والدليل: الإمارة في الشيء، وهو بين الدلالة والدلالة»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة، 1990، ج4، مادة (دلل)، ص 1698.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج4، ص1698.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج4، ص1699.

<sup>4</sup> - أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة ج2، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، الطبعة الثانية، 1979، ص259-260.

ومن خلال هذه التعاريف يتضح أن للدلالة معان كثيرة منها الدال على الطريق والهدي والإبانة والتعليم والتوجيه والإرشاد.

أما في لسان العرب لابن منظور (ت711هـ): «ودله على شيء يدلّه دلاً ودلالةً فاندلّ: سدد إليه ودلته فاندلّ، قال الشاعر:

مالك، يأحمق ، لا تَنَدَلُ؟      وكيف يَنَدَلُ امرؤُ غَشولُ؟

قال أبو منصور: سمعت أعرابيا يقول لأخرأما تَنَدَلُ على الطريق؟- والدليل ما يستدل به: الدالُّ. وقد دَلَّه على الطريق يَدُلُّه دلالة ودلالة ودلولة، والفتح أعلى، وأنشد أبو عبيدة: إنيامرؤُ بالطرقِ ذو دَلالاتُ»<sup>1</sup>.

وفي القاموس المحيط، للفيروزبادي(ت817 هـ) جاء: «والدالة ما تدلُّ به على حميمك. ودلَّه عليه دلالة، ويثَلَّث، ودلولة فاندل: سدد له إليه، والدلِّيلى، كخَلِّيىى: الدلالة، أو علم الدليل بها ورسوخة»<sup>2</sup>.

أما في تاج العروس لمرتضى الزبيدي (ت1205هـ): «دللت بهذا الطريق دلالة: عرفته: ودللت به أدلُّ دلالة، ثم إن المراد بالتسديد إراءة الطريق<sup>3</sup>. ومما يستدل عليه: الدليل ما يستدل به وأيضا الدالُّ، وقيل هو المرشد، وما به الإرشاد، اجمع أدلَّةً وأدِلَاءً»<sup>4</sup>، «الدلالة أو علم الدليل بها

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب: تصح: أمين محمد عبد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، 1999، ج 4، ص394.

<sup>2</sup> - الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ت: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط8، 2005، مادة (دل)، ص1000.

<sup>3</sup> - محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: محمود محمد الطناحي، التراث العربي، الكويت، 1993، ج 28، ص498.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 28، ص501.

ورسوخه، وقول الجوهري: الدَّلِيلُ: الدليل، سهو لأنه من المصادر، قال المرتضي: والمصدر يستعمل بمعنى اسم الفاعل كاد أن يكون قياساً، لاستعماله بمعنى المفعول<sup>1</sup>.

وفي الحديث أنه "كان أصحاب عبد الله بن مسعود يرحلون إلى عمر رضي الله عنه فينظرون إلى سنته وهدية ودله فيتشبهون به"<sup>2</sup>.

والدَّلِيلُ والدَّلِيلِي: الذي يُدَلِّك، قال:

### شَدُّوا الْمَطِيَّ عَلَى دَلِيلِ دَائِبٍ مِنْ أَهْلِكَاطِمَةٍ، بِسَيْفِ الْأَبْحُرِ

بعضهم: معناه بدليل: قال ابن جني ويكون على حذف المضاف أي شَدُّوا الْمَطِيَّ عَلَى دلالة. دليل فحذف المضاف وقوي حذفه هنا، لأن لفظ دليل يدل على الدَّلة، وهو كقولك يسر على اسم الله وعلى هذه حال من الضمير في يسر وشَدُّوا وليست موصولة لهذين الفعلين لكنها متعلقة بفعل محذوف كأنه قال شَدُّوا الْمَطِيَّ عَلَى دَلِيلِ دَائِبٍ، ففي الطرق دليل لتعلقه بالمحذوف الذي هو معتمدين، والجمع أدلة وأدلاء والاسم الدَّلالة والدَّلالة، بالكسر والفتح، والدلولة والدَّلِيلِي.

قال سيويوه: « والدَّلِيلِي علمه بالدلالة ورسوخه فيها، وفي حديث علي رضي الله عنه ، في صفة الصحابة رضي الله عنهم: ويخرجون من عنده أدلة، وهو جمع دليل أي بما قد عملوا فيدلون عليه الناس، يعني يخرجون من عنده فقهاء فجعلهم أنفسهم أدلة مبالغة، ودلت بهذا الطريق عرفته، ودلت به أدل دلالة، و أدلت بالطريق، إدلالاً، والدَّلِيلِي: المحجَّة البيضاء، وهي الدَّلِي: وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾<sup>3</sup>، قيل: معناه نقصه قليلاً قليلاً.

<sup>1</sup> - محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 28، ص 501.

<sup>2</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج 4، ص 393.

<sup>3</sup> - الفرقان (45).

«والدَّلَالُ: الذي يجمع البيعين، والاسم الدَّلَالَةُ والدَّلَالَةُ، والدَّلَالَةُ: ما جعلته للدليل أو الدَّلَالُ.

وقال ابن دريد: الدَّلَالَةُ بالفتح، حرفة الدَّلَالَةِ، ودَّلِيلٌ بين الدَّلَالَةِ بالكسر لا غير».<sup>1</sup>

مادة (دال) والأصل قولهم: تدلدل الشيء إذا اضطرب.<sup>2</sup>

يتبين من خلال هذه التعريفات اللغوية أن اللغويين يكاد يتفقون على معنى الدلالة، حتى وإن اختلفوا في بعض وظائف العمل الدلالي، إلا أنه يصب في معنى واحد هو معرفة الشيء من خلال الإرشاد إليه، وتوضيحه وتبيينه، وبالتالي يغلب على مفهوم الدلالة الإيضاح والبيان.

### ب- الدلالة: اصطلاحًا :

الدلالة علم يهتم بمعنى اللفظ، ويدل عليه استعماله، وتداوله بين الناس عامة أو بين الخاصة من ذوي الفنون والعلوم.

ويعرفها الأصفهاني (502هـ): «الدلالة ما يوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود على الحساب، وسواء كان ذلك يقصد ممن يجعله دلالة أو لم يكن يقصد كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي، قال تعالى: ﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ ﴾<sup>3</sup>. أصل الدلالة مصدر كالكتابة والإمارة، والدال من حصل منه ذلك»<sup>4</sup>.

يعرفه جون لاينز (JOHN LYONZ): «يعرف علم الدلالة بأنه دراسة المعنى»<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج 4، ص 394.

<sup>2</sup> - أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج 2، ص 259-260.

<sup>3</sup> - سبأ (14).

<sup>4</sup> - أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراعي الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيد الكيلاني، الميمنية، القاهرة، ط 1، 1324هـ، ص 11.

<sup>5</sup> - جون لاينز، علم الدلالة، تر: عبد الحليم المشاطة، مطبعة جامعة البصرة، 1980، ص 09.

يعرفه بيارجيرو (pierreGUIRAUD) بقوله « علم الدلالة هو دراسة معنى الكلمات»<sup>1</sup>.

يعرفه أحمد مختار عمر « بأنه علم دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى»<sup>2</sup>.

والدليل في المبالغة كعلم: وعليم، وقادر، وقدير، ثم يسمى الدال والدليل دلالة كتسمية الشيء بمصدره<sup>3</sup>.

يعرفه الشريف الجرجاني (819هـ): « الدلالة هي كون الشيء بحاله يلزم من العلم به العلم بشيء آخر والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول»<sup>4</sup>.

ويعرفها الجاحظ: « المعاني القائمة في صدور الناس المقصورة في أذهانهم ... وإنما يحي تلك المعاني ذكرهم لها، وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها، وهذه الخصال هي التي يقربها من الفهم، وتحليلها للعقل، وتجعل الخفي منها ظاهراً، والغائب شاهداً، البعيد قريباً...»

وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة... يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبيض وأنور كان أنفع وأنجح، والدلالة الظاهرة على المعنى الحي هو البيان... والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع للمعنى... ومن أي جنس كان الدليل،

<sup>1</sup> - بيار جيرو، علم الدلالة، ترجمة: منذر عياشي، دار طلاس، الطبعة الأولى، 1988، ص15.

<sup>2</sup> - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998، ص11.

<sup>3</sup> - الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص11.

<sup>4</sup> - علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2004، ص91.

لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأشياء بلغت الإفهام أو وضحت عن المعنى فذلك هو البيان، في ذلك الوضع»<sup>1</sup>.

«وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ ثم الإشارة، ثم العقد ثم الخط، ثم الحالاتي تسمالنصبه، والنصبه هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف... وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة»<sup>2</sup>.

ويعرفها التهانوي: «الدلالة Sémantique - Semantic بالفتح هي على ما اصطلح عليه أهل الميزان والأصول والعربية والمناظرة أن يكون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر هكذا ذكر الجلي في حاشية الخيال في بحث خبر الرسول، والشيء الأول يسمى ذالاً والشيء الآخر يسمى مدلولاً. والمراد بالشيء ما يعم اللفظ وغيره فتتصور أربع صور الأول كون كل من الدال والمدلول لفظاً كالأسماء والأفعال الموضوعات الألفاظ والأفعال على رأى، والثانية كون الدال لفظاً والمدلول غير لفظ كمزيد الدال على الشخص الإنساني، والثالثة عكس الثانية كالخطوط الدالة على الألفاظ، والرابعة كون كل منها غير لفظ كالعقود الدالة على الإعداد والمراد بالعلمين الإدراك المطلق الشامل للتصور والتصديق اليقيني وغيره فتتصور أربع صور أخرى، الأولى أن يلزم من تصور الدال تصور المدلول، الثانية أن يلزم من التصديق به التصديق بالمدلول الثالثة أن يلزم من تصور والتصديق بالمدلول، الرابعة عكس الثالثة، والمراد بالشيء الآخر ما يغير الشيء الأول بالذات كما في الأمثلة السابقة أو بالاعتبار كما في النار والدخان، فان كلا منهما دال على الآخر ومدلول له»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة السابعة،

1998، ج1، صص 75-76.

<sup>2</sup> - الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، صص 75-76.

<sup>3</sup> - محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان، الطبعة 1، 1996، ج1، ص787.



## ثانيا: نشأة علم الدلالة:

يعدّ علم الدلالة من أقدم العلوم التي عرفتها الإنسانية حتى إن اختلفت وتعددت تسميات هذا العلم، وقد أسهمت الأمم عبر التاريخ في صناعته وبلورته حتى أصبح هذا الشكل الذي هو عليه اليوم "علم الدلالة".

## 1- نشأة علم الدلالة عند القدامى:

أ- عند الهنود:

يعد الهنود السابقين من حيث الزمن اهتماماً بالدلالة والدراسات الدلالية التي تهتم بتصنيف الموجودات وهذا وفق تقسيمات ومعايير وضعوها لذلك، فتمثلت في أربعة معايير جاءت كالتالي:

- «قسم يدل على مدلول عام أو شامل (مثل لفظ: رجل).
- قسم يدل على كيفية (مثل كلمة: طويل).
- قسم يدل على حدث (مثل الفعل: جاء).
- قسم يدل على ذات (مثل الاسم: محمد)<sup>1</sup>.

وهذا إمّا يدلّ على أنّ دراسة المعنى المنوط بالأشياء بدأ مع الإنسان منذ أن عرف الطابع الاجتماعي في حياته الذي يتميز بفعل التعايش والتواصل بين أفراد الجنس البشري الذي يتحقق من خلاله فعل التوافق والتشارك والتفاهم على تسميته الأشياء، «ويعد كتابهم الديني الفيديا منبع الدراسات اللغوية»<sup>2</sup>، حتى يتحقق ما يعرف بالتوافق اللغوي في فهم الأشياء وهذا ما حصل عند الهنود من بلوغ درجة كبيرة في الوعي اللغوي في وضع مسميات للأشياء.

<sup>1</sup> - عبد الجليل منقور، علم الدلالة ومباحثه في التراث العربي - دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العربي - دمشق، 2001، ص15، وينظر: مختار عمر، علم الدلالة، ص19.

<sup>2</sup> - عبد الجليل منقور، علم الدلالة ومباحثه في التراث العربي، ص14.

ب- عند اليونان:

لقد كان لعلماء اليونان دور كبير في وضع لبنة من لبنات بناء الصرح اللغوي عموماً وبناء الصرح الدلالي خصوصاً، فكان للفلسفة اليونانية دور هام في إثراء درس الدلالة من خلال الحوارات والمناظرات التي قامت بين فلاسفة اليونان، بهذا يكون الفكر الفلسفي اليوناني ساهم بشكل كبير في تطوير البحث الدلالي.

«وقد تكلم أرسطو عن الفرق بين الصوت والمعنى ، وذكر أن المعنى متطابق مع التصور الموجود في العقل المفكر، وميز أرسطو بين أمور ثلاث:

أ- الأشياء في العالم الخارجي.

ب - التصورات: المعاني.

ج- الأصوات: الرموز أو الكلمات.

ويعد تميزه بين الكلام الخارجي، والكلام الموجود في العقل الأساس لمعظم نظريات المعنى في العالم العربي خلال العصور الوسطى<sup>1</sup>.

ويتضح من خلال هذه المعايير التي وضعها اليونانيون في تصنيف الأشياء التي تعالج جوهر موضوع الدلالة والمتمثل في علاقة اللفظ بمعناه أو مدلوله بغض النظر عن نوعها وطبيعتها (في مفهوم اللغة كونها طبيعية أو عرفية (وضعية)).

وقد اتسعت دائرة النقاش حول علم الدلالة والعلاقة التي تجمع بين طرفي أو أركان الدلالة وهما اللفظ والمعنى في اللغة المعبر عنها للظاهرة الطبيعية أو مسميات الأشياء المتعارف عليها بين

<sup>1</sup> - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 17.

المجتمعات الإنسانية، فجاء بعدهم مدارس عديدة لكل منها آراؤها وقواعدها وأسسها في علم الدلالة.

### ج- عند العرب:

إن فهم الأشياء يترتب علينا معرفتها بشكل الذي يصح استخدامه لها حيث يتوافق التعريف بها لفظاً مع المفهوم المتبادر إلى الذهن سواء كان هذا تعريفها لغة فيما يتعلق باللفظ ومعناه أو ما تعلق بالظواهر الطبيعية أو الظواهر المنطقية، وهذا ما يمكن الاصطلاح عليه في تسميات الأشياء سواء عند عامة الناس أو عند خاصتهم من أهل العلم والمعرفة.

لهذا نجد العلماء العرب اهتموا اهتماماً كبيراً بهذا العلم و وضع له أسماء مختلفة حسب كل علم أو معرفة من (أصول، تفسير، ومنطق، وبلاغة، وتصوف... إلخ).

وكان ما لفت اللغويين العرب وأثار اهتمامهم إليه هو البحث في دلالات الكلمات، وتعد أولى المباحث التي اعتنى بها العرب هي تلك المعالي المتعلقة بالقرآن الكريم فألفت فيها الكتب مثل (مفردات معاني غريب القرآن للأصفهاني وابن قتيبة وغيرهما)، و(مجاز القرآن الكريم لأبي عبيدة وغيره)، و(الوجوه والنظائر للسيوطي والثعالبي وابن الحوزي وغيرهم)<sup>1</sup>.

وهذا ما يقودنا إلى أن أولى بدايات البحث في دلالة الكلمات ارتبط بالقرآن الكريم لمعرفة معناه.

ومن أهم العوامل التي أدت إلى هذا العلم هو «دخول اللحن على كلام العرب وخوفاً من انتقال هذا إلى القرآن الكريم، مما اضطر العلماء إلى وضع قواعد وأسس للعربية متمثلة في النحو العربي وضبط المصحف الشريف بالشكل وهذا من أهم الأعمال الدلالية التي اعتنى بها العرب في حفظ لغتهم ودينهم»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 20.

<sup>2</sup> - ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 20.

وكذلك من أهم البحوث وأشهرها التي لفت عناية شديدة من العلماء العرب: البحث في العلاقات الدلالية المتمثلة في: « الترادف والمشارك اللفظي والتضاد، ولعل أشهرها كتب في هذا المجال كتاب الخصائص لابن جني، والصاجي في فقه الله وسنن العرب في كلامهما لأحمد ابن فارس، والمزهر في علوم اللغة للسيوطي»<sup>1</sup>.

وقد تنوعت الاهتمامات بهذا الموضوع عند العرب بحسب مجالاتهم واختصاصاتهم فنجد من ذلك:

### 1-اهتمامات اللغويين:

والتي تمثلت في تأليف المعاجم التي درست واعتنت بالظاهرة الدلالية ومن أهم هذه المعاجم:

محاولة ابن فارس الرائدة في معجمه المقاييس، ربط المعاني الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها. محاولة الزمخشري الناجحة في معجمه أساس البلاغة-التعريف بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية. محاولة ابن جني ربط تقلبات المادة الممكنة بمعنى واحد مثل المادة: ك ل م، و ك م ل، و م ك ل، و م ل ك، وأهملت منه ل م ك<sup>2</sup>، وهذا ما يفسر أن جل التأليفات القديمة وخاصة العربية منها كان هدفها البحث عن دلالة الأشياء ومعانيها، وما يفسر طبيعة تأليفهم المتمثلة في كثرة المعاجم والمصنفات.

<sup>1</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص21، وينظر: خضر، أكبر حسن كسير، أصالة البحث الدلالي عند العرب من حيث النشأ وتطور التأليف، مجلة جامعة تكريت للعلوم، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة تكريت(4)، المجلد 19، العدد 12، ص28.

<sup>2</sup> - ينظر: أحمد مختار عمر، ص ص 20، 21.

**2- اهتمامات البلاغيين والنقاد:**

لقد اهتم البلاغيون والنقاد اهتمامًا كبيرًا بدراسة المعنى لأنها في نظرهم أصل الكلام وفحواه، فتطرقوا إلى الكثير من المباحث ذات الصلة بعلم الدلالة منها: «قضية اللفظ والمعنى والمفاضلة بينهما، وقضية الحقيقة والمجاز، ولعلّ أول من اهتم بهذا هم الجاحظ في كتابه البيان والتبيين والجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز والزمخشري في كتابه أساس البلاغة»<sup>1</sup>.

**3- اهتمامات الأصوليين:**

لقد اهتم الأصوليون بعلم الدلالة نظرًا لأهميته في استنباط الأحكام الشرعية وفهم مدلولات الشرع فقد تكفل الأصوليون بوضع المناهج والطرق في إيجاد الأحكام الشرعية انطلاقًا من اعتنائهم باللغة وفهم قواعدها وقوانينها، فتطرقوا إلى مباحث أكثر دقة في اللغة لم يتطرق إليها علماء اللغة من خلال تطرقهم إلى «دلالة اللفظ، دلالة المنطوق، دلالة المفهوم (المسكون عنه)، تقسيم اللفظ بحسب الخفاء والظهور، قضية الترادف، الاشتراك، العموم والخصوص، المقيد والمخصّص»<sup>2</sup>. وهذا مما يدل على اهتمام الأصوليين بعلم اللغة عامة وعلم الدلالة خاصة.

**4- اهتمام المناطقة والفلاسفة العرب:**

لقد كان للمناطق العرب مساهمة ليست بيسيرة في وضع قوانين لتحديد المعنى من خلال اللفظ وفق ما يمليه عليهم العقل والمنطق الذي استمدوه من الفلسفة اليونانية، من أهم هؤلاء المناطقة: ابن رشد، وابن حزم، والغزالي والقاضي عبد الجبار<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: خضر أكبر حسين كصير، أصالة البحث الدلالي عند العرب من حيث النشأة وتطور التأليف، ص28 وينظر: أحمد مختار عمر، ص21.

<sup>2</sup> - ينظر: خضر أكبر حسين كصير، أصالة البحث الدلالي عند العرب من حيث النشأة وتطور التأليف، ص29، وينظر: أحمد مختار عمر، ص21.

<sup>3</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص29، وينظر: أحمد مختار عمر، ص21.

إن إسهامات العرب في علم الدلالة نابعة من الفكر اللغوي العربي ، ولا يمكن فصلها عن الدراسات اللغوية خاصة عند القدامى لأن الهدف الذي كان يصبو إليه علماء اللغة في القديم هو الحفاظ على اللغة وبيان معناها ومفاهيمها ، وخير دليل على هذا المؤلفات التي ركزت على جمع اللغة والمتمثلة في المعاجم وقبلها التأليف غريب ونادر القرآن الكريم ومحاولة تفسيره وشرحه.

## 2-نشأة علم الدلالة عند المحدثين:

### أ- عند الغرب:

يعدّ علم الدلالة في العصر الحديث تبعا لعلم اللغة الحديث (اللسانيات) وهو أحد فروعها، وكانت بدايته مع ماكس مولر (Max Muller) الذي قال في مؤلفاته أن الكلام والفكر متطابقان تماما، وإن كان منهجه أقرب إلى الفروض منه إلى حقائق علمية، كما أنه عجز عن عبور الفجوة من علم اللغة والتحليل المنطقي للمعنى، وكان هذا العبور ضروريا لتحقيق تقدم مستمر لعلم الدلالة<sup>1</sup>.

كما نجد الباحث اللغوي الفرنسي « ميشال بريال (Bréal Michel) أولى أهمية كبيرة للبحث الدلالي حيث كتب بحثا بعنوان السيمانتيك Essai de semantique عام (1797)»<sup>2</sup>، «ويعد أول من وضعأو استعمل مصطلح (سيمانتيك) لدراسة المعنى وقد اعتنى الباحث في هذا البحث بدلالة الألفاظ في اللغات القديمة التي تنتمي إلى اللغة الهندية الأوروبية كال يونانية، واللاتينية والسنسكريتية واعتبر هذا البحث آنذاك ثورة في دراسة علم اللغة، وعدت أول دراسة حديثة اهتمت بتطوير معاني الكلمات»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص22.

<sup>2</sup> - ينظر: نور الهدى لوشن، علم الدلالة (دراسة وتطبيق)، المكتب الجامعي الحديث للإسكندرية، ص15. وينظر: مختار عمر، علم الدلالة، ص22.

<sup>3</sup> - ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص22.

أما في أوائل القرن التاسع عشر برز أضخم عمل لغوي على يد العالم السويدي « أدولف نورين (Adolf noreen) (1834-1925) قد عرف بعنوان (لغتنا) خصص قدراً كبيراً منه لدراسة المعنى مستعملاً مصطلح سيمولوجي (Semology)، ويعد Adolf Noreen مرجعاً لكثير من النظريات التي سعى أصحابها من خلالها لتطوير اللغة»<sup>1</sup>.

ولقد تتابعت الدراسات الدلالية على عدد من الباحثين من أمثال « غوستاف ستيرم (Gustaf Sterm) 1931» نشر كتابه دراسة المعنى وتطوره، وأولمان الذي عرفت السيماتيك على يده تطورا ونضجا كبيرين وقد أثرى البحث الدلالي بالعديد من البحوث»<sup>2</sup>.

أما في الولايات المتحدة الأمريكية: « فكانت بدايات علم الدلالة مختلفة عن ما كانت عليه في أوروبا، فقد لقيت اهتماماً كبيراً من الأنثروبولوجيين والسيكولوجيين أكثر منها على يد اللغويين مهتمين بالجانب المعجمي من خلال دراسة مقارنة لكثير من الحقول الدلالية وخاصة تلك الألفاظ ذات الصلة مع بعضها البعض، وأما سبب ابتعاد اللغويين من دراسة الدلالة هو ذلك الرأي الذي اتخذته بلومفيلد تجاه المعنى حيث اعتبرها أنها دراسة هذا الجانب من اللغة خارج عن المجال الواقعي للغة»<sup>3</sup>، أي أن هذا العلم لا يستهدف الواقع اللغوي المستعمل آنذاك وهذه من أهم الأسباب التي جعلت اللغويين الأمريكيين يتعدون عن دراستهم لعلم الدلالة.

### ب- عند العرب المحدثين:

إنّ علم الدلالة في الدراسة الحديثة العربية يعتبر تبعا للتطور الذي عرفته الدلالة عند غير العرب من منطق التأثير والتأثر، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار العوامل السياسية والاجتماعية التي كانت سائدة وتأثر العرب بالحضارة الغربية خاصة في مطلع القرن التاسع عشر والقرن العشرين

<sup>1</sup> - ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص23.

<sup>2</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص6، ص23، و ينظر: نور الهدى لوشن، علم الدلالة، ص15، ص16.

<sup>3</sup> - ينظر: نور الهدى لوشن، علم الدلالة (دراسة وتطبيق)، ص24. وينظر: مختار عمر، علم الدلالة، ص16.

الذي عرفت فيه الدراسات اللغوية ثورة كبيرة في مجال اللغة والفكر اللغوي لدى الغرب، ومن هذا نجد أن جل الدارسين العرب آنذاك تأثروا بهذا المد والفكر الغربي اللغوي خاصة.

فكانت جل الكتابة عن علم اللغة عبارة عن ترجمة لما هو سائدا عند العرب من مفاهيم ومصطلحات حول الفكر اللغوي الغربي بصفة عامة وبعض المباحث اللغوية التي أولها اهتماما كعلم الدلالة أو المعنى سيمانتيك فكان للعرب نصيب في ذلك من خلال الإطلاع على العلوم الغربية والتأثير بها ، ومن ثم ترجمتها ومقارنتها بما كان سائدا عند العرب القدامى ، ونجد من الأوائل الذين كتبوا في مجال الدلالة "إبراهيم أنيس من خلال كتابه دلالة الألفاظ سنة 1958"<sup>1</sup> الذي تعرض فيه إلى موضوع الدلالة بنوع من التفصيل والتدقيق في هذه القضية (علم الدلالة).

### ثالثا: علاقة علم الدلالة بالعلوم الأخرى:

العلوم تتكامل وتتطور ببعضها البعض وهذا التكامل والتطور يجمع بين شتى العلوم سواء كان هذا بين العلوم من نفس الجنس، أو مختلف الأجناس كالعلوم الإنسانية بمختلف أنواعها واختصاصاتها أو العلوم التجريبية المختلفة، أو العلوم التقنية المختلفة، وهذه العلاقة تختلف من علم إلآخر قد تكون العلاقة طبيعية، أو علاقة عرفية، أو علاقة وضعية، أو علاقة مصطلحية تطورت العلوم بانتقالها من علم إلى علم آخر بسبب علاقة ما، وضابط هذه العلاقات هو المعنى أو الدلالة المتعارف عليها ضمن العلوم، أو ضمن الاستعمال.

### 1- علاقة علم الدلالة بعلم اللغة: تعدد الدلالة فرع من فروع علم اللغة لا يمكن الاستغناء عنها

في إثبات الفروع الأخرى لأنها أساس ومناطق البحث اللغوي.

<sup>1</sup> - ينظر: أحمد عمر، علم الدلالة، ص ص 29، 30.



## 2- علاقة علم الدلالة بعلم الأصوات:

من الواضح أنّ أصل الكلام هو الصوت وهو بدايته وللصوت عند سماعه معنى يؤديه: وقد بحث في هذا الباب مبكراً العرب بدءاً من اكتشافهم للقران الكريم وما يتمتع به من إعجاز في ذلك سواء كان ذلك في القراءة للقران الكريم، أو في استخراج الأحكام الشرعية، لأن الصوت معنى يفرز من خلاله قيم دلالية تساعد على فهم النص القرآني، ولعل أهم المباحث التي تناولت تأثير الصوت في صنع الدلالة هي:

1- «قضايا الانسجام أو التنافر بين الأصوات لإدراك العلاقة بين المكونات الصوت للكلمة أو العبارة أو التركيب المعين وارتبطت هذه القضايا بالإعجاز في القران عند العرب القدامى»<sup>1</sup>.

2- القيمة التعبيرية للصوت ومدى اتفاق المعنى مع جرس الحرف المختار ومدى مناسبة الصوت للمعنى الذي يؤديه. وقد اتفق علماء العرب قديماً ومثلوا لذلك من واقعهم، وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي من الأوائل، الذي انتبهوا إلى العلاقة بين جرس الأصوات ودلالاتها إذ جاء عنه قوله: - كأنه يعني الناطقين العرب - « توهوا صوت الجنذب استطالة ومدا فقالوا( صرّ) وتوهوا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا(صرصر)»<sup>2</sup>. وهذا للدلالة على توافق الصوت مع دلالة لأن معنى الصوت يدل على صاحبه.

وكذلك كان سيويه يقول في المصادر التي جاءت على وزن (الفعالن) « وإنما تأتي للاضطراب والحركة: مثل النقران، والغليان، والغثيان، فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات

1- ينظر: هادي نهر، علم اللغة التطبيقي، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007، ص49.

2- ينظر: أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ج2، ص152، وينظر: هادي نهر، علم اللغة التطبيقي، ص50.

الأفعال»<sup>1</sup>، وهذا ما أورده ابن جني في كتابه الخصائص من مدى توافق الأصوات مع المعنى الدال عليه، ومامدى وضوح الأصوات العربية في أداء دلالاتها للمعنى... الخ.

ويتضح هذا أكثر في ظاهري التنعيم والنبز ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُوَ﴾<sup>2</sup> **إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ** ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُوَ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُوَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾<sup>2</sup>. فلا شك أن تنعيم الجملة " قالوا جزاؤه" بنعمة الاستفهام، وجملة " من وجد في رحلة فهو جزاءه" بنعمة التقرير سيقرب معنى الآيات من الأذهان ويكشف عن مضمونها<sup>3</sup>.

وهذا دليل واضح عن مدى مساهمة ظاهري النبز والتنعيم في التأثير وتأدية المعنى ليفهم القراءة مادار بين الفريقين من حوار ومدى دقة إدارة الحوار بصيغة صوتية تعجب السامع، وتجعله يركز وينتبه لها، فإدارة الصراع القائم بين الفريقين كان يدل على ثقة كما طرف في نفسه فكانت الإجابة من السؤال وبنفس الصوت، وهذا مما يثبت أن الصوت دليل معناه.

**3- علاقة علم الدلالة بعلم الصرف:** علم الصرف يدرس تصريف الكلمات أي تغير والتحول الذي يطرأ على الكلمة وهذا التغير ينتج عنه تغيير في دلالة الكلمة بفعل التحريف الذي يلحق الكلمة حسب طبيعة الاستعمال، وقد أوضح سيبويه ذلك بقوله «أن التصريف هو أن نبي من الكلمة بناء لم تبته العرب على وزن ما بنته»<sup>4</sup>.

1- ينظر: ابن جني، الخصائص، ج2، ص 152 . وينظر: هادي نهر، علم اللغة التطبيقي، ص50.

2- يوسف (74، 75).

3- ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص13.

4- ينظر: رضي الدين محمد بن الحسن الأستريادي، شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1982، ج1، ص ص 6، 7.

ويعني بذلك أن نتعلم كيف نبني كلمة لم تؤلف في الاستعمال من قبل على وفق القواعد الموضوعية من أبنية العرب التي نطقوا بها، ولهذا كان التعريف بهذا المفهوم تحويل مادة لغوية دالة وأصل إلى مواد وألفاظ جديدة يدل كل منها على دلالة جديدة<sup>1</sup>.

وقد حدّد العلماء لهذا أبعاداً وأقساماً واتجاهات فنجد أن «البعد الأول يتشكل من البعد المعرفي الدال على المعاني المقسمة كالتالي من أسماء الفاعلين والمفعولين، وضع المبالغة والصفات المشبه وأسماء الآلة، والزمان والمكان، ومعاني هذه الأبنية تحدد من خلال التراكيب التي ترد فيها إذ لا يمكن الاقتصار على وزن، الكلمة وبنائها في معرفة دلالتها، أصل لفظة (مجتمع) فقد تدل على من وقع عليه الحدث، أي مفعول به، وقد تكون دالة على اسم زمان أو مكان، أو المصدر الميمي»<sup>2</sup>، والذي يجدد لاله المراد هو التركيب، والأمثلة في ذلك كثيرة...

أما البعد الثاني وهو تصريف الكلمة المعينة على وجوه محددة كدلالة الحاضر والماضي والمخاطب، والمفرد والمثنى، والجمع أو النكرة أو المعرفة... الخ.

ويؤكد ذلك ابن الأثير أن كل وزن من أوزان الصرف ومثال من أمثلة قد توحى بدلالة، وأن أي تغيير في بنية الصيغ الصرفية يؤدي إلى تغيير في دلالاتها التي كانت عليها.

فيقول: «أن اللفظ إذا كان علة وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه فلا بد من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه الأول، لأن الألفاظ أدلة على المعنى، وأمثلة للإبانة عنها. فإذا زيد في الألفاظ أوجب القسم زيادة المعاني ومن ذلك قولهم: خشن واخشوشن، فمعنى (خشن) دون معنى (خشوشن) لما فيه من تكرير العين، وزيادة الواو نحو فعل وافوعل،

1- ينظر: هادي نهر علم اللغة التطبيقي، ص76.

2- ينظر: هادي نهر علم اللغة التطبيقي، ص76-82.

وكذلك قولهم أعشب المكان، فإذا رأوا فيه كثرة العشب قالوا: (اعشوشب)<sup>1</sup>، وهذا دليل واضح على أن تغير في الصيغ ينتج عنه تغير في الدلالة وقوة المعنى بالزيادة والنقصان... الخ.

إنّ دراسة الصيغ الصرفية للكلمة وبيان المعنى الذي تؤديه صيغها فلا يكفي لبيان المعنى، ف (استغفر) مثلا بيان معناها المعجمي المرتبط بمادتها للغوية (غ.ف.ر) بل لابد أن يضم إلى ذلك معنى الصيغة وهي هنا وزن (استفعل) أو الألف والسين والتاء التي تدل على الطلب، و في هذا أمثلة كثيرة تدل صيغتها على أسمائها أو أفعالها، والقاعدة تقول كل زيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى والعكس صحيح.

**4-علاقة علم الدلالة بعلم النحو:** فعلم النحو وهو أن تصف الكلمة ضمن نظمها أو التركيب الذي نظمت فيه، وكذلك علاقاتها مع بعضها البعض، ويجدد وظائفها النحوية، وكما يجدد الدلالة المرادة من خلال هذا التركيب أو ذلك.

فإنّ الوصف النحوي الذي يسميه ابن جني "تقدير الإعراب" «لابد أن يكون على سمت تفسير المعنى، فذلك عندهم "ما لا غاية وراءه" وإن كان تقدير الإعراب مخالفا للتفسير تقلبت تفسير المعنى على ما هو عليه، وصححت طريق تقدير الإعراب، حتى لا يشذ شيء منها عليك، وإياكأن تسترسل فتفسد ما تؤثر إصلاحه»<sup>2</sup>.

فإذا تجاذب المعاني والإعراب، هذا يدعو إلى أمر، وهذا يمنع لابد من الإمساك بعروة المعنى، وتوجيه الوصف إلى ما يخدم المعنى ويوضحه<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>-ينظر: ضياء الدين ابن الأثير الجزري، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: كامل محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج2، ص41.

<sup>2</sup>-ينظر: ابن جني، الخصائص، ج1، ص284.

<sup>3</sup>-ينظر: هادي نمر، علم اللغة التطبيقي، ص107.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾<sup>1</sup>، فإذا هذه في المعنى متعلقة بنفس قوله: لمقت الله، أي يقال لهم: لمقت الله إياكم وقت دعائكم إلى الإيمان فكفركم أكبر من مقتكم أنفسكم الآن، إلا أنك إذا حملت الأمر على هذا كان فيه فصل بين الصلة التي إذ بين الموصول الذي هو لمقت الله، فإذا كان المعنى عليه ومنع جانب الإعراب منه أظهرت ناصبا يتناول الظرف ويدل المصدر عليه، حتى كأنه قال بآخره: مقتكم إذ تدعون، وإذا كان هذا ونحوه جاء في القرآن فما أكثره وأوسع في الشعر<sup>2</sup>.

وهذا يوضح ما مدى علاقة النحو بالدلالة لأنه بمفهوم العام يخدم الدلالة أو يوضح معنى الكلام لأنه هو المسؤول عن رصف وضم ونظم الكلام في تراكيب وسياقات.

وقد أكد ذلك سيبويه في كتابه أهمية العلاقة بين النحو والدلالة من خلال باب المسند والمسند إليه حيث يؤكد «أن الصناعة النحوية العربية منها المعاني والدلالات حيث تتعقد مع ثلاث علاقات، بين اللفظ أو التركيب النحوي والمعنى بعد ربطه بالوظائف النحوية التي تتقيد بحيز تركيبى يحتوي على ثلاثة مكونات، يمثل الأول فعلا كلاميا على نحو خاص، ويمثل الثاني عاملا نحويا إعرابيا، ويكون الثالث موصف إسنادا لكل ذلك من أجل تحقيق الانعقاد بين الشكل التركيبى اللفظي (النحوي) والمعنى المقصود عند المتكلم»<sup>3</sup>.

ومثال ذلك: «يذهب عبد الله، فلا بد للفعل من الاسم كما يدل الاسم الأول بدل من الآخر في الابتداء... واعلم أن الاسم الأول أحواله الابتداء وإنما يدخل الناصب والرافع سوى الابتداء،

<sup>1</sup> - غافر (10).

<sup>2</sup> - ينظر: ابن جني، الخصائص، ج 3، ص 256.

<sup>3</sup> - ينظر: هادي نمر، علم اللغة التطبيقي، ص 109.

الجار والمجرور، ألا ترى أن ما كان مبتدأ قد يدخل عليه هذه الأشياء، حتى يكون غير مبتدأ»<sup>1</sup> إذن فالنحو يبني التركيب على الإيضاح وأداء المعنى ليفهمه متلقيه، والذي يبرز ذلك أكثر هو الإعراب لأن الإعراب يعني في اللغة التبين والإيضاح: ويعرفه ابن جني بأنه «الإبانة عن المعنى بالألفاظ ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيد إباء وشكر سعيدا أبوه علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرحا واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه»<sup>2</sup> كما يعرفه ابن فارس بقوله " هو الفرق بين المعاني المتكافئة في اللفظ وبه يعرف الخبر الذي أصل الكلام وهؤلاء ما يميز فاعل من مفعول ، ولا مضاف من منوع ولا تعجب من استفهام ولا مصدر من مصدر ولا نعت من توكيد<sup>3</sup> .

وهو حد النحو وأصله، «لأنه يؤدي الوضعية النحوية ككل كلمة داخل الجملة»<sup>4</sup>، ويعرفه كذلك عبد القاهر الجرجاني « أن الألفاظ مغلقة على معانيها هو الذي يفتحها وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه هو المعيار الذي يتبين نقصان الكلام ورجحانه حتى يعرض عليه»<sup>5</sup>، وبهذا يتضح أن الإعراب ما جعل إلا لاستبانة صحة الكلام واستقامته على الوجه الصحيح في اللغة العربية، فهو مفتاح الإفصاح عن المعنى المراد إيصاله للمتلقى من المتكلم..

<sup>1</sup> -ينظر : سيبويه، الكتاب، ج1، ص ص 23، 24، وينظر: هادي نمر، علم اللغة التطبيقي، ص110 .

<sup>2</sup> -ينظر: ابن جني، الخصائص، ج1، ص35.

<sup>3</sup> -ينظر: أحمد بن فارس، الصحاحي في فقه اللغة، تح: أحمد صقر، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة (د-ت)، ص103.

<sup>4</sup> -ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص13.

<sup>5</sup> -عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، تح : محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة، ط5، 2004، ص28.

5- علاقة علم الدلالة بعلم المعاجم: يعد علم المعاجم من أهم العلوم التي تبحث في معاني المفردات مجردة عن السياقات والتركيب، أو «هي الدراسة المعجمية التي لا تهم إلا بوصف فحوى الكلمات»<sup>1</sup>.

وتعدّ المعاجم هي أحد أهم المصادر التي تدرس المعنى العالي للكلمة أو لفظة في بدايتها

بهذا «فالمعنى الذي تدل عليه الكلمة المفردة هو نفسه المعنى الموجود في المعجم»<sup>2</sup>.

«وهو يمثل المعنى الثابت»<sup>3</sup>، والعام للكلمة ما لم تستعمل في تركيب أو سياق معين.

وبهذا يتضح أن «الصورة المعجمية لأي لفظ في اللغة العربية تمثل المرجعية الأولى لهذا اللفظ في القاموس الخطابي، باعتباره الدلالة الأولى" فالحالة المعجمية للألفاظ تمثل الصورة الأساسية لمحيطها الدلالي»<sup>4</sup>.

إذن فالعلاقة بين الدلالة وعلم المعجم، الأول يعتبر الثاني أساس له في تحديد المعنى للكلمة ليتم من خلاله معرفة الثاني، ودلالة الكلمة انطلاقاً من معناه المفرد، وبالتالي فالمعجم يهتم «ببيان المعاني المفردة للكلمة وهو ما يعرف بالمعنى المعجمي»<sup>5</sup>، فالأول أساس للثاني والثاني تبع للأول يهتم بالإفراد والثاني بالسياق أو التركيب.

<sup>1</sup>-فايز الداية، علم الدلالة الغربي النظرية والتطبيق، دمشق، دار الفكر، ط2، 1996، ص205.

<sup>2</sup>-ينظر: نور الهدى لوشن، علم الدلالة (دراسة وتطبيق)، ص83.

<sup>3</sup>-ينظر: المرجع نفسه، ص84.

<sup>4</sup>-فايز الداية، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، ص14. وينظر: عبد الجليل منقور، علم الدلالة أوصوله ومباحثه في التراث العربي، ص25.

<sup>5</sup>-أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص14.

## 6- علاقة علم الدلالة بعلم الرموز:

تعتبر الرموز أدوات اتصال لغوية تفهم من خلاله دلالة معينة وضعت له في الأصل ويوضع تمام حسان العلاقة بين الرمز والدلالة بقوله: «ولبيان ذلك نشير إلى تقسيم السميائيين للعلاقة بين الرمز والمعنى إلى علاقة طبيعة وعلاقة عرفية، وعلاقة ذهنية، ويقول أيضا لكشف هذه الأخيرة، هناك طريقة أخرى للكشف عن هذه الرموز الطبيعية في الأدب، الطريقة هي عزل الدال عن المدلول أو الشكل عن المضمون، ثم النظر إلى تأثير الدال في النفس بعد ذلك»<sup>1</sup>.

ومن خلال هذا يتضح أن علم الرمز يرتبط ارتباطا وثيقا بعلم الدلالة حيث يطلق عليه اصطلاحا: «بأن الرمز هو ما يوضع الشيء ليعرف به وهو يختلف من ميدان إلآخر والرمز إذاعرف به شيء لايمكن تغييره لأنه يبقى ملتحقا به مثل الحمامة الدالة على السلام وكذلك اللون الأبيض، والميزان الدال على العدالة»<sup>2</sup>.

ولا يشترط في الرمز أن يكون لغويا بحيث يمكن أن يكون غير لغوي ويؤدي دلالة ما ويحقق تعبيرا وفهما ما.

إذن فالرمز جيء به ليتحقق دلالات ما ليفيد معنى معيناً وبالتالي فهو فرع أصيل من علم الدلالة.

## 7- علم الدلالة والعلوم الأخرى:

ارتبطت الدلالة بكثير من العلوم والمعارف لأن العلوم كانت تهدف إلى كشف حقائق معين ولعل أهم هذه العلوم علم الفلسفة والمنطق وعلم النفس وعدت الدلالة أحد مرتكزات هذه العلوم والبحث فيها.

<sup>1</sup>- ينظر: تمام حسان، الأصول، عالم الكتب القاهرة، 2000، صص 285-288.

<sup>2</sup>- نور الهدى لوشن، علم الدلالة (دراسة وتطبيق)، صص 36-37.



أ- علم الدلالة وعلم الفلسفة: ارتبطت الدلالة بعلم الفلسفة ارتباطاً وثيقاً حتى قال بعضهم "أنك لاتستطيع أن تقول متى تبدأ الفلسفة وينتهي السيمانتيك(الدلالة). وما إذا كان يجب اعتبار الفلسفة داخل السيمانتيك(الدلالة). أو السيمانتيك(الدلالة) داخل الفلسفة"<sup>1</sup>، وهذا مما يدل على التداخل حاصل بين الدلالة والفلسفة، حتى أنه لا يمكن التفريق بينهم أو اعتبار أحدهم تابع للآخر ومنذ وقت قريب كان اللغويون يعتبرون الدلالة من المباحث الفلسفية أكثر منها لغوية.

ب- علم الدلالة وعلم النفس: تعدّ الدلالة من أهم مرتكزات علم النفس إذ بحث النفسانيون عن العلاقة التي تربط بين دلالة الكلام وما يدركه الإنسان، وما مدى الفروق والاختلافات التي يتميز بها كل فرد عن الآخر، «وهو ما يجعل الدلالة جزءاً مهماً في علم النفس، ولهذا اهتم علماء النفس بالإدراك، حيث كان الإدراك ظاهرة فردية فقد طوروا وسائل ليعرفوا بها، كيف يختلف الناس في إدراكهم للكلمات، أو في تحديد ملامحها الدلالية، كما يهتم علم النفس بكيفية اكتساب اللغة وتعملها، ودراسة السبل التي بها يهتم التواصل البشري وغير البشري عن طريق اللغة»<sup>2</sup>، وهذا مما يؤكد صلة علم الدلالة بعلم النفس.

### ج- علم الدلالة وعلوم الحركية الفيزيائية:

اهتم علم الدلالة بالبحث في كل ماله علاقة بالإنسان من عادات وتقاليده أو وسائل وطرق اتصال فيما بينهم." وقد اهتم علم الدلالة كثيراً بالعمليات العضوية المركبة في جسم الإنسان خاص ما يتعلق بالنطق والسمع والبصر، كتتابع أعضاء النطق في فم المتكلم ومخارج الحروف، وتتابع الاهتزازات الهوائية التي تلتقطها أذان السامع، وهو يسير وراءها إلى أبعد من ذلك ليرى كيف تتحول إلى إشارات عن طرق الجهاز العصبي الذيحوها إلى دلالة معينة،

<sup>1</sup> - ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص15.

<sup>2</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص16.

وكيف يتلقى العقل هذه الإشارات من خلال الأعصاب الممتدة من الأذنين و يترجمها إلى فكرة التي يعيها المتكلم<sup>1</sup>، وهذه العمليات الدقيقة التي تجري على مستوى جسم الإنسان من حركات وإفرازات وأصوات التي يقوم علم الدلالة بدورها يوضع كذلك التسمية المناسبة له لتدل عليه.

ومما سبق يتفق الباحثون على أن علم الدلالة هو نقطة تلاقي العلوم وإن اختلفت أنواعها، وتوجهاتها البحثية.

## II- السياق:

يعدّ السياق من المفاهيم التي استعملت في عرف اللغة منذ القدم و إن تعددت و اختلفت التسميات بين لغوي، أو أصولي، أو مفسر، أو فقيه بحسب الاستعمال، والوظيفة التي يردها المستعمل إلا أن المفهوم و المعنى الذي يسوقه هذا المصطلح و هو الفهم الذي يتضمنه النص أو التركيب أي كان هذا النص أو التركيب الذي يطلق عليه السياق.

### أولاً: السياق لغة واصطلاحاً:

أ- السياق لغة: للسياق مفاهيم وتعريفات عديدة عند أهل اللغة وخاصة أهل المعاجم.

جاء في الصحاح للجوهري ويقال: «ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحد، أي بعضهم على بعض وليست بينهم جارية والسياق: نزع الروح، يقال: رأيت فلانا يسوق أي يبرع عند الموت»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 16.

<sup>2</sup> - إسماعيل ابن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار الملايين، لبنان، ط 4، 1990، ج 4، ص ص 1499 - 1500.

ومن هذا التعريف يتضح أن هذا التعريف يقصد به التلاحق والإتباع، وجاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس (395 هـ) أن «السين والواو والقاف أصل واحد وهو حدود الشيء»، «يقال ساقه يسوقه والسيقة ما أستيق من الدواب، ويقال سقت إلى امرأتي صداقها أسقته، والسوق مشتقة من هذا لما يساق إليها من كل شيء والجمع أسواق والساق للإنسان وغيره، والجمع سوق إنما سميت بذلك ولأن الماشي ينساق عليها»<sup>1</sup>.

يتضح من هذا التعريف أن السياق يقصد به الذهاب، والعطاء والمشى، ..... الخ.

جاء في مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني أن «سوق الإبل جلبها وطردها، يقال سقته فانساق والسويق يسمى لأسواقه في الحلق من غير مضغ»<sup>2</sup>.

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري: «ساق النعم، فانسقت، وقدم عليك بنو فلان فاقدتهم خيلاً واستقتهم إبلاً، ومن المجاز ساق الله إليك خيراً، وساق إليها المهر، وسقت الريح السحاب ..... وتسوقت الإبل تتسابق، وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك سياق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئت بالحديث على سوقه: على سرده»<sup>3</sup>.

كما جاء تعريفه في لسان العرب لابن منظور قوله: «سوق السوق معروف ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقاً سياقاً ..... وانسقت تسوقت الإبل تسوقاً إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة متساوقة، وفي حديث أم معبد فجاء زوجها يسوق (عنز) وما تسوقت أي تتابعت، والمساقاة المتابعة كأن بعضها يسوق بعضها، والأصل في تساق تتساق كأنها لضعفها وفرط هزالها تتخاذل و يتخلف بعضها عن بعض، ساق إليها الصداق والمهر سياقه أساقه و إن كان دراهم أو دنانير، لأن أصل الصداق عند العرب الإبل وهي التي تساق فاستعمل ذلك

<sup>1</sup> - أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ص 117.

<sup>2</sup> - الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، ص 249.

<sup>3</sup> - الزمخشري، أساس البلاغة، تج: محمد باسل، عيون السود، بيروت، لبنان، ط 1، 1998، ج 1، ص 84.

في الدرهم والدينار وغيرهما .... وهو في سوق أي في نزع كأن روحه تساق لتخرج من بدنه ويقال له السياق أيضا»<sup>1</sup>.

أما في القاموس المحيط للفيروزبادي فحاء «السياق ككتاب المهر، والمساق: التابع، والقريب .... وتساوقت الإبل: تتابعت، وتقاودت، والغنم تزاومت في السير»<sup>2</sup>.

ومن خلال ما تقدم من تعريفات لهذه المادة (س.و.ق) أو سياق نعني: التابع والانقياد والتعاقب للشيء الذي يرد لأجل التواصل والاتصال بين هذه الأشياء المتوالية حتى لا تنفك وتفترق وتتبعثر فلا يعرف لها أصل أو مكان أو سبب أو وجود فيفهم منه القصد، ويتضح لأنه متلاحق ومرتبطة ببعضه ببعض.

**ب - السياق اصطلاحاً:** للسياق في الاصطلاح تعريفات كثيرة ورد فيها عند الكثير من العلماء بمختلف اختصاصاتهم، لأن السياق يستعمله كل ذي اختصاص في اختصاص وبنفس المفهوم إلا أن مفهومه يتفق وذاك الميدان أو المجال أو التخصص، وعليه فإن السياق ورد في الاصطلاح كما يلي:

وجاء في كشف مصطلحات الفنون والعلوم للتهاوني قوله «والسياق في اللغة بمعنى راندن أي السوق ويسمى بالتعديد أيضاً، وهو إيقاع أسماء مفردة على سياق واحد وأكثره يوجد في الصفات كقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج 1، ص ص 166 - 167.

<sup>2</sup> - الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ص 335 - 336.

أَلْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾<sup>1</sup> وإن سياق الأعداد في أن الشاعر أو الكاتب يورد عدة أشياء لكل منها معنى لطيف مستملح على نسق ونظم<sup>2</sup>.

ف نجد في هذا التعريف للسياق، أن السياق هو مثل العدد في ترتيب ونظم الكلمات حتى يكون الكلام رائق وجميل في أداء المعنى الذي يريد المتكلم.

وجاء في حاشية البناني (ت 1198): "على جمع الجوامع قوله في تعريف بالسياق هو ما يدل على خصوص المقصود من سابق الكلام والمسوق لذلك أو لاحقه"<sup>3</sup>.

كما جاء في أحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد (ت 703 هـ) قوله « أما السياق والقرائن فإنها الدالة على مراد المتكلم من الكلام »<sup>4</sup>.

كما عرفه السلجماسي (ت 1057 هـ): « بأنه ربط القول بغرض مقصود على القصد الأول »<sup>5</sup>.

ويتضح من هذه التعاريف أنها تتفق حول مفهوم السياق الذي هو التوالي التابع في صناعة الكلام الذي يقصده المتكلم ويفهمه المتلقي من خلال ذلك الرصف والترتيب الذي وضع فيه.

<sup>1</sup> - الحشر (23).

<sup>2</sup> - التهانوي، كشف مصطلحات الفنون والعلوم، ج 1، ص ص 994، 995.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن بن جاد البناني، على جمع الجوامع للسبكي، دار الفكر، ب ط، ب ت، ج 1، ص 20.

<sup>4</sup> - محمد بن علي بن وهب بن دقيق العيد تقي الدين أبو الفتح، أحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تح: أحمد محمد شاكر، ط 2، 1987، ج 2، ص 21.

<sup>5</sup> - علي بن عبد الواحد أو حسن الأنصاري، المنزغ البديع في تحسين أساليب البديع، تح: علاء الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، ط 1، 1980، ص 188.

## ثانيا: السياق في الدراسات الحديثة:

أ- عند العرب: للسياق في الدراسات الحديثة مفاهيم كثيرة ومتعددة تختلف من دارس لآخر لكنها تتفق في المفهوم، " فالسياق: هو الغرض الذي يسق من أجله الخطاب وأن السياق هو مرادف للمقام وهما لفظان مرادفان"<sup>1</sup>.

وكما جاء في المعجم الوسيط تعريف السياق: « سياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه»<sup>2</sup>.

وقد عرفه تمام حسان: «بقوله المقصود بالسياق التوالي ومن ثم ينظر إليه من ناحيتين أولهما: توالي العناصر التي تحقق التركيب والسبل والسياق ومن زاوية يسمى ب (سياق النص)، والثانية: توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال من هذه الناحية يسمى سياق الموقف»<sup>3</sup>.

كما عرفه كمال بشر: « مصطلح المسرحي اللغوي والمقام ومجريات الحال، وليس هو مجرد مكان يلقي فيه الكلام، وإنما هو إطار اجتماعي ذو عناصر متكاملة أخذ بعضها ببعض، وهناك الموقف كله بمن فيه من متكلمين باتين ومستمعين ومتلقين وعلاقتهم ببعض، وهناك كذلك نافي الموقف من الأشياء، الموضوعات المختلفة التي تفيد في فهم الكلام والوقوف على خواصه»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - نجم الدين قادر كريم زكي، نظرية السياق، دراسة أصولية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971، ص 20.

<sup>2</sup> - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط 4، 2004، ص 465.

<sup>3</sup> - تمام حسان، السياق، دار العلوم، مطبعة عبير الكتاب، القاهرة، 1993، ص 345.

<sup>4</sup> - عبد المنعم خليل، نظرية السياق بين القدامى والمحدثين، دار الوفاء، الإسكندرية، ط 1، 2007، ص 82.

كما عرّفه صاحب دلالة السياق: بقول «السياق هو الغرض أي مقصود المتكلم من إيراد الكلام، وهو واحد من المفاهيم التي تعبر بلفظ السياق (السوق) عنها»<sup>1</sup>.

ويضيف قائلاً: «أن الساق هو الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها، و أوضح ما عبر به عن هذا المفهوم لفظاً الحال والمقام .

ويضيف أيضاً: أن السياق هو ما يعرف الآن بالسياق اللغوي الذي يمثله الكلام في موضع النظر أو التحليل، ويشمل ما يسبق أو يلحق به من الكلام يمكن أن يضيء دلالة القدر منه (موضع التحليل) أو يجعل منها وجهاً استدلالياً»<sup>2</sup>.

وبهذا يتضح أن معنى السياق يعني التابع والاتصال في الكلام حتى يفهم مراد المتكلم، و استعمال العرب له منذ القدم يحمل نفس المعنى الدال على ذلك، الذي يعني التساوق والتتابع في الكلام و الأفعال على حد سواء.

### ب- السياق عند الغربيين :

ورد السياق في المعجم الفلسفي بالفرنسية **Contexte** بمعنى سياق الكلام أي أسلوبه ومجراه، تقول: وقعت هذه العبارة في سياق الكلام أي جاءت متفقة مع محمل النص، وساق الحوادث **processus** مجراها وتسلسلها وارتباط بعضها ببعض وإذا جاء الحادث متفقاً مع الظروف المحيطة به كان واقعا في سياقها<sup>3</sup>.

أما في القواميس الغربية الأخرى فإن قاموس الجيب « La rousse de poche » قد حدد لفظة السياق بوصفها كلمة قريبة من المعنى الحديث للمصطلح.

<sup>1</sup> - ينظر: ردة الله بن ردة الطلحي، دلالة السياق، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط 1، 1424 هـ، ص 39. وينظر عبد المنعم خليل، نظرية السياق بين القدامى والمحدثين، دار الوفاء، الإسكندرية، (دط)، 2007، ص 82.

<sup>2</sup> - ردة الله بن ردة الطلحي، دلالة السياق، ص 39، 40.

<sup>3</sup> - ينظر: عبد النعيم خليل، السياق بين القدماء والمحدثين، ص 26.

«والسياق هو ما يصاحب، يسبق أو يتبع نصا للتوضيح، بينما قاموس "روبير الصغير" " Le petit Rebert " فيعرفه أنه مجموع نص يحيط بعنصر لغوي (كلمة، جملة، جزء من ملفوظ، ويتعلق بمعناها وقيمتها كما يعرف أيضا على أساس أنه مجموع الظروف التي في إطارها يندرج فعل ما، فهناك (السياق السيكلوجي للتصرف والسياق السياسي والعائلي)»<sup>1</sup>.

كما ورد في قاموس Petit Larousse لفظ **contexte** أي السياق: وهو اسم لاتيني مذكر ورد **contexère** ومعناه مجموع النص الذي يسبق أو يلي جملة أو مجموعة من كلمات أو كلمة<sup>2</sup>.

«أما ميكرو روبير « Micro Robert » فيشرح السياق على أنه مجموع النص الذي

يحيط بعنصر لغوي من أجل فهم أفضل»<sup>3</sup>.

«ويستعمل لفظ (السياق) مقابلا للمصطلح الانجليزي (**contexte**) الذي يطلق ويراد به المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة اللغوية سواء أكانت كلمة أو جملة في إطار من العناصر اللغوية أو غير اللغوية»<sup>4</sup>.

ويرى هاليداي (M. Halliday) أن السياق: «هو النص الآخر أو النص المصاحب للنص الظاهر، والنص الآخر لا يشترط أن يكون قوليا، إذ هو يمثل البيئة الخارجية للبيئة اللغوية بأسرها، وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية، ونظرا لأن السياق يسبق في الواقع العملي النص الظاهر أو الخطاب المتصل به، فقد رأى "هاليداي" أن يعالج موضوع

<sup>1</sup> - علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، مؤسسة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص 31.

<sup>2</sup> - petit larousse en couleurs, édition Paris 1984, P 225.

<sup>3</sup> - Micro Robert, imprime en France, par brodard graphique, ED Paris, 2004, P 83 – 84.

<sup>4</sup> - ردة الله بن ردة الطلحي، دلالة السياق، ص 40.



السياق قبل موضوع النص»<sup>1</sup>. يتضح من خلال ما قدمه "هاليداي" أن السياق أسبق من النص من حيث الوجود لأن هو من ينتج النص.

ويفرق روبرت ديوجراندي (R. deBeaugrand) بين مصطلحين:

«**1-Contexte**» ويتضمن الدلالات الخارجية، وإنتاج النصوص واستقبالها، ويسمى سياق الموقف.

«**2-Co-text**» ويتضمن مكونات قواعدية ونحوية ودلالات داخلية وصرف وأصوات، ويعرف بـ «سياق البنية»<sup>2</sup>.

ويوضح هذا الفريق بين نوعين من السياقات هما السياق غير اللغوي والسياق اللغوي هو ما أقرته نظرية فيرث (Firth) أو النظرية السياقية للدرس اللغوي حين أصبح تناول المعنى يعني تناولاً لهذين الجانبين واصطلح عليهما في الإنجليزية على الأشهر بـ:

1- Linguistic Context أو Verbal Context ويراد به السياق اللغوي أو سياق النص.

2- the non – linguistic context أو context of situation، ويراد به سياق الموقف أو السياق غير اللغوي<sup>3</sup>.

وهو ما وضعه أولمان عند تناوله عند لمصطلح (context) بمفهومه العام بقوله: "وكلمة (context) قد استعملت حديثاً في معانٍ مختلفة، والمعنى الوحيد الذي يهم مشكلتنا في الحقيقة هو معناها التقليدي، أي: النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم بأوسع

<sup>1</sup> - يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط 1، 1410 هـ، ص 29.

<sup>2</sup> - روبرت ديوجراندي، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، القاهرة، ط 1، 1418، ص 91. وينظر: ردة الله بن ردة الطلحي، دلالة السياق، ص 40.

<sup>3</sup> - ينظر: ردة الله بن ردة الطلحي، دلالة السياق، ص 40، 41.

معاني هذه العبارة، إن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب والقطعة كلها والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل - بوجه من الوجوه - كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات، والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن»<sup>1</sup>.

وهناك مصطلح ثالث أضافه مالمينوفسكي هو: «(Context of culture) أي سياق الثقافة، وهو كذلك السياق الذي تنضوي تحته السياقات الأخرى لغوية أو غير لغوية»<sup>2</sup>.

كما يفرق الأسلوبيون بين نوعين من السياقات الأسلوبية:

أولهما: السياق الصغير (Micro Contexte): ويقصد به الجوار المباشر للفظ قبله أو بعده، ويعني أسلوبيا بدراسة الكيفيات التي تتفاعل بها الكلمات فيبرز بعضها بعضا ويؤثر بعضها في بعض.

والآخر: «السياق الكبير (Macro Contexte): ويقصد به أحيانا ما هو أكبر من الجوار المباشر للفظ كالجمله أو الفقرة أو الخطاب جملة، وقد يتخذ هذا المصطلح أسلوبيا دلالة خاصة تتمثل في جملة المعطيات التي تحضر القارئ وهو يتلقى النص بموجب مخزونه الثقافي والاجتماعي»<sup>3</sup>.

يتضح من خلال هذه المفاهيم أن السياق لا يكاد يختلف العرب والغرب عن مفهومه، سواء كان ذلك عند القدامى أو المحدثين مع ذلك يبقى السياق بحاجة إلى الكثير من البحث

<sup>1</sup>-ستيفان أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، دت، ص 57.

<sup>2</sup>-ينظر: يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، ص 30. وينظر: ردة الله بن ردة الطلحي، دلالة السياق، ص 41.

<sup>3</sup>- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدر العربية للكتاب، تونس، ط 2، 1982، ص 175.

والدراسة حتى تتضح معالمه، ويصبح قابلاً للتطبيق على الأعمال اللغوية والأدبية التي تحتاج إلى تحليل وفهم من خلال استنطاق السياق المنتج لها .

# الفصل الأول:

## دلالة السّياق عند العرب والغربيين

I- الدلالة عند العرب والغربيين:

أولا: الدلالة عند العرب:

1- الدلالة عند اللغويين العرب

2- الدلالة عند البلاغيين

3- الدلالة عند الأصوليين

ثانيا: الدلالة عند المحدثين:

1. الدلالة عند الغربيين المحدثين

2. الدلالة عند المحدثين العرب

II- السّياق عند العرب والغربيين:

أولا: السّياق عند العرب

1- السّياق عند العرب القدامى

ثانيا: السّياق عند الغربيين

ثالثا: السّياق عند العرب المحدثين

رابعاً: دلالة السياق عند ابن القيم

1- ترجمة الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى -

2- دلالة السياق عند ابن القيم

## I – الدلالة عند العرب والغربيين:

### أولاً: الدلالة عند العرب:

لقد اعتنى علماء العرب منذ القدم بالدلالة وفي شتى المجالات والميادين انطلاقاً من اللغة نفسها، حيث ألفت فيها المعاجم بمختلف أشكالها وطرقها.

ولقد لقت اهتماماً لم يسبق لها من قبل وخاصة تلك المرحلة التي عرفت الجمع والتدوين وكل هذا جاء حفاظاً عليها لتصبح مصدر الهام للميادين البحثية الأخرى كعلم المنطق، والكلام وأصول الفقه، والنحو والبلاغة ... الخ.

وتمثلت هذه الجهود في إسهامات مختلفة باختلاف وظيفة كل عالم من العلماء فمنهم من أخذ على عاتقه صوت هذه اللغة والحفاظ عليها من التحريف و التزييف فقام بجمعها، ومنهم من قام بوضع القوانين لها حتى تبقى واضحة باعتبار القانون هو الضابط لها، ومنهم استعان بها لفهم علوم آخر واستعملها كعلم آلة في فهم ومعرفة العلوم الأخرى كعلماء التفسير الأصوليين والفقهاء ... الخ.

وهذا كله ساهم في صناعة علم الدلالة لأنها هي المبتغى الذي كان يريد كل عالم من هؤلاء العلماء لفهم اللغة أو استنباط بها الأحكام في العلوم الأخرى لفهم ما تدل عليه.

وكلّ هذا ارتبط بالقرآن الكريم وما تعلق به لفهم ذلك، وهذا ساهم في تطور الفكر الدلالي الغربي وفي مجالات عديدة خاصة، حيث كان التوجه نحو العناية بالمعنى المرتبط باللفظ أو التركيب في إيضاح الدلالة.

وقد عرف علم الدلالة اهتماماً بالغاً من العلماء و في مختلف الميادين سواء من اللغويين أو علماء الأصول، أو المناطق أو الفلاسفة، أو البلاغيين أو النحويين، أو الفقهاء

أو النقد، ولكل هؤلاء دوره في المساهمة في بناء التفكير الدلالي، وسنأتي على هذا بنوع من التفصيل كما يلي:

### 1- الدلالة عند اللغويين العرب:

لقد اهتم اللغويين العرب بلغتهم اهتماماً كبيراً وألوهها عناية خاصة، خاصة عند دخول الأعاجم إلى الإسلام وتفشي ظاهرة اللحن فيها، ففيض الله لهذا الأمر رجالاً فجمعوا العربية ودونها في معاجم وأرسوا لها قواعد ونظم فضبطوها دلالياً حتى لا يختل معناها.

وكل استعمل ذلك من وجهته بعثه، وإذا ماجئنا إلى ذكر بعض هذه الأعمال لا يسعنا ذكرها إلا على سبيل التمثيل لا الحصر.

فنجد منها الكثير من المعاجم وبمختلف ترتيباتها وتصنيفاتها والكثير من الكتب التي قننت للغة قواعدها.

ولعلّ نجد أول من اهتم بالدلالة هم أهل المعاجم لأنهم أول من جمع وبعث في اللغة ومعانيها، وما تدل عليه وعلى رأس هؤلاء الخليل ابن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) من خلال معجمه العين الذي « وضع فيه تراكيب الكلمة من مواردها الأصلية وتبعها في الحذر البنيوي الحرفي على ما تحمله من ألفاظ مستعملة وأخرى مهملة في نظام التقلبات داخل الكلمة الواحدة»<sup>1</sup>.

بهذا يعدّ الخليل الرائد في البحث الدلالي خاصة في دلالة الألفاظ، وجاء بعده العديد من الأعمال التي بحثت في اللغة وترتيبها وتصنيفها وهو ما يعد عملاً دلالياً ساهم في تطوير البحث اللغوي الدلالي ومن هؤلاء وأهمهم: الأصمعي (ت210هـ) وله الكثير من المؤلفات

<sup>1</sup> - ينظر: إدريس حويبا، البحث الدلالي عند الأصوليين: قراءة مقصدية الخطاب الشرعي عند الشوكاني، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2011، ص15.

والرسائل ولعل أهمها: الإبل والخيول، والنبات وخلق الإنسان أبو عبيدة، في رسائله التي كانت منها أيام العرب وأنسابهم، وكتاب مجاز القرآن، وسائل، الإنسان والزرع والفرس، كما كان النظر بن شمائل مؤلفات ورسائل منها كتاب الصفات التي اشتمل عليها مرتبة على حسب المعاني<sup>1</sup>، وهذا ما يثبت اهتمام اللغويين العرب بالدلالة في مؤلفاتهم وراسلهم من خلال ضبطها وحسب ترتيبها، ثم أتى من بعدهم أبو حاتم السجستاني (ت225هـ) بمؤلفه: الوحوش والزرع وخلق الإنسان، وابن السكيت (ت644هـ) صاحب كتاب إصلاح المنطق<sup>2</sup>.

ثم جاءت بعد هؤلاء ممن اهتموا بمعجم الموضوعات ومعجم الألفاظ: كابن دريد (ت321هـ) صاحب معجم جمهرة اللغة، وقدامة بن جعفر الذي له كتاب الألفاظ، والقالي الذي له معجم البارع، وابن فارس (ت395هـ) صاحب معجم مقاييس اللغة<sup>3</sup>.

وقد بلغت في هذه الفترة الدراسات الدلالية مرحلة متطورة، حيث مست مجالات مختلفة باختلاف البعث، واختلاف طريق البحث لدى أصحاب هذه المعاجم، وقد تميزت هذه الفترة بتأليف معاجم الألفاظ المرتبة ترتيباً هجائياً، إلا أن بعض هذه المعاجم "كفقه اللغة للثعالبي (ت429هـ) والمخصص لابن سيده (ت458هـ)<sup>4</sup>، جاءت مختلفة عن تلك المعاجم وهذا يبين تطور البحث اللغوي وخاصة الدلالي عند العرب قديماً، ومن الأمثلة التي تؤكد اهتمام المعجميين بالدلالة ما سماه ابن دريد في معجمه الاشتقاق ومعجم جمهرة اللغة في باب تسمية الأبناء حيث يقول "وعلم أن للعرب مذاهب في تسمية أبنائها فمنها ما سموه تفاعلاً على أعدائهم نحو غالب، وغلاب، وظالم، وعارم، ومقاتل... الخ ومنها ما تفاعلاً به للأبناء نحو: نائل، ووائل، وناج، ومدك، وسالم، ومنها ما يسمى بالسباع تهيئاً لأعدائهم نحو: أسد،

<sup>1</sup>- ينظر: رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي، الطبعة 6، 1999، ص ص231-272.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص382-231.

<sup>3</sup>- ينظر: المصدر نفسه، ص232-231.

<sup>4</sup>- ينظر: المصدر نفسه، ص232-231.



وليث، وذئب، ومنها ما يسمى بما غلظ وخشن من الشجر تفاقؤلاً أيضاً نحو: طلحة، وشهرة وسلمه، وقتادة، وهراسة، وكل ذلك شجر له شوك، ومنها ما تسمى بما غلظ من الأرض وخشن لمسه وموطنه مثل: حجر، وصخر، وفهر، وجندل، وحزن، وحزم<sup>1</sup>. والأمثلة في هذا الصدد كثيرة متنوعة.

ونجد كذلك ابن فارس حاول في معجمه مقاييس اللغة أن يربط بين الألفاظ ودلالاتها، محاولاً استخراج الدلالة من الأصول الاشتقاقية ورد المادة اللغوية الواحدة إلى أكثر من أصل حيث نجد "الخاء، والراء، والسين" أصول ثلاثة: الأول جنس الآنية، والثاني: عدم النطق، والثالث: نوع من الطعام... الخ" ويمثل لكل أصلبالترتيب فالأول: الخرس سكون الراء، والقاني الخرس والثالث هو الخرس<sup>2</sup>. ولا بن فارس الكثير من الأمثلة والمواضع التي جعل الدلالة أساساً في بحثه، حيث يذكر هذا بقوله وهو يقف على المعاني اللغوية في كتابه الصاحبي في مبحث معاني ألفاظ العبارات التي يعبر بها عن الأشياء فقال "ومرجعها لي ثلاث: وهي المعنى، والتفسير، والتأويل، وهي وإذ اختلفت فإن المقاصد بها متقاربة". وفي هذا الصدر يعرف هذه المرجعيات بقوله "فأما المعاني فهو القصد والمراد، ويقول عنيت بالكلام كذا، أي قصدت وعمدت، وأما التفسير فإنه التفصيل وأما التأويل فأخر الأمر وعاقبته"<sup>3</sup>. وهذا ما يؤكد دقة فهم القدامى للدلالة وكيفية استخراجها وطرق استنباطها واستنطاقها.

<sup>1</sup> - ابن دريد، الاشتقاق وجمهرة اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، 1958، ص5.

<sup>2</sup> - ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، بيروت، (د-ت)، ج2، ص167.

<sup>3</sup> - أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، تح: أحمد صقر، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، (د-ت)، ص ص 312-

كما لا تفوتني محاولات الزمخشري (ت538 هـ) الذي يعد من المتأخرين الذين ألفوا في المعاجم وحاولوا الاعتناء بالدلالة من خلال كتابة أساس البلاغة الذي عالج فيه الفرق بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية<sup>1</sup>.

ومن خلال هذا نجد أن علم الدلالة عرف تطوراً كبيراً على يد علماء اللغة خاصة أهل المعاجم التي لم يعرف لها نظيراً في عصرهم، ولا زالت إلى يومنا هذا مصدراً أساسياً في معالجة الكثير من المباحث الدلالية.

أما عند اللغويين النحاة: لقد اهتم النحاة باللغة اهتمام كبيراً وخاصة عند ما ربطوا بحوثهم اللغوية بالدلالة فتناولوا اللغة بشكل متكامل، من صوت وصرف وتركيب ودلالة ومعجم وربطوا كل هذه العلوم بالمعنى للكشف عن مدلول الكلام، ومن هؤلاء الذين بحثوا في هذا المجال: صاحب الكتاب سيبويه (ت180هـ)، وابن جني (ت392هـ) من خلال كتابه الخصائص، وأبو هلال العسكري (ت395هـ) كتابه الصناعتين، وكتابه الفروق اللغوية وآخرون... الخ.

وإذا ما رجعنا إلى سيبويه الذي يعتبر كتابه الكتاب أول كتاب ألفي صناعة وصياغة قوانين وقواعد اللغة العربية، والذي من خلاله وضع الأصول الأولى للغة في مختلف المباحث التي تطرق إليها من صوت، وصرف، ونحو، وربطها بالدلالة، ويقول محمد حماسة «أن سيبويه ألمح في مطلع كتابه إلى لفظة فذة، وقد جاءت ومضة فريدة لمعت في إشارة خاطفة إلى الاستقامة من الكلام والإحالة في نص موجز، وفي هذا النص القصير تمكن بدور نظرية نحوية دلالية، حيث تندمج في تواءم حميم قوانين النحو مع قوانين الدلالة، أو بعبارة أخرى قوانين

<sup>1</sup> - ينظر: رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، ص282.

المعنى النحوي الأولى، وتمثله الوظائف النحوية المختلفة مع قوانين دلالة المفردات الأولية، وتمثلها الدلالة المعجمية للكلمة، وتمتج فيما مايسمى " المعنى النحوي الدلالي" <sup>1</sup>.

وقد أطلق على هذا الباب تسمية « باب الاستقامة من الكلام والإحالة» <sup>2</sup>.

« فمنه مستقيم حسن ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب» <sup>3</sup>.

فأما المستقيم الحسن: فقولك: أتيتك أمس، وسأتيك غدا.

وأما المحال، فان تنقض أول كلامك بآخره: فتقول: أتيتك غدا، وسأتيك أمس

وأما المستقيم الكذب، فقولك حملت الجبل، وشربت ماء البحر ونحوه.

وأما المستقيم القبيح، فان تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك:

قد زيدا رأيت. وكى زيدا يأتيتك. و أشباه ذلك و أما المحال الكذب: فأن تقول: سوف

أشرب ماء البحر أمس <sup>4</sup>.

وهذا ما يؤكد بأن الكلام يختلف من حيث الدلالة بحسب الاستقامة فلما كان مستقيما

حسنا كانت دلالة واضحة ومعلومة، وكلما كانت عكس ذلك كانت تحتاج إلى توضيح

وتفسير حتى يفهما السامع أو الملتقي.

كما نجده أول من تناول قضية اللفظ والمعنى والموازنة بينهما في اللغة حيث يعبر اللفظ

الواحد عن المعنى الواحد فقسّم الألفاظ بحسب مدلولاتها.

<sup>1</sup>- ينظر: محمد حماسة، النحو والدلالة، دار الشروق، ط1، 2000، ص65.

<sup>2</sup>- ينظر: سيبويه، الكتاب، تح، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ج1، صص 25-26.

<sup>3</sup>- ينظر: سيبويه، الكتاب، ج1، ص25. وينظر: أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: علي محمد بجاوي، ومحمد أبو

الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1952، ص70.

<sup>4</sup>- ينظر: سيبويه: الكتاب، ج1، ص25. ينظر: أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص70.

1. " اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين نحو " جلس وذهب".
  2. اختلاف اللفظين واتفاق المعنيين نحو " هب وانطلق".
  3. اختلاف اللفظين مع اختلاف المعنى نحو: " وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة وأشياء ذلك كثيرة"<sup>1</sup>، وهذا ما يؤكد صلة علم الدلالة بالعلوم اللغوية الأخرى، ومدى اهتمام القدامى بالعلاقة التي تربط هذه العلوم بعضها ببعض.
- وهذا دليل آخر على اهتمام سيويه والقدامى بقضية اللفظ والمعنى التي تعد عمدة البحوث الدلالية إلى اليوم، ويذهب سيويه إلى أبعد من ذلك في خلال تحدد دلالة الأفعال على الأحداث حيث يقول: " واعلم أن الفعل الذي لا يتعدى الفاعل إلى اسم الحدثان الذي أخذ منه، لأنه إنما يذكر ليدل على الحدث...، ويتعدى إلى الزمان نحو قولك ذهب لأنه بني لما مضى منه وما لم يمضي، فإذا ذهب فهو دليل على أن الحدث فيما مضى من الزمان...، ففيه بيان ماضى...، كما أن فيه استدلالاً على وقوع الحدث...، ويتعدى إلى ما اشتق من لفظه اسماً. للمكان وإلى المكان، لأنها إذا قال: ذهب أو قعد فقد علم أن للحدث مكاناً، وإن لم يذكره، كما علم أنه كان ذهاباً، وذلك قولك: ذهبت المذهب البعيد، وجلست مجلساً حسناً"<sup>2</sup>.

لقد عالج سيويه الدلالة من منطلق علمي دقيق، حيث ربط الدلالة بكل مباحث اللغة التي تناولها في كتابه الكتاب، ليبين أن اللغة أوجدت لمعرفة مقاصد المتكلم، وما يدل عليه كلامه، فربط تلك القوانين التي ضبطت من خلالها اللغة بدلالات ومعاني يقصدها المتحدث، ويفهمها المتلقي أو السامع أو المستقبل، ليحصل بها فهم الدلالات والمعاني المرادة من الكلام.

<sup>1</sup>- ينظر: سيويه، الكتاب، ج1، ص24.

<sup>2</sup>- ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص ص 34-35.

أمّا أبو هلال العسكري فقد تناول قضية الدلالة في كتبه وأشهرها كتاب الصناعتين والفروق اللغوية، وتسمية هاذين الكتابين تدل على ذلك، حيث يعرف الكلام من المنظور الدلالي فيقول: "أن الكلام ألفاظ يشتمل على معان تدل عليها وتعبر عنها<sup>1</sup>، وهذا ما يبين معرفة القدامى بالدلالة، أو بالأحرى دلالة الألفاظ وقدرتهم على التعبير بها.

وقد عرف أبو هلال العسكري الدلالة ومميزا بينها وبين المرادفات لها فنجده يعرفها بقوله: «أن الدلالة ما يمكن الاستدلال به والاستدلال فعل المستدل، وأن الدلالة على الشيء ما يمكن كل ناظر فيها أن يستدل بها عليه»<sup>2</sup>.

فالتعريف بالدلالة عند أبي هلال العسكري يدل على معرفة هذا الأخير بالدلالة وطرق الاستدلال وأدواتها، هذا إذا ما جئنا إلى أنه يميز بين الكثير من مرادفات لفظة الدلالة ونجده يميّز بين العلامة والدلالة والعلاقة التي بينهما فيقول: «وعلاوة الشيء ما يعرف به المعلم له، ومن شاركه في معرفته دون كل واحد كالحجر تعلمه علامة لدفين تدفنه، فيكون دلالة لك دون غيرك، ولا يمكن لغيرك أن يستدل به عليه إلا إذا وافقته على ذلك، فلا يكون ذلك دلالة إلا لمن يوافقك عليه، ثم يجوز أن تزيل علامة الشيء بينك وبين صاحبك، فتخرج من أن تكون علامة له، ولا يجوز أن تخرج الدلالة على الشيء من أن تكون دلالة عليه، فالعلامة تكون بالوضع والدلالة تكون بالاختصاص»<sup>3</sup>.

إنّ معرفة الأشياء بمرادفاتهما تدل على المعرفة بهذا العلم وإدراك صاحبه به، وإلا لما كان باستطاعته التفريق والتمييز بينهم، وهذا ما وصل إليه أبو هلال العسكري من معرفته بدلالة كعلم قائم بذاته عند تأليفه هذا الكتاب.

<sup>1</sup>- ينظر: أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 69..

<sup>2</sup>- ينظر: أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تح: محمد ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، 1998، ص 70.

<sup>3</sup>- ينظر: المرجع نفسه، ص ص 70-71.

أما ابن جني فيعدّ من أبرز اللغويين النحويين، الذي اهتموا بالدلالة من خلال دراسته للعلوم اللغوية الأخرى، من خلال كتابه الخصائص، الذي ربط فيه اللغة بكل مجالاتها بالدلالة كبعثه في الاشتقاق وتقسيماته والبحث في مناسبة اللفظ للمعنى، وكشف العلاقة بين الأصوات والمعاني، وربط الصيغ الصرفية للكلمات بدلالاتها وفي هذا الشأن يقول ابن جني: «فإن العرب - فيما أخذناه عنها وعرفناه من تصرف مذاهبها-، عنايتها بمعانيها أقوم من عنايتها بألفاظها، أو لا تعلم أن سبب إصلاحها ألفاظها وطردها إياها على المثل والأحذية التي قننتها، وقصرتها عليها، إنما هو لتحسين المعنى وتشريفه، هو الإبانة عنه وتصويره، ألا ترى أن استمرار رفع الفاعل، ونصب المفعول، إنما هو للفرق بين الفاعل والمفعول، وهذا الفرق أمر معنوي، أصلح اللفظ له وقيد مقادها لأوفق من أجله. فقد علم لهذا أن زينه الألفاظ وحليتها لم يقصد بها إلا تحسين المعاني وحيطاتها فالمعنى إذا هو المكرم المخدوم، واللفظ هو المبتذل الخادم»<sup>1</sup>. وهذا ما يوضح عناية ابن جني بالجانب الدلالي أكثر منه بالجانب اللفظي واللفظ إنما يختار لإبانة شأن المعنى، وفي هذا يقول أيضا ابن جني «ولما كانت الألفاظ للمعاني أزمّة وعليها أدلة، وإليها موصلة، وعلى المراد منها محصلة، عنيت العرب بها فأولتها صدرا صالحا من تثقيفها وإصلاحها»<sup>2</sup>.

وهذا ما يؤكد أن الغاية من اللغة هو الدلالة، وبالتالي فالعلماء اللغويين القدامى، كان هدفهم من ضبط وتفنين اللغة هو إيجاد الدلالة المناسبة لها، فنجد من أهم الأعمال التي قام بها ابن جني، هو البحث في معاني مشترك اللفظ الواحد فيقول: «و أما (ك.ل.م)، فهذا أيضا حالها وذلك أنها حيث تقلبت فمعناها الدلالة على القوة والشدة، والمستعمل منها أصول خمس: وهي (ك ل م، ل ك م، م ك ل، م ل ك) وأهملت منه (ل م ك) فلم تأتي في

<sup>1</sup>- ينظر: ابن جني، عثمان أبو الفتح، الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، د.ط، ج1، ص150.

<sup>2</sup>- ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص312.

الثبت»<sup>1</sup>، وهذا دليل آخر على مهارة القدامى في الاشتقاق والمقارنة والتمييز بين الدلالات المختلفة لمختلف الألفاظ.

كما تناول العلاقة بين اللفظ والمعنى، من خلال تناوله لأبواب كثيرة في هذا المجال نذكر منها: باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني معتمدا على اللفظة المفردة ودلالاتها، خاصة الدلالة الإيحائية كالتقديم والتأخير في الأصل الواحد، أو تقارب أصلين، أو تقارب الحروف التقارب المعاني، وباب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني. وباب في مقابلة الألفاظ بما يشكل أصواتها، وباب في الاشتقاق الكبير، والصغير، والأكبر.

وكلّ هذا العمل أسسه ابن جني على أساس صوتي " تمثل في مخارج الحروف " متبعا في ذلك نظام الخليل قبله.

فيرى «أنّ تقارب حرفين في المخرج لكلمتين مختلفتين فيهما متفتقتين في جذورهما، يؤدي إلتقارب في الدلالة بين الكلمتين مثل " العسف والأسف، فالعين أخت الهمزة " مؤكدا على تصاقب اللفظين لتصافات المعنيين، وكذلك بين كلمتي أَزَّ وهزَّ لتقارب مخارجها صوتيا»<sup>2</sup>. والأمثلة على هذا النحو كثيرة. كما نجد في دلالة بعض الألفاظ وربط بينهما بين بنيتها الصوتية" مما يؤكد لنا أن العلاقة بين اللفظ ومعناه علاقة اصطلاحية فيقول: « وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا فيحتاجون إلى الإبانة على الأشياء المعلومات، فيضعون لكل واحد منها سمة ولفظا، وإذا ذكر عرف به مسماه ليمتاز عن غيره»<sup>3</sup>. وهذا شبيه بالمحاكات التي تحدث في الطبيعة من أصوات بعض الظاهر الطبيعية، ك« دوي الريح، وحنين الرعد، وخرير المياه، وصهيل الفرس، ونزيب الظبي، ونحو ذلك، ثم يقول: ثم ولدت اللغات عن

<sup>1</sup> - ينظر: ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ج1، ص13.

<sup>2</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص146.

<sup>3</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص44.

ذلك فيما بعد وهذا عندي وجه صالح، ومذهب مستقبل»<sup>1</sup>. ومنه عرف ابن جني اللغة بأنها " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"<sup>2</sup>، من هذا فدلالة الألفاظ على المعاني تقوم على المواصفة والاتفاق بين جماعة من الناس، ولهذا السبب كان مدلول كلمة ما تختلف من لغة إلى أخرى، « فكلمة إنسان في الفارسية هي " مَرْد" وكلمة سَرَّ هي رأس، أي إنسان ورأس»<sup>3</sup>. وبهذا يكون ابن جني قد أفاد اللغة، وساهم في إضاءة وتفقيه اللغة وجعلها مناسبة وملائمة للغاية التي وجدت من أجلها، بحيث يعبر بها أهلها ويفهم من خلاله مدلولها وكل هذا جعل ابن جني يميز بين ثلاثة أصناف وأنواع من الدلالة في اللغة، وهي حيث يقول « اعلم أن كل واحد من هذه الدلائل معد مراعي مؤثرة، إلا أنها في القوة والضعف على ثلاث مراتب فأقواهن الدلالة اللفظية، ثم تليها الصناعية ثم تليها المعنوية... ألا ترى إلى قام ودلالة لفظه على مصدره ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله، فهذه الثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه»<sup>4</sup>.

تقسيم ابن جني للدلالة والمخطط البياني يوضح ذلك<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: ابن جني، الخصائص، ج1، ص ص46-47.

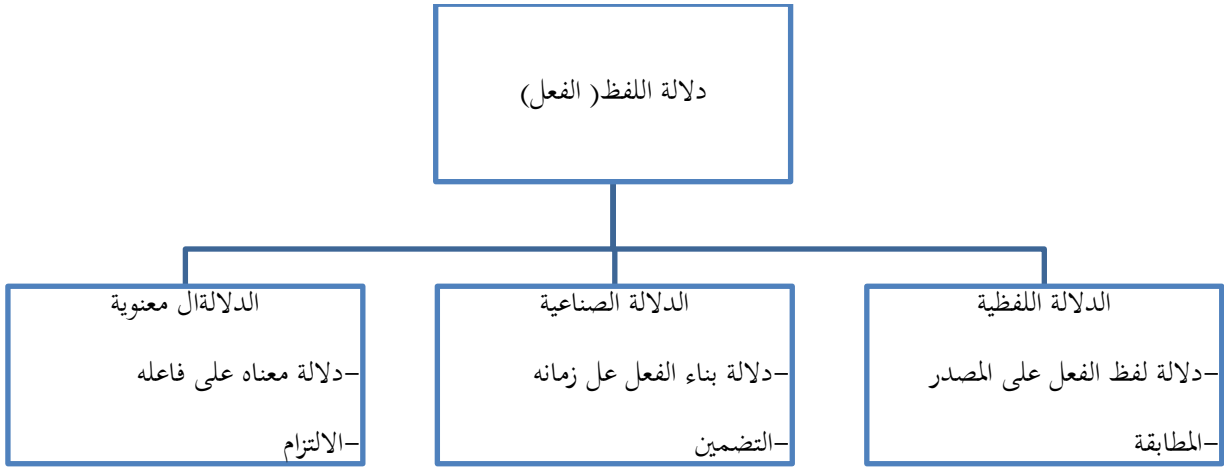
<sup>2</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص33.

<sup>3</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص44.

<sup>4</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص98.

<sup>5</sup> - ينظر: ردة الله الطلحي، دلالة السياق، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1418، ج1، ص25.





إذن فاللدلالة عند القدماء كانت تتضمنها علوم اللغة الأخرى، فكان لا يخلوا علم من علوم اللغة إلا وكانت الدلالة لاصقة فيه، وهي أساسها لأنهم بنوا اللغة على ربط اللفظ بمعناه، وما يدل عليه، ولهذا تميزت العربية بخاصية التبليغ والإفهام.

## 2-الدلالة عند البلاغيين:

لقد اهتم البلاغيون اهتماما واضحا بالدلالة من خلال دراستهم للعديد من المباحث التي على علاقة بها و نذكر منها : المجاز، الحقيقة، البيان بكل صورة والمعاني بكل صورة وخاصة تلك المتعلقة بقضية اللفظ والمعنى بالإضافة إلى الأساليب كالأمر والنهي والاستفهام... الخ.

ومادام البحث الدلالي يقتضي العلاقة بين الدال ومدلوله، وما يترتب عنهما من سلامة الأداء ، للغرض المقصود في وضوح الرسالة من المتكلم إلى المتلقي، فقد حاول علماء البلاغة تحليل الجانب الدلالي في اللفظ والمعنى، وهم يقدمون أحكامهم الجمالية والعروض الفنية<sup>1</sup>. ويضيف في هذا الصدد مصطفى ناصف فيقول : " كان على هؤلاء أن يعرفوا بنية النظام اللغوي ليتسنى لهم معرفة هذه القيم الدلالية والجمالية ، ونجد أن المعنى حظي عندهم باهتمام كبير وخاصة المعنى العقلي في الأدب أكثر من اهتمام بالمعنى،

<sup>1</sup>-ينظر: فايز الداية، علم الدلالة العربي، دار الفكر، دمشق، ط2، 1996، ص31.

وحرصوا على التوازن بين اللفظ والمعنى ، كما ارتفعوا باللفظ إلى النظم للحكم على المعنى، قد اتخذ المعنى عندهم استخداما دلاليا يتجه إلى الغرض أو القصد الذي يريده المتكلم<sup>1</sup> ، إذا هذا يوضح مد اهتمام البلاغيين القدامى بالدلالة ، خاصة عند اعتنائهم باللفظ، لأنه سبب في اعتنائهم بالمعنى، ومن هؤلاء البلاغيين الذين اهتموا بذلك ، نجد على رأسهم وأبرزهم الجاحظ ، وعبد القاهر الجرجاني ، والزمخشري ، وأما البلاغيين النقاد فنجد منهم، ابن رشيق القيرواني ، وحازم القرطاجني وابن قتيبة ، وقدامه بن جعفر والرمانى والخطابي... وغيرهم.

### أ-البلاغيين:

#### -الجاحظ (ت255هـ):

يعدّ الجاحظ من أبرز البلاغيين الذي اهتموا بالدلالة ، ويتضح ذلك في معالجة لمباحث كثيرة متعلقة بالدلالة منها قضية اللفظ والمعنى، وأنواع الدلالة ، والإبلاغ والإفهام الحاصل في الكلام بين المتكلم والمتلقي، فيقول " المعاني القائمة صدور الناس المتصورة في أذهانهم والمختلجة في نفوسهم والمتصلة بخواطرمهم والحادثة عن فكرهم ، مستورة خفية، بعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة... وإنما يعني تلك المعاني ذكرهم لها ، وإخبارهم عنها، واستعمالهم إياها...وعلى قدر وضوح الدلالة، وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودقة المدخل، يكون إظهار المعنى... والدلالة الظاهر على المعنى الخفي هو البيان"<sup>2</sup>.

ومن خلال هذا النص، الجاحظ يتيسر إلى أن المعاني موجودة في نفوس الناس أي في صدورهم (القلب)، ومتصورة في العقل الذي عبر هو عليه بالذهن، ويخبرنا بأن

<sup>1</sup>-ينظر: مصطفى ناصف، نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأطلس، بيروت، ط2، 1981، ص38.

<sup>2</sup>-ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1975، ج1، ص75-76.

المعاني متنوعة بتنوع صورها بين مفردة ومركبة، وهي وليدة فكر الإنسان، وتحيا باستعمالها وتداولها في الكلام عن سائر الفنون، فتؤدي دلالتها التي يريدونها أو المرادة من طرف المتكلم، والألفاظ عند الجاحظ هي التي تكشف عن المعاني فيقول: « وهي التي تكشف عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقيقتها في التفسير وعن أجناسها وأقذارها، وعن خاصها وعمامها، وعن طبقاتها في السار والضار وعمما يكون منها لغوا بهرجا وساقطا مُطَرَّحًا<sup>1</sup>. فالدلالة تكشفها الألفاظ التي تشكل جملا أو عبارات من خلال معانيها فيفهم من ذلك قصد المتكلم ومراده.

وقد سمي الجاحظ الدلالة بأسماء كثيرة منها البيان، والدلالة الظاهر على المعنى الخفي، فيعرفها بقوله: « والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي: هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه، ويدعو إليه ويحث عليه، وبذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب، وتفاضلت أصناف العجم<sup>2</sup>، ثم يعرج على تعريف البيان فيقول: « والبيان اسم جامع لكل شيء كشف قناع المعنى، وهتك الحجاب دون ضمير، حتى يفضي السامع إلى الحقيقة، ويهجم محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، وإنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع<sup>3</sup>، ويتضح من كلام الجاحظ أن البيان يقصد الكلام الموصل إلى المعاني التي بها تتضح الدلالة وبهذا تكون الدلالة عند الجاحظ هي نفسها البيان.

وقد وقف الجاحظ مليا عند قضية اللفظ والمعنى وأيهما أفضل وأسبق فيقول: « المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والبدوي، والقروي، وإنما الشأن في إقامة

<sup>1</sup> - ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص76.

<sup>2</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص75.

<sup>3</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص76.

الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء وفي صحة الطبع، وجودة السبك وإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج وجنس من التصوير»<sup>1</sup>، يتضح من هذا النص أن الجاحظ ربطه بالشعر، لأنه صناعة لفظية ففضل اللفظ على المعنى، لأنه حاصل وموجود، فهو يحتاج إلى لفظ مناسب له من حيث الجودة والسبك، والصحة وسهولة المخرج وجماله، أما عندما يتناول القضية من جانب اللغة -عموما-، فيشترط حسن المعنى، وجمال الصيغة، فالمعنى الشريف يعبر عنها باللفظ البليغ الخالي من التنافر والوحشية، دون خروجه عن عرف العربية، فكأنما يعدد العناصر الأساسية المكونة للإبداع الشعري، فلا تقف عند اللفظ وحده كما توهم بعض الباحثين من أنصار اللفظ، «ويدرج إضافة إلى اللفظ السبك والصيغة والوزن والتصوير، فيشمل ذلك على التركيب اللغوي، بكل علاقاته النحوية المتفرعة إلى خصائص مؤثرة في الدلالة، إضافة إلى الإيقاع الموسيقي، وتخيُّر الوزن وتلاؤم الغرض إلى جانب ذلك تضاف القدرة الإبداعية في الأساليب المجازية الاستعارية»<sup>2</sup>، فمن خلال هذا يتضح أن الجاحظ لم يفضل اللفظ على المعنى، ولا المعنى على اللفظ، وإنما ربط اللفظ بالصناعة الشعرية، والمعنى إذا وجد يجب اختيار له لفظ مناسب، وهذا الأصعب عند أرباب هذه الصناعة، وهذا ما يؤكد معرفة الجاحظ الجيدة بالفرق بين اللفظ والمعنى، حيث يقول: «ثم اعلم -حفظك الله- أن حكم المعاني، خلاف حكم الألفاظ، لأن المعاني مبسطة إلى غير غاية، وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة معدودة محصلة محدودة»<sup>3</sup>، إذن فالمشكل الذي يطرحه الجاحظ هو التعبير عن هذه المعاني باللفظ المناسب، وكيف يتم إيجاده وانتقاء، وفي هذا يقول الجاحظ: «ومتى كان اللفظ أيضا كريما في النفس، متخيرا من جنسه، وكان

<sup>1</sup>- ينظر: الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، ج3، ص131.

<sup>2</sup>- ينظر: فايز الداية، علم الدلالة، ص34.

<sup>3</sup>- ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص76.

سليما من الفضول، بريئا من التعقيد، حبيب إلى النفوس، واتصل بالذهن، والتحم بالعقول، وهشت إليه الأسماع، وارتاحت له القلوب، وخف على السن الرواة...»<sup>1</sup>.

إنّ الجاحظ من خلال النص وصف لنا كيف يكون اللفظ، وماهي الشروط التي يجب أن تتوفر فيه حتى يكون مقبول لدى السامع أو المتلقي.

لقد ساهمت هذه الآراء والبحوث التي أجراها الجاحظ ، في البحث في الدلالة، إلى تقسيم الدلالة إلى خمسة أنواع أو أقسام في الكون، أي لفظية وغير لفظية ، حيث يقول: « وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمس أشياء لا تنقص ولا تزيد، أولها اللفظ، ثم الإشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى نصية و النصبة هي الحالة الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقتصر عن تلك الدلالات ، ولكل واحد من هذه الخمس صورة بئنة من صور صاحبتها ، وحلية مخالفة لحلية أختها»<sup>2</sup>.

الجاحظ من خلال هذا النص يحدد الدلالة في خمسة أنواع كالتالي:

أولاً: اللفظ: ويعد أعلا مراتب الدلالة وأقواها فيه ، يتم التعبير عن الأشياء عن طريق الصوت، حيث يقول الجاحظ: « والصوت آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف»<sup>3</sup>، فالجاحظ يعتبر الصوت هو الركيزة الأساسية لكل لفظ.

ثانياً: الإشارة: وتكون غير لفظية كالحركات والإيماءات، والإيحاءات، منها الجسمانية التي تكون إما باليد أو الرأس أو الحجاب أو الثوب... الخ، ويقول الجاحظ في هذا " والإشارة واللفظ شريكان، نعم العون هي له ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص08.

<sup>2</sup>- ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص76.

<sup>3</sup>- ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص79.

<sup>4</sup>- ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص78.

ثالثا: العقد: وهو الأرقام الحسابية، التي ترمز إلى بعض الأشياء، كالأشهر.

رابعا: الخط: الكتابة التي تنوب عن اللفظ في تبين وتوضيح المعنى.

خامسا: الحال: وتسمى النصبه وهي الحالة الدالة على شيء دون لفظ، ودون إشارة، كخلق السماوات والأرض، التي تدل على قدرة وعظمة الخالق، وبهذا يكون الجاحظ قد أرسى للدلالة قواعد وأسس، وأنواع من الدلالة التي تؤدي إلى تجلي المعنى.

أما عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ): فيعد من أرباب البلاغة والبيان، الذين ساهموا مساهمة كبيرة في إثراء اللغة العربية، من خلال ما ألفه في فنون شتى في اللغة وعلوم القرآن والإعجاز، وخاصة كتابي أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز.

وقد اهتم الجرجاني بقضية اللفظ والمعنى كغيره من علماء اللغة، في عصر وقبله، فتعرض إلى علاقة اللفظ بالمعنى، وكيفية انتقاء المتكلم للألفاظ المناسبة للمعاني، التي يريدتها في كلامه، فيقول في هذا الشأن "إن الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها، إذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس، وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق"<sup>1</sup>، فمن خلال هذا النص يتضح أن الجرجاني لا يفضل أولا يميز بين اللفظ والمعنى من حيث القيمة بل يتمتع كليهما بنفس الموقع من النفس، لأن الأول تبع الثاني وهو لسيق به.

<sup>1</sup>- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح، محمد محمود شاكر، مكتب الخانجي، ط5، 2004، ص51.

وقد ربط الجرجاني هذه العلاقة بين المعنى واللفظ في أداء دلالة ضمن سياق أو تركيب بالنحو وقواعد، أي تعلق الألفاظ بعضها ببعض، وفق قواعد النحو، فيقول في هذا الشأن "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعلم على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي تهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسمت لك فلا تخلّ بشيء منها"<sup>1</sup>.

فمن خلال هذا النص يتضح أن عبد القاهر الجرجاني بني قاعدة متينة تركز عليها الدلالة و علم النحو، وسمى هذا بالنظم فهو يوضح أن الدلالة لا تتحقق إلا بتوحي قواعد النحو التي سماها النظم ، وقد عرف هذا عند النفاذ بنظرية النظم التي أسسها الجرجاني ، التي تنص على تعلق الكلام بعبئه بعض وفق معاني النحو العربي.

وليخلص في الأخير إلى تحديد أقسام الدلالة التي وضعها إلى نوعين: الأول ظاهر من الكلام أو النص، والثاني خفي يفهم من خلال النص ، أي من داخل النص، أي " دلالة مباشرة، ودلالة غير مباشرة، وجعل مدار الدلالة غير المباشرة في البيان ، ويظهر من ذلك أنه يدرك الفرق بين (المعنى) و(معنى المعنى) ، فالمعنى : هو المفهوم من ظاهر اللفظ الذي تصل إليه يغير واسطة ، ومعنى المعنى: هو أن تعقل من اللفظ معنى ، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى غيره"<sup>2</sup>، ومن خلال هذا يتضح أن الجرجاني قد فرق بين نوعين من الدلالة ، الأولى واضحة من اللفظ سهلة الاستيعاب والاستخراج ، والثانية من داخل المعنى الظاهر الذي يحول إلى معنى خفي لا يمكن معرفته ، إلا من خلال فهم النص وتفكيك علاماته ورموزه.

<sup>1</sup>- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص81.

<sup>2</sup>- ينظر: المرجع نفسه، ص262-263.

وبهذا يعتبر الجرجاني من أهم البلاغين الذي ساهموا في إثراء علم الدلالة ، عند ربطه علم البلاغة بالنحو ، والبحث في معانيه قصد معرفة مراد المتكلم، من خلال كلامه الذي ينظمه ويعبر به عن حاجاته.

### ب- البلاغيون النقاد:

لقد اهتم هؤلاء البلاغيون النقاد وبدراسة المعنى " من خلال تحليل الجانب الدلالي للفظ والمعنى، فقدموا الأحكام الجمالية، متناولين ألفاظ الشعر وعباراته واضعين معاني النصوص ، فامتزجت لديهم الأغراض والفنون بالفكرة التي يحملها البيت أو الجزء من البيت ، فتكاملت عندهم صورة نقد الشعر، والتناول الدلالي في شرح الشعرية لتحليل الدلالة وإظهار تطورها"<sup>1</sup>، ويفهم من هذا أنهم اعتنوا باللفظ بكل مراحلها، سواء كان مفردا أو في سياق وتركيب ما، حتى يحصل به إفادة المعنى، الذي يريد المتكلم ، وحتى المعنى الذي لا يريد أن يحدده أو يعطيه مباشرة ، وإنما يريد من المعنى أول أن يحيل إلى معنى آخر يرعب في إيصاله للمتلقي.

ومن هؤلاء البلاغين الذي برعوا في تناول الدلالة، انطلاقا من قضية اللفظ والمعنى، في بناء واستوحاء الفهم الدال على الكلام. ابن قتيبة الدينوري (ت276هـ) من خلال كتابه تأويل مشكل القرآن، وكتابه الشعر والشعراء، وكذلك قدامة بن جعفر (ت337هـ) من خلال كتابه نقد الشعر، وكذلك ابن رشيق (ت456هـ) من خلال كتابه العمدة، وكذلك حازم القرطاجني (ت684هـ) من خلال كتابه منهاج البلغاء.

فابن قتيبة تناول الدلالة من خلال تناوله لنظم القرآن الكريم مبينا أوجه الإعجاز القرآني ، متطرقا إلى هذا الأسلوب الجمالي الموجود في النص القرآني، من خلال نسقه الصوتي

<sup>1</sup>- ينظر : فايز الدية، علم الدلالة، ص31.



ونظمه العجيب في التأليف، كما تحدث عن الأغراض البلاغية العجيبة التي تضمنها القرآن الكريم كالإيجاز، فيقول: « وهو جمع الكثير من معانيه في قليل من لفظه»<sup>1</sup>.

كما تناول المجاز وأطلقه على سائر صنوف الكلام، حيث يقول « للعرب مجازات في كلام، ومعناها طرق القول وما آخذه ففيها: الاستعارة، والتمثيل والقلب، والتقديم والتأخير، والحذف والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعريض والإفصاح، والكتابة... والقصد بلفظ مخصوص لمعنى العموم، ولفظ العموم لمعنى الخصوص»<sup>2</sup>. فمن خلال هذا النص نجد ابن قتيبة تناول الكثير من المسائل المتعلقة بالدلالة وفي مختلف فنون القول والكلام.

كما نجده قد تناول ظاهرة اللفظ والمعنى بشكل لافت للنظر خاصة في كتابه الشعر والشعراء ومن خلاله قسم الشعر إلى أضرب كما يلي:

1- ضرب حسن لفظه وجاد معناه.

2- ضرب حسن لفظه، فإذا فتشته لم نجد هناك فائدة في المعنى.

3- ضرب حاد معناه، وقصرت ألفاظه عنه.

4- ضرب تأخر معناه، وتأخر لفظه<sup>3</sup>.

ومن خلال هذه الأضرب التي جعلها ابن قتيبة للشعر، نفهم أن حسن اللفظ عنده مهم في أداء المعنى وإفهام السامع أو المتلقي.

<sup>1</sup>- ينظر: أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح: احمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط2، 1973، ج1، ص43.

<sup>2</sup>- ينظر : المصدر نفسه، ج1، ص81.

<sup>3</sup>- ينظر : ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1958، ج1، ص ص64-69.

أما قدامه بن جعفر (ت337هـ): من خلال كتابه نقد الشعر فتجده قد تناول مباحث متخلفة في الإعجاز القرآن من خلال نظمه وتأليفه، أما الشعر فقد أقامه على أربعة قواعد كلها تصنع من هذه القواعد دلالة يبنى عليها البيت الشعري، أو المقطع، أو القصيدة، وهي «اللفظ والوزن والقافية والمعنى»<sup>1</sup>، ثم يشرح لنا مدى توافق هذه القواعد الأربعة فيما بينها، لينهي إلى صناعة الشعر من خلال ارتكازه على المعاني، انطلاقاً من البديع الذي عدة نوعاً من أنواع المعاني فيقول: «وهو أن يضع الشاعر المعاني يريد أن يذكر أحوالها في الشعره الذي يصنعه، فإذا ذكرها أتى بها من غير أن يخالف معنى ما أتى به منها، ولا يزيد ولا ينقص»<sup>2</sup>، فقدامة بن جعفر يراعي في صناعة الشعر، أن يتلاءم اللفظ مع المعنى الذي يريد أن يأتي به في صناعته للشعر.

أما ابن رشيق (ت456هـ): فيعرف الدلالة بأنها هي البيان، إلا أنه يرى بأن الدلالة أعم من البيان ناقلاً ذلك عن الرماني قائلاً: إن البيان هو إحضار المعنى للنفس بسرعة إدراك، وقيل ذلك لثلاثا يلتبس بالدلالة، لأنها إحضار المعنى للنفس وإن كان بإبطاء، والبيان الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عقلة، وإنما قيل ذلك لأنه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي يدل، ولا يستحق اسم البيان<sup>3</sup>.

فابن رشيق يتفق مع الرماني في التفريق بين البيان والدلالة، فالبيان هو الذي يكون الكلام فيه ظاهر وواضح، لا يحتاج إلى تبيان أو توضيح. أما الدلالة أوسع وأعم منه فقد يحتاج الكلام فيها إلى تفسير وتوضيح إذا شابه الغموض والتعقيد، وهذا ما سماه ابن الرشيق بالدلالة.

<sup>1</sup>- ينظر: أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: مصطفى كمال، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1963، ص ص 26-60.

<sup>2</sup>- ينظر: المصدر نفسه، ص ص 154-155.

<sup>3</sup>- ينظر: أبو علي الحسن ابن رشيق القيرواني، العمدة، دار الجيل، محمد محي الدين عبد الحميد، ط5، 1981، ج1، ص254. وينظر: الرماني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله ومحمد زغول سلام، دارالمعارف، مصر، ط3، ص106.

أما حازم القرطاجني(ت684هـ): فقد اعتنى كثيرا بالدلالة من خلال اهتمامه بالمعنى وجودها خارج الذهن، فإذا أدرك حصل لها وجود في الذهن أي في العقل فوعتها النفس وحصلت لها الدلالة وفي هذا يقول حازم القرطاجني: «فكل شيء له وجود خارج الذهن ، فانه إذا أدرك حصلت لهصورة في الذهن تطابق ما أدركه منه، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك، أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في إفهام السامعين وأذهانهم، فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ، فإذا أحتيج إلى وضعه رسوم من الخط تدل على الألفاظ من لم يتهيأ له سمعها من المتلفظ بها، صارت رسوم الخط تقيم في الأفهام هيئات الألفاظ، فتقوم بها في الأذهان صور المعاني، فيكون لها أيضا وجود من جهة دلالة الخط على الألفاظ الدالة عليها»<sup>1</sup> ، فالمعاني عنده «تحصل في الأذهان من الأمور الموجودة في الأعيان»<sup>2</sup>.

إذن فالمعاني عند حازم القرطاجني، توجد في الأعيان قبل أن توجد في أذهان المتكلمين، فإذا وجدت في أذهان المتكلمين، وجد لها الألفاظ التي تعبر عنها.

فالبلاغيون القدامى اهتموا بالدلالة، حيث ربطوها بكل مباحث البلاغة، وعدت جزء لا يتجزء منها، حيث لا يمكن التحدث أو البحث في موضوع ما في البلاغة، دون ذكر دلالة ذلك الموضوع، لأنها هي أساس ذلك لأن مرد ذلك إيضاح المعنى وتبليغه للمتلقي أو السامع.

### 3-الدلالة عند الأصوليين:

لقد اهتم علماء الأصول باللغة انطلاقا من اهتمامهم بالدلالة فاتسعت عندهم البحث خاصة دلالة النص وتفسيره لمعرفة الأحكام الشرعية، وتعد هذه أهم المرتكزات التي انطلق منها الأصوليين في استنباط الأحكام، فاعتنوا باللغة من حيث اللفظ والمعنى، وبالتالي فعلم الأصول هو ذلك العلم الذي

<sup>1</sup>-ينظر:أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح، محمد الحبيب بن خوجة، دار الغربية للكتاب، ط3، 2008، ص ص18-19.

<sup>2</sup>-ينظر: المصدر نفسه، ص 19.

يهتم بالقواعد التي يتوصل بها المجتهد في استخراج الأحكام والفتوى الشرعية، يقول ابن خلدون في تعريف علم الأصول: « إن هذا الفن هو من الفنون المستحدثة في الملة، وكان السلف في غنية عنه، بما أن استفادة المعاني من الألفاظ لا يحتاج فيها إلى مزيد مما عندهم من الملكة اللسانية فلما انقرض السلف وذهب المصدر الأول وانقلبت العلوم كلها صناعة، احتاج الفقهاء والمجتهدون إلى تحصيل القوانين والقواعد لاستفادة الأحكام من الأدلة فكتبوها فنا قائما برأسه سموه أصول الفقه»<sup>1</sup>.

وتعني كلمة أصول في اللغة من المادة " أصل"<sup>2</sup> « وهي تعني أسفل الشيء أو جذره أو قاعدته" من خلال هذين النصين يتضح مدا اقتراب المفهومين الاصطلاحي واللغوي لكلمة أصول، والغاية من دراسة الدلالة عند الأصوليين هي فهم المقصود من وراء الكلام (اللفظ) فكان اهتمامهم باللغة لأنها هي آلة الفهم لديهم فأهتم باللفظ والمعنى والعلاقة بينهما، وأنواع الدلالة فبرزت لغة علماء الأصول وارتباطها بالدلالة، فكان من ذلك المنهج المنظم للتفكير الفقهي في التشريع الإسلامي، ومن أسس هذا العلم "الحكم والدليل والاستنباط والمستنبط.....»<sup>3</sup>.

### 1. الأصوليين الفقهاء:

لقد اتسمت بحوث الأصوليين القدامى بالبساطة، انطلاقاً من بحثهم في نشأة اللغة التي قيل فيها الكثير من الآراء، فمنهم من رأى أنها وضعية اصطلاحية، ومنهم رأى أنها توقيفية، ومنهم من رأى أنها طبيعية، ومن رأى أنها قياسية، فكانت الآراء عند الأصوليين تصب في البحث عن الدلالة، لأنها كلها تبحث في علاقة للفظ بالمعنى، ونجد من هؤلاء الأعلام الذي بحثوا في هذا الإمام الشافعي

<sup>1</sup> - عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط 1، 2010، ص ص 385-386.

<sup>2</sup> - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 961.

<sup>3</sup> - ينظر: السيد أحمد عبد الغفار، التصوير اللغوي عند علماء الأصول، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص ص 15 -

في كتابه الرسالة، والإمام الغزال في كتاب المستصفي، والشوكاني في كتابه إرشاد العقول إلى تحقيق الحق في علم الأصول والآمدي ... وغيرهم كثير.

- الشافعي (ت 204 هـ): يعتبر من الأصوليين الأوائل الذين نسب إليهم هذا العلم، من خلال ما ألفه في كتابه الرسالة، حيث اتجهت بحوثه كلها نحو اللفظ والمعنى، والعلاقة بينهما باحث عن الدلالة المستمدة من النص القرآني، وما يستمد منها من أحكام وتشريعات متعلقة بشؤون الناس وحاجاتهم إلى ذلك.

وقد عرف الشافعي الدلالة انطلاقاً من التمييز أو التفريق بين المفهوم العام والخاص للكلمة أو العبارة أو السياق الذي قيلت فيه، من خلال مراعاة اللفظ والمعنى والعلاقة التي جمعتهم فيه، فيقول: « ويسن بلفظ مخرجه عامّ جملةً بتحريم الشيء أو تحليله، ويسن في غيره خلاف الجملة، فيستدل على أنه لم يرد بما حرم ما أحل، ولا بما أحل ما حرم»<sup>1</sup>، وهذا النص الذي أورده الشافعي يثبت مدى اطلاع الشافعي على اللغة ومعرفته بها وبمعناها، والدلالة التي تؤذيها، فيتدرج في معرفة الدلالة من اللفظ المفرد إلى الجملة ثم النص، ويقول في هذا المقام « وتبتدئ الشيء من كلامها (العرب) يبين أول لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله»<sup>2</sup>، وهذا يثبت أن الشافعي على دراية واسعة بالدلالة، ويعزز هذا الكلام بقوله « فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها وأن فطريته أن يخاطب بالشيء منه عاماً ظاهراً يراد به العام الظاهر ويستعن بأوله هذا منه عن آخر، وعاماً ظاهراً يراد به العام ويدخله الخاص فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه، وعاماً ظاهراً يراد

<sup>1</sup> - محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، ت ح، أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط 1، 1938، ص 214.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 52.

به الخاص، وظاهرا يعرف في سياقه أنه يراد به غير الظاهر، وتسمي الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة، وتسمي بالاسم الواحد المعاني الكثيرة»<sup>1</sup>.

يتضح من هذا النص أن الشافعي على معرفة واسعة بكلام العرب ومعانيه، فهو ربط بين ما تعرفه العرب وما خاطبها به الله عز وجل، والخطاب من نفس الجنس (كلام المخاطب)، وقسم هذا الخطاب إلى ظاهر وغير ظاهر، وعام وخاص، وعام يدخله الخصوص ومن هذا يتضح أنه على معرفة بالدلالة وأنواعها.

أما الغزالي (505ت): لقد اهتم الغزالي بالدلالة انطلاقا من اهتمامه باللغة والبحث في نشأتها متعرضا للفظ والمعنى والعلاقة التي تجمعهما حتى يحقق الدلالة المراد فهمه لمن المقام فيعرف الغزالي الدلالة بقوله: "فإن للشيء وجودا في الأعيان، ثم في الأذهان، ثم في اللفظ ثم في الكتابة، فالكتابة دالة على اللفظ، واللفظ دال على المعنى الذي في النفس، هو مثال الموجودة في الأعيان"<sup>2</sup>.

لقد تبين من هذا النص أن الغزالي عرف الدلالة انطلاقا من أنها الشيء الموجود في الأعيان والمعبر عنه لفظا والمكتوب كتابة وقد أولى أهمية كبيرة للفظ لأنه المعبر به على المعنى.

ويقسم الدلالة من حيث اقتباسها من اللفظ إلى: "دلالة اقتضاء، ودلالة الإشارة، ودلالة المنطوق، ودلالة مفهوم الموافقة، ودلالة المفهوم"<sup>3</sup>.

ثم يعرف دلالة الاقتضاء بقوله: «لأنها هي التي لا يدل عليها اللفظ، ولا يكون منطوقا بها، ولكن تكون من ضرورة اللفظ». ثم يشرح ذلك قائلا: «أما من حيث لا يمكن كون المتكلم

<sup>1</sup> - محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، ص ص 51 - 52.

<sup>2</sup> - ينظر: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، معيار المعلم في المنطق، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 2013، ص 47.

<sup>3</sup> - ينظر: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المستصفى في علم الأصول، تح: حمزة بن زهير حافظ الجامعة الإسلامية، كلية الشريعة، المدينة المنورة، ج 3، ص 403.

صادقا إلا به، أو من حيث يمتنع وجود الملفوظ شرعا إلا به، أو من حيث يمتنع ثبوته عقلا إلا به»<sup>1</sup>.

ومن خلال هذا يتضح أن دلالة الاقتضاء، تقتضي صدق المتكلم، أو الملفوظ شرعا لا تكون الدلالة أو المراد إلا من خلاله، وكذلك أن تثبت ذلك عقلا إلا من خلال اللفظ المستعمل.

ثم يعرف دلالة الإشارة بقوله: وهي ما يؤخذ من إشارة اللفظ لا من اللفظ، ونعني به ما يتبع اللفظ من غير تجريد قصد إليه، فكما أن المتكلم قدي فهم بإشارته وحركته في أثناء كلامهما لا يدل عليه نفس اللفظ، فيسمى إشارة، فكذلك قد يتبع اللفظ ما لم يقصده، وهذا ما قد يسمى إيماء وإشارة<sup>2</sup>. ومن خلال هذا يتضح من كلام الغزالي أن دلالة الإشارة نوعان لفظية وغير لفظية.

دلالة المفهوم: ويسمى المفهوم لأنه مفهوم مجرد، لا يستند إلى منطوق، وإلا فما دل عليه المنطوق - أيضا- مفهوم<sup>3</sup>. لا يدل عليه المنطوق يفهم من خلافه.

كما نجد للغزالي تقسيمات أخرى للدلالة فيقول: «وأعلم أن الأمور منقسمة إلى ما يدل على غيره وإلى ما لا يدل، فأما ما يدل فينقسم إلى ما يدل بذاته وهو الأدلة العقلية و إلى ما يدل بالوضع، وهو ينقسم إلى صوت وغير صوت كالإشارة والرمز...»<sup>4</sup>، فهو يتحدث عن أقسام الدلالة من حيث الدال أو جهة الدال، وكذلك له تقسيمات أخرى تتمثل في تقسيم دلالة اللفظ على المعنى، حيث يقول: «إن دلالة اللفظ على المعنى تنحصر في ثلاثة أوجه هي: المطابقة والتضمين والإلزام فإن لفظ البيت يدل على معنى البيت بطريقة المطابقة، ويدل السقف وحده بطريقة تضمين لأن البيت يتضمن السقف، وأما طريقة الإلزام فهو كدلالة لفظ السقف على

<sup>1</sup> - ينظر: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المستصفي في علم الأصول، ج 3، ص 403.

<sup>2</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ج 3، ص ص 406 - 408.

<sup>3</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ج 3، ص 404.

<sup>4</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ج 3، ص 22.

الحائظ فهو كالرفيق الملازم الخارج عن ذلك السقف الذي لا ينفك السقف عنه»<sup>1</sup> ، فهو يتحدث في هذا عن دلالة اللفظ ويقسمها إلى ثلاثة أنواع كما ذكرها وشرحها، وللغزالي تفصيلات دقيقة في فهم الدلالة خاصة عند أصحاب المذاهب.

أما الآمدي (631ت): اهتم الآمدي بالدلالة انطلاقاً من دراسة للفظ والمعنى والعلاقة القائمة بينهما، وكان له الاهتمام البالغ باللغة حتى تفهم الدلالة من الكلام أو النص، ويقول في هذا الشأن الآمدي: «أول ما يجب تقديمه أن ما وضع من الألفاظ الدالة على معانيها هل هو لمناسبة طبيعية بين اللفظ ومعناه أم لا؟»<sup>2</sup> وهذا رأيه في نشأة اللغة ومناسبة اللفظ للمعنى.

وينطلق الآمدي في توضيح الدلالة من اللغة انطلاقاً من حديثه عن الإنسان وما يميزه عن سائر المخلوقات، كالصوت الذي يقول في شأنه «ومن اختلاف تركيبات المقاطع الصوتية حدثت الدلائل الكلامية والعبارات اللغوية، وهي إما أن تكون موضوعة لمعنى أو هي موضوعة»<sup>3</sup>. ويترب عن هذا الكلام إما هذه الأصوات لها معنى ودلالة تدل عليها وإما هي مجرد أصوات لا تعبر عن شيء، ثم يتحدث عن تلك الأصوات الموضوعة للمعنى فيقول «ذلك لأنه إما أن يكون اللفظ الدال بالوضع مفرداً أو مركباً»<sup>4</sup> ، ويقصد من هذا أن هذه الألفاظ التي يعبر بها الإنسان على نوعين مفردة ومركبة، مفردة كالأسماء، ومركبة كالجملاتي تحتوي على أحداث.

ثم يعرف الدلالة فيقول: اللفظ «هو ما دل بالوضع على معنى، ولا جزء له يدل على شيء أصلاً كلفظ الإنسان فإن (إن) من قولنا: إنسان، وإن دلت على شرطية فليست إذ ذلك جزء من لفظ الإنسان، وحيث كانت جزء من لفظ إنسان لم تكن شرطية، لأن دلالات الألفاظ ليست لذواتها، بل هي تابعة لقصد المتكلم وإرادته، ونعلم أن المتكلم حيث جعل (إن) شرطية لم يقصد

<sup>1</sup>-ينظر: أبو حامد الغزالي، المستصفى في علم الأصول، ج 1، ص ص 92-93 .

<sup>2</sup>- علي بن محمد الآمدي، الأحكام في أصول الأحكام، ت. عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعة، المملكة العربية السعودية، ط 1، 2003، ج1، ص 101.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ج1، ص 30.

<sup>4</sup>- المصدر نفسه، ج1، ص 31.



جعلها غير شرطية، وعلى هذا فعبد الله إن جعل علمًا على شخص كان مفردًا، وإن قصد به النسبة إلى الله تعالى بالعبودية، كان مركبا لدلالة أجزائه على أجزاء معناه»<sup>1</sup>.

من خلال هذا يتضح أن الآمدي يربط الدلالة بنوعين من الكلام، وهو دلالة الكلمة المفردة ودلالة الكلمة وهي مركبة في سياق أو تركيب ما.

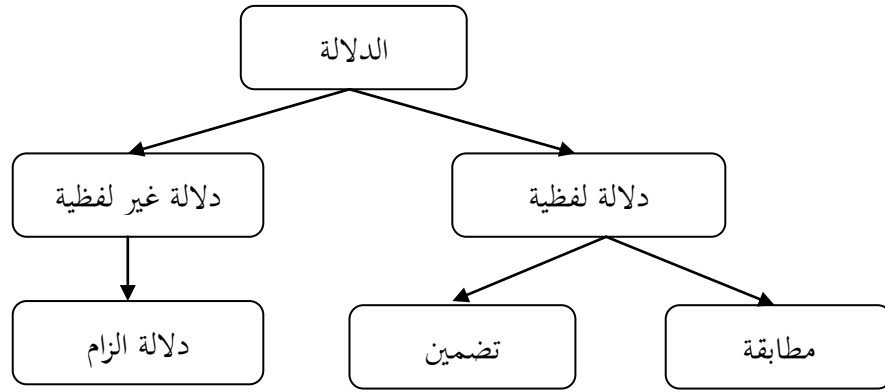
ويقسم الآمدي الدلالة إلى لفظية وغير لفظية بقوله « واللفظية إما أن تعتبر بالنسبة إلى كمال المعنى الموضوع له اللفظ أو إلى بعضه، فالأول: دلالة المطابقة كدلالة لفظ الإنسان على معناه، والثاني: دلالة تضمين كدلالة لفظ الإنسان على ما في معناه من الحيوان أو الناطق، والمطابقة أعم من التضمين لجواز أن يكون المدلول بسيطًا لا جزء له»<sup>2</sup>، أما غير اللفظية، فهي دلالة الإلزام وهي أن يكون اللفظ له معنى وذلك لمعنى له لازم من خارج، فعند فهم مدلول اللفظ من اللفظ ينتقل الذهن من مدلول اللفظ إلى لازمه، ولو قدر عدم هذا الانتقال الذهني لما كان ذلك اللازم مفهوماً، ودلالة الإلزام وإن شاركت دلالة التضمين في افتقارهما إلى نظر عقلي يعرف اللازم في الإلزام والجزء في دلالة التضمين، غير أنه في التضمين لتعريف كونه الجزء داخلاً في مدلول اللفظ. وفي الإلزام لتعريف كونه خارجاً عن مدلول اللفظ، فلذلك كانت دلالة التضمين لفظية بخلاف دلالة الإلزام، ودلالة الإلزام مساوية لدلالة المطابقة ضرورة امتناع خلو مدلول اللفظ المطابق عن لازم، وأعم من دلالة التضمين، لجواز أن يكون اللازم لما لا جزء له»<sup>3</sup>.

ويقسم الآمدي الدلالة إلى نوعين وكل نوع له أقسامه وهي كما يلي:

<sup>1</sup> - علي بن محمد الآمدي، الأحكام في أصول الأحكام، ج 1، ص 31 - 32.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1، ص 32.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 32 - 33.



أما الشوكاني: فيرى أن الدلالة هي: " أن كل اللفظ وضع لمعنى فيخرج ما ليس بلفظ من الدوال الموضوعية، وما ليس بموضوع من الحرفات والمهملات " <sup>1</sup>، ويدخل في اللفظ المفردات والمركبات الستة وهي الانسيابي والوصفي، والإضافي، والعددي، والمزجي، والصوتي <sup>2</sup>.

ومعنى اللفظ يتناول أمرين: أعم وأخص، فالأعم تعيين اللفظ بإزاء المعنى، والأخص تعيين اللفظ للدلالة على معنى معين <sup>3</sup>.

فالشوكاني يرى أن كل لفظ موضوع له معناه واللفظ يشكل من مفرد ومركب ولكل منها معنى خاص به، والمعنى نوعان أحدهما عام والآخر خاص، أي جعل شيء معين وبالتالي الدلالة نوعان مفرد ومركبة.

ونقل الشوكاني في هذا الصدد عن الجويني والرازي وغيرهما: إن اللفظ موضوع للصورة الذهنية، سواء كانت موجودة في الذهن والخارج أو في الذهن فقط.

وقيل: هو موضوع للوجود الخارجي، وبه قال أبو إسحاق، وقيل: هو موضوع للأعم من الذهني والخارجي، ورجحه الأصفهاني، وقيل: إن اللفظ في الأشخاص - أي الأعلام الشخصية - موضوع للوجود الخارجي، ولا ينافي كونه للوجود الخارجي وجوب استحضار الصورة الذهنية <sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول من تحقيق الحق إلى علم الأصول، تح: سامي ابن العربي، دار الفضيلة، الرياض، ط 1، 2000، ص 104.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 104.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 104.

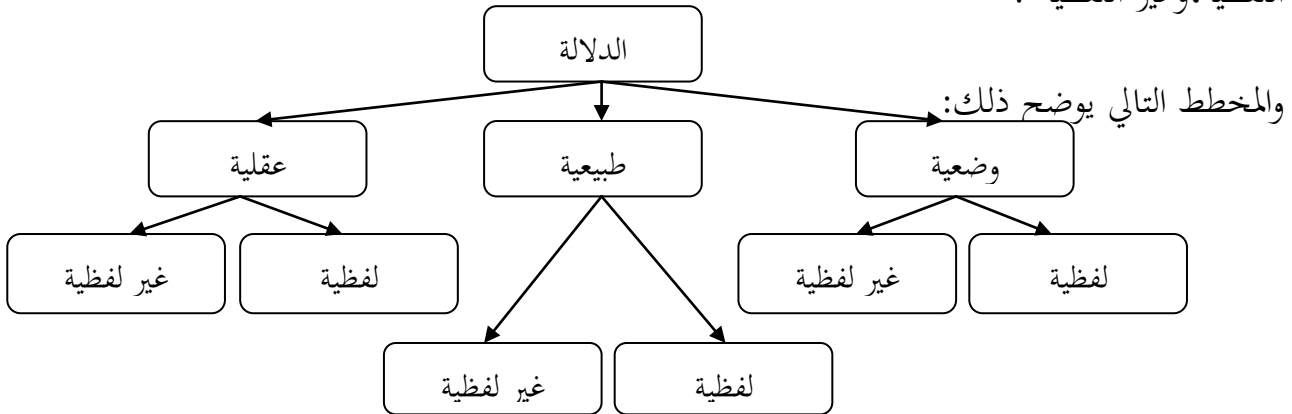
<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 105.

فالصورة الذهنية آله كملاحظة الوجود الخارجي لأنها هي الموضوع لها، وأما فيما عدا الأعلام الشخصية، فاللفظ موضوع لفرد غير معين وهو الفرد المنتشر فيما وضع لمفهوم كلي أفراده خارجية أو ذهنية، فإن كانت خارجية فالموضوع له فرد ما من تلك الأفراد الخارجية، وإن كانت ذهنية فالموضوع له فرد ما من الذهنية، وإن كانت ذهنية وخارجية فالاعتبار بالخارجية<sup>1</sup>.

من خلال هذا يتضح أن اللفظ يأخذ معناه من الصورة الموجودة في الخارج، فبمجرد ذكر اللفظ ترتسم صورة ذلك اللفظ في الذهن، أي في ذهن السامع أو المتلقي فتعطي دلالاته، ثم قسم الشوكاني الدلالة إلى أنواع: حيث يقول: "أعلم أن اللفظ إن قصد الجزء من الدلالة على جزء معناه، فهو مركب وإلا فهو مفرد"<sup>2</sup>. إذن الدلالة عند الشوكاني مفردة ومركبة.

ومن نجد أن الشوكاني ربط الدلالة عنده باللغة والمتمثلة في المشترك اللفظي، والتضاد، والترادف، والاشتقاق..... إلخ<sup>3</sup>.

وهناك تقسيمات أخرى لأنواع الدلالة عند علماء الأصول، فيها شبه اتفاق فيما بينهم، يوردها التهانوي في قوله يمكن تقسيم الدلالة أولاً: إلى الطبيعية، والعقلية، والوضعية، ثم يقسم كل منها إلى اللفظية، وغير اللفظية<sup>4</sup>.



<sup>1</sup> - محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول، ص 105 .

<sup>2</sup> - المصدر نفسه ، ص 115.

<sup>3</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ص 115 وما بعدها.

<sup>4</sup> - ينظر: محمد بن علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان، ط 1، 1996، ج

1، ص 788.

وقد اختلف الأصوليون في كون للدلالة اللفظية الوضعية عنده ثلاث أقسام هي: مطابقة، وتضمنين ولزوم<sup>1</sup>، وقد اختلفوا في كون كل من التضمنية واللزومية دالتان لفظيتان أم عقليتان<sup>2</sup>، نظراً لأثر السياقات اللفظية والحالية في إدراكهما، ذهب الأصفهاني والحنبلي إلى "أن الدلالة اللفظية هي المطابقة والتضمنين أما الإلزام فهي دلالة عقلية"<sup>3</sup>، وذهب الزركشي إلى "أن الثلاثة لفظية"<sup>4</sup>.

أما الحنفية فيقسمون الدلالة إلى أربعة أقسام هي:

1. باعتبار وضع اللفظ للمعنى، وينقسم إلى خاص، وعام، ومشترك.
2. باعتبار استعمال اللفظ في المعنى وينقسم إلى حقيقة، ومجاز، وصريح، وكناية.
3. باعتبار ظهور المعنى وخفائه، ومراتب هذا الظهور والخفاء، وقسموه إلى ظاهر ونص، ومفسر، ومحكم، وحقي، ومشكل، ومجمل، ومتشابه.
4. باعتبار كيفية دلالة اللفظ على المعنى، وطرق الوقوف على مراد المتكلم منه، وقسم إلى عبارة وإشارة، ودلالة، و اقتضاء<sup>5</sup>.

أما الجمهور من علماء الأصول والفقهاء قسموا الدلالة إلى قسمين: هما دلالة المنطوق، ودلالة المفهوم، ودلالة المنطوق هي إما فهم من دلالة اللفظ قطعاً في محل النطق، وأما المفهوم فهو « ما فهم من اللفظ في غير محل النطق » وينقسم المنطوق إلى قسمين: الأول: ما لا يحتمل التأويل وهو النص، والثاني ما يحتمله وهو الظاهر<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: محمد بن علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص ص 788 - 791.

<sup>2</sup> - ينظر: بدر الدين محمد الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، وزارة الشؤون الإسلامية بالكويت، ط 2، 1992، ج 2، ص 37.

<sup>3</sup> - ينظر: ردة الله الطلحي، دلالة الساق، ج 1، ص 24.

<sup>4</sup> - ينظر: بدر الدين محمد الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، ج 2، ص 37.

<sup>5</sup> - محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 2، 2007، ص 87.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص 87.

والنص ينقسم إلى قسمين: صريح إن دل عليه اللفظ بالمطابقة أو التضمن، وغير صريح إن دل عليه بالالتزام، وينقسم إلى ثلاثة أقسام: أحدها: دلالة الاقتضاء: وهي إذا توقف الصدق أو الصحة العقلية أو الشرعية عليه، مع كون ذلك مقصود المتكلم.

الثاني: دلالة الإجماء: وهي أن يقترن اللفظ بحكم، لو لم يكن للتحليل لكان بعيدا.

الثالث: دلالة الإشارة: حيث لا يكون مقصودا للمتكلم<sup>1</sup>.

أما المفهوم فينقسم إلى قسمين هما: " مفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة، فالأول هو: ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت موافقا لمدلوله في محل النطق، فإن كان أولى بالحكم من المنطوق به فيسمى فحوى الخطاب، وإن كان مساويا له فيسمى لحن الخطاب، وأما تعريف مفهوم المخالفة فهو ما يكون مدلول اللفظ محل السكوت مخالفا لمدلوله في محل النطق إثباتا ونفيا، فيثبت للمسكوت عنه نقيض حكم المنطوق به"<sup>2</sup>.

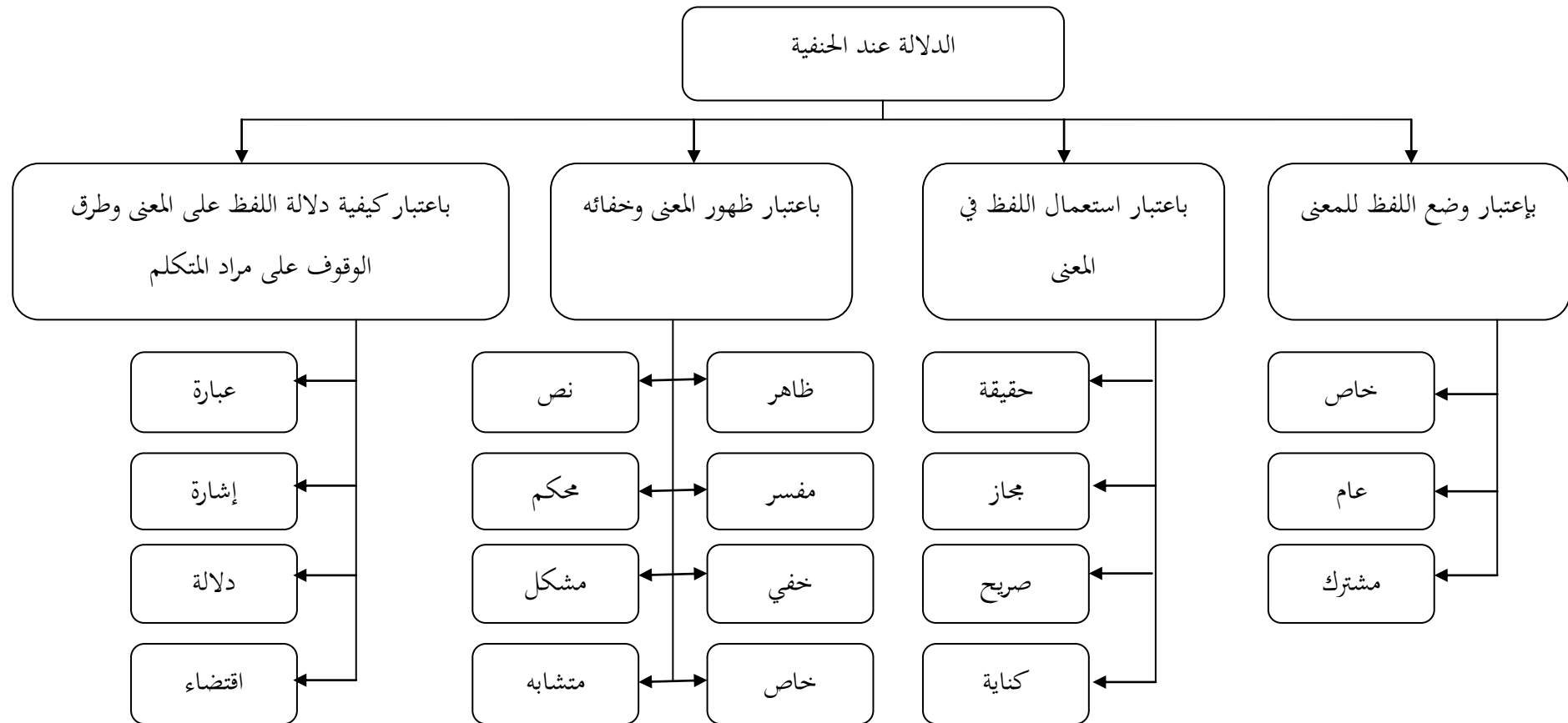
والمخططين التاليين يوضحان الدلالة عند الحنفية<sup>3</sup>، والدلالة عند الجمهور<sup>4</sup>.

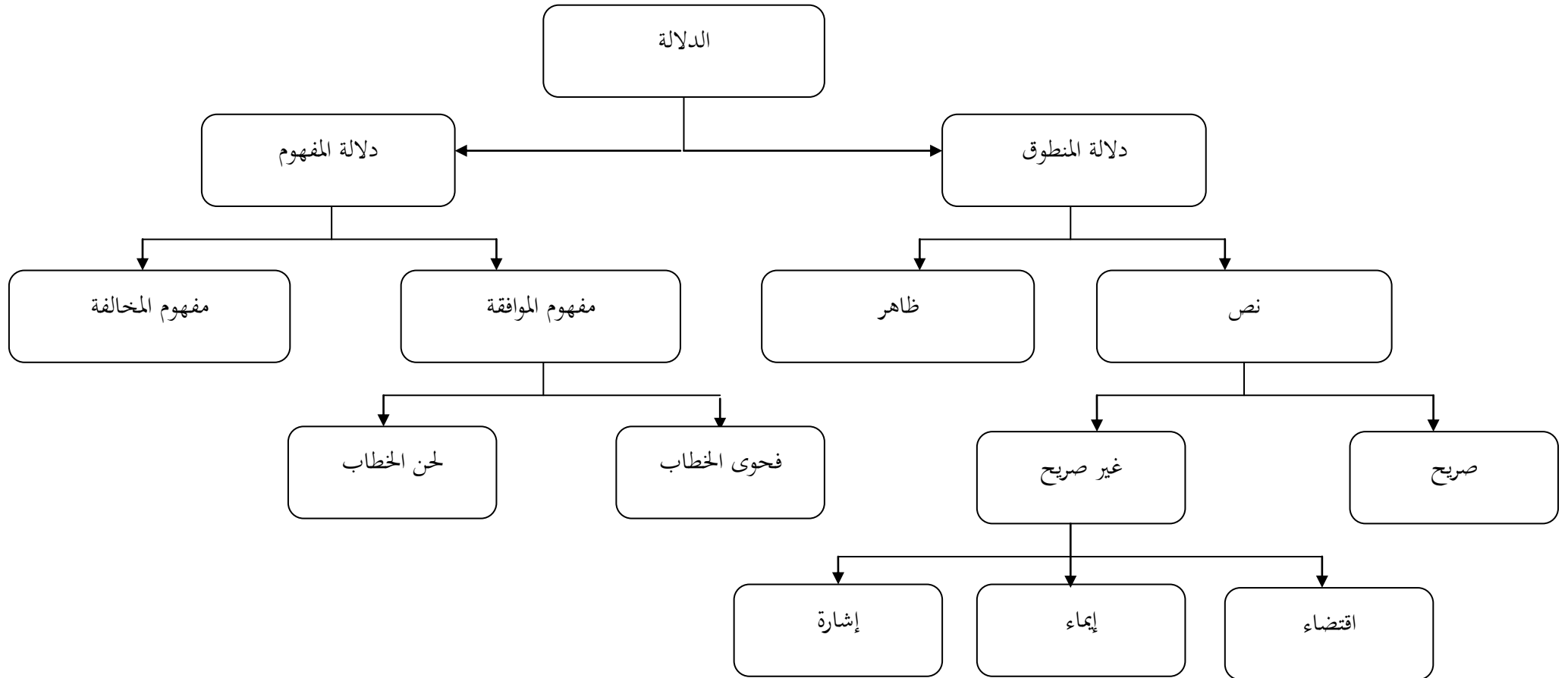
<sup>1</sup> - محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، ص 87.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص ص 87 - 88.

<sup>3</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 91.

<sup>4</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 91.





وتعدّ هذه التقسيمات من أهم التقسيمات التي اعتمدها الأصوليون في دراستهم للدلالة، ويتضح من خلال هذه التقسيمات أن هناك اتفاق في كثير من الأقسام فيما بينهم وبين باقي الدراسيين وخاصة اللغويين والمناطقية.

### ب- الدلالة عند الأصوليين المناطقية:

لقد اهتم المناطق والفلاسفة بالدلالة، لأنها تدرس أصول الأشياء ومكوناتها، وأصل وجودها، كما اهتموا بعلاقة التصور بالفكر، والعلاقة بين اللفظ والمعنى، نظرا للعلاقة التي تجمع بين المنطق واللغة، واهتم المناطق والفلاسفة بالمعنى، لأنه يدخل في حتمية القضايا الفلسفية المتمثلة في المفاهيم، والتصورات، وقضية الوجود، والتفكير، وبالتالي العلاقة الموجودة بين الألفاظ والعالم الخارجي الذي من خلال يتشكل التطابق بين اللفظ والمعنى المتصور.

ويظهر اهتمام المناطق والفلاسفة بالدلالة انطلاقا من إثارتهم للجدل القائم بين أنصار اللفظ والمعنى بالقول أنصار اللفظ «أن موضوع المنطق، الألفاظ من حيث أنها تدل على المعاني»، وأما أنصار المعنى بقولهم"، والمعاني المعقولة التي هي موضوع المنطق، وكلمة معنى هي الصورة الذهنية من حيث أنها تقصد من اللفظ، وأن كون المعاني هي المنطق، لا يدل البتة على أن هذا العلم بغنى عن دراسة الألفاظ، فلأن كما يشير ابن سنا: بين اللفظ والمعنى علاقة ما، وربما أثرت أحوال في اللفظ في أحوال في المعنى، فلذلك يلزم المنطقي أيضا، أن يراعي جانب اللفظ المطلق، من حيث هو كذلك»<sup>1</sup>.

ومن هذا يتضح أن الدلالة هي تطابق الألفاظ للمعاني المصورة في الذهن والصورة الموجودة في الخارج، وهذا أدى إلى اهتمامهم كذلك باللفظ.

<sup>1</sup> - ينظر: عادل فاحوري، منطق العرب من وجهة نظر المنطق الحديث، دار الطليعة، بيروت، ط3، 1999، ص ص 38-37.



وقد عرف المناطقة والفلاسفة الدلالة بقولهم: «هو كون الشيء بحاله يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول»<sup>1</sup>، ويعرفها ابن سينا (ت 488): أن الدلالة هي " نفس الفهم "، وأورد بأن الدلالة نسبة بين اللفظ والمعنى، ومعناها موجبيته تخيل اللفظ لفهم المعنى، ولهذا يصح تعليل فهم المعنى من اللفظ عليه، والعلة غير المعلول، فإذا كانت الدلالة غير فهم المعنى من اللفظ لم يجز تفسيرها<sup>2</sup>. ويعرفها الحفناوي بأنها « فهم الأمر من الأمر »<sup>3</sup>.

يتّضح من هذه التعريفات أن الفلاسفة والمناطقة ركزوا في تعريفاتهم على الدلالة المطلقة، حيث الدلالة سواء كانت لفظاً أو غير لفظ، ومن هؤلاء الفلاسفة الذين اهتموا بالدلالة نجد الفارابي وابن سينا وغيرهم.

**الفارابي (ت 399 هـ)** يرى أن الدلالة فيقول: « ونحن إذا ما تأملنا من تدل عليه الألفاظ المشهورة، فإنما نتأمل الأمكنة التي فيها يستعمل شيء منها عند مخاطبة بعضنا البعض، فالدلالة على المعاني المشهورة التي للدلالة عليها أولاً وضعت تلك الألفاظ »<sup>4</sup>، أي أن المعاني تدل عليها الألفاظ التي تم اختيارها من طرف المتخاطبين فيما بينهم، لتدل عليهم يفصل في هذا الشأن يقول: «وأجزاء المقدمات هي معقولات المفردة، وهي المعاني التي تدل عليها الألفاظ المفردة، مثل قولنا: إنسان، فرس، ثور، حمار، بياض، سواد، وما أشبه ذلك فإن المعاني التي تدل عليها الألفاظ وما أشبهها تسمى المعقولات المفردة، وإذا تركبت المعقولات المفردة حدثت المقدمات وهي معقولات مركبة....»<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - التهانوي، كشاف اصطلاح الفنون، ج 1، ص ص 787 - 788.

<sup>2</sup> - الزركشي، البحر المحيط، ج 2، ص 36.

<sup>3</sup> - ردة الله الطلحي، دلالة السياق، ص 27.

<sup>4</sup> - أبو نصر محمد الفارابي، الحروف، تح. محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ط 2، 1990، ص 165.

<sup>5</sup> - الفارابي، الألفاظ المستعملة في المنطق، ت. محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ط 2، 1986، ص 103.

ويتضح من هذا التعريف للدلالة أن الألفاظ هي أصل المعاني التي تدل عليها، سواء كانت هذه الألفاظ مفردة أو مركبة، والغاية منها أن نعبر على معنى معروف ومعقول، وهذا ما يوضح أن المناطقة والفلاسفة أنهم كانوا أكثر اهتماما بقضية اللفظ والمعنى.

وقد حدد الفارابي الدلالة وجعلها قسمين : الألفاظ الدالة منها مفردة ومنها مركبة غير مفردة<sup>1</sup>.

وقد صنف القسم الأول: الألفاظ الدالة المفردة إلى ثلاثة أصناف: اسم، و كلمة، و أداة.

1. الصنف الأول: الكلمة: هي التي يعرفها أهل صناعة النحو بالفعل، والكلمة لفظة مفردة دالة على معنى، ويمكن أن يفهم وحده وب نفسه، وتدل مع ذلك على بنيتها وذاتها على زمان ذلك المعنى الذي فيه وجوده، مثل: مشى، يمشي .

2. الصنف الثاني: الأداة: يسمونها الحرف التي جاء لمعنى، والأداة تدل على معنى لا يمكن أن يفهم وحده وب نفسه، بل إنما يفهم إذا اقترن باسم أو كلمة أو بهما جميعا، مثل: من، على.

3. الصنف الثالث: الاسم: لفظة دالة على معنى يمكن أن يفهم وحده وب نفسه، مثل: إنسان، حيوان<sup>2</sup>.

ومن خلال هذا يتضح أن الكلمة والاسم يتميزان عن الأداة أن كلا منهما يدل على معنى دون أن يقترن بشيء آخر، أما الاسم فيتميز عن الكلمة بأنه يدل على معنى ولا يدل زمن، والكلمة تدل على معنى وعلى الزمان.

القسم الثاني: الألفاظ المركبة غير المفردة، وصنفها إلى صنفين: أحدهما ما كان تركيبية تركيب إخبار، والثاني: ما كان تركيبه تركيب اشتراط، و استثناء، وتقييد.

<sup>1</sup> - الفارابي، الفصول الخمس، منطق الفارابي، تح. رفيع العجم، دار المشرق، بيروت، 1985، ص 67 .

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 68 .

1. الصنف الأول: ما كان تركيبه تركيب لإخبار: مثل: زيد إنسان، وعمرو ذاهب، والإنسان حيوان.

2. ما كان تركيبه تركيب اشتراط أو استثناء أو تقييد: مثل: زيد الكاتب، والإنسان الأبيض، وصديق زيد<sup>1</sup>.

وقسم الدلالة حسب حالة لفظها، فإن كانت مفردة فدلالتها مفردة، وإن كانت مركبة فدلالتها إما مفردة أو مركبة، وهذا يرجع إلى المعنى الذي يريده المتكلم.

أما ابن سينا (ت 488هـ): فيرى أن الدلالة هي التي في النفس فيقول « وأما الدلالة ما في النفس على الأمور فدلالة طبيعية لا تختلف، لا الدال والمدلول عليه، كما في الدلالة التي بين اللفظ والأثر النفساني، فإن المدلول عليه وإن كان غير مختلف فإن الدال مختلفة، ولا كما في الدلالة التي بين اللفظ والكتابة، فإن الدال والمدلول عليه جميعا قد يختلفان »<sup>2</sup>.

يتضح من هذا النص أن الدلالة عند ابن سينا موجودة في النفس، وهي طبيعية، لأنها علاقة سببية.

ويقسم ابن سينا الدلالة حيث يقول: « اللفظ يدل على المعنى إما على سبيل المطابقة بأن يكون ذلك اللفظ موضوعا لذلك المعنى وبإزائه، مثل دلالة المثلث على الشكل المحيط به ثلاثة أضلع، وإما على سبيل التضمنين، بأن يكون المعنى جزءا من المعنى الذي يطابقه اللفظ، مثل دلالة المثلث على الشكل، فإنه يدل على الشكل لا على أنه اسم الشكل، بل على أنه اسم لمعنى جزؤه الشكل، وإما على سبيل الاستتباع و الالتزام بأن يكون اللفظ دالا بالمطابقة على المعنى

<sup>1</sup> - الفارابي، منطق الفارابي، الفصول الخمس، ص 72.

<sup>2</sup> - أبو علي الحسن بن عبد الله بن الحسن ابن سينا، الهداية في المنطق، تح: محمد أحمد عبد الحليم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 1، ص 344.

يلزم معنى غيره، كالرفيق الخارجي لا كالجزم منه، بل هو مصاحب ملازم له، مثل دلالة لفظ السف على الحائط والإنسان على قابل صنعة الكتابة»<sup>1</sup>

فمن هذا التقسيم يتضح أن ابن سينا يتفق مع الفلاسفة والمناطق العرب، ثم يوضح ابن سينا أن الدلالة هي صناعة ووضع عند المناطق وليست طبيعية فقط بهذا فهي قريبة من علم الدلالة عند اللغويين.

وقد قسم المناطق والفلاسفة الدلالة إلى نوعين: وهما: دلالة لفظية، ودلالة غير لفظية، ثم قسموا هذين النوعين إلى ثلاثة أقسام، انطلاقاً من علاقة الدال بالمدلول، وهي: وضعية، وطبيعية، وعقلية.<sup>2</sup>

– الدلالة العقلية: وهي دلالة يجد العقل فيها علاقة بين الدال والمدلول ذاتية ينتقل لأجلها منه إليه، والمراد بالعلاقة الذاتية استلزام تحقق الدال وفي نفس الأمر تحقق المدلول فيها مطلقاً سواء استلزام معلول لغة كاستخدام الدخان للنار أو العكس كاستلزام النار للحرارة أو استلزام أحد المعلولين للآخر كاستلزام الدخان الحرارة فإن عليهما معلولان للنار، ونطلق العقلية أيضاً على الدلالة الالتزامية وعلى التضمينية<sup>3</sup>، وهما قسمان من الدلالة اللفظية الوضعية.

– الدلالة الطبيعية: فهي دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة طبيعية ينتقل لأجلها منه إليه، والمراد من العلاقة الطبيعية إحداث طبيعة من الطبائع سواء كانت طبيعة الالفاظ أو طبيعة غيرها... كدلالة ( أح، أح ) على السعال، وأصوات البهائم عند دعاء بعضها بعضاً، وصوت العصفور عند القبض عليه، فإن الطبيعة تنعت بأحداث تلك الدوال عند عروض تلك المعاني،

<sup>1</sup> – ابن سينا، الاشارات والتنبيهات، شرح نصر الدين الطوسي، تح. سليمان دنيا، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1992، ص 139.

<sup>2</sup> – التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج 1، ص 788.

<sup>3</sup> – المصدر نفسه، ج 1، ص 788.

فالرابطه بين الدال والمدلول هاهنا هو الطبع<sup>1</sup> ، وهناك من العلماء من خص الدلالة الطبيعية باللفظية فقط<sup>2</sup>، أي الأصوات.

– الدلالة الوضعية: فهي التي تقوم فيها العلاقات بين الدال والمدلول علاقة على أساس العرف اللغوي، ويقول التهانوي بأنها الدلالة الوضعية هي دلالة يجد العقل فيها بين الدال والمدلول علاقة للوضع ينتقل لأجلها منه إليه<sup>3</sup>، فالعلاقة بين الدال والمدلول لا هي عقلية ولا هي طبيعية، وهي الدلالة التي تختص بما اللغة، وقد قسمها علماء المنطق إلى ثلاثة أقسام وهي: دلالة مطابقة، ودلالة تضمن، ودلالة التزام.

وقد أورد أبو البقاء الكفوي (ت قبل 1094 هـ): « لأن الدلالة إما أن تكون على نفس المعنى الموضوع فدلالة المطابقة، سميت بذلك لمطابقة الدال المدلول، كدلالة الإنسان على الحيوان الناطق، إذ هو موضوع ذلك أو على جزء معناه، فدلالة التضمن سميت بذلك لتضمن المعنى لجزء المدلول، كدلالة الإنسان على الحيوان، أو على لازم معناه الذهني لزم ذلك في الخارج أم لا، ودلالة الالتزام سميت بذلك لاستلزام المعنى للمدلول كدلالة الإنسان على قابل العلم هذا على رأي المناطقة في جعل الكل أقسام للفظية الوضعية<sup>4</sup>. والشكل الآتي يبين ذلك<sup>5</sup>.

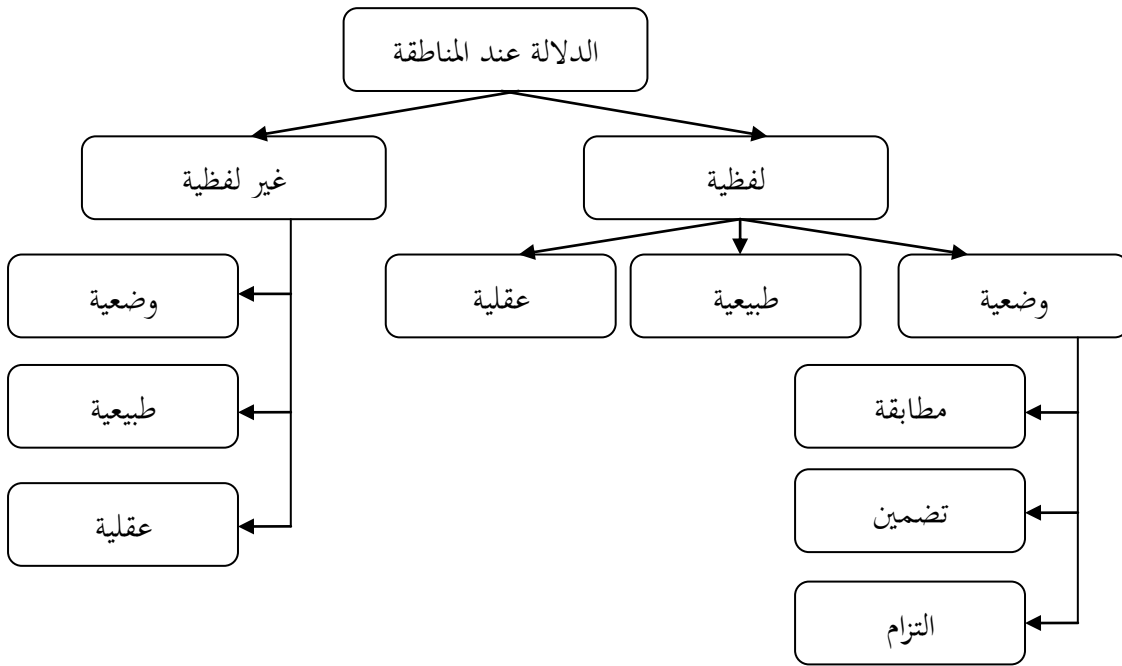
<sup>1</sup> – التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج 1، ص 788.

<sup>2</sup> – المصدر نفسه، ج 1، ص 788.

<sup>3</sup> – المصدر نفسه، ج 1، ص 788.

<sup>4</sup> – أبو البقاء الكفوي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: تحقيق: عنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1998، ص 441.

<sup>5</sup> – ينظر: ردة الله الطليحي، دلالة السياق، ص 12، وينظر: محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، ص 8.



ويتّضح مما سبق أن المناطقة والفلاسفة اهتموا اهتماما بالغاً بالدلالة في بحوثهم، لأنها أساس في ذلك فتناولوها بالتعريف، والتفصيل، والتقسيم، وكانوا في هذا مصدرا لكثير من الباحثين، في مجال البحث الدلالي.

### ثانيا: الدلالة عند المحدثين:

تعدّ الدلالة من أهم المباحث اللغوية التي تناولها المحدثون بأهمية البالغة، لما لها من أثر في تحديد معنى الكلام وفهمه، نهيك عن الأثر الفني والجمالي الذي تخلفه في نفسية المتلقي.

### 1. الدلالة عند الغربيين المحدثين:

لقد اعتنى اللغويون المحدثين بالدراسات اللغوية، وخاصة المباحث الدلالية التي اعتبروها أساس كل نشاط لغوي، ينتهي إليه المتكلم أو الباحث في إطار علم اللغة.

وقد عرفت الدلالة عند الغربيين بمصطلحين هما: المصطلح الأول *signification* أو *significan* والثاني *semantics* ويغلب على الثاني استعماله بمعنى علم الدلالة، كما

يستعمل (بجذف S) وصفا في كثير من الأحوال، في حين المصطلح الأول يستعمل للإشارة إلى العملية التي تقترن بها الدال والمدلول، والثاني لعلم الدلالة<sup>1</sup>. أي أن المصطلح الأول خاصة بالسميولوجيا أو علم العلامة، والثاني بعلم الدلالة.

وقد ظهرت بداية هذا العلم في أواسط القرن التاسع عشر مع ماكسمولر (Max Muller) في كتابيه (The science of language) سنة 1962، و (The science of thought) سنة (1987 م)<sup>2</sup>.

كما أوضح اللغويون المحدثون أن أصل مصطلح Semantikté يوناني مؤنث، ومذكره semantikos أي يعني ويدل ومصدره كلمة Sema وتعني الإشارة<sup>3</sup>، أو كما يقول بيير قويرو (piereGuirand) مشتق من الكلمة اليونانية (Semaino) التي تعني دل على والمتولدة من الكلمة الأصل (Sens) أي المعنى<sup>4</sup>.

وظهر هذا المصطلح بهذا الشكل في أوروبا على يد اللغوي الفرنسي ميشال بريال (Michel breal) الذي كتب بحثا بعنوان مقالة في السيمانتيك (Essai de semanti) عام 1897<sup>5</sup>.

أمّا في كتاب علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق لفايز الداية فكان ذلك سنة 1883<sup>6</sup>، وقد اعتنى المؤلف في هذا البحث بدلالة الألفاظ في اللغات القديمة، من اليونانية واللاتينية

<sup>1</sup> - محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، ص 88.

<sup>2</sup> - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 22.

<sup>3</sup> - فايز الداية، علم الدلالة العربي، ص 06.

<sup>4</sup> - نور الهدى لوشن، علم الدلالة دراسة وتطبيق، ص 23.

<sup>5</sup> - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 22.

<sup>6</sup> - فايز الداية، علم الدلالة العربي، ص 06.

والسنسكريتية، وأعتبر هذا النوع من البحوث آنذاك ثورة في الدراسات اللغوية الحديثة، التي تعني بتطور اللغة<sup>1</sup>.

كما تتالت الدراسات الدلالية بعد ذلك فخصص كريستوفر نيروب (Kristoffer Nyrop) مجلدا كاملا من كتابه: « دراسة تاريخية لنحو اللغة الفرنسية » خصصه للتطور السيمانتيكي عام 1913، ونشر غوستاف ستيرم (Gustaf Stern) عام 1931 دراسة عن المعنى وتطوره، ويعتبر أولمان بداية الثلاثينات أهم فترة في تاريخ السيمانتيك<sup>2</sup>.

وقد ارتبط علم الدلالة في هذه الفترة بأسماء مثل ريتشاردز أوغدن (Richards Ogden) وألفريد كوروييسكي (Alfred Korwyski) وقد أصدر الكاتبان عام 1923 كتاب The meaning of meaning الذي حاول فيه أن يضع نظرية للعلامات والرموز، وقد كانا السابقين في تقديمهما إلى تحليل السيمانتيكي التمييز بين الوظيفة الإشارية Referential، والوظيفة العاطفية Emotional، أما Korwyski فقد اهتم بالحالة السلوكية التي يتحقق من خلالها الاتصال، وقد وضع نظرية علمية عن كيفية عمل اللغة في مواقف الاتصالات الإنسانية<sup>3</sup>.

أما فريث Firth فالمدلول أو المعنى عنده هو: « مجموعة الخصائص والمميزات اللغوية للكلمة أو العبارة أو الجملة»<sup>4</sup>. أي: الخصائص اللغوية المتعلقة بطبيعة اللغة، من صوت ونحو وصرف وسياق.

<sup>1</sup> - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 22.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 23.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 24.

<sup>4</sup> - محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت (د.ط)، ص 32.



وهذا يؤدي إلى أن مفهوم علم الدلالة ، هو دراسة وظيفة اللغة، حيث هي تؤدي إلى إيصال المعنى إلى المتلقي، بصورة واضحة ومفهومة، لا تحتاج إلى واسطة إلى ذلك.

## 2. الدلالة عند المحدثين العرب:

لقد تناول المحدثون العرب على الدلالة، انطلاقاً من المفهوم الغربي فهناك من يطلق عليه مصطلح السيمانتيك، وهناك يطلق عليه مصطلح علم الدلالة، أو علم المعنى.

فنجد الكثير من الباحثين العرب في علم الدلالة ينقل تعريفات معظم الباحثين الغربيين.

فنجد أحمد مختار عمر يعرف علم الدلالة، نقلاً عنهم فيعرفه « بأنه العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى»<sup>1</sup>.

ومن هذه التعاريف يتضح أن علم الدلالة العربي الحديث مستمد من علم الدلالة الغربي الذي يبحث في وظيفة اللغة وهي الدلالة، أما فايز الداية فيعرف الدلالة انطلاقاً من تعريف جون لاينزحيث يقول: « بأنه العلم الذي يعالج إشكالية الوقوف على قوانين المعنى، والتي تكشف أسرارها وتبين السبيل إليه وكيفية حركته »<sup>2</sup>.

أما محمد المبارك فيعرف علم الدلالة بأنه هو « العلم الباحث في ما بين الألفاظ والمعاني من الصلات »<sup>3</sup>.

وهذا الأخير لا يظهر عليه النقل كما مر مع من سبقوه، أما الدراسات التي تناولت علم الدلالة العربي نجد: إبراهيم أنيس الذي أصدر كتابه " دلالة الألفاظ " عام 1958 وتوالت بعده

<sup>1</sup> - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 11.

<sup>2</sup> - فايز الداية، علم الدلالة العربي، ص 06.

<sup>3</sup> - محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، لبنان، ط 2، 1964، ص 168.

العديد من التأليفات والبحوث في مختلف موضوعات علم الدلالة، كما نجد ترجمة العديد من الكتب الغربية إلى اللغة العربية، مما ساهم في إثراء البحث الدلالي العربي، كما نجد هذه المساهم متمثلة في المنجزات الأكاديمية المعمقة كالرسائل الجامعية (ماجستير و الدكتوراه).

ومن الموضوعات التي تناولتها هذه الدراسات: الدراسة في المفهوم، وأنواع الدلالة...

وقد قسم كثير من اللغويين المحدثين والمعاصرين من الغربيين والعرب الدلالة إلى عدة تقسيمات وهذه التقسيمات إلى أنواع، وفي هذا الشأن تقول نور الهدى لوشن «أن تسمية أنواع الدلالة فقد اختلف، وتعدد الآراء حولها، فتقول: فقسمت (أنواع الدلالة) وسميت أصناف الدلالة وبعضهم سماها أصناف الدلالة وذهب آخرون إلى وجوه الدلالة»<sup>1</sup>.

وبالتالي فتقسيم الدلالة تتم بحسب أنواع المعنى، أما أحمد مختار عمر فيصنفها كالتالي<sup>2</sup>:

1. **المعنى المركزي:** أو الأساسي أو الأولي وسمي أحيانا التصريحي، والمفهومي، والإدراكي، ويسميه بعضهم بالدلالة المركزية.
2. **المعنى الإضافي:** أو العرضي الثانوي ويسميه بعضهم الدلالة الهامشية، متغير بحسب تغير السياق الذي يرد فيه.
3. **المعنى الأسلوبي:** وهو نوع من المعنى الذي تحمله قطعة من اللغة بالنسبة للظروف الاجتماعية والبيئة التي يعيش فيها.
4. **المعنى النفسي:** وهو نوع من المعنى الذي يفهمه كل فرد على حدى.
5. **الدلالة الإيحائية:** هو نوع من المعنى المتعلق بالألفاظ الموحية عند استعمالها في سياق معين.

<sup>1</sup> - نور الهدى لوشن، علم الدلالة، ص38.

<sup>2</sup> - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 11.

أما تقسيم الدلالة بحسب مصدرها كما أورده إبراهيم أنيس في كتابه (دلالة الألفاظ) كالتالي<sup>1</sup>:

1. الدلالة الصوتية: والتي تستمد دلالتها من الصوت.
  2. الدلالة الصرفية: والتي تستمد دلالتها من الكلمة وصيغتها وبنيتها.
  3. الدلالة النحوية: وهي التي تستمد دلالتها من النظام النحوي للكلام (الجملة).
  4. الدلالة المعجمية أو الاجتماعية: وهي التي تستمد دلالتها من المعنى المعجمي للكلمة.
- وعليه فإن أنواع الدلالة بشق أصنافها، مرتبط بعضها ببعض ودلالاتها تُكْمَلُ دلالة بعض.
- بالإضافة إلى هذا هناك تقسيمات أخرى لدى اللغويين تختلف وتتغير من دارس إلى آخر.

## II- السياق عند العرب والغربيين:

أولاً: السياق عند العرب:

### 1-السياق عند العرب القدامى:

يعدّ السياق من أهم المفاهيم التي تتضح الدلالة به، وتستقيم لدى المتلقي للنص، أو الخطاب المراد إبلاغه من طرف الملقى، أو القائل، وهذا يختلف من مجال إلى آخر، بحسب الغرض الذي يريده، أو يبحث فيه المتلقي (سواء كان لغويًا أو بلاغيًا أو مفسرًا أو أصوليًا).

### أ-السياق عند اللغويين:

يعدّ السياق عند اللغويين من أهم القرائن التي توضح الدلالة، أو المعنى المراد من طرف المتكلم، لإيصاله إلى المتلقي بصورة واضحة ومفهومة، حتى تتحقق لديه عنصري الإفهام والإبلاغ.

<sup>1</sup> - إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الانجاز المصرية، ط 5، 1984، ص ص 44 - 51.

فقد أورد ابن جني عن أبي عمرو بن العلاء فقد قيل له «أكانت العرب تطيل؟ (أي في الكلام) فقال نعم لتبلغ، قيل: أفكانت توجز؟ قال: نعم ليحفظ عنها»<sup>1</sup>.

وهذا مما يدل على أن الكلام حتى يحقق وظيفته وهي الإبلاغ والإفهام، يجب أن يكون في سياق سواء طال أو أوجز، والإطالة هنا تثبت مفهوم السياق التي يحقق المتكلم من خلاله الدلالة التي يريدوها، وهذا يحقق قاعدة "الألفاظ أدلة على المعاني"<sup>2</sup>.

وقد اعتنى اللغويون بالتركيب، فقد عقد سيبويه قد عقد في هذا الشأن باباً كاملاً أسماه أقسام الألفاظ من حيث الترادف والاشتراك، مشيراً إلى مسألة الاستقامة والإحالة في الكلام، فقال: «فمنه مستقيم حسن ومحال، ومستقيم كذب ومستقيم قبيح وما هو محال كذب. فأما المستقيم الحسن: كقولك أتيتك أمس وسأتيك غداً، وأما المحال فإن تنفض أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غداً سأتيك أمس، وأما المستقيم الكذب: حملت الحبل، وشربت ماء البحر، وأما المستقيم القبيح أن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكى زيدا يأتيتك وأشباه هذا، وأما المحال الكذب فإن تقول: سأشرب ماء البحر أمس»<sup>3</sup>، وهذا الذي ساقه سيبويه يحدد أصناف الكلام من خلال السياق الذي ترد فيه فتفهم دلالاته، ويوافق هذا القول، قول ابن فارس قوله "الخبر واجب وجائز وممتنع بناء على مقولات الصدق والكذب، فالواجب مثل ( النار محرقة ) والجائز مثل ( لقي زيد عمرا ) والممتنع مثل ( حملت الجبل )" <sup>4</sup> و هنا يتحدث ابن فارس عن أصناف الكلام الذي يحدد معناه السياق. ويضبط هذه المسألة قول الأنباري (ت328 هـ) بقوله « أن كلام العرب يصحح بعضه بعضاً، ويرتبط أوله بآخره ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين لأنها يتقدمها ويأتي

<sup>1</sup> - ابن جني، الخصائص، ج 1، ص 83.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 3، ص 268.

<sup>3</sup> - سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 25.

<sup>4</sup> - ابن فارس، الصحاحي في فقه اللغة، ص 289.

بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يراد بها في حالة التكلم والإخبار لا معنى واحد»<sup>1</sup>.

وبهذا يتضح أن الضابط لمفهوم الكلام هو السياق الذي يرد وأعطى شروط ليتضح المعنى المراد من خلال استكمال كل الكلام (السياق)، لأنه قد تكون اللفظة تحمل دلالتين مختلفتين حين لا يكتمل الكلام مما قد يأخذ بالمفهوم الخطأ، لأن الكلام ناقص لم يكتمل، والسياق يضبط الدلالة من خلال عدة استعمالات فيمكن أن يضبط بالحرف أو الكلمة أو الجملة أي أن حرف يمكن أن يحدد السياق من خلاله وفي هذا يقول الأنباري عن حروف المعاني قوله: «ومجرى حروف الأضداد، مجرى الحروف التي تقع على المعاني المختلفة وإن لم تكن متضادة فلا يعرف المعنى المقصود منها، إلا بما يتقدم الحرف ويتأخر بعده كما يوضح تأويله»<sup>2</sup>.

ويضيف ابن عصفري في هذا الشأن قوله: "وأما الحروف فلا تعطي في حين واحد أكثر من معنى واحد في غيره، فإن دل الحرف على معنيين فصاعدا نحو (من) التي تكون للتبعيض والابتداء للعناية واستغراق الجنس وما أنشطها من الحروف فإنما ذلك في أوقات مختلفة ألا ترى أن الكلام الذي تكون فيه «من مبعضة لا تكون فيه لابتداء الغاية»<sup>3</sup>.

ومن هذا النص يتضح أن النحويين اهتموا بالتركيب ومراعاة القواعد التي تضمن أداء الكلام وفق سياق لغوي سليم وسياق حافظ لدلالة المتكلم.

وقد أورد سيبويه الكثير من الأمثلة في هذا الصدد حيث قال سيبويه في تقديم « المفعول على الفاعل كقولك: ضرب زيدا عبد الله لأنك كما أردت به مؤخرا ما أردت مقدما، ولم ترد

<sup>1</sup> - أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، الأضداد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الارشاد والأنباء، الكويت، 1960، ص 2.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 3 - 4.

<sup>3</sup> - أبو الحسن علي ابن عصفري، شرح جمل الزجاج، تح: صاحب أبو نجاح، دط، دت، ج1، ص 89.

أن تشغل الفعل بأول منه وإن كان مؤجلا في اللفظ، فمن ثمة كان حد اللفظ أن يكون مقدما، وهو عربي قيد كثير، كأهم إما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم بيانه أعنى وإن كانا جميعا يهماهم ويعنيانهم»<sup>1</sup>.

يتضح من خلال هذا اهتمام النحاة بالخطاب من خلال مراعاة حال المتكلم أو حال المخاطب أو بالمرفق لأن هذا يحدد سياق، ومن خلاله دلالة المتكلم كما على مستوى الجملة، فنجد النحاة قد اهتموا بالجملة وذكروا أن روابط الجملة فيما بين أجزائها أو فيما بينها وبين غيرها من الجمل (النص) هي أحد عشر رابطا<sup>2</sup>، وهي جملة المخبر بها، والجملة الموصوف بها، والجملة الواقعة حالا، والمفسرة لعامل الاسم المشتغل عنه وبدلا بأنواعه والعطف بأنواعه.

اهتم النحاة بالجملة وتمامها لغرض إيضاح الدلالة من خلال إكمال الجملة التي يحدد معناها من خلال السياق الذي سيقى فيه، كما اهتم النحاة بقصة الإضمار والإظهار لأهميته في انجاز الكلام أو الجملة وجعلوا له ثلاثة أضرب ظاهر لا يحسن إضماره، ومضمر مستعمل إظهاره، ومضمر متروك إضماره<sup>3</sup>.

قال ابن السراج (ت 316 هـ): الأول الذي لا يحسن إضماره ما ليس عليه دليل من لفظ ولا حال مشاهدة، لو قلت: "زيد" وأنت تريد: "كلم زيدا" فأضمرت ولم يتقدم ما يدل على "كلم" ولم يكن إنسان مستعدا للكلام لم يجوز وكذلك غيره من الأفعال.

والثاني المضمر المستعمل إظهاره: هذا الباب إنما يجوز إذا علمت أن الرجل مستغن عن لفظك بما يضمه، فمن ذلك ما يجري في الأمر والنهي، وهو يكون الرجل في حال ضرب

<sup>1</sup> - سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 34.

<sup>2</sup> - ردة الله الطليحي، دلالة السياق، ص 53.

<sup>3</sup> - ابن السراج، الأصول في علم النحو، ج 2، ص 247.

فتقول: "زيداً، ورأسه" وما أشبه ذلك تريد: "اضرب رأسه" وتقول في النهي: "الأسد الأسد" نهيته أن يقرب الأسد<sup>1</sup>.

وهذا يدل على المستعمل من القول المعتاد في الكلام الاستغناء عنه لفظاً وترك إظهاره.

وإذا كان هذا في حذف الفعل فإن حذفه أو حذف غيره إنما شرطها أن توجد القرينة الدالة على المحذوف من خارج النص أو الجملة وهي الحال كما يقول ابن جني: "قد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"<sup>2</sup>.

ففي كلام ابن جني دليل وإشارة واضحة إلى سياق النص أو الموقف وإن كانت مصطلحات الأوائل غير ما يشيع في عصرنا من مصطلحات.

وهيئة المتكلم واحدة من مكونات سياق الموقف أولها النحاة عنايتهم يقول ابن جني حول حذف الصفة ودلالة الحال عليها: "وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل وهم يريدون ليل طويل، وكأن هذا إنما حذفت الصفة فيه لما دل من الحال على موضعها، وذلك أن تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقول مقام قوله: طويل أو نحو ذلك وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته.

وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه فتقول: كان والله رجلاً فتزيد في قوة اللفظ بـ (الله) هذه الكلمة، ولتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها، أي رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك.

<sup>1</sup> - ينظر: ابن السراج، الأصول في علم النحو، ج 2، ص 247.

<sup>2</sup> - ينظر: ابن جني، الخصائص، ج 2، ص 326.

وكذلك تقول: سألتناه فوجدناه إنسانا وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه، فتستغني عن وصفه بقولك: إنسانا سمحا أو جوادا أو نحو ذلك.

وكذلك إذا ذمته ووصفته بالضيق فقلت: سألتناه وكان إنسانا وتزوي وجهك وتقطبه فيني ذلك عن قولك: إنسانا لثيما أو لحزا أو مبخلا أو نحو ذلك<sup>1</sup>.

والسياق قد يكون من حال المتكلم في تعابير وجهه وحركة يديه وهيئته بكاملها، قال ابن جني حول قول نعيم بن الحارث بن يزيد السعدي:

تقول - وصكت وجهها يمينها - ... أبعلي هذا بالرحى المتعاس

«فلو قال حاكيا عنها: أبعلي هذا بالرحى المتعاس - من غير صك الوجه - لأعلمنا بذلك أنها متعجبة منكورة، ولكنه لما حكا الحال فقال: وصكت وجهها، علم بذلك قوة إنكارها وتعاضم الصورة لها هذا مع أنك سامع لحكاية الحال غير مشاهد لها، ولو شاهدت لكنت بها أعرف ولعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين، وقد قيل: "ليس المخبر كالمعائن" ولو لم ينقل إلينا هذا الشاعر حال هذه المرأة بقوله: وصكت وجهها، لم نعرف به حقيقة تعاضم الأمر لها. وليست كل حكاية تروى لنا، ولا كل خبر ينقل إلينا يشفع به شرح الأحوال التابعة له، المقترنة - كانت - به . نعم ولو نقلت إلينا لم تفد بسماعها ما كنا نفيده لو حضرناها»<sup>2</sup>.

وهذا يوضح أن السياق يختلف من شخص إلى آخر، قد يكون السياق من خلال الملامح والإيحاءات وإشارات، وقد يكون في سياق الكلام، فإيحاء المرأة بجسدها يمثل سياق الحال أو الموقف أما تعبير الشاعر عن حالها فيمثل سياق النص، وهو ما أشار إليه ابن جني

<sup>1</sup> - ابن جني، الخصائص، ج 2، ص ص 370 - 371.

<sup>2</sup> - ابن جني، الخصائص، ج 1، ص ص 245 - 246.



و النحاة والتمثل في السياق بنوعيه (سياق الحال/سياق النص) والسياقان يكمل بعضهما البعض، فما نقص ولم يفهم من الإيحاء والإشارة يفهم من الكلام المعبر عنها فيفهم المعنى المراد.

### ب- السياق عند البلاغيين:

لقد أشار البلاغيون إلى العلاقة التي تربط اللفظ بالمعنى، حيث أن الألفاظ تتناهى والمعاني لا تتناهى حيث يقول الجاحظ: «أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ، لأن المعاني مبسوبة إلى غاية وممتدة إلى غير نهاية وأسماء المعاني مقصورة معدودة ومحصلة محدودة»<sup>1</sup>.

من هذا يتضح أن حصر الدلالة اللفظية وغير اللفظية عن تلك المعاني غير المتناهية، حيث ذهب الجاحظ إلى أن أصناف الدلالات غير المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة: «أولها اللفظ ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة، والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة عن صورة صاحبها، وحلية مخالفة لحلية أختها، وهي التي تكشف عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائقها في التفسير، وعن أجناسها وأقذارها وعنخاصها وعامها، وعن طبقاتها في السار والضار، وعمما يكون منها لغوا وبهجرا وساقطا مطرحا»<sup>2</sup>.

من هذا يتضح أن الحركة أو الملمح أو الإيحاء دالة ودلالاتها مهمة فهي تصاحب اللفظ، يقول الجاحظ: " والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تعني عن الخط"<sup>3</sup>.

فحالة المتكلم إذا صاحبت اللفظ كانت جزءا منه وقد تنوب عنه على حد قول الجاحظ، وهي عنصر من عناصر سياق الحال، أما النصبة فهي: «الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير

<sup>1</sup> - الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص 76.

<sup>2</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ج 1، ص 76.

<sup>3</sup> - ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص 78.

اليد، وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض وفي كل صامت وناطق، وجامد ونام، ومقيم وظاعن، وزائد وناقص، فالدلالة التي في الموات الجوامد كالدلالة التي في الحيوان الناطق، فالصامت ناطق من جهة الدلالة والعجماء معربة من جهة البرهان، ولذلك قال الأول: سل الأرض فقل من شق أنهارك وغرس أشجارك، وجني ثمارك، فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً<sup>1</sup>.

فمن هذا يتضح أن البلاغيين يرون أن مصطلحي الحال والمقام واحد وفي هذا، يقول الخطيب القزويني: «مقتضى الحال مختلف، فإن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التقديم يبين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يبين مقام التقييد، ومقام التقديم يبين مقام التأخير، ومقام الذكر يبين مقام الحذف، ومقام القصر يبين مقام خلافه ومقام الفصل يبين مقال الوصل، ومقام الإيجاز يبين مقام الإطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكي يبين خطاب الغبي، وكذا لكل كلمة مع صاحبها مقام»<sup>2</sup>.

وقد عرف البلاغيون والنقاد بالقول المأثور " لكل مقام مقال " الذي جاء في بيت للحطيئة يخاطب فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله:

تحنن علي هداك المليك .... فإن لكل مقام مقالاً<sup>3</sup>

وذهب بشر بن المعتمر (ت 210 هـ) - فيما نقله عن الجاحظ - إلى أن: «المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضح بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب، إحراز المنفعة، مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ج 1، ص 81.

<sup>2</sup> - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، 1390 هـ، ص 7 - 8.

<sup>3</sup> - ديوان الحطيئة، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د ت، ص 72.

<sup>4</sup> - ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص 136.

كما أروود الجاحظ عن ابن المقفع قوله: «إذا أعطيت كل مقام حقه، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو.....»<sup>1</sup>.

وكما نحد مقولة "لكل مقام مقال" عند ابن رشيق حالاً في فكره النقدي حيث يقول: «أول ما يحتاج إليه الشاعر - بعد الجد الذي هو الغاية، وفي وحدة الكفاية - حسن التأني والسياسة، وعلم مقاصد القول، فإن نسب ذل وخضع، وإن مدح أطرى وأسمع، وإن هجا أخل وأوجع، وإن فخر خب ووضع، وإن عاتب خفض ورفع، وإن استعطف حن ورجع ولتكن غايته معرفة أغراض المخاطب كائناً من كان ليدخل إليه من بابه، ويداخله في ثيابه، فذلك هو سر صناعة الشعر، ومغزاه الذي به تفاوت الناس وبه تفاضلوا»<sup>2</sup> فابن رشيق يربط المقال بالمقام الذي يعتبر غرضه الذي ينتج عنه القول أو الكلام المراد قوله.

ونجد أن عبد القاهر الجرجاني قد فرق بين نوعين من النظم، «النظم في الكلمة المفردة وهو النظم الصوتي للفظ، والنظم النحوي للألفاظ فيقول: وذلك أن نظم الحروف هو تواليها في النطق، وليس نظمها بمقتضى عن معنى ولا الناظم لها بمقتضى في ذلك رسماً من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمها لها ما تحراه، فلو أن واضع اللغة كان قد قال (ربض) مكان (ضرب) لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد، وأما نظم الكلام فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتبها على المعاني في النفس فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ج 1، ص 116.

<sup>2</sup> - ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تج: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، 1383 هـ، ج 1، ص 199.

<sup>3</sup> - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تج: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1401 هـ، ص 49.

ومن خلال هذا يتضح أن عبد القاهر الجرجاني قد أشار إلى الحال بوصف لحال الكلام ومقاماته، وحال المتكلم وحال المستمعين، و المراد من هذا الكلام الذي يريد تبليغه للمتلقى، انطلاقاً من اللغة، واللغة عند ابن جني: «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»<sup>1</sup>.

والكلمات المفردة (الألفاظ) وهي ذات دلالة مختلفة تقتضيها الأحوال والمقامات التي تجعلها ترتبط بعضها ببعض فتشكل لنا نظاماً أو مقالاً يدل على مقتضى حال ما وفي هذا يقول الخطابي: «لجام الألفاظ وزمام المعاني، وبه تنتظم أجزاء الكلام، ويلتئم بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان»<sup>2</sup>.

وبهذا يكون التوافق بين المستوى المعجمي والتركيبى فيما بين الكلمات يحقق للنص درجة من الاتساق والانسجام وتجعل النص على قدر من الفصاحة والبلاغة فتتحقق مطابقة الكلام لمقتضى الحال كما هو عند البلاغيين، والمطابقة تكون في داخل النص أي التلاؤم بين أجزائه، وخارج النص هو الحال أو المقام.

ومن خلال هذا تتضح أهمية السياق في ضبط دلالة الكلمات وتحديد معناها ضمن النص ومرادها، الذي نريد أن يعرفه السامع أو المتلقي، وبالتالي السياق هو الكفيل بتحديد المعنى.

ج- السياق عند المفسرين: يعتبر السياق من أهم القرائن الدلالية التي يعتمد عليها المفسرين في تفسير دلالة الكلام، ونجد ممن اهتم بهذا المبدأ الكثير من المفسرين فوجد من هؤلاء الزركشي حيث يعرف السياق بقوله: « علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه و سلم وبيان معانيه، واستخراج أحكامه، وحكمه، ....»<sup>3</sup>. ويضيف قائلاً « ليكون محط المفسر

<sup>1</sup>- ابن جني، الخصائص، ج 1، ص 34.

<sup>2</sup>- الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تج: محمد خلف الله أحمد، دار المعارف، بيروت، ط 4، د ت، ج 1، ص 36.

<sup>3</sup>- ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 13.

مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وأن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز، ولهذا ترى صاحب الكشاف يجعل الذي سيق له الكلام معتمدا حتى كأن غيره مطروح»<sup>1</sup>.

أما السيوطي فيورد تعريفا يذكر فيه القرائن الدالة على السياق حيث يقول: «التفسير كشف معاني القرآن، وبيان المراد منه، سواء أكانت معاني لغوية أو شرعية بالوضع أو بقرائن الأحوال ومعونة المقام»<sup>2</sup>. ويضيف قائلا: "وعليه (أي التفسير) بمراعاة المعنى الحقيقي والمجازي، ومراعاة التأليف، والغرض الذي سيق له الكلام"<sup>3</sup>. يتضح من خلال هذه المفاهيم أن كل من الزركشي والسيوطي يعتمد النظم والتأليف في فهم سياقات النصوص.

أما أبو حيان الأندلسي فيعتمد على اللغة في تعريفه للتفسير انطلاقا من السياق بحيث يعرف التفسير بقوله: «علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمت ذلك.....»<sup>4</sup>. وهذا واضح من خلال هذا التعريف أن أبو حيان الأندلسي يعتمد في فهم النص على كل مكونات السياق من المدلولات الإفرادية التركيبية، وحتى النطق.

ومعلوم أن التفسير يعتمد طريقان في فهم معاني القرآن الكريم وهما التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، أما التفسير بالمأثور فيعتمدون فيه على القرآن أي (تفسير القرآن بالقرآن)، والسنة، وأقوال الصحابة، وفي هذا يقول ابن كثير: "إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر، فإن أعيانك ذلك فعليك بالسنة

<sup>1</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ج 1، ص 317.

<sup>2</sup> - ينظر: جلال الدين السيوطي، التعبير في علم التفسير، تح: فتحي عبد القادر فريد، دار العلوم، الرياض، ط 1، 1402 هـ، ص 38.

<sup>3</sup> - ينظر: السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، تح: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، ج 1، ص 585.

<sup>4</sup> - ينظر: محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 2010، ج 1، ص 121.

فإنها شارحة للقرآن وموضحة له... إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدري بذلك، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، لما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل لا سيما علماءهم وكبرائهم كالأئمة الأربعة والخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، وعبد الله بن مسعود، رضي الله عنه<sup>1</sup>.

فهذه الطرق الثلاثة التي اعتمد عليها ابن كثير لتفسير القرآن الكريم تعتمد على السياق بنوعيه، فهي تعتمد استقراء النصوص (سياق القرآن) أو (سياق النص) فإنه يفسر بعضه بعضاً، أو السنة التي إن لم تكن فعلاً أو تقريراً فلا بد أن تكون قولاً أي نصاً وهذا السياق الأول، أما السياق الثاني فـ (سياق الموقف) أو (سياق الحال) وهذا يظهر في أقوال الصحابة في التفسير، لأنهم شاهدوا القرائن والأحوال التي تتمثل في أسباب النزول ومناسبة السور أو الآيات، فكثير من الآيات ارتبطت بمواقف وأحوال اقتضت نزولها، فكانت سببها فهم المراد من الآية، وفي هذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب»<sup>2</sup>.

وقد أورد السيوطي الكثير من أمثلة تفسير القرآن بسبب النزول نذكر منها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الْأَصْفَاءَ وَالْمُرُوءَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾<sup>3</sup>، حيث قال: «فإن ظاهر لفظها لا يقتضي أن السعي فرض وقد ذهب بعضهم إلى عدم فريضته تمسكاً بذلك، وقد

<sup>1</sup> - ينظر: إسماعيل ابن عمر ابن الكثير، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي ابن محمد السلامة، دار طيبة، بيروت، ط2، 1999، ج 1 ص 7.

<sup>2</sup> - أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 7 وت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، مجمع الملك فهد للطباعة المصحف الشريف، الأمانة العامة، الشؤون العلمية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 2004، ج 13، ص 339.

<sup>3</sup> - البقرة (158).

ردت عائشة (هذا الفهم) بسبب نزولها، وهو أن الصحابة تأثروا من السعي بينهما لأنه من عمل الجاهلية»<sup>1</sup>.

وأما التفسير بالرأي: فيطلق على معاني متعدد، كالاتقاد والاجتهاد والقياس، ومنه أصحاب الرأي أي القياس والمراد بالرأي هنا الاجتهاد وعليه فالتفسير بالرأي عبارة عن: «تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها واستعانتها في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ، من آيات القرآن وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر»<sup>2</sup>.

وقد اختلف أهل العلم في جواز التفسير بالرأي من عده، وذهب قوم إلى عدم جوازه وقالوا: لا يجوز لأحد تفسير شيء من القرآن، وإن كان عالماً أديباً متسعاً في معرفة الأدلة، والفقهاء والنحو ومعرفة الأخبار والآثار، وإنما ينتهي إلى ما روى النبي صلى الله عليه وسلم أو عن أثر الصحابة والتابعين<sup>3</sup>.

«وقوم ذهبوا إلى عكس ذلك فلم يرو في التفسير بالرأي بأساً، وعم الأكثرون من السلف الصالح والعلماء ومن أشهر هذه الكتب: مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي المشهور بخطيب الرأي، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي ناصر الدين بن محمد بن علي البيضاوي الشافعي، والجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، البحر المحيظ

<sup>1</sup> - السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، مجمع الملك فهد للطباعة المصحف الشريف، الأمانة العامة، الشؤون العلمية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1426 هـ، ج 1، ص 193، 194.

<sup>2</sup> - أبي الحسن علي ابن أحمد الواحدي النيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تح: عاد أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج1، ص 16.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص 16

لأثير الدين أبو عبد الله بن حيان الأندلسي الغرناطي<sup>1</sup>، و الكشاف للزمخشري، والظلال للسيد قطب... إلخ

ولقد اعتنى المفسرون بالمكي والمدني من القرآن ومعرفة مكان وزمان نزول القرآن الكريم، وقد كان للمفسرين في معرفتهم للمكي والمدني أهمية كبيرة في معرفة سبب النزول وقد أورد السيوطي في الإتقان فصلا كاملا يتحدث فيه عن المكي والمدني و سبب النزول<sup>2</sup>. يتضح من خلال هذا أن السياق يختلف من المكي إلى المدني ولكل أسبابه والحال أو الموقف الذي نزلت فيه، كما يختلف المدني من سورة إلى سورة أخرى، بحسب الأسباب والمناسبات التي ترد فيها السورة أو الآية.

والمفسرون لم يقفوا عند معرفة اللفظ في مستواه المعجمي، ولم يتوقفوا عند الإعراب الذي أجادوه إنما تجاوزوا ذلك لتحليل النص الكامل للآية على نحو وصل إلى الحديث عن التناسب بين الآيات أو بين السور، ونجد ذلك فيما نقله السيوطي: يحكى أن أعرابيا سمع قارئاً يقرأ ﴿فَإِنْ زَلَّلْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>3</sup>، والصحيح " أن الله عزيز حكيم ".

فأنكره وقال: « إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا، الحكم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه »<sup>4</sup>. يتضح من كلام الأعرابي أنه على معرفة بلغة العرب حي تفتن إلى أن الزلل بعد التبيين والتوضيح لا يأتي بعد المغفرة والرحمة بل يأتي بعد العزة الحكم أي أن الله غني عن العالمين.

<sup>1</sup> - أبي الحسن علي ابن أحمد الواحدي النيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج1، ص ص16، 17.

<sup>2</sup> - ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج 1، ص ص 43 - 60.

<sup>3</sup> - البقرة (209).

<sup>4</sup> - ينظر: السيوطي، التحبير في علم التفسير، ص 290.



ومن أمثله كذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم حين بلغت قراءته صلى الله عليه وسلم: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾<sup>1</sup>، قال عبد الله بن أبي سرح: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾<sup>2</sup> فقال: صلى الله عليه وسلم «اكتب هكذا نزلت»<sup>3</sup>.

وهذا ما يعرف بعلم المناسبات كما يشير الزركشي إلى ذلك بقوله: " جعل أجزاء الكلام بعضها أخذًا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"<sup>4</sup>. ومن هذا تتضح أهمية ارتباط الكلام ببعضه ببعض وتلاؤمه، مما يجعل الكلام في بناء واحد وسياق محدد تضبطه الأحوال والمقامات، التي من خلالها تتشكل سياقات النصوص، وترعى في هذه النصوص أحوال المخاطبين.

#### د-السياق عند الأصوليين:

يعدّ الأصوليون من أكثر علماء دقة وحرصا في الوصول إلى الأدلة، مما جعلهم يهتمون بالسياق باعتباره من أهم القرائن الدلالية التي تبحث عن المعنى.

ويعدّ الشافعي من أهم العلماء الذين اهتموا بالسياق حيث يقول: " وتبتدئ (أي العرب) الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله"<sup>5</sup>. يتضح أن الكلام يرتبط ببعضه ببعض فيعرف أوله بآخره من خلال السياق الذي يرد فيه الظروف التي أنشأته. ويضيف الشافعي قائلا: إنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانه على

<sup>1</sup> - المؤمنون (14).

<sup>2</sup> - المؤمنون (14).

<sup>3</sup> - شرف الدين حسين ابن محمد الطيبي، التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، تح: هادي عطية الهاللي، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط 1، 1407 هـ ص 396.

<sup>4</sup> - ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 36.

<sup>5</sup> - الشافعي، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط 1، 1938 هـ، ص 52.

ما تعرف من معانيها واتساع لسانها، وأن فطرته أن يخاطب بشيء منه عاما ظاهرا، يراد به عاما ظاهرا، ويستغنى بأول هذا منه عن آخره، وعاما ظاهرا يراد به العام ويدخله الخاص، فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه. وعاما ظاهرا يراد به الخاص، وظاهرا يعرف به سياقه أنه يراد به غير ظاهره، فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره<sup>1</sup>. من خلال هذا يتضح مدى ترابط الكلام ببعضه ببعض في سياق يفهم منه ظاهر كلامه ومن ظاهر الكلام يفهم باطنه ومن أوله يفهم آخره، وهذا معلوم عند العرب من الأحوال والمواقف والمناسبات والأسباب التي سيق فيها الكلام.

وتعدّ اللغة العربية عند الأصوليين أصل في البحث عن معاني ودلالات الكلام، حيث يقول الأمدي (ت 631هـ): " وأما علم العربية فلتوقف دلالات الأدلة اللفظية من الكتاب والسنة وأقوال أهل الحل والعقد من الأمة على معرفة موضوعاتها لغة من جهة الحقيقة والمجاز والعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والحذف والإضمار، والمنطوق والمفهوم والاقتضاء والإشارة، والتنبيه والإيماء، وغيره مما لا يعرف في غير علم العربية"<sup>2</sup>.

ويضيف الغزالي قوله عن أهمية علم اللغة متحدثا عن علم بقوله: " أن النحو: " يفهم به خطاب العرب وعاداتهم في الاستعمال إلى حد يميز صريح الكلام ومجمله، وحقيقته ومجازه، وعامه وخاصه ومحكمه ومتشابهه، ومطلقه ومقيده، ونصه وفحواه، ونصه ومفهومه"<sup>3</sup>.

كما يضيف ابن جزم الظاهري قوله عن النحو ودوره في تحديد معاني الكلام بقوله: " أن النحو: " هو ترتيب العرب لكلامهم الذي أنزل به القرآن، وبه يفهم معاني الكلام التي يعبر عنها باختلاف الحركات وبناء اللفاظ"<sup>4</sup>. ويتضح من خلال هذا أن للغة دور كبير في تحديد معاني

<sup>1</sup> - ينظر: الشافعي، الرسالة، ص 52 .

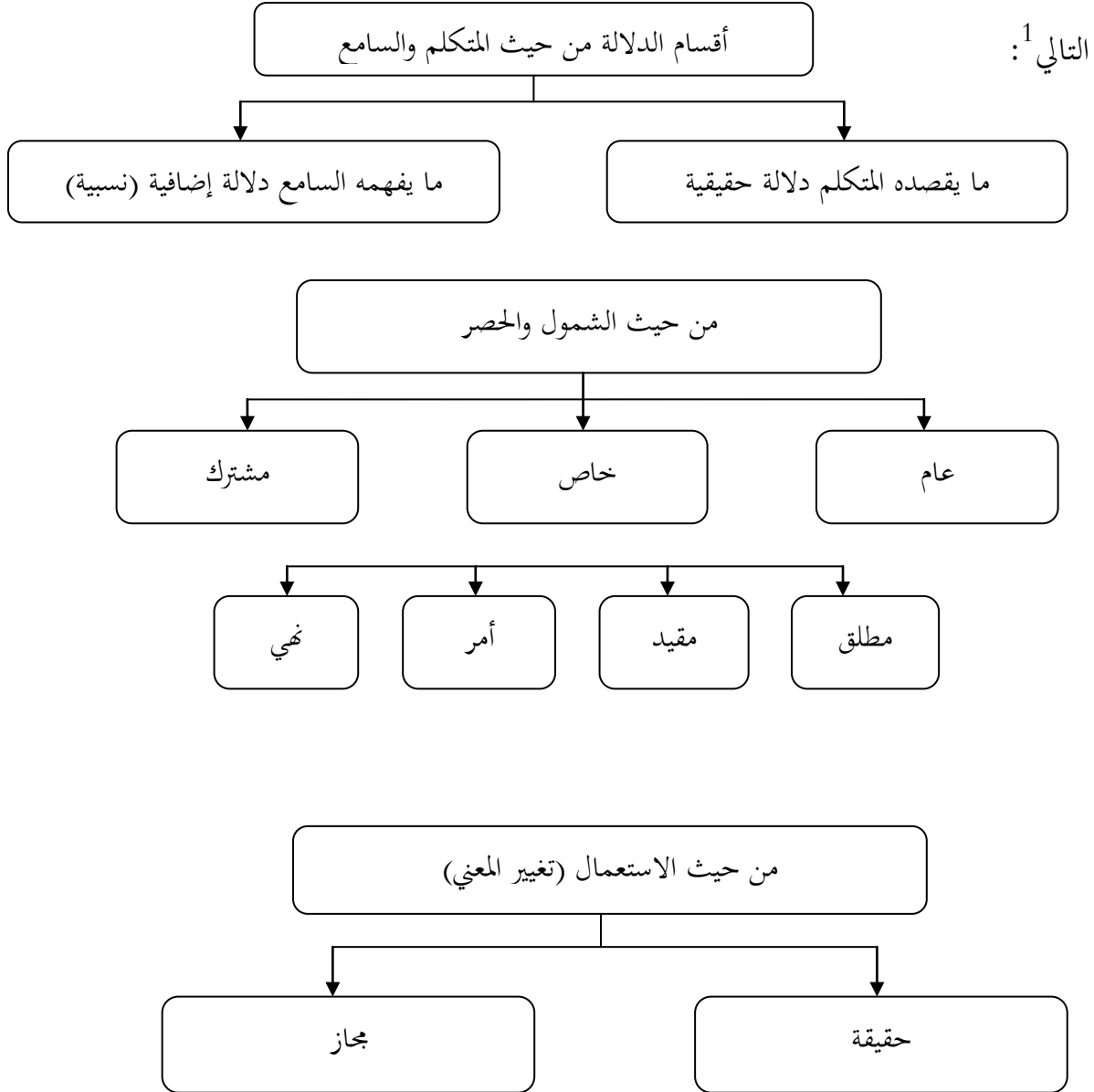
<sup>2</sup> - ينظر: الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ج 1، ص 21، 22.

<sup>3</sup> - ينظر: محمد عبد اللطيف حماسة، النحو والدلالة، ص 30 .

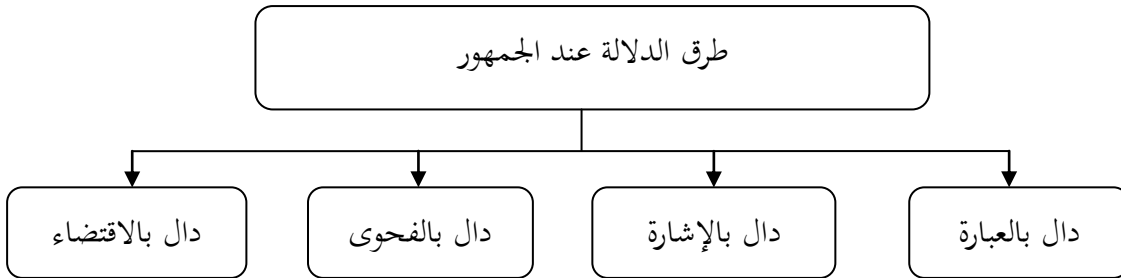
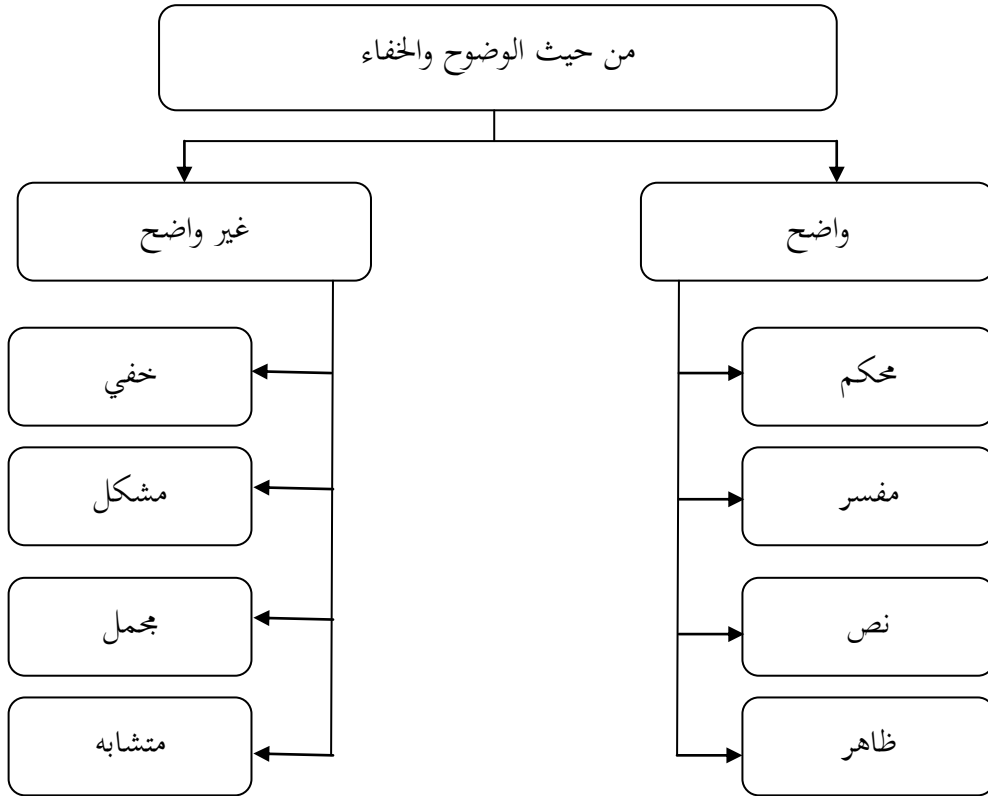
<sup>4</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 30 .

الكلام وخاصة النحو، لهذا لقيت اهتمام كبيراً من قبل الأصوليين لما لها من دور في توضيح دلالة الكلام، ومعرفة معاني الألفاظ التي تساق في طيات الكلام، انطلاقاً من معرفة أحوال ومواقف التي أنتجت هذه اللغة في هذا في السياق الذي راعى صاحبه حال المخاطبين و السامعين.

ولقد لخص طاهر حمودة العلاقات المختلفة للتناول الدلالي عند الأصوليين على النحو



<sup>1</sup>-ينظر: طاهر سليمان حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د ت، ص 13 وما بعدها. وينظر: ردة الله الطليحي، دلالة السياق، ص 111، 112 .



2- السياق عند الغربيين:

لقد اعتنى الغربيون بالسياق في إطار دراستهم لعلم اللغة الحديث (اللسانيات) من خلال اهتمامهم به كمصطلح في معاجمهم اللغوية من ذلك:

أ-السياق عند هانس HANSSON:

نجد هانس HANSSON فقد صنف مختلف الاتجاهات التداولية اعتمادا على تشغيلها لمصطلح السياق إلى ثلاث درجات.

- تداولية الدرجة الأولى: وتتمثل في دراسة الرموز الإشارية Les symboles indexicaux وتطبيقيا يتمثل السياق هنا في العناية بالمتخاطبين ومحددات المكان والزمان .

- تداولية الدرجة الثانية: تهتم طريقة تعبير القضايا وعلاقتها بالجملة المتلفظة و السياق بمعناه الموسع هنا (ستا لنكر) يمتد إلى ما يحس به المتخاطبون، إنه سياق الأخبار والاعتقادات المتقاسمة، لا السياق الذهني.

- تداولية الدرجة الثالثة: تتمثل في نظرية أفعال الكلام، ويتعلق الأمر فيها بمعرفة ما تم من خلال استعمال بعض الأشكال اللسانية<sup>1</sup>.

أما "أرمينكو" Armenko فترى أن السياق يمتلك طابعا تداوليا إلا أن الصعوبة فيه تكمن في عدم معرفتنا أين يبدأ و أين ينتهي. و للسياق أربعة أنماط:

- السياق الظرفي والفعلي والوجودي والمرجعي: ويحدد هوية المتخاطبين ومحيطهم المادي والمكان والزمان الذين يتم فيهما الغرض، وكل ما يندرج في الدراسات الإشارية، ومن هنا كان موضوع التداولية عند بارهيل ومونتاك، وهو السياق وما يجمعه من أفراد موجودين في العالم الواقعي.

<sup>1</sup> - آيت علي أو شان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص

- السياق المقام أو التداولي: يتميز المقام بالاعتراف به اجتماعيا كمتضمن لغاية أو غايات و على معنى ملازم تتقاسمه الشخصيات المنتمية إلى الثقافة نفسها، وتدرج الممارسات الخطابية في مواقف محددة.

- السياق التفاعلي: ويقصد به تسلسل أفعال اللغة في مقطع متداخل الخطابات، إذ يتخذ المتخاطبون أدوارا تداولية محضة: هي الاقتراح، الاعتراض، والتطبيق.

- السياق الاقتضائي: يتكون من كل ما يحس به المتخاطبون من الاقتضات أي من اعتقادات وانتظارات و مقاصد تكون مشتركة بين المخاطبين.

أما "ستالناكر وجاك" (Stalnaker et Jack) فإنهما يريان أن التداولية دراسة خضوع قضايا للسياق، لأن السياق الذي تخضع له الجمل هو الذي يستعمل في تحليل أفعال اللغة، الذي يعبر من خلاله عن قواعد منطق الحوار.

ويغير كل فعل كلامي لغة السياق لأن السياق ببساطة هو أثر أفعال اللغة السابقة وسبب أفعال اللغة اللاحقة<sup>1</sup>.

أما أوستن في بحثه عن طبيعة اللغة فإنه وقف على ما يمكن تحقيقه بمجرد الكلام لذا قسم الملفوظات إلى قسمين: تقريرية و إنجازية.

- **التقريرية Constative**: فهي وصف، الحوادث وحالات الأشياء نحو: الجو جميل فإذا كان الواقع كما وصف، يتضح صدق القائل أو يظهر كذبة مباشرة إن كان الجو غير ذلك، لكن كثيرا ما يتلفظ بهذه الجملة و لا يمكن تحديد صدق أو كذب هذا القول أننا أحيانا عندما نحس أن الجو جميل فإن غيرنا يبدو له غير جميل و العكس صحيح و في حقيقة الأمر ما الجو الجميل؟

<sup>1</sup> - آيت علي أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ص ص 59-62.

يستعمل هذا القول ليس حتماً للوصف أو التقرير إنما فقط تمهيداً لبداية حوار بين أفراد غير متعارفين من قبل.

- أما الملفوظات الإنجازية **Elancées performatives** : فهي التي لا تحتمل المنتدى أو الكذب بل تنجز الأشياء من خلالها كالوعد و الأمر و الوعيد، من هنا يتبين الفرق بين الملفوظات التقريرية و الإنجازية فإذا كانت الأولى تخضع فيه اللغة للواقع بحيث تحاول أن نمثله، فإن الثانية، الواقع هو الذي يخضع للغة التي تحاول أن تغيره.

فقولنا مثلاً: أمرك بإغلاق الباب يفترض حديث بين اثنين والباب مفتوح فيحاول أن يغير الملفوظ هذا المفترض بإغلاق الباب<sup>1</sup>.

### ب-السياق عند فان دايك « van dijk »

أما "فان دايك" « van dijk » فإنه يحدد النص الأدبي بناء على عدة تصورات أهمها أن الأدب مجموعة من الممارسات النصية، وأن النص الأدبي يجب أن يعدّ في آن واحد نتاجاً لعملية الإنتاج وأساساً لأفعال وعمليات التلقي وأن الاستعمال داخل نظام التواصل والتفاعل، وهذه العمليات التواصلية الأدبية تقع في عدة سياقات تداولية ومعرفية وسوسيوثقافية تحدد بدورها الممارسات النصية كما تتحدد هي بواسطتها.

إنّ السياقات الأدبية تتمفصل بحسب جماعة المشاركين وأدوارهم وبحسب المقامات والمؤسسات وأحياناً بحسب مجموعة من القيم والأحكام المحددة في الإيديولوجيا الأدبية.

ويشير "فاندايك" إلى أن الأسلوب قد يكون مقصوداً أو غير مقصود، حيث يستعمل المتكلم في هذه الحالة تغيرات ذات وظيفة في سياق معين، يمكن أن يكون نفسياً بالدرجة الأولى في التعابير وعلاقة الملفوظات بينهما، كل ذلك تحكم فيه حالة المتكلم الذهنية، مواقفه وانفعالاته كما يمكن أن يكون التغيير الأسلوبي تعبيراً عن سياق اجتماعي، بدليل أن الحوار الدائر بين

<sup>1</sup> - ينظر: آيت علي أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ص 63، 64.

المتعارفين وغير المتعارفين يختلف فيه الأسلوب المستعمل ولا يكمن الاختلاف فقط على مستوى المفردات إنما أيضا على مستوى اللفظ وعلى مستوى العلاقات الترابطية و بنيه النص، كما أن بعض التغيرات في الأسلوب تلعب دورا فاعلا و يضيفي على النص بنية أخرى ومن هذه التغيرات:

- الحذف suppression
- الإضافة / التكرار adjonction / repetition
- المبادلة Permutation
- الاستبدال<sup>1</sup> substitution

مستويات السياق عند فاندايك: إن استعمال اللغة ليس هو إنجاز فعل مخصوص فقط، وإنما هو جزء كامل من التفاعل الاجتماعي لذا فهو يدرس اللغة في استعمالها بحيث أهتم بالسياق فقسمة مستويات عديدة، منها<sup>2</sup>:

### 1- السياق التداولي : le contexte Pragmatique

حسب "فاندايك" فإنه ينبغي دراسة النصوص من حيث وظائفها أيضا، ومن أجل ذلك بات من الضروري اعتماد السياق التداولي لتأويل النص كفعل كلامي أو كسلسلة من أفعال كلامية يقوم بها الشخص حين يتلفظ بجملة أو بعدة جمل في سياق ملائم لها ، و فيما تتدخل التداولية لتحديد الشروط التي ينبغي أن تتوافر في الفعل الكلامي، حتى يكون ملائم لسياق معين.

يتألف السياق التداولي من جميع العوامل النفسية والاجتماعية، كالمعرفة التي يملكها مستعملو اللغة ورغباتهم وهواياتهم ومواقفهم وعلاقتهم الاجتماعية.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - ينظر: آيت علي أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ص ص 77- 82.

<sup>2</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص ص 81- 82.

<sup>3</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص ص 82- 83.



**2- السياق الإدراكي:**

يرتكز هذا النوع من السياق أساسا على فهم النص بحيث يجب أن يستوعب مستعمل اللغة أولا الكلمات والجمل، ومن ثم متتاليات الجمل ويمكن القول أن سياق الفهم يؤول إلى تحليل المعلومة المنقولة بواسطة بنية النص السطحية وتصحيحها لتصبح معلومة مفهومية لذا تتحول الجمل إلى قضايا، ولا يمكن التوصل إلى فهم النص إلا بالاعتماد على المكتسبات المعرفية المخزونة في الذاكرة بإقامة روابط ضرورية بين جملة وأخرى وتحرير الذاكرة من جزء من مخزونها وتحديد معلومتها، وما يساعد على استيعاب النص أيضا طريقة بناء المعلومات الكبرى وتنظيمها والتي ينبغي أن تكون مختصرة، لأن القارئ لا يتذكر النص كلمة كلمة، بل ولا حتى جملة جملة، لكن قد لا ينس أهم الموضوعات، فهذه الأخيرة هي التي تثبت أكثر في الذاكرة<sup>1</sup>.

**3- السياق النفسي الاجتماعي Le contexte – PSYCHOLOGIQUE****socio**

المقصود به المفعول الذي تحدثه النصوص في مستعملي اللغة فرديا أو اجتماعيا ، ومن هنا بات الاهتمام بالعوامل الاجتماعية المساعدة لفهم النص أمرا مهما علما بأن "الوظيفة" هي التي تساعد على تكوين المعرفة وتغيير الآراء، لأنه إذا كان الإنسان لا حاجة له إلى معرفة فإنه لا ينميها ويفضل غالبا المعرفة والمواقف التي تتناسب مع ما اكتسب من قبل، كما يفضل أن تكون المعرفة والمواقف متفقة مع الآراء التفسيرية التي يكونها الفرد عن ذاته وعن علاقاته مع مجموعة معينة من الأفراد.

**4- السياق الاجتماعي Le Contexte Social**

إن الأفعال الكلامية أفعال اجتماعية تنتج في سياقات من التفاعل التواصلي ، فالنص يؤثر في المقام الاجتماعي والمقام الاجتماعي يؤثر في النص بواسطة الاستعداد الإدراكي للمستعمل،

<sup>1</sup>- ينظر: آيت علي أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ص ص 83- 85.

لأن هذا المستعمل حين يقوم بتسريع الواقع الاجتماعي إنما يمارس ضغطاً في توجيه الإنتاج النصي وفهم النص من خلال آرائه، مواقفه ورغباته ومصالحه ولتحقيق غرضه يلجأ إلى شتى الاستراتيجيات ذات الدور الدينامي في البنى البلاغية والأسلوبية.

## 5- السياق الثقافي *le contexte culturel*

يمثل النص ظاهرة ثقافية، لأنه غالباً ما يمكن أن يفهم الآخر من النصوص البيئية الاجتماعية للجماعات الثقافية، ونستنتج منها ومن الحوارات المستعملة في المقامات دور أعضاء المجتمع وحقوقهم وواجباتهم والعادات والأعراف السائدة بينهم، ومن أجل هذا فإن تحليل أي نص يتطلب مقاربات متنوعة كل منها تساعد من جهتها على فهم النص والقدرة على تحليله واستنتاج وظائفه وإدراك سياقاته<sup>1</sup>.

### ج- السياق عند فيرث *Firth*:

لقد تأثر فيرث بـ مالينوفسكي (Malinovsky) في تناول الاجتماعي للظاهرة اللغوية من خلال مصطلح سياق الحال الذي يعد أساس النظرية السياقية، لكن فيرث كانت له نظرة مختلفة حول السياق ولا عيب في ذلك لأن كليهما استجاب لتخصصه، ونظر إلى اللغة من جهته إلا أن فيرث الذي أخذ عن مالينوفسكي فكرة سياقاً لحال أعطاهما بعداً أعمق من "مالينوفسكي".

وقد أكد "فيرث" تأكيداً كبيراً على الوظيفة الاجتماعية للغة<sup>2</sup>، وعدّ مهمة البحث اللغوي منحصرة في تقصي معاني عناصر اللغة من كلمات وأصوات وجمل، لأن المعنى عنده هو "العلاقة بين العناصر اللغوية والسياق الاجتماعي بحيث تتحدد معاني تلك العناصر وفقاً لاستعمالها في المواقف الاجتماعية المختلفة"، ومعنى الكلمة في النظرية السياقية هو استعمالها

<sup>1</sup> - ينظر: آيت علي أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ص 86-89.

<sup>2</sup> - ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 68.

في اللغة أو الطريقة التي تستعمل بها أو الدور الذي تؤديه، ولهذا يصرح فيرث بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة<sup>1</sup>. ومن خلال هذا يتضح أن السياق عند فيرث يشكله الحال والموقف التي يسميها الظروف الاجتماعية مراعيًا في ذلك اللغة المستعملة المناسبة لتلك الظروف.

### د-السياق عند جون لاينز (John Laines):

يرى "جون لاينز" أن تفسير الوحدات الكلامية يجب أن ينطلق من نظريات العلوم الاجتماعية ونتائجها بصورة عامة إلى جانب علم النفس والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع<sup>2</sup>، لأن السياق يلعب دورا رئيسيا في تفسير الوحدات الكلامية على مستويات مختلفة ومتعددة ويحدد حسب "جون لاينز" معنى الوحدة الكلامية على مستويات ثلاثة متميزة في تحليل النص.

- أية جملة تم نطقها.

- أية قضية تم التعبير عنها.

- تدعيم قوة لا كلامية للقضية.<sup>3</sup>

يقوم السياق في كل هذه الحالات الثلاث بتحديد ما يقل حسب المعاني المتعددة للفعل "يقول" لكن معنى الوحدة الكلامية يتضمن أيضا الغرض ، لذلك قسم جون لاينز الوحدة الكلامية إلى قسمين:

- الناحية الكلامية.

- الناحية لا كلامية<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 68، 69. ردة الله الطليحي، دلالة السياق، ص 158.

<sup>2</sup> - جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، تر: مجلس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987 ، ص242.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 222.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 222.

ومن خلال هذا يتضح من هذا التقسيم أن جون لاينز قسم الوحدات المشكلة للكلام إلى وحدات كلامية المتمثلة في الكلمات والجمل المشكلة للسياق اللغوي ، والوحدات اللاكلامية المتمثلة في الظروف الاجتماعية و الأحوال والمواقف المشكلة للسياق الذي ينتجه المتكلم وفقها وهو السياق الغير اللغوي.

### هـ-أنواع السياق:

للسياق أدوار كثيرة في بناء الخطاب أو النص كذلك في معرفة وتحديد معاني الكلمات و دلالات الجمل ضمن النصوص ، والسياق أنواع وقد ذكر K.AMMER أربع أنواع منها:

**1- السياق اللغوي:** هو الاعتماد على الوحدات الدلالية وتجاورها في تركيب ما، بحيث لا يحدد منها وحدة دلالية معينة ما لم يتم النظر إلى صاحبها في التركيب، لأن الكلمات حين تدخل في تركيب ما تشكل نسيجاً لغوياً يعتمد كل جزء فيه على الآخر<sup>1</sup>.

**2- السياق العاطفي:** يحدد درجة القوة والضعف من الانفعال مما يقتضي تأكيداً أو مبالغة أو اعتدالاً فكلمة كره غير كلمة البغض، بالرغم من اشتراكهما في أصل المعنى<sup>2</sup>.

**3- سياق الموقف:** يسمونه أيضاً سياق الحال ويعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة يدخل فيه كل ما له علاقة بالكلمات من ظروف اجتماعية ونفسية وثقافية للمخاطبين<sup>3</sup>.

**4- السياق الثقافي:** وهو سياق يقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة، فاستعمال كلمة "عقيلته" تدل على طبقة اجتماعية عالية، لأن العامة

<sup>1</sup> - أحمد عمر مختار، علم الدلالة، ص ص 69، 70 .

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص70.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص71.

تستعمل كلمة زوجته وإذا أخذنا كلمة "جذر" فعند المزارع معنى، وعند اللغوي معنى آخر وفي الرياضيات قضية أخرى<sup>1</sup>.

يتضح من خلال هذا أن السياق ينقسم من حيث تشكيله وتكوينه إلى قسمين هما: السياق اللغوي الذي يتمثل في الخطاب أو النص. والسياق الغير لغوي المتمثل الظروف والمواقف والأحوال والمناسبات والأسباب التي تدخل في تشكيل السياق اللغوي.

### ثالثاً: السياق عند العرب المحدثين:

يعد السياق في الدراسات اللسانية العربية الحديثة وريث الفكر اللغوي الغربي، من خلال التأثير الذي أصاب اللغويين العرب، فكان للسياق حظه من هذا المد اللغوي الغربي، ونجد الكثير من اللغويين العرب واكبوا هذه النهضة اللسانية وحذو حذوهم باعتبار السياق مصطلح يدرس النص يشقيه المقالي و المقامي أو الموقف.

وقد أشار حسان تمام إلى السياق من خلال تركيز الدراسات اللغوية العربية على المعنى المستوحى من "فيرث" فقسّم المعنى قسمين.

أ- المعنى المقالي: يقوم على شبكة من العلاقات السياقية التي تتمثل في مجموعة من القرائن اللفظية والمعنوية التي تقترن بالسياق وما أطلق عليه المبنى واستوحاها حسان تمام كلها من القواعد النحوية وسمّاها القرائن المعنوية وهي على خمسة أنواع:

- 1- قرينة الإسناد ← علاقة المبتدأ بالخبر، الفعل والفاعل
- 2- قرينة التخصيص ← التعدية في المفعول معه
- 3- قرينة المخالفة ← المنصوبات وتغير المعنى بتغييرها إلى المرفوعات
- 4- قرينة النسبة ← معاني حروف الجر التي بها تنتسب معاني الأفعال إلى الأسماء
- 5- قرينة التبعية ← مثل الصفة، التوكيد، البدل والعطف<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص71.

<sup>2</sup> - ينظر: عبد النعيم خليل، السياق بين القدامى والمحدثين، ص 317 .

ب- القرائن اللفظية: هي العلامة الإعرابية، الرتبة، مبنى الصيغة المطابقة، الربط، التضام، الأداة والنغمة.

كما تحدث حسان تمام في هذا الصدد عن الظواهر السياقية المختلفة في اللغة العربية منها ما يتعلق بالأصوات فيورد أمثلة عدة حول النظام الصوتي للغة العربية، فيرى مثلاً "أن الدال مجهورة وأن التاء مهموسة ويصدر النظام على إطار هذه القاعدة وإطلاقها ، ولكن الكلام هو التطبيق العملي لنظام اللغة قد يشتمل على دال ساكنة متبوعة ببناء متحركة، وهنا نجد أن تجاور الحرفين على هذا النحو يتسبب في صعوبة عضوية أي يصعب التلفظ بهما بوضوح، وبالتالي يتحتم الانحراف عن النظام ويتسبب في اللبس إذا أصر أحد على النطق بهما ، وأمام هذه المشكلة يتدخل السياق ويحلها بالإدغام فتبدو لنا الدال والتاء في النطق كالتاء المشددة : قعدت = قعت في مستوى النطق<sup>1</sup>.

ويضيف قائلاً بأن هذه الظواهر السياقية ليست ناجمة عن ثقل العملية العضوية لأننا لو طبقنا النظام اللغوي بحذافيره ما شعرنا بذلك الثقل في النطق، ونقصد بهذا الكلام عملياً أنه لو عزف المتكلم عن الوقف بالسكون وشكل الحرف الأخير بما منحه له النظام لما كان هناك أي نوع من الثقل من الناحية العضوية، وما يؤكد قولنا هذا هو عزوف الشعراء الوقف بالسكون في قوافيهم لاعتبارات ذوقية في صياغة السياق العربي وبعبارة أوضح، إن ما يتحكم في الظواهر السياقية إنما هو كراهية التقاء صوتين أو مبنين يتنافى التقاؤهما مع أمن اللبس أو مع الذوق الصياغي للفصحى لأن اتجاه الذوق العربي متجسد في عدة ظواهر سياقية ككراهية توالي الأضداد، كراهية توالي الأمثال، من هنا نستنتج أن اللغة العربية ترضى بالتقاء المتخالفين وتستحسنه كثيراً بينما التنافر يتنافى والذوق العربي، أما التماثل فإنه يؤدي إلى اللبس لذلك يختار الشعراء من الكلمات ما تباعدت مخارجها لأن الفصاحة تقتضي ذلك، يقول السيوطي في المزهر

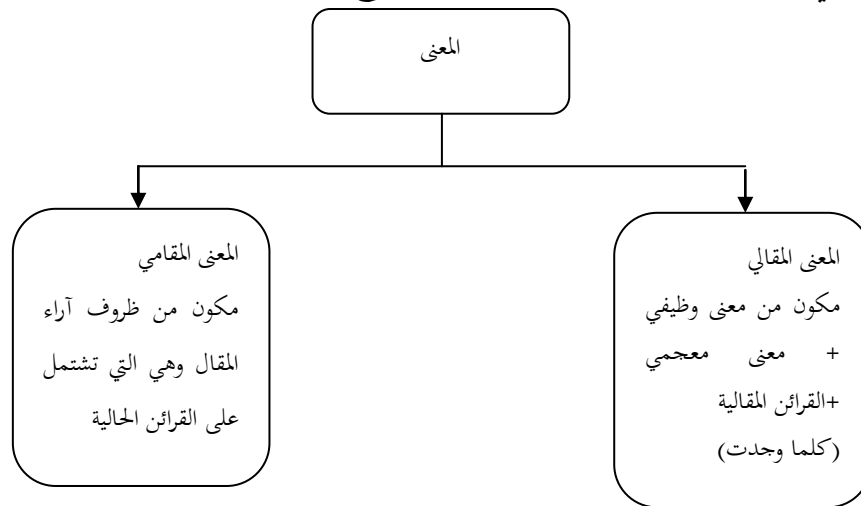
<sup>1</sup> - ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 262 .

قال ابن دريد في الجمهرة: " أعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت " <sup>1</sup>.

ويرى أيضا أن رتب الفصاحة متفاوتة ، فإن الكلمة تخف وتثقل بحسب الانتقال من حرف إلى حرف لا يلائمه قريبا أو بعدا " فإذا تباعدت مخارج الحروف حسن تأليفها " ، أما الخطيب "القزويني" فيعرفها " إنها الخلوص من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوي " <sup>2</sup>.

ثم تحدث حسان تمام عن مختلف الظواهر السياقية كالتأليف، الوقف، المناسبة، الإعلال والإبدال والتواصل، والإدغام، التخلص، الحذف، الإسكان، الكمية، الإشباع والإضافة، النبر والتنغيم لكن ما يهمننا أكثر في هذا البحث هو النبر والتنغيم لما لهما من علاقة وطيدة بالسياق إنهما يلعبان دورا رئيسيا في التمييز بين معنى ومعنى آخر فكيف يرى حسان تمام النبر باختصار؟

من المعلوم أن توضيح المعنى على المستوى الوظيفي (الصوتي، الصرفي، النحوي) وعلى مستوى المعجم يمنح معنى المقال أو ما يسمى المعنى الحرفي، ولكن إذا أردنا الوصول إلى صلب المعنى وجب البحث أيضا عن كل ما يحيط بالنص من القرائن الحالية، أي تخطي المعنى المقالي إلى المعنى المقامي وهما متكاملان ، وهذا الشكل يوضح ما ذهب إليه "حسن تمام" <sup>3</sup>.



<sup>1</sup> - ينظر: تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 267.

<sup>2</sup> - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة ، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2007، ص 10.

<sup>3</sup> - حسان تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 339.

كما تحدث محمود السعران في كتابه (علم اللغة) عن مدرسة فيرث التي تنظر إلى المعنى على أنه صورة مركبة من مجموعة الوظائف اللغوية الصوتية، وال fonولوجية والمرفولوجية، والنحوية والمعجمية، إضافة إلى السياق الاجتماعي للحدث اللغوي.

ويرى أنه للوصول إلى المعنى ينبغي تحليل النص اللغوي على المستويات اللغوية المختلفة، تبيان سياق الحال (المجريات) شخصية المتكلم، شخصية السامع، وجميع الظروف المحيطة بالكلام، ثم تبيان نوع الوظيفة الكلامية: التمني، الإغراء، وفي الأخير يذكر الأثر الذي يتركه الكلام<sup>1</sup>.

وتحدث "كمال محمد بشر" عن المقام أو مجريات الحال، حيث يرى أن المقام ليس مجرد مكان يلقي فيه الكلام وإنما هو إطار اجتماعي ذو عناصر متكاملة كالمتكلم والسامعين، وعلاقاتهم بعضهم ببعض وكل ما يفيد فيهم الكلام والوقوف على خواصه والكلام نفسه ليس هذا فحسب بل كل ما يحيط بالحدث اللغوي يعد عنصراً من المسرح اللغوي.

و لا يتم الولوج إلى المعنى إلا عبر هذا الإطار العام بما فيه شخوص وديكور وعدد وآلات وحركات الشخوص، وسلوكياتهم وحركات الجسم وإشاراته وإيماءته....، وقناعة منه بجدوى هذه النظرية يدعو إلى تطبيقها بكل عناصرها في جميع مستويات الدرس اللغوي حتى على اللغة المكتوبة بالرغم مما يمكن أن يواجهه الباحث اللغوي من صعوبات كفقدان المصريح اللغوي وعنصر النطق<sup>2</sup>.

يرى مصطفى ناصف أن النص عبارة عن مفاهيم عامة للكلمات التي يستعملها الكاتب « لكن في النص الأدبي ترتبط الأفكار ارتباطاً وثيقاً باللغة ففي القراءة الأولى للنص نفهم من العبارات المعنى الذي يؤديه إلينا ارتباطنا السابق بالكلمات، لكننا إذا أخذنا ذلك في هذا

<sup>1</sup> - ينظر: عبد النعيم خليل، السياق بين القدماء والمحدثين، ص 323.

<sup>2</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 327.



الارتباط السابق بدأنا نلمس معنى آخر نراه وثيق الارتباط ببناء النص، لذلك يكون النص إلى حد ما هو الذي هدانا إلى طريق معناه<sup>1</sup> من خلال هذا يعتبر مصطفى ناصف الكلمات هي الأساس في التعبير عن أفكار من خلال سياق معين.

ويقول « الكلمات لا تعدو أن تكون رموزاً لأشياء كلية هامة وحينئذ ينبغي لنا أن نبحث عن الإطار أولاً ثم نبحث عن الكلمات ثانياً »<sup>2</sup>، فالسياق عند القدامى لا يخرج عن معنى العبارة أو عدة عبارات وانتهى إلى أن السياق قد يعطي المدلولات التي لا يمكن أن تعزى بشكل مباشر بسيط إلى وحدة معينة أو وحدات مضمونة بطريقة آلية<sup>3</sup>، يتضح من خلال هذا فإن مصطفى ناصف متأثر بالثقافة النقدية التراثية التي تنظر للنصوص بنظر عامة وسطحية.

يكفي هؤلاء فخراً أنهم استقرأوا مجموعة من القواعد اللغوية لا سيما الدلالية منها فأسسوا منها تطبيقياً واضحاً، فبات لازماً على الراغبين في تطوير البحث اللغوي أن يعتمدوا على أعمال هؤلاء للانطلاق نحو أفق أوسع وأرحب في الدرس اللغوي العربي، لكن ركزنا في بحثنا هذا على هؤلاء الأوائل الذين فتحوا الطريق للنظرية السياقية لولوج العالم العربي في العصر الحديث، فإن ثمة لغويين آخرين بعد "حسان تمام" آثروا أن يحملوا على عاتقهم هذه النظرية رغبة في توضيح بعض عناصره أو لعلمهم يأتون بجديد كان لوقت مضى مجهولاً، لكن حصروا بحثهم في مصطلح المقام أو سياق الحال في أبسط صوره، وقليل منهم من تناول السياق اللغوي، اللهم إلا ما قام به حلمي خليل في كتابه (العربية وعلم اللغة البنيوي)<sup>4</sup>، حيث يرى أن "فيرث" يقسم السياق قسمين: السياق اللغوي وسياق الحال وهذا ما ذكره أسلافه قبله.

<sup>1</sup> - ينظر: مصطفى ناصف، نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص 160.

<sup>2</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 161.

<sup>3</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص ص 161-162.

<sup>4</sup> - ينظر: عبد النعيم خليل، السياق في القدماء والمحدثين، ص 332.

أما أحمد مختار عمر<sup>1</sup> فخصص في كتابه (علم الدلالة) قسما خاصا بنظرية السياق وعرض فيه تعريفات مختلفة لبعض العناصر السياقية، وذكر بإيجاز أنواع السياق بحيث عد أربعة أنواع وهي: "السياق اللغوي، السياق العاطفي، سياق الحال والسياق الثقافي، كما مثل للسياق اللغوي بطريقة واضحة ودقيقة فبين بذلك الدور الفعال الذي يقوم به السياق في الكلام"<sup>1</sup>.

### - أنواع السياق:

السياق عند علماء الدلالة أربعة أنواع: "السياق اللغوي، والعاطفي، والثقافي، والسياق غير اللغوي، ويرتكز معظم الدارسين على نوعين أساسيين للسياق هما: السياق اللغوي والسياق غير اللغوي"<sup>2</sup>.

1- السياق اللغوي: وهو "سياق داخلي، أو لنقل (مقالي)، وهو سياق لغوي صرف يتأسس على وفق طبيعة التركيب، أو التشكيل، أو المكون النحوي الذي ترد فيه المفردات حيث يعلق بعضها ببعض على وفق الأنظمة، والقواعد، والضوابط المعتمدة في لغة ما"<sup>3</sup>.

"إذ يعتمد هذا السياق على عناصر لغوية في النص منها ذكر جملة سابقة، أو لاحقة، أو عنصر في جملة سابقة، أو لاحقة، أو حتى في الجملة نفسها"<sup>4</sup>، فالسياق اللغوي كما يعرفه (ردة الله الطلحي): "هو ما يسبق أو يلحق الكلام موضع النظر أو التحليل"<sup>5</sup>.

ويطلق الباحثون على هذا النوع من السياق عدة مصطلحات منها:

<sup>1</sup> - ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص ص 69، 70 .

<sup>2</sup> - ينظر: عواطف كنوش المصطفى، الدلالة السياقية عند اللغويين دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع ، لندن، ط 2007، 1، ص 52.

<sup>3</sup> - ينظر: هادي نمر ، علم الدلالة التطبيقي، ص 293. وينظر: عواطف كنوش المصطفى، الدلالة السياقية عند اللغويين، ص 53.

<sup>4</sup> - ينظر: محمد عبد اللطيف حماسة، النحو والدلالة، ص 116.

<sup>5</sup> - ينظر: ردة الله الطلحي ، دلالة السياق ، ص 51.

- السياق اللفظي: وذلك لأنه يشمل "النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم"<sup>1</sup>، أو "لأنه يشمل ما يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح المعنى"<sup>2</sup>.

- السياق المقالي: وذلك لأنه يستفيد من عناصر مقالية داخل النص<sup>3</sup>.

- السياق الداخلي للغة: وذلك لأنه "يتطلب وجوب النظر إلى الكلام اللغوي وتحليله على المستويات اللغوية المختلفة الصوتية (الفونولوجية)، والصرفية (المورفولوجية)، والنحوية التركيبية، والمعجمية الدلالية"<sup>4</sup>؛ ومن خلال هذا فالسياق اللغوي قسم إلى أربعة أقسام هي :

1- السياق الصوتي.

2- السياق الصرفي .

3- السياق النحوي .

4- السياق المعجمي.

أ- السياق الصوتي: "فهو الذي يوصل إلى المعنى الحاصل من الصوت في السياق المنطوق، أو المكتوبة، فالصوت وظيفة مهمة في المنطوق، إذ يميز المنطوق عما يشابهه بما به من أصوات، فقد يكون معنى المنطوق متوقفاً على صوت واحد من أصواته كالفرق بين: نال، ومال"<sup>5</sup>، "فالصوت في سياقه هو محور الدراسة والاهتمام، فالنون مثلاً صوت أساسي في العربية، ولكنه

<sup>1</sup>- ينظر: عواطف كنوش المصطفى، الدلالة السياقية عند اللغويين، ص 53.

<sup>2</sup>- ينظر: محمد أحمد أبو الفرج، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، 1966، ص 116.

<sup>3</sup>- ينظر: عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الكتب، 1991، ص 30.

<sup>4</sup>- ينظر: عواطف كنوش المصطفى، الدلالة السياقية عند اللغويين، ص 53.

<sup>5</sup>- ينظر: المصدر نفسه، ص 54.

يتنوع بحسب سياقها الذي ترد فيه فالنون في كلمة (نهر) من الناحية الصوتية، أي من حيث تكوينها تختلف عن النون في (منك، وعنك)<sup>1</sup>.

**ب- السياق الصرفي:** فالمقصود به السياق الذي يهتم بدراسة المفردات لا بوصفها صيغا وألفاظا فقط، وإنما بحسب ما فيها من خواص تفيد في خدمة الجملة أو العبارة<sup>2</sup>، "إذ يعمل السياق الصرفي على تحديد المعنى المراد من الصيغة المزيدة، أو الوحدات الصرفية التي تلحق بالصيغ المجردة مثل الهمزة في صيغة (أفعل)<sup>3</sup>"، فالسياق الصرفي لا يختص بدراسة الصيغ أو العلاقات منفردة بل بحسب كونها لاصقة في الكلمات، فعندئذ يؤدي سياقها إلى دلالة معينة قد تختلف عن دلالتها الأصلية<sup>4</sup>.

**ج- السياق النحوي:** "هو الذي يدرس البنية النحوية التي ترد فيها الكلمة بوصفها وحدة نحوية<sup>5</sup>، وتعود أهمية السياق النحوي إلى أن دلالة السياق تجعل الجملة ذات الهيئة التركيبية الواحدة الواحدة بمفرداتها نفسها إذا قيلت بنصبها في مواضع مختلفة تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه مهما كانت بساطة هذه الجملة وسداحتها"<sup>6</sup>، "وفي هذا دلالة على أن للسياق دورا بارزا في التنوع النوع الذي يحصل في الجمل نفسها، إذ إن التغيير في البنية النحوية وعلاقات الكلمات، ووظائفه، ومواقعها، وترتيبها من شأنه أن يبدل في المعنى"<sup>7</sup>، " فالسياق النحوي يحدد العنصر الدلالي في الجملة أو النص بالمعنى الأساسي"<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: محمود السمران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربي، للطباعة والنشر، ص 194.

<sup>2</sup> - ينظر: عواطف كنوش المصطفى، الدلالة السياقية عند اللغويين، ص 58.

<sup>3</sup> - ينظر: عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث ويعلم اللغة الحديث، ص 174.

<sup>4</sup> - ينظر: عواطف كنوش المصطفى، الدلالة السياقية عند اللغويين، ص 59.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص 60.

<sup>6</sup> - ينظر: محمد عبد اللطيف حماس، النحو والدلالة، ص 113.

<sup>7</sup> - ينظر: عودة خليل أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، مكتبة المنار، الأردن، ط 1، 1985، ص 75.

<sup>8</sup> - ينظر: عواطف كنوش المصطفى، الدلالة السياقية عند اللغويين، ص 61.

**د-السياق المعجمي:** ونعني به "تلك العلاقات البنيوية الأفقية التي تقوم في العبارة بين المفردات بوصف هذه الأخيرة وحدات معجمية دلالية لا بوصفها وحدات نحوية أو أقساما كلامية عامة"<sup>1</sup>، وترى عواطف كنوش أن تسمية هذا السياق بالدلالي أفضل من المعجمي؛ لأنه يختص بالبحث عن التراكيب أكثر من المفردات<sup>2</sup>.

**2- السياق غير اللغوي:** "وهو المستفاد من العناصر غير اللغوية التي تصاحب النص"<sup>3</sup>، وهو يعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة، فتتغير دلالتها تبعا لتغيير الموقف أو المقام<sup>4</sup>، ويطلق الدارسون على هذا السياق عدة مصطلحات منها:

**أ-سياق الموقف:** ونقصد به توالي الأحداث التي هي عناصر الموقف الذي جرى فيه الكلام<sup>5</sup>.  
الكلام<sup>5</sup>.

**ب- سياق المقام:** لأنه يضم "المتكلم، والسامع، أو السامعين، والظروف والعلاقات الاجتماعية، والأحداث الواردة في الماضي والحاضر ثم التراث والفولكلور، والعادات والتقاليد والمعتقدات والخزعبلات<sup>6</sup>، وهذا يعني كل ما يتعلق بالعوامل المؤثرة في إنتاج النص.

**ج- السياق العاطفي:** هو الذي "يحد درجة القوة والضعف في الانفعال"<sup>7</sup>، إذ يحدد هذا السياق السياق طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية والعاطفية<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: عودة خليل أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي والقرآن الكريم، ص 76، وينظر: عواطف كنوش المصطفى، الدلالة السياقية عند اللغويين، ص 68.

<sup>2</sup> - ينظر: عواطف كنوش المصطفى، الدلالة السياقية عند اللغويين، ص 68.

<sup>3</sup> - ينظر: عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص 30.

<sup>4</sup> - ينظر: عبد الجليل منقور، علم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 90.

<sup>5</sup> - ينظر: تمام حسان، اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 2007، ص 237.

<sup>6</sup> - ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 352.

<sup>7</sup> - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص ص 70-71.

<sup>8</sup> - ينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط 3، 2008، ص 357.

د- السياق الثقافي: هو السياق الذي يحدد المحيط الثقافي والاجتماعي الذي يمكن أن تستعمل فيه الكلمة<sup>1</sup>.

ه- السياق في القرآن الكريم: يعد السياق في القرآن من أهم القرائن الدلالية في فهم النص القرآني، يقول الشيخ محمد رضا: "والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه، وينظر فيه ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة معنى الآية ... ، وأن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سبق له من القول، واتفاقه مع جملة المعنى، وائتلاف مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته"<sup>2</sup>.

والسياق بمختلف عناصره من أحوال ومواقف ومناسبات وأسباب، جاء لتحديد مفهوم ومعنى السور والآيات في القرآن الكريم.

ويشمل السياق في القرآن الكريم كل ماله علاقة بتفسير وفهم القرآن الكريم من القرآن الكريم والسنة النبوية، أقوال الصحابة، وأقوال العرب، وهل العلم من المفسرين ، والأصوليين والفقهاء، ويتكون السياق القرآني من أربعة أقسام وهي:

1- سياق القرآن: يشمل هذا السياق القرآن كله.

2- سياق السورة: يبحث عن الغرض الرئيس الذي تدور عليه السورة.

3- سياق النص أو المقطع: "هو المقطع المتحد في الغرض، ويتبين هذا كثيرا في سياق القصص، فيكون الترجيح أحيانا بناء على سياق النص.

<sup>1</sup> - ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص71.

<sup>2</sup> - ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1 ص22.

4- سياق الآية: يختص هذا السياق بمعرفة الغرض من الآية ، وإن كان هناك خلاف في معنى الآية فالفاصل هو السياق لمعرفة المعنى، فوجود لفظ مشترك في الآية لا يتضح معناه إلا بمعرفة سياق الآية<sup>1</sup>.

وتعتبر هذه أهم أنواع السياق في القرآن الكريم التي عاجلها من تلك الظروف المواقف والمناسبات وأسباب النزول التي جاءت بها.

ومن خلال هذا يتضح أن للسياق دور البارز في توضيح والإبانة عن معاني الكلمات والنصوص التي من خلالها تتضح دلالة ومراد المتكلم وتفهم ، والسياق يحتاجه كل دارس ليفهم مقصود المتكلم كما يحتاجه في إيصال ما يريد تبليغه للمستمع أو المتلقي، لأن من وطائف السياق ترتيب الكلام وتنظيمه عند إنتاجه، أو تحليله وتفكيكه عند ما نريد فهمه واستنباطه، وهذا أثره في الحاليين عندما نبحث عن المراد.

#### رابعاً: دلالة السياق عند ابن القيم

وفيما يأتي التعريف بشخصه بإيجاز: مولده ونشأته وأعماله الخالدة.

#### 1- ترجمة الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى-:

أ-اسمه ولقبه:

هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله شمس الدين بن قيم الجوزية -رحمه الله-.

<sup>1</sup> - ينظر: تهاني بنت سالم بن أحمد باحويرث، أثر السياق في توجيه المتشابه اللفظي في القصص القرآني (رسالة ماجستير) إشراف: عبد العزيز عزت، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، 2008 ، ص 78.

ب-سبب التسمية:

أطلق على الشيخ محمد بن أبي بكر بن أيوب "ابن القيم" وعرف بذلك واشتهر به وكذلك بـ "ابن قيم الجوزية"، وذلك أن أباه كان قيما على الجوزية ومدبرا لشؤونها، والجوزية هي مدرسة بناها محي الدين بن حافظ بسوق القمح بدمشق، وكان والد ابن القيم قيما عليها فأطلق عليه لذلك ابن قيم الجوزية - أي بن ناظر المدرسة ومديرها-.

وفيما بعد أصبح ابن القيم إماما بالمدرسة الجوزية وقد صارت مدرسة الجوزية فيما بعد محكمة ثم أغلقت فترة ثم أفتتحت مدرسة للأطفال، وقد احترقت في الثورة السورية.

ملحوظة هامة: ومما تجدر الإشارة إليه أن كثيرا من الناس يظنون أن "ابن قيم الجوزية" هو "ابن الجوزي" والبعض الآخر لا يفرق بينهما، لكن الحقيقة أن "ابن الجوزي" -رحمه الله- سبق "ابن قيم الجوزية" بحوالي مائتي عام، وكان عالما فقيها ثبنا، واسمه "عبد الرحمن أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي" المتوفي ببغداد عام 597هـ، وله مؤلفات عظيمة

ج-مولده:

تحكي لنا مصادر التاريخ أن الإمام "ابن القيم" -رحمه الله- ولد في صفر سنة 691هـ الموافق لـ 1292م.<sup>1</sup>

د-مشايخه:

له عدد كبير من المشايخ جمعهم معالي الشيخ بكر أبو زيد. وفقه الله لكل خير و بر. وذكر منهم خمسة وعشرين ونذكر بعضهم:

<sup>1</sup> - شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، ج1، تحقيق: أحمد بن شعبان بن أحمد، مكتبة الصفا، ط1، 2005، ص9.



1. قيم الجوزية : والده . رحمه الله . .
2. شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله . .
3. ابن عبدالدائم : أحمد بن عبدالدائم بن نعمة المقدسي . رحمه الله . .
4. أحمد بن عبدالرحمن بن عبدالمنعم بن نعمة النابلسي . رحمه الله . .
5. ابن الشيرازي : ذكر في مشيخة ابن القيم ولم يذكر نسبه فاختلف فيه .
6. الجد الحرائي : إسماعيل مجد الدين بن محمد الفراء شيخ الحنابلة . رحمه الله .
7. ابن مكتوم : إسماعيل الملقب بصدر الدين والمكنى بأبي الفداء بن يوسف بن مكتوم القيسي . رحمه الله . .
8. الكحال : أيوب زين الدين بن نعمة النابلسي الكحال . رحمه الله . .
9. الإمام الحافظ الذهبي . رحمه الله . .
10. الحاكم : سليمان تقي الدين أبو الفضل بن حمزة بن أحمد بن قدامة المقدسي مسند الشام وكبير قضاتها . رحمه الله . .
11. شرف الدين ابن تيمية : عبدالله أبو محمد بن عبدالحليم بن تيمية النميري أخو شيخ الإسلام . رحمهما الله . .
12. بنت الجوهر : فاطمة أم محمد بنت الشيخ إبراهيم بن محمود بن جوهر البطائحي البعلي ، المسندة المحدثه . رحمهما الله . <sup>1</sup>

<sup>1</sup> - ينظر: محمد مسلم الغنيمي ، حياة ابن قيم الجوزية ، المكتب الإسلامي ، ط 2 ، 1981 ، ص 102 ، 103 .

هـ- طلابه:

وتلاميذه كثر ذكر منهم الشيخ بكر إحدى عشر ونذكر بعضهم :

1. البرهان بن قيم الجوزية : ابنه برهان الدين إبراهيم . رحمهما الله . .
  2. الإمام الحافظ ابن كثير . رحمه الله . .
  3. الإمام ابن رجب . رحمه الله . .
  4. السبكي : علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي . رحمه الله . .
  5. الإمام الحافظ الذهبي . رحمه الله . .
  6. الحافظ ابن عبد الهادي : محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي . رحمه الله . .
  7. الفيروزآبادي : محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزآبادي صاحب القاموس رحمه الله .<sup>1</sup>
- و- مؤلفاته . رحمه الله . ونذكر منها :

بلغ بها معالي الشيخ بكر أبو زيد 98 مؤلفا ومنها :

1. الصواعق المرسلّة .
2. زاد المعاد .
3. مفتاح دار السعادة .
4. مدارج السالكين
5. الكافية الشافية في النحو

<sup>1</sup> - ينظر: محمد مسلم الغنيمي ، حياة ابن قيم الجوزية ، المكتب الإسلامي ، ط 2 ، 1981 ، ص 103 ، 105 .

6. الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية

7. الكلم الطيب والعمل الصالح

8. الكلام على مسألة السماع

9. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى

10. المنار المنيف في الصحيح والضعيف

11. معالم الموقعين عن رب العالمين

12. الفروسية

13. طريق المهجرتين وباب السعادتين

14. الطرق الحكيمة

.....<sup>1</sup> إلخ

ي-وفاته:

توفي . رحمه الله . في ليلة الخميس في الثالث والعشرين من شهر رجب سنة إحدى وخمسين  
وسبعمائة 751/7/13 هـ وقت أذان العشاء وبه كمل من العمر ستون سنة .

- التعريف بالكتاب:

هذا الكتاب القيم العظيم (بدائع الفوائد) الذي يزيد على ألف صفحة ذكر ابن القيم أنه  
ألفه وكتب غالبه من حفظه حال بعده عن مكتبته فقد كانت هذه الفوائد عبارة عن سوانح تُخطر  
له فيقيدها مخافة ألا تعود.

<sup>1</sup> - ينظر: محمد مسلم الغنيمي ، حياة ابن قيم الجوزية ، المكتب الإسلامي ، ط 2 ، 1981 ، ص 111 ، 117 .

ويقع كتاب (بدائع الفوائد) في أربعة أجزاء في مجلدين، وهو عبارة عن كتاب موسوعي جمع فيه ابن القيم علوما عديدة، فكان أشبه بكتب المعارف العامة من غيرت رتيب منهجي معين فيه، وقد حوى على دقائق اللغة، نحوها وصرفها، والبلاغة و أصول والفقه، والتفسير، وعلم الكلام ولطائف الأخبار ودقائقها والحكم والمواعظ وفتاوى في أحكام الشريعة وغير ذلك.

**-منهجه في الكتاب:** إن الدارس لكتابات ابن القيم يلاحظ أن اتخذ طريق مختلف في البحث يخالف ما درج عليه الفقهاء قبله فهم يعرضون المسألة ثم يؤيدونها بالدليل، أما هو فقد اتخذ النصوص أساس لبحثه ثم يأخذ في الاستنباط منها. فكان في طريقة بحثه يعرض الأدلة على ما يراه ثم يعرض أدلة مخالفين ويفندها، كان هذا منهجه في البحث.

## 2-دلالة السياق عند ابن القيم:

### أولاً: الدلالة عند ابن القيم:

لقد كانت الدراسات الدلالية من أول فروع علم اللغة التي عرفها العرب عندما جاءهم القرآن يتحداهم في بيانه وإعجازه حاملا بين طياته ثورة دينية واجتماعية، جاء يتحداهم في أعز ما يملكون وهي اللغة، فقامت الدراسات حول هذا الكتاب المعجز تبحث في دلالات ألفاظه فتنوعت وتعددت، وكان منها البحث في غريب ألفاظه. و يعد ابن القيم أحد الدارسين للدلالة فيعرفها بقوله هي: الدلالة هي التوصل إلى الشيء بإبائته وكشفه، ومنه الدال هو ما يدل على العبد من أفعاله وكان عبد الله بن مسعود يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم في هديه وسمته، فالهدي الطريقة التي عليها العبد من أخلاقه وأعماله، و الدل على ما يدل من ظاهره على باطنه، والسمت هيأته ووقاره ورزاقته<sup>1</sup>. يتضح من هذا التعريف أن الدالة عند ابن القيم هي الكشف والإيضاح عن الشيء.

<sup>1</sup> - ابن القيم ، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ج1 ، تح محمد حامد الفقي، ط2 ، دار المعارف ، بيروت، لبنان 1975، ص 115.

ويضيف عن الدالة قوله: والدلالة يراد بها أمران: أحدها: فعل الدال، وهو دلالته بلفظه، يقال له دلالة. والثاني: فهم السامع ذلك المعنى من اللفظ كما يقال حصلت له الدلالة، والأشهر أن الأول بكسر الدال، والثاني بفتحها... فالدلالة هي الفهم<sup>1</sup>. فابن القيم يوضح بهذا القول أن الدلالة تتركز على أمرين هما: المتكلم والمتلقي أو السامع من خلال كلام المتكلم، وفهم السامع لذلك الكلام وبهذا ابن القيم يربط بين الدلالة والسياق.

ومن خلال ما تقدم يتضح أن ابن القيم يحدد الدلالة في أنواع بحسب الاستعمال، فيقول ابن القيم في ذلك: "فدلالة اللفظ هي العلم بقصد المتكلم به، ويراد بالدلالة أمران: فعل الدال، وكون اللفظ بحيث يفهم المعنى. ولهذا يقال دلّه بكلامه دلالة، ودلّ الكلام على هذا دلالة، فالمتكلم دال بكلامه، وكلامه دال بنظامه"<sup>2</sup>. من خلال هذا يتضح أن ابن القيم يتحدث في هذا النص عن دلالة اللفظ، التي تعتبر أعلى دلالة من حيث القيمة ثم يليها أنواع أخرى من الدلالة ولم يكتف ابن القيم بملاحظة حال المتكلم ليعرف مراده، ولكنه نبه إلى حالة السامع كذلك عندما تكلم عن الدلالة الحقيقية والإضافية في قوله: "دلالة النصوص نوعان حقيقية وإضافية، فالحقيقية: تابعة لقصد المتكلم وإرادته، وهذه الدلالة لا تختلف، والإضافية: تابعة لفهم السامع وإدراكه وجوده فكره وقريحته وصفاء ذهنه ومعرفته بالألفاظ ومراتبها، وهذه الدلالة تختلف اختلافا متباينا بحسب تباين السامعين في ذلك"<sup>3</sup>.

أما دلالة التركيب فقد عالجها البلاغيون في صورة واضحة ودقيقة وبخاصة عبد القاهر الجرجاني في نظريته النظم التي عرضها في كتابه "دلائل الإعجاز" فقد أوضح أن دلالات الألفاظ لا تظهر إلا من خلال التركيب، وضم لفظ إلى آخر ووضع في مكانه الصحيح، يربط بين المعنى

<sup>1</sup> - ابن القيم، مختصر الصواعق المرسله، اختصره الشيخ فاضل محمد بن الموصلي، دارالكتب العلمية، بيروت لبنان، ص 271.

<sup>2</sup> - ابن القيم، الصواعق المرسله، ج 2، تح: على بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ص 743.

<sup>3</sup> - ابن القيم، إعلام الموقعين، ج 1، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط 1، مطبعة السعادر، مصر، 1955، ص 350، 351.

والتركيب في قوله: "إن النظم يكون في معاني الكلم دون ألفاظها وأن نظمها توحي معاني النحو فيها"<sup>1</sup>.

وقد التفت ابن القيم إلى دلالة التركيب فقال: "دلالة التركيب وهي ضم نص إلى نص آخر وهي غير دلالة الاقتران بل هي ألطف منها وأدق وأصح"<sup>2</sup>. ومن خلال هذا يتضح أن ابن القيم عرف دلالة التركيب وفرق بينها وبين دلالة الاقتران "التي تظهر قوتها في موطن وضعفها في موطن وتساوي الأمرين في موطن فإذا جمع المقترنين لفظ اشتركا في إطلاقه وافتراقا في تفصيله قويت الدلالة، كقوله صلى الله عليه وسلم "الفطرة خمسة"<sup>3</sup> ثم فصلها، فإذا جعلت الفطرة بمعنى السنة<sup>4</sup>. ومن خلال هذا يتضح أن هذين النوعين متعلقان بالتأليف أو السياق وتفهم معناها من خلاله.

ثم يربط ابن القيم الدلالة بالسياق بقوله: "فمن عرف مراد المتكلم بدليل من أدلة وجب اتباع مراده، والألفاظ لمتقصد لذواتها، وإنما هي أدلة يستدل بها على مراد المتكلم، فإذا ظهر مراده ووضع بأي طريق كان العمل بمقتضاه، سواء كان بإشارة أو كتابة أو بإيماء أو دلالة عقلية أو قرينة حالية أو إعادة له مطردة لا يخل بها، أو من مقتضى كماله وكمال أسمائه وصفاته، وأنه يمتنع منه إرادة ما هو معلوم الفساد وترك إرادة ما هو متيقن مصلحته، وأنه يستدل على إرادته للنظير بإرادة نظيره ومثله وشبهه، وعلى كراهة الشيء بكراهة مثله ونظيره ومثله، فيقطع العارف به وبحكمته وأوصافه على أنه يريد هذا، ويكره هذا، ويجب هذا، ويغض هذا"<sup>5</sup>. ومن خلال هذا النص يتضح أن ابن القيم قد أشار إلى العوامل المشككة للكلام وبه يعرف مراد المتكلم.

<sup>1</sup> - ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 39.

<sup>2</sup> - ابن القيم، إعلام الموقعين، ج 1، ص 362.

<sup>3</sup> - رواه مسلم، رقم الحديث 258، وأبو داود، رقم الحديث 4198.

<sup>4</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 4، ص 149.

<sup>5</sup> - ابن القيم، إعلام الموقعين، ج 1، ص 218.

ثانيا: السياق عند ابن القيم:

لقد التفت علماؤنا على أهمية السياق في تحديد الدلالة فلا تجد أصوليا ولا لغويا إلا وقد أشار إلى ذلك عند كلامه عن الدلالة، فهذا الشافعي يقول: "ومن الخطاب ما يبين سياقه معناه"<sup>1</sup>، فهذه إشارة إلى إدراكهم لأهمية السياق في تحديد المعاني، وقد أشار ابن القيم إلى السياق وأثره في تحديد الدلالة حيث يقول: "السياق يرشد إلى تبين المحمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته، فالنظر إلى قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾<sup>2</sup>، كيف تجد سياق يدل على أنه الدليل الحقيـر"<sup>3</sup>. ويضيف ابن القيم توضيحه للسياق ودوره في كشف الدلالة بقوله في نونيته :

وأصغ لفائدة جليل قدرها \*\*\* تهديك للتحقيق والعرفان  
 إن الكلام إذا أتى بسياقه \*\*\* يبدو المراد لمن له أذنان  
 أضحى كنص قاطع لا يقبل التـ \*\*\* أويل يعرف ذا أولوا الأذهان  
 فسياقة الألفاظ مثل شاهد الأحـ \*\*\* والإنهما لنا صـنونان  
 إحداهما للعين مشهودا بها \*\*\* ولكن ذاك لمسمع الإنسان  
 فإذا أتى التأويل بعد سياقه \*\*\* تبدي مراد أتى على استهجان  
 وإذا أتى الكتمان بعد شواهد الأحـ \*\*\* ووال كان كأقبح الكتمان  
 فتأمل الألفاظ وانظر ما الذي \*\*\* سيقـت له إذا كنت ذا عرفان<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - أحمد نعيم الكراعيني، علم الدلالة بين النظري والتطبيقي، بيروت، ط1، 1993م، ص37.

<sup>2</sup> - الدخان (49) .

<sup>3</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج4، ص8 .

<sup>4</sup> - ابن القيم، الكافية الشافية في انتصار الفرقة الناجية (القصيدة النونية)، ج4، ت: بكر بن عبد الله بوزيد وآخرون، ط1، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، 1328هـ، ص74 - 75.

ومن خلال هذا يتضح تأكيد ابن القيم لأهمية السياق، ودوره في فهم مراد المتكلم، ودلالة كلامه، وهذا بارز عنده من خلال ربطه السياق بالدلالة، ويؤكد هذا ابن تيمية بقوله: "فإن الدلالة في كل موضوع بحسب السياق هو ما يحف به من القرائن اللفظية والحالي"<sup>1</sup>. إذن فدلالة السياق هي المسؤولة عن تبين مراد المتكلم، وتحديد معنى كلامه. وهذا ما يوضحه الزركشي حول دلالة السياق بقوله: "دلالة السياق أنكرها بعضهم، ومن جهل شيئاً أنكره، وقال بعضهم: إنها متفق عليها في مجاري كلام الله تعالى"<sup>2</sup>.

وقد لخص التهانوي جهود علماء العربية وبين مدى اعتمادهم على السياق في تحديد الدلالة في قوله: "وبالجملة فأهل العربية يشترطون القصد في الدلالة، فما يفهم من غير قصد من المتكلم لا يكون مدلولاً للفظ عندهم، فإن الدلالة عندهم في فهم المقصود لا في فهم المعين مطلقاً"<sup>3</sup>، والقصد لا يتحقق إدراكه إلا من خلال السياق.

<sup>1</sup> - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج6، ص14.

<sup>2</sup> - الزركشي، البحر المحيط، ج6ت: عبد الستار أبوغدة، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، 1413هـ - 1992، ص52.

<sup>3</sup> - محمد بن علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص792.



## الفصل الثاني:

### دلالة السّياق الصّوتي

دلالة سياق الأصوات (الحروف الهجائية) **phoneme**:

1. الهمزة والنون في الضمير أنا

دلالة الحركات وحروف المد في السياق

حركة البنية أو الشكل

دلالة حركات الإعراب

دلالة سياق الأصوات المركبة

– الهمزة والهاء في اسم الله

– الحاء والتاء، والحاء والذال في حتى وحد:

دلالة السياق كلمة « الحب »

دلالة سياق الأصوات الفوق تركيبية

دلالة سياق التكرار الصوتي

–تكرار معنى كلمة وسواس

دلالة سياق الحروف المقطعة في بداية سور القرآن الكريم

يعدّ علم الصوت من العلوم التي تدرس الأصوات المنطوقة التي يعبر بها الناس عن أغراضهم وحاجاتهم، وهو أحد فروع علم اللغة وأساسها لأنه يهتم بالجانب النطقي فيها ويعاين صفات ومخارج الصوت اللغوي، ويحدد دلالاته وفق المخرج والصفة التي يتخذها كما يهتم بتوالي الأصوات التي تشكل الكلمة، ويحدد دلالتها وفق صفة هذه الأصوات ومخارجها وهذا ضمن سياق على مستوى الأصوات المجردة الحرف أو ما يعرف بالسياق الحرفي الذي يشكل الكلمة.

"والدلالة الصوتية تتحقق في نطاق تأليف مجموع أصوات الكلمة المفردة، وتسمى بالعناصر الصوتية الرئيسية والتي يرمز لها بالحروف الأبجدية: أ، ب، ت، .....، ويشكل منها مجموعة حروف الكلمة التي ترمز إلى معنى معجمي"<sup>1</sup>، وهذا ما يعرف بالسياق على المستوى الحرفي الذي يشكل الكلمة الدالة بنفسها على دلالة محددة ومجردة وثابتة.

كما " تتحقق الدلالة كذلك في مجموع تأليف كلمات الجملة وطريقة أدائها الصوتي ومظاهر هذا، وتسمى بالعناصر الصوتية الثانوية، وتعد هذه العناصر أكثر إسهاما في الدلالة من العناصر الصوتية التي تصاحب الكلمة المفردة"<sup>2</sup>، وهذا ما يسمى السياق الصوتي على مستوى التركيب أو النص أو الخطاب ويسمى أساسا (السياق).

وبالتالي فالسياق الصوتي الذي يحدد الدلالة ينقسم إلى سياق حرفي تتضمنه الكلمة المفردة المجردة، وهو السياق المعجمي المجرد وسياق آخر وهو سياق على مستوى الكلمة الذي تتضمنه الجملة، أو النص أو الخطاب في إطاره العام أي يتحدد دلالاته في النص أو الخطاب المراد إرساله وبثه إلى المتلقي.

<sup>1</sup> - محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، دار النشر الجامعي، القاهرة، ط 2، 2011، ص 17.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 18.

وبهذا يمكن " تمييز بين صوت وآخر ودلالته التي يدل عليها فتجد العبارة الواحدة تتغير بتغير تنعيمها بحسب الاستعمال من الجدل إلى السخرية والتهمك أو الغضب والرضا، وهذا كذلك يتسبب في تغير الكلام على المستوى النحوي والدلالي بحسب الحاجة والنعمة المستعملة من الاستفهام إلى التوكيد أو التقرير التي تحدد القصد المراد من المتكلم كالتحقير والإعراض أو الشك أو التأكيد.... الخ"<sup>1</sup>، وبهذا يكون السياق الصوتي الناتج عن التنعيم هو المتحكم في تحديد المعاني التي يريد المتكلم ويفهمها السامع.

وأما "الوقف Pause: فهو صوت إضافي أو فوق تركيب مصاحب للكلام وعنصر من العناصر المميزة للنظام الصوتي للغة، ويقوم بدون وظيفي في تحديد دلالة ما ينطق به المتكلم وعدم الالتزام به في الجملة يؤدي إلى خطأ"<sup>2</sup>، إذن فهو ناتج عن سياق الأداء للكلام فإذا تغير الصوت بضرورة تغير السياق تبعاً لذلك التغير الذي طرأ على الصوت والتغيير يشمل الحركات كما يشمل بتر أو تجزئة الكلام.

"والدور الذي تقوم به في عملية التواصل اللغوي"<sup>3</sup> من خلال تحديد العناصر المكونة للنظام اللغوي وطرق تناسقها في أشكال بعينها، كما يتناول المقاطع الصوتية والنبر والتنعيم والوقف والقوانين التي تخضع لها كل واحدة، وكذا العوامل والنتائج المترتبة عن كل منها"<sup>4</sup>.

ومن هذا فإن الدراسة الصوتية لا تخرج عن هذا الإطار الذي يحكمه السياق الذي ترد فيه الدلالة الصوتية وبالتالي " لا توجد في اللغات أصوات لغوية منعزلة إلا نوع من التجريد إلى أنها

<sup>1</sup> - صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية، ص 200 - 203.

<sup>2</sup> - ينظر: غنية تومي، السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث، مجلة أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ص5.

<sup>3</sup> - بسام بركة، علم اللغة العام أصوات اللغة العربية، مركز الإنماء القومي، لبنان، بيروت، 1988، ص 07.

<sup>4</sup> - البدرابي زهران، مقدمة في علوم اللغة، دار المعارف، القاهرة، ط 5، 1993، ص 199.

في كل لغة تكون نظاما مترابطا بمعنى أنها لا تستعمل مفردة، فلا يتكلم المتكلم إلا بمركبات من الأصوات اللغوية من جملة إلى كلمة التي تشكل سلسلة من الحركات النطقية المعقدة التي تتركب وتتنظم فيما بينها<sup>1</sup> فتشكل سياق صوتي يفهم المتلقي من خلاله رسالة الملقى من خلال محددات صوتية تؤدي وظيفتها التعبيرية والتبليغية.

وقد اهتم أهل الاختصاص بمسألة أداء الصوت الوظيفي إلى حد بعيد نظرا لأهميته في تحديد الدلالة المترتبة عن معنى الصوت الذي يعبر بها المتكلم عن حاجاته ضمن نظم وسياقات تفرضها طبيعة التعبير المعبر به، وهذا يقوم على عنصرين أساسيين كما حددهما فيرت في الفنولوجيا التطريزية Prosodicphonology وهما:

1. **الوحدات الصوتية Phonematic units**: ويقصد بها وحدات فنولوجية تترتب

الأصوات فيها حسب ما بينها من علاقات قائمة على التعاقب.

2. **المستوى التطريزي Prosody**: أو هو معلم يتعدى المقطع الواحد والكلمة الواحدة ليبلغ

الجملة أو القول، ومن أنواعه النبر والتنغيم والوقف والجهارة والإيقاع والطول والسرعة، ومعالم صوتية ثانوية أخرى كالتشفية Liponding و التأنين Nasalization<sup>2</sup>.

إذا فالسياق الصوتي الذي تتحدد من خلاله الدلالة الصوتية هو الأداء الكلامي الذي ينتج عنه ذات الصوت الدال على مراد المتكلم والذي يطلق عليه أهل الاختصاص المصاحبات الصوتية الناتجة عن الوحدات الصوتية المنتظمة فيما بينها مشكلة نبرا أو تنغيمًا أو وقفا ..... الخ.

<sup>1</sup> - فندريس، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014، ص 83.

<sup>2</sup> - ينظر: محمود أحمد نحلة، علم اللغة النظامي، مدخل إلى النظرية عند هاليداي، ملتقى الفكر، الاسكندرية، ط 2، 2001، ص ص 17، 18.

"والنبر **Stress**: فهو وضوح سمعي أو بروز نسبي لصوت أو مقطع في الامتداد الخطي للأصوات الملفوظة نتيجة الضغط أو الارتكاز ومن خلاله يتحدد معنى الكلام كالأستفهام، أو الاستفسار أو الاستهزاء.....<sup>1</sup> الخ ومن خلاله يتحدد قصد المتكلم.

أما "التنغيم **Intonation**: فهو الإطار الصوتي تقال به الجملة في السياق"<sup>2</sup>، "أو درجات ارتفاع الصوت أو انخفاضه على مستوى الجملة أو العبارة"<sup>3</sup>.

أما عبد الكريم مجاهد فيرى " أن النبر والتنغيم يدخلان ضمن وحدات التركيب الصوتية Phonemes وليست ظواهر تطريزية أو ثانوية"<sup>4</sup>.

أما "فيرث: فيرى أن النبر والتنغيم من العناصر الثانوية غير التركيبية لأنها لا تدخل في التركيب الصوتي كما عد فيرث الحركات العربية ( الفتحة، والكسرة والضمة ) من قبيل البروسودات Prosodies أي مظاهر تطريزية لأنها في نظره تتصل بأكثر من وحدة صوتية، فهي إذن من الملامح الصوتية الثانوية"<sup>5</sup>، أما محمود عكاشة فيرى " أن الحركات تعد جزءا من بنية الكلمة لأنها تصاحب الحرف أو الصوت في الأداء، إذن فهي من العناصر الأساسية لمشاركتها في البنية الصوتية، أما الحركات الإعرابية، والنبر، والتنغيم، والوقفات، والطول لا تدخل في تأليف البنية الصوتية للكلمة، ولكنها تظهر في الأداء فقط وفي تركيب الجمل، ولهذا تعد من العناصر الثانوية، ولكن نبر الكلمة يعد جزءا من العناصر الأساسية لمشاركته في بنيتها الصوتية،

<sup>1</sup> - ينظر: صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص ص 192 - 197.

<sup>2</sup> - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، مطبعة النجاح الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994، ص 226.

<sup>3</sup> - ينظر: صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة، ص 197.

<sup>4</sup> - ينظر: عبد الكريم مجاهد، الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء، عمان، الأردن، ص ص 166 - 169، وينظر: محمود عكاشة، التحليل اللغوي، ص 19.

<sup>5</sup> - ينظر: محمود عكاشة، التحليل اللغوي، ص 19.

وهذا دون نبر الجملة<sup>1</sup> على حد تعبيره، وهذا ما يحيلنا إلى تقسيم آخر لتحديد الدلالة الصوتية وفق السياق الذي تكون فيه من حيث هو "صوت مشكل أو مكون للبنية اللغوية، أو من حيث هو صوت يؤدي وظيفته أثناء الأداء الكلامي، فالأول هو علم الأصوات اللغوي (Phonetics) والثاني علم الأصوات الوظيفي (Ponology).

فالنوع الأول هو العلم الذي يتناول الأصوات اللغوية كوحدات صوتية مجردة منعزلة عن السياق الصوتي التي ترد فيه، فيكون الاهتمام بالوجه المادي لأصوات اللغة البشرية أي دراسة العناصر الصوتية للسلسلة الكلامية المعتبرة في تحقيقها الملموس وبمعزل عن وظيفتها اللغوية، أي استخدامها في التواصل وهذا يعني أنه يعمل على تحليل العناصر الصوتية من حيث كونها أحداثاً منطوقة تتمتع بتأثير سمعي معين، دون النظر في وظائفها أو قيم استعمالها أو تحقيقاتها الآنية في التواصل اللساني، وهو بذلك يعتني بمادة الأصوات لا بقوانينها أو تنظيماتها ولا يقتصر ميدان هذا العلم على البحث في أصوات اللغة بعينها بقدر ما يعني بالصوت اللغوي في عمومه، أي بالمسائل العامة والخصائص المشتركة في جميع اللغات<sup>2</sup>.

أما "النوع الثاني: فهو علم الأصوات الوظيفي أو علم وظائف الأصوات الذي يبحث في وظائف الأصوات اللغوية من ناحية القوانين التي تعمل بموجبها، فالدلالة الصوتية على ثلاثة أنواع وفق السياقات التالية:

1. سياق المخرج والصفة.
2. سياق توالي الحروف الحرفي (الكلمة) التركيبي.
3. سياق النص أو الخطاب أو التوفيق التركيبي<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: محمود عكاشة، التحليل اللغوي، ص 19.

<sup>2</sup> - بسام بركة، علم اللغة العام أصوات اللغة العربية، ص 6.

<sup>3</sup> - ينظر: صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 133 - 203.

ففي هذه الحالة يوجد ثلاث أنواع من السياق لضبط الدلالة انطلاقاً من أصغر وحدة وهي الصوت أو الحرف إلى أكبر وحدة وهي الجملة أو النص أي السياق ذاته.

وهناك "من العلماء من قسمها إلى نوعين أولاً : ويطلق العلماء على الأصوات الصامتة والأصوات الصائنة الصوت المقطعي الأولي أو الصوت التركيبي Segmental Phoneme وهو أصغر وحدة صوتية"<sup>1</sup>.

وتشمل هذه الأصوات: « الصوت التركيبي ويسمى بالسواكن والعلل وهي تعد جزئيات صوتية تستخدم في تركيب الحدث الكلامي »<sup>2</sup>.

ويتضمن هذا الجزء الحرف الأبجدي والحركات من فتحة وضممة وكسرة وسكون ومد التي تساهم في بناء الكلمة.

ثانياً: "الصوت فوق التركيبي (السياق) Plurisegmentacphoneme أو

Suprasegmental phoneme، وهو ما يطلق عليه بالصوت الثانوي Secondary

وهو ملامح صوتية غير تركيبية مصاحبة تمتد عبر أطوال متنوعة في الأداء الصوتي، وتشارك في تنوع معاني الكلام مثلما تشارك فيه الأصوات التركيبية وليست بصوت رئيسي بل صوت ثانوي

يصاحب الصوت الرئيسي، وتسمى العناصر الصوتية فوق التركيبية كذلك بالمصاحبات اللغوية

Paralinguistic أو السمات الشبه لغوية المصاحبة للأداء الكلامي Vocal

performance وهي ما يعرف بين اللغويين بالسلوك اللغوي Verbal behavior الذي

يتمثل في دراسة بنية اللغة الصوتية، وما يصاحبها من عناصر صوتية تشارك في الدلالة وتؤثر في

المستمع"<sup>3</sup>، وهذا ما يعرف بالسياق الصوتي وقد اختلف أهل الاختصاص ما إذا كان هذا النوع

<sup>1</sup> - محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص 18.

<sup>2</sup> - أحمد مختار عمر، دراسة الأصوات اللغوية، علم الكتب، 1998، ص 219.

<sup>3</sup> - محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص 18 - 19.

من الأصوات أهي عناصر صوتية أساسية أم ثانوية مثل ما حددها علماء الغرب ، فيرى محمود عكاشة أنها ثانوية فيقول « وأرى أن العناصر الفوق تركيبية (النبر، التنعيم، والمفصل، الطول) لا تدخل في تركيب أصوات الكلمة لأنها ليست صوتا رئيسيا من أصواتها»<sup>1</sup>.

### -دلالة سياق الأصوات (الحروف الهجائية) phoneme:

يعدّ الصوت الهجائي أصغر وحدة لبناء الكلمات وهو اللبنة الرئيسية في إنتاج الكلام، وهي أسرة من الأصوات في لغة معينة متشابهة الخصائص والمستعملة بطريقة لا تسمح لأحد أعضائها أن يقع في كلمة في السياق الصوتي نفسه الذي يقع فيه الآخر<sup>2</sup> ويرمز إلى كل صوت منها بحرف من حروف الهجاء في الخط أو الكتابة.

و"الصوت يؤثر في دلالة الكلمة ومثال ذلك الأصوات الأوائل في: ناب، تاب، عاب، غاب، شاب، إلى اختلاف الصوت الأول في هذه الكلمات المتشابهة في بناء المقاطع أدى إلى اختلاف الدلالة، وهذه الأصوات على الترتيب: ن، ت، ع، غ، ش، فاختلافها ميز بين الكلمات وهذا لا يعني ارتباط ترتيب الأصوات في الكلمة، بالمعنى فترتيبها ليس قائما على معنى في النفس ولكن اختلافها فرق بين أصوات الكلمات المصطلح على دلالتها"<sup>3</sup>.

وقد اتفق علماء العربية أن للحرف أثر في دلالة الكلمة. فابن جني يوضح دلالة الحروف (الأصوات) في الكلمات التالية فيقول « " الدالف للشيخ الضعيف، والشيء التالف، واللطيف، والظليل، الجحان، وليست له عصمة الثمين، والصنف والطنف لما أشرف خارجا عن العباد وهو إلى الضعف، لأنه ليست له قوة الراكب الأصل، والنطف، العيب، وهو إلى الضعف والدنف المريض.... " " أو الترفة، والطرفة، والطرف أضعف من قلبه وأوسطه، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا

<sup>1</sup> - محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص 18.

<sup>2</sup> - أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص 136.

<sup>3</sup> - محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص 30.



نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا<sup>1</sup>، الفارط أي المتقدم المنود ومثل: الفتور، الضعف، الرفت للكسر، الرديف، لأنه ليس له تمكن الأول وغير ذلك من الكلمات التي جاءت أصوات الدال أو التاء أو الفاء أو الراء أو اللام، أو النون الذي جاء قسيما لهذه الأصوات في بعض الكلمات للدلالة على الوهن والضعف"<sup>2</sup>.

لقد أوضح ابن جني أن هذه الحروف التي تقع في سياقات هذه الكلمات وتليها حرف الفاء تدل على الوهن والضعف.

وأضاف ابن جني أمثلة كثيرة دالة على أن للحروف دلالة في الكلمة وفقا للسياق الذي تقع فيه في الكلمة فيقول: "القد والقط، القد للقطع طولاً، والقط للقطع عرضاً فالطاء تفيد السرعة ومن ثم استخدمت في القطع عرضاً، والدال استخدمت في القطع طولاً، لأنها تفيد المماثلة والطول"<sup>3</sup>.

إذن للأصوات دلالة تحدد من خلال السياقات تقع فيها مع غيرها من الأصوات فنجد أن علماء العربية استطاعوا استقصاء القيمة الدلالة للصوت منفرداً ضمن سياق معين فمن ذلك:

التاء: يدل على القطع إذا جاء ثاني كلمة مثل<sup>4</sup>: بتّ، بتر، تك، حثّ (الورق عن الشجر سقط)، التف (الموت) الأمر أوجبه، ختم (الشيء أنماه)، حتن (الصبي قطع قلفته)، رتع (الماشية رعت في خصب)، رتب (الشيء أثبته)، ستر (الشيء غطاه)، شتان (اسم فعل بمعنى بُعد)<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - الرعد (41).

<sup>2</sup> - ينظر: ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، 1952، ج 2، ص ص 166، 167، 168.

<sup>3</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ص 158.

<sup>4</sup> - الأمير أمين آل ناصر الدين، دقائق العربية جامع أسرار اللغة وخصائصها، مكتبة لبنان، بيروت، ط 3، سنة 1986، ص 17.

<sup>5</sup> - صالح سليم الفاخري عبد القادر، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 148.

الثاء: إذا جاء ثاني الكلمة يدل على الانتشار والتفريق<sup>1</sup> مثل: بث (الخبر نشره)، بثق (النهر جعل ماءه يتفجر على ما حوله)، أثخن (في العدو بالغ في ضربه وقتله)، أثرى (أكثر ماله)<sup>2</sup>.

الحاء: ويدل في غالب أمره إذا كان آخر الكلمة على السعة والانبساط مثل: ارتياح والسماح، والفلاح، والنجاح، المراح، الانبطاح، البوح (انتشار السر)، المزاح، الفرح، الريح، الساحة، الصحيفة<sup>3</sup>.

الخاء: ويدل في أكثر أحواله على الصفة والهبوط إذا كان في أول الكلمة<sup>4</sup> مثل: خرب، خاب، ختر، خمد، خضع، الخبل، الخديعة، الختال، خذل، ..... إلخ.

الدال: ويصاحب غالباً معنى اللين والنعومة مثل: دبع، دمع<sup>5</sup>.

الذال: ويدل على القطع إذا وقع حرفاً ثانياً للكلمة مثل: أذى، أذاع، أذاق، أذكى، أذل، أذنب، بدأ ..... إلخ<sup>6</sup>.

الراء: ويدل على التكرار وديمومة الحدث في أكثر أحواله كيفما كان موقعه في الكلمة مثل: حرّ، رجّ، مر، در، فر، رعى، قرع، ... إلخ<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - الأمير أمين آل ناصر الدين، دقائق العربية، ص 17.

<sup>2</sup> - ينظر: صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 149.

<sup>3</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 149.

<sup>4</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 149.

<sup>5</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 149.

<sup>6</sup> - الأمير أمين آل ناصر الدين، دقائق العربية، ص 117، وينظر: صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 149.

<sup>7</sup> - محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ص 102، وينظر: صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 150.

السين: ويدل على الليونة والسهولة والنقص في أكثر أحواله كيفما كان موقعه في الكلمة مثل: خس، خسر، خسف، كسف، كسر، تعس، سهل، سرق، سلم، سأل، .....الخ<sup>1</sup>.

الغين: ويدل على الاستتار والغيبة والجنفاء إذا كان في أول الكلمة: غاب، غار، غش، الغدر، غضب، غط، .....الخ<sup>2</sup>.

الفاء: وأغلب أحواله للدلالة على الإبانة والوضوح إذا وقع في أول الكلمة مثل: فتح، فضح، فرح، فلق، فح، فسر، فاح، فوق، فاض، فلت، .....الخ<sup>3</sup>.

القاف: ويدل على الاصطدام والانفصال والقطع كيفما كان موقعه في الكلمة مثل: قتل، قبح، قبر، قبض، قبع، .....الخ<sup>4</sup>.

الكاف: ويدل على التمكين في الشيء في أغلب أحواله كيفما كان موقعه في الكلمة مثل: كب، كبت، كبح، كبر، كبل، كتم<sup>5</sup>.

الميم: ويدل على الانقطاع و الاستتصال في أكثر أحواله إذا كان في آخر الكلمة مثل: الحتم، الحسم، الحطم، الحتم، الكتم، العزم، القضم، القصم، القطم، اللطم<sup>6</sup>.

النون: ويدل في أكثر أحواله على الظهور كيفما كان موقعه في الكلمة مثل: نبغ، نبغ، نبع، نصح، ناقش، نهض، نبأ، .....الخ<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ص104.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص103.

<sup>3</sup> - ينظر: صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 151.

<sup>4</sup> - ينظر: محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ص 104، وينظر: صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 151.

<sup>5</sup> - ينظر: صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 151.

<sup>6</sup> - ينظر: عباس محمود العقاد، أستاذات متجمعات في اللغة والأدب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012، ص 35.

<sup>7</sup> - ينظر: محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، ص 104.

وهذا يوضح أن دلالة الحروف تضبط أكثر عند وضعها في سياق أو تركيب ما.

وقد اهتم ابن الهيثم بالصوت في دراسة الدلالة من خلال النظر فيها انطلاقاً من الصوت وصفته ومخارجه وهو ما وجدناه مبثوثاً في كتبه وخاصة كتابه بدائع الفوائد الذي هو محل هذه الدراسة، فنجده يتحدث عن الحروف الهجائية من خلال تركيبها في سياق يحدد دلالتها انطلاقاً من مخارج الحروف وصفاتها فنجد ذلك فيمايلي:

### 1. الهمزة والنون في الضمير أنا:

الهمزة لأن مخرجها من الصدر وهو أقرب مواضع الصوت إلى المتكلم إذ المتكلم في الحقيقة محله وراء حبل الوريد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾<sup>1</sup> ألا تراه يقول: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾<sup>2</sup> يعني ما يلفظ المتكلم فدل على أن المتكلم أقرب شيء إلى حبل الوريد فإذا كان المتكلم على الحقيقة محله هناك وارتدت من الحروف ما يكون عبارة عنه فأولها بذلك ما كان مخرجه من جهته وأقرب المواضع إلى محله إلا الهمزة أو الهاء، والهمزة أحق بالمتكلم لقوتها بالجهر والشدة وضعف الهاء بالخفاء، وكان ما هو أجهر أقوى وأولى بالتعبير عن اسم المتكلم الذي الكلام صفة له، وهو أحق بالاتصاف به<sup>3</sup>.

وهذا يوضح أن ابن القيم اتخذ من مخارج الحروف وصفاتها أساساً في تحديد الدلالة انطلاقاً من السياق الذي تقع فيه على الجهاز الصوتي، ثم يوضح سبب اتصالها بالنون فيقول: "وأما اتصالها مع النون فلما كانت الهمزة بمفردها لا تكون اسماً منفصلاً كانت أولى ما وصلت

<sup>1</sup> - ق (16).

<sup>2</sup> - ق (18).

<sup>3</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، مكتبة الصفا، الطبعة الأولى، 2005م، ج 1، ص 162.

به النون أو بحرف المد واللين إذ هي أمهات الزوائد، ولم يكن حروف المد مع الهمزة لذهابها عند التقاء الساكنين مثل: أنا الرجل، فلو حذف الحرف الثاني لبقيت الهمزة في أكثر الكلام منفردة مع لام التعريف، فتلتبس بالألف التي هي أخت اللام فيختل أكثر الكلام، فكان أولى ما قرن به النون لقربها من حرف المد واللين، ثم ثبتوا النون لخفائها بالألف في حال السكت أو بهاء في لغة من قال أنه....<sup>1</sup>. ومن هذا الكلام يوضح ابن القيم سبب اتصال الهمزة بأحد الحروف مثل هاء السكت أو المد حتى تكون منفصلاً.

## 2. الهمزة والهاء:

يقول ابن القيم « وقد رأيت لابن فورك في اسم الله قال: الحكمة في وجود الألف في أوله أنها من أقصى مخارج الصوت قريباً من القلب الذي هو محل المعرفة إليه، ثم الهاء في آخره مخرجها من هناك أيضاً لأن المبتدأ منه والمعاد إليه»<sup>2</sup>.

وهذا مما يدل على أن للحروف دلالتها من خلال السياق التي تقع على مستوى الكلمة انطلاقاً من مخرجها وهذا ما يفسر اهتمام ابن القيم بالصوت ودلالته وقدرته على استخراجها.

## 3. النون والحاء:

في "الضمير نحن": نحن ضمير منفصل للمتكلمين تثنية وتبعاً وخصت بذلك لما لم يمكنهم التثنية في المتكلم الضمير، فجاءوا بكلمة تقع على الاثنين والجمع في هذا الموطن ثم كانت الكلمة آخرها نون وفي أولها إشارة إلى الأصل المتقدم الذي لم يمكنهم الاتيان به وهو تثنية "أنا". كانت النون مكررة تنبيهاً عليه وتلويحاً عليه وخصت النون بذلك دون الهمزة لما تقدم من اختصاص ضمير الجمع بالنون وضمير المتكلم بالهمزة، ثم جعلوا بين النون حاء ساكنة لقربها من مخرج الألف الموجودة في ضمير المتكلم قبل النون وبعدها على الضم دون الفتح والكسر إشارة إلى أنه

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع القوائد، ج 1، ص 162.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 166.

ضمير مرفوع<sup>1</sup>، وهذا ما يبينه ابن القيم في كيف صنع أهل اللغة لغتهم انطلاقاً من مخارج الأصوات ونضمامها في سياق تدل على المراد من كلامهم، ويقول ابن القيم وشاهده ما قناه في هذا الباب من دلالة الحرف المقطعة على المعاني والرمز بها إليها وقوع ذلك في منشور كلامهم ومنظومه فمنه: قالت لها قفي قالت قاف.

ومنه: الأفا فيقول الآخر: الأفا يعني ألا ترتحل فيقول: الأفا رحل.

ومنه: بالخير خيراتا وإن شرفا ..... وما أريد الشر إلا أن تشأ

وكتولهم: « مهيم » في ما هذا يا أمروء.

و « إيش » في أي شيء. و « م الله » في أيمن الله ومن هذا الباب حروف التهجي في أوائل السور<sup>2</sup>. ابن القيم يبين أن الحرف لها دلالتها في .... انطلاقاً من مخارجها وصفاتها وسياقاتها التي ترد فيها.

وبهذا يمكن "تمييز بين صوت وآخر ودلالته التي يدل عليها فتجد العبارة الواحدة يتغير تنعيمها بحسب الاستعمال من الجدل إلى السخرية والتهكم أو الغضب والرضى، وهذا كذلك يتسبب في تغير الكلام على المستوى النحوي والدلالي بحسب الحاجة والنعمة المستعملة من الاستفهام إلى التوكيد أو التقرير التي تحدد القصد المراد من المتكلم كالتحقير والاعراض أو الشك أو التأنيب .... إلخ"<sup>3</sup>، وبهذا يكون السياق الصوتي الناتج عن التنعيم هو المتحكم في تحديد المعاني التي يريد المتكلم ويفهمها السامع.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع القوائد، ج 1، ص 166.

<sup>2</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ص 166.

<sup>3</sup> - صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص ص 200-203.

-وأما "الوقف **pause**: فهو صوت إضافي أو فوق تركبي مصاحب للكلام وعنصر من العناصر المميزة للنظام الصوتي للغة ويقوم بدور وظيفي في تحديد دلالة ما ينطق به المتكلم وعدم الالتزام به في الجملة يؤدي إلى خطأ"<sup>1</sup>.

"إذن فهو ناتج عن سياق الأداء الكلامي فإذا تغير الصوت بضرورة يتغير السياق تبعاً لذلك التغير الذي طرأ على الصوت والتغير يشمل الحركات كما يشمل بتر أو تجزئة الكلام. ومن ذلك قولك من اجتهد وجد ومن تكاسل ووقفت لفسد المعنى وتلاشى القصد والجواب هو وصل الجملة بقولك: (رسب أو فشل) عندها يصح الوقف"<sup>2</sup>.

كما يدل الوقف بوسائله المتعددة على موقع هو في طابعه مفصل من مفاصل الكلام يمكن عنده قطع السلسلة النطقية فينقسم السياق بهذا إلى دفعات كلامية تعتبر كل دفعة منها إذا كان معناها كاملاً فهي واقعة تكلمية منعزلة، أما إذا لم يكن معناها كاملاً كالوقف على الشرط قبل ذكر جوابه مثلاً فإن الواقعة التكلمية حينئذ تشمل على أكثر من دفعة كلامية واحدة<sup>3</sup> فظاهرة الوقف هي ظاهرة تعتمد على السياق في تحديد المعنى.

-أما "المناسبة **vowel harmony** وهي مناسبة الصوت للمعنى: « أي أن كل صوت من الأصوات الهجائية يناسب حالة من الحالات لا يكاد يخالفها في شيء وإن خالفها فذلك يرجع إلى عوامل التطور المختلفة التي تحدث اللغة"<sup>4</sup>.

وذهب ابن فارس إلى "أن الأصوات أو الحروف تدل على المعاني فيقول: أجمع أهل اللغة - إلا من شذ عنهم - أن للغة العرب قياساً وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، وأن

<sup>1</sup> - ينظر: غنية تومي، السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث، ص 04.

<sup>2</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 95.

<sup>3</sup> - ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 280.

<sup>4</sup> - ينظر: صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص ص 143-144.

اسم الجن مشتق من الاجتنان، وأن الجيم والنون تدلان أبدا على الستر تقول العرب للدرع، جنة وأجنة الليل، وهذا جنين أي هو في بطن أمة أو مقبول<sup>1</sup>.

يتضح من خلال هذا الكلام أن المعنى الصوتي يتحقق وفق الترتيب الذي يأتي عليه في نسق يدل على ذلك المعنى، وقد بين هذا ابن جني في كتابه الخصائص وعقد في هذا بابين هما (تصاقب الألفاظ لتساقب المعاني) و(أساس الألفاظ أشباه المعاني)، تعرض فيها إلى أصوات العربية وما تحمله من دلالة تعرف عند النطق بها أو سماعها «وأن المعاني لا تكون من الأصوات وحدها بل من وضعها في ترتيب معين فالمعنى من الصيغة التي تبني منها الكلمة، باختلاف ترتيب أصوات الكلمة يعقبه اختلاف في معناها وهذا يؤدي إلى اختلاف في الصيغ الصرفية والتراكيب النحوية وما جاورها من اللفظ»<sup>2</sup>. وبالتالي السياقتحدد معانيه في ثلاث مواضع وهو عندما يكون مفردا وعندما يكون الكلمة وعندما يكون في التركيب أو السياق.

-أما "الإبدال": هو ظاهرة صوتية تعرض لبعض الأصوات العربية تقوم على إقامة حرف مكان حرف مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة<sup>3</sup>، وبالتالي فالإبدال ظاهرة صوتية تقوم على إقامة صوت مقام صوت «مما ينتج عنه إكساب الصوت خصيصة قد لا يتفق مع طبيعته الشديدة أو الرخوة، فمثلا صوت الحاء يدل على السعة والانبساط في الكلمات مثل: النباح، السماح، والفرح، والفلاح، والمدح وغيرها، أما الهاء: فذكر الجرد والقالبي أن تقوم مقام الحاء في لغة بني سعد بن زيد بن مناة مطلقا فيقولون في الكلمات السابقة: النباه، السماه، الفره، والمده، وهذه الهاء على الأرجح ليست هاء خالصة مثل هاء (هل، كتبه، بهرج) إذ أنه يمكن أن تكون بين بين (أي بين الحاء والهاء)، ومثل إقامة العين مقام الحاء في (عتي) و (حتى) وكذلك إبدال القاف

<sup>1</sup> - أحمد بن فارس، الصحاحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ص 58.

<sup>2</sup> - محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص 32.

<sup>3</sup> - صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 158.



والكاف أحدهما مكان الآخر، والصوتان يدلان على الشدة والاصطدام والتمكن، وكلمات مثل: قشط، كشط، وقال، كال، وهما يقتربان مخرجا ويتفقدان صفة»<sup>1</sup>.

وبالتالي فالأصوات المقام أحدهما مقام الآخر « يمكن أن تضاف لها خاصية الصوت الذي تقوم مقامه، بالإضافة إلى خواصها ذاتها، فمثلا صوت الراء يدل على ديمومة الحدث وتكراره، فلو قام اللام فإنه سيكتسب هذه الخصيصة وكذلك الفاء الذي يدل على الظهور والإبانة، ولما كان ينوب عن الثاء عند بعض الناس ولما كانت التاء تدل على الانتشار والتفريق إذا جاءت ثاني كلمة، فإن الفاء سيكتسب هذه الخصيصة فضلا عن الخصيصة السابقة»<sup>2</sup>، وبالتالي فالإبدال هو خاصية صوتية تستعمل وفق ما يتطلبه السياق ويقرره النظام اللغوي حسب حاجة الاستعمال.

وقد عدد العلماء الكثير من الظواهر والقضايا الصوتية السياقية التي تحدد الدلالة أو التي لها علاقة بالدلالة.

ف نجد تمام حسان قد حددها فيما يلي: "الظواهر السياقية الصوتية:

1. ظاهرة التأليف، 2. ظاهرة الوقف، 3. المناسبة، ظاهرة الإعلال والإبدال، 4. ظاهرة التوصل، 5. ظاهرة الإدغام، 6. التخلص، 7. الحذف، 8. الإسكان، 9. ظاهرة الكمية، 10. الإشباع والإضعاف، 11. ظاهرة النبر، 12. التنعيم"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 171.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص ص 171-172.

<sup>3</sup> - ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ص 263 - 264.

أما محمود عكاشة فيحدده فيما يأتي: "فهي أهم العناصر الصوتية المشاركة في الدلالة وقد قسمها إلى نوعين: نوع يرتبط بدلالة الكلمة، والنوع الثاني يرتبط بدلالة الجملة فالأول يرتبط بالسياق الصوتي على مستوى الحرف والثاني مرتبط بالسياق الصوتي الفرق تركيبياً.

• النوع الأول:

- الصوت أو الفونيم Phoneme
- الحركات أو علامات الشكل (الضبط) Vowel Points
- المقطع Syllable
- النبر Stress

وهذه العناصر تقع في نطاق الكلمة، وترتبط بها عدا النبر فإن يقع في الكلمة ويقع في الجملة أيضاً.

• النوع الثاني:

- التنغيم أو نمط التنغيم Intonation Contour
- الوقفة أو الفاصل Jurecture
- طبقة الصوت Pitub
- نوع الصوت Quality
- شدة الصوت Intensity
- حركات الإعراب Parsing

وهذه العناصر ترتبط بالجملة وأدائها الصوتي وترتبط بالسياق المقالي والحالي<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص ص 29 - 30.

إذن فالسياق الصوتي له دور في تحديد دلالة الكلمة ودلالة السياق من خلال توظيف هذه الظواهر التي تتمثل في وحدات صوتية منتظمة وفق ما يحتاجه المتكلم في التعبير عن حاجاته ومواقفه.

و"للصوت وظيفة يؤديها في السياق لأن الصوت يعتبر هو البنية الأساسية في البنية الكلمة وبنية التركيب (السياق) والبنية الصوتية لا تؤدي وظيفتها في السياق إلا من خلال تلاحمها مع بنيات أخرى أطلق عليها علماء العربية الوحدات الصوتية أو الفونيمات حروف المباني للإشارة إلى أن كل واحد منها لا يعمل مستقلاً وإنما بالتلاحم مع غيره من البنيات من خلال ضمها مع بعضها البعض"<sup>1</sup>.

ويتضح "دور السياق أكثر عندما تحمل الوحدة الصوتية أكثر من وظيفة فالنون الأصلية والنون الزائدة والنون المبدلة لا يمكن تبيين نوعها إلا من خلال السياق الذي ترد فيه، وهذا من خلال الوحدات الصوتية الأخرى التي ترد معها، ولذلك تختلف هذه الوظيفة باختلاف الموقع الذي فيه فمثلاً الباء في الكلمات التالية: برد، عبد، رعب، فالباء في سياق الكلمة الأولى تمثل فاء الكلمة وفي السياق الثاني تمثل العين وفي السياق الثالث تمثل اللام"<sup>2</sup>.

كما "أن للسياق أثر واضح في تحديد الوظيفة الصوتية البنائية أو الأساسية وهي حمل جرثومة المعنى الوضعي أو المعجمي سواء أكانت هذه الوحدات صوامت أو حركات، فإن الوظيفة التأثيرية التي تقوم بها بعض الوحدات الصوتية لا يمكن تحديدها إلا من خلال السياق، ومن هذا فإن الوحدة الصوتية الواحدة قد تختلف وظيفتها التأثيرية باختلاف السياق الذي ترد

<sup>1</sup> - ينظر: عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق، دار الكتب، ص 116 - 117.

<sup>2</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 117.

فيه<sup>1</sup>، ومثال ذلك: «حرف الحاء في لفظ الخضم ذات دلالة تأثيرية هي الابعاد إلى عنصر الرخاوة والليونة في الشيء المخضوم، وما كان ذلك كذلك إلا لأن السياق الذي وردت فيه هو هنا جعلها في مقابل القضم الذي يوحي بالشدة واليبس، وكذلك نلمس هذا في الكثير من المواقف والسياقات مثل لفظة نضح ونضخ فالنضخ أقوى من النضح فنجد أن الحاء جعلوها لرقتها للماء الضعيف والحاء لغلظتها لما هو أقوى»<sup>2</sup>، فالحاء تكون عند مقابلتها بالقاف وحدة ضعيفة وتكون وحدة قوية عند مقابلتها بالحاء وهنا يأتي دور السياق في تحديد الوظيفة التأثيرية للوحدة الصوتية «الحاء» ودون النظر إلى هذا السياق تصبح هذه الدلالة أمرا احتماليا.

ويمكن أن نحدد العلاقة بين الصوت والسياق فيما يلي:

- تختلف الوظائف الصوتية في اللغة العربية باختلاف السياق.
- تؤدي الوحدات الصوتية الصامتة في اللغة العربية إحدى وظائف ثلاث :
  - أ. أن تحمل مع غيرها من الوحدات جرثومة المعنى الوضعي أو المعجمي وهذه هي الوظيفة الصوتية الأساسية البنائية.
  - ب. أن تؤدي وظيفة صرفية أو نحوية مما يمكن اعتبارها وحدة صوتية صرفية Morphophonome وذلك كما في حروف الزيادة أو اعتبارها وحدة صوتية نحوية بمعنى أنها تشكل ملمحا نحويا Laxemes وذلك حركات الاعراب.
  - ت. أن يكون وجدها في سياق ما محققا للانسجام الصوتي بأن يكون بدلا من غيرها<sup>3</sup>.
- "إن الوحدات الصوتية الموصوتة (الحركات) تؤدي أيضا هذه الوظائف الثلاث مع اختلاف في ترتيبها إذ إن حملها لجرثومة المعنى المعجمي يحتل المرتبة الثانية بالنظر إلى حملة ألفاظ اللغة أن

<sup>1</sup> - ينظر: عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص 117.

<sup>2</sup> - ينظر: ابن جني، الخصائص، ج 2، ص 162.

<sup>3</sup> - ينظر: عبد الفتاح عبد العليم بركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص 118.

وظيفتها الأساسية فهي تشكل ضيع المشتقات في إطار المادة الواحدة هذا بالطبع التقليل من شأن وظيفتها في الدلالة على المعنى الأصلي، وقد أشار ابن جني إلى ذلك عندما ذكر أن الألف تأتي أصلاً في الحروف وما أشبهها من الأسماء الموغلة في البناء، وقد رأينا قبلاً كيف أن الحركات القصار قد استعملت مقابلاً استبدالياً ترتب على تغييره تغير في المعنى الوضعي وذلك في المقابلات الثنائية أو الثلاثية المختلفة المعنى وقد دلت الدراسة الإحصائية لما ذكره ابن السكيت في إصلاح المنطق وابن مالك في إكمال الإعلام بتثليث الكلام أن هذا النوع أي ما ترتب على اختلاف الحركة فيه اختلاف المعنى هو العنصر الغالب على هذا النوع من التقلبات، أما ثالث وظيفة للحركات فهي الانسجام بين الحركات المتجاورة وهو ما يعرف عند النحاة بظاهرة الإبتاع كإبتاع حركة الراء لحركة الهمزة في لفظ « امرئ » فيقال: هذا أمرؤ، ورأيت امرأ، ومررت بامرئ....<sup>1</sup>.

- "بعض الوحدات الصوتية الصامتة قد تؤدي وظيفة تأثيرية إما وحدها أو مع غيرها من الوحدات.

- قد ينجم عن بعض الوحدات الصوتية صور صوتية تختلف باختلاف اللهجات وهذه الصور الصوتية قد تكون في الصوامت وهو ما يعبر عنه بالمضارع وقد تكون في الحركات وهو ما يعرف بـ « الإمالة »، وهذه الصور الصوتية لها وظيفتها المتمثلة في تحقيق الانسجام الصوتي وهي بذلك تشبه وظيفة الصامت إذا كان بدلاً ووظيفة الحركة إذا كانت ابتاعاً<sup>2</sup>.

ومن خلال العلاقة التي تجمع بين الصوت والسياق الذي يترتب على تتابع الحروف في تحديد الدلالة سواء كان هذا ضمن مستوى الكلمة أو ضمن مستوى النص أو الجملة يتضح أن السياق هو من يحدد ويفرض على المتكلم أو المتلقي دلالة معينة ومحددة.

<sup>1</sup> - ينظر: عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص 118 - 119.

<sup>2</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 120.

"ومنه: ألاتا فيقول الآخر: أأفا يعني ألا ترتحل فيقول ألا فارحل

ومنه: بالخير خيراتا وإن شرافا وما أريد الشر إلا أن تشا

وكقولهم: « مهيم » في ما هذا يا أمرؤ.

و « إيش » في أي شيء، و « م الله » في أيمن الله ومن هذا الباب حروف التهجي في أوائل السور<sup>1</sup>. ابن القيم يبين أن الحروف لها دلالتها فيما سبقت فيه انطلاقا من مخارجها وصفاتها وسيقاتها التي ترد فيها.

### – حرف تاء التأنيث:

استعملت التاء لتدل على دلالات كثيرة ومختلفة منها تاء التأنيث وتاء المتكلم بصفتها ضمير متصل أو أصلية في الكلمة لتدل دلالة واضحة، فعند النطق بصوتها يتضح معناها في السياق الذي أتت فيه وقد أوضح ذلك القيم في عدة مواضع، ففي تحديد الشيء ذكر ابن القيم فيقول « وباب قعد وخرج ألزم للفاعل من الفعل المتعدي كضرب فكان أثقل منه مصدرا وإن اتفقا في لفظ الفعل ولزم مصدر فعل الذي هو طبع وخصلة وزن الفعال كالجمال والكمال والبهاء والثناء والجللاء والعلاء، هذا إذا كان المعنى عاما مشتملا على خصال لا تختص بخصلة واحدة فإن اختص المعنى بخصلة واحدة صار كالمحدود ولزمته تاء التأنيث لأنها تدل على نهاية ما دخلت عليه كالضربة من الضرب وحذفها في هذا الباب في أكثر الأبواب يدل على انتقاء النهاية، ألا ترى أن الضرب يقع على القليل والكثير إلى غير نهاية، وإنما استحقت التاء ذلك لأن مخرجها منتهى الصوت وغايته فصلحت للغايات ولذلك قالوا: علامة ونسابة، أي غاية في هذا الوصف فإذا عرفت هذا فالجمال والكمال كالجنس العام من حيث لم تكن فيه المخصوصة بالتحديد والنهاية وقولك: ملح ملاحه وفصح فصاحة، فحددت بالتاء لأنها ليست بجنس عام

<sup>1</sup> – ينظر: ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 166.

كالكمال والجمال فصارت كباب الضربة والتمر من الضرب والتمر<sup>1</sup>، فابن القيم يوضح أن التاء تخصص في آخر الكلمة للانتهاء والغائية مستمداً ذلك من مخرجها.

### – الذال والتاء في اسم الإشارة:

أشار ابن القيم في التفريق بين دلالة الهاء والتاء في الإشارة انطلاقاً من صفة كل منهما فيقول: "فأما الذال أو التاء مهموسة رخوة، فالجمهور أو الشديد من الحروف أولى منها للبيان والذال مجهورة فخصت التاء بالإشارة إلى المؤنث لأجل الفرق، وكانت التاء به أولى لهما، وضعف المؤنث، ولأنها قد ثبتت علامة التأنيث في غير هذا الباب ثم بينوا حركة الذال بالألف كما فعلوا في النون من « أنا » وربما شركوا المؤنث مع المذكر في الذال فاكتفوا بالكسرة فرقا بينهما، وربما اكتفوا بمجرد لفظ التاء في الفرق بينها وربما جمعوا بين لفظ التاء والكسرة حرصاً على البيان"<sup>2</sup>.

وقد بين مخارج هذين الحرفين البنيوية في قوله « ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مجرد الطاء والذال والتاء » ويضيف « ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والذال والتاء »<sup>3</sup>.

ويوضح ابن القيم في أن « الاسم من « هذا » الذال وحدها من دون الألف على أصح القولين بدليل سقوط الألف في التثنية والمؤنث، وخصت الذال بهذا الاسم لأنها من طرف اللسان والمبهم مشار إليه، فالتكلم يشير نحوه بلفظه أو بيده ويشير مع ذلك بلسانه، فإن

<sup>1</sup> – ينظر: ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 2، ص 44.

<sup>2</sup> – المصدر نفسه، ج 1، ص 167.

<sup>3</sup> – سيويه، الكتاب، ج 4، ص 433.

الجوارح نحوه ذهابا محسوسا، والعمدة في الإشارة في مواطن التخاطب على اللسان ولا يمكن إشارته إلا بحرف يكون مخرجه من غدية اللسان التي هي آله الإشارة دون سائر أجزاءه»<sup>1</sup>.

« أما في المؤنث الغائب فلا بد من لفظ التاء مع الكسرة لأنه أحوج إلى البيان لدلالة المشاهدة على الخاطر، فتقول تيك وربما زادوا اللام توكيدا كما زادوها في المذكر الغائب إلا أنهم سكنوها في المؤنث لثلاث تتولى الكسرات مع التاء، وذلك ثقیل عليهم وكانت اللام أولى بهذا المواطن حين أرادوا الإشارة إلى البعيد، فكثرت الحروف حين كثرت مسافة هذه الإشارة وقللوا حين قلت، لأن اللام قد وجدت في كلامهم توكيدا وهذا المواطن موطن توكيد وقد وجدت بمعنى الإضافة للشيء وهذا المواطن شبيه بها، لأنك إذا أومأت إلى الغائب بالاسم المبهم فانت مشير إلى من يخاطب ويقل عليه لينظر إلى من يشير إليه إما بالعين أو بالقلب»<sup>2</sup>.

فابن القيم يشير إلى أهمية الصوت في التركيب ومدى مناسبه في تحقيق دلالة المتكلم وفهم السامع أو المخاطب.

#### – التاء في حتى والداال في حد:

« الحاء في حتى جاءت قبل تاءين كما جاءت الحاء في الحد قبل دالين والداال كالتاء في المخرج والصفة إلا في الجهر كانت لجهرها أولى بالاسم لقوته، والتاء لهمسها أولى بالحرف لضعفه»<sup>3</sup>.

ومن هذا يتضح أن السياق الذي تتوالى فيه الحروف يعود إلى الوظيفة التي تأديها تلك الكلمة أو الحرف على الأرجح كما أشار ابن القيم في هذا الفصل.

<sup>1</sup> – ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 166.

<sup>2</sup> – المصدر نفسه، ص 167.

<sup>3</sup> – المصدر نفسه، ص 180.



-دلالة الحركات وحروف المد في السياق:

تعد الحركات من أهم الأصوات التي تحدد دلالة اللفظ إنطلاقاً من النطق بها سواء كانت مفردة أو في تركيب أو سياق معين، فيعتبرها بعضهم هي النوع الرئيسي الثاني من الأصوات اللغوية وتعرف بأنها الأصوات التي تنتج عن اهتزاز الحبلين الصوتيين بدون قفل أو تضيق أو انسداد في منطقة جهاز النطق أعلى المزمار<sup>1</sup>.

والحركة سواء أكانت مصاحبة لأصوات الكلمة أو تقع في أواخر الكلام تعد جزءاً من الوحدات الصوتية التي تشارك في الدلالة، والحركة التي تقع في آخر الكلمة تسمى حركة البناء (البنية) أو الشكل فيصبح الكلام بها مشكولاً، والحركة التي تقع في آخر الكلمة تسمى حركة إعراب وهي الحركة التي تبين وظيفة الكلمة في التركيب وموقعها فيه<sup>2</sup>.

وقد يفرقون بين الكلامين المتكافئين والمعنيين المختلفين بالإعراب وبحركة البناء وبتغير حرف الكلمة<sup>3</sup>.

والحركات وحدات صوتية Phonological units لها وظيفة معينة في التركيب الصوتي، وتعد جزءاً منه وتعد أصواتاً أساسية أو أولية Primory Phonomes في الكلمة الحركية وليس في الصوت الهجائي<sup>4</sup>.

فالحركة لها دورها في ضبط دلالة الكلمة ومعناها سواء كانت مفردة أو مركبة في سياق معين.

<sup>1</sup> - ينظر: صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 172.

<sup>2</sup> - ينظر: محمود عكاشة، التحليل اللغوي في علم الدلالة، ص 34.

<sup>3</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 34.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 34.

– حركة البنية أو الشكل:

وهي الحركات التي تبين نطق الحرف داخل الكلمة أثناء الأداء الكلامي لتوضح مدلول الكلمة ومعناها، فهي التي تميز مثلاً بين الاسم والفعل في مثل: ضرب فهي بالفتح فعل وسيكون الراء اسم أو مصدر وتحدد زمن الفعل في مثل: ضرب يضرب، سيضرب، كما أنها تكشف عن الفاعل الحقيقي ونائبه في مثل: ضرب وضرب، كما أن الحركة تميز بين دلالة المشتقات ومثال ذلك مترجم ومترجم فالكسرة في الكلمة الأولى تعطي معنى الفاعلية وفي الثانية تعطي معنى المفعولية... إلخ<sup>1</sup>.

وجاء في فقه اللغة للثعالبي: « ما كان على " فعلان " دل على الحركة والاضطراب كالنزوان والغليان والضربان، وما كان على " فعلان " دل على صفات تقع أحوال كالعطشان، والغرثان، والشبعان، والريان والغضبان »<sup>2</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾<sup>3</sup> فالهون في الآية هو العذاب أما في قوله تعالى: ﴿يَمْسُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾<sup>4</sup> للدلالة على الرفق<sup>5</sup>.

وجاء في لسان العرب السحور بضم السين جمع تسحر وهي الرثة وبفتحها ما يتسحر به<sup>6</sup>، والعشاء بفتح العين طعام العشي، وبكسرهما أول الظلام وقيل من المغرب إلى العتمة، والعروض بفتح العين علم يعرف به جيد الشعر من رديئه وبضمها ما يعرض للتجارة... إلخ<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> – ينظر: محمود عكاشة، التحليل اللغوي في علم الدلالة، ص 34.

<sup>2</sup> – أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، المكتبة العصرية، بيروت، ط 2، 2000، ص 411.

<sup>3</sup> – الأنعام (93).

<sup>4</sup> – الفرقان (63).

<sup>5</sup> – ينظر: محمود عكاشة، التحليل اللغوي في علم الدلالة، ص 35.

<sup>6</sup> – ابن منظور، لسان العرب، ج 2، دار صادر، بيروت، ط 1، ص 107.

<sup>7</sup> – ينظر: صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 178.

وقد جاء في بدائع الفوائد لابن القيم رحمه الله في وصف صفة الحركات والتعريف بها وما تختص به في الكلمة فيقول: « فإن الحركة عبارة عن انتقال الجسم من خير إلى خير والحرف جزء من المصوت، ومحال أن تقوم الحركة بالحرف لأنه عرض والحركة لا تقوم بالعرض، وإنما المتحرك في الحقيقة هو العضو من الشفتين أو اللسان أو الحنك الذي يخرج منه الحرف.

**فالضمة:** عبارة عن تحريك الشفتين بالضمة عند النطق فيحدث مع ذلك صوت خفي مقارن للحرف إن امتد كان واوا وإن قصر كان ضمة.

**وكذلك الفتحة:** عبارة عن فتح الشفتين عند النطق بالحرف وحدث الصوت الحفي الذي يسمى فتحة أو نصبة وإن مدت كانت ألفا وإن قصرت فهي فتحة، وكذلك القول في الكسرة.

**والسكون:** عبارة عن خلو العضو من الحركات عند النطق بالحرف فلا بعد الحرف صوت فينجزم عند ذلك أي ينقطع فلذلك سمي جزما اعتبارا بانجزام الصوت وهو انقطاعه وسكونا اعتبارا بالعضو الساكن»<sup>1</sup>.

**فقولهم:** فتح وضم وكسر هو من صفة العضو وإذا سميت ذلك رفعا ونصبا وجزما وجرا فهي من صفة الصوت، لأنه يرتفع عند ضم الشفتين وينصب عند فتحهما، وينخفض عند كسرهما وينجزم عند سكوتهما، ولهذا عبروا عنه بالرفع والنصب والجر عن حركات الإعراب، إذ الإعراب لا يكون إلا بعامل وسبب، كما أن هذه الصفات التي تضاف إلى الصوت من رفع ونصب وخفض إنما تكون بسبب وهو حركة العضو، واقتضت الحكمة اللفظية أن يعبر عما يكون عن سبب وهو الإعراب، وأن يعبر بالفتح والضم والكسر والسكون عن أحوال البناء لا يكون سبب وأعني بسبب العامل، فاقتضت الحكمة أن يعبر عن تلك الأحوال بما يكون وجوده تغييرا له، إذ الحركات الموجودة في العضو لا تكون إلا بآله كما تكون الصفات المضافة إلى

<sup>1</sup> - ينظر: ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص ص 40-41.

الموصوف وعند هذا ليس باستدراك على النحاة، فإن الحرف وإن كان عرضاً فقد يوصف بالحركة تبعاً لحركة محله فإن الأعراض وإن لم تتحرك بأنفسها فهي تتحرك بحركة محالها، وعلى هذا فقد اندفع الاشكالية جملة وأما المناسبة إلى ذكرها في اختصاص الألقاب فحسنة، غير أن كثيراً من النحاة يطلقون كلا منها على الآخر ولهذا يقولون في قام زيد مرفوع، علامة رفعه ضم آخره ويقولون رفع آخر فدل على اطلاق كل منهما على الآخر<sup>1</sup>.

يتضح من خلال هذا الكلام أن ابن القيم وضع فرقاً بين الحركة وحركة الإعراب، فالحركة الصوت وهي الفتحة والضمّة والكسرة والسكون أما حركة الإعراب فهي النصب والفتح والجر أو الحذف والجزم، فالأولى لا تكون بسبب أو عامل أما حركة الإعراب فلا تكون إلى بسبب عامل ليتضح في ما قاله أن الحرف يوصف بالحركة التي يأتي عليها وهو الصوت، أما الألقاب وهي الأسماء فتذكر حركتها بحسب موقعها في التركيب الذي ترد فيه.

ويوضح ابن القيم هذه القواعد التي ذكرها في شأن الحركات ودورها في اللفظ في باب توكيد الأفعال بالمصادر، ففي لفظة الحب يقول ابن القيم<sup>2</sup>: « قلت فعل الحب فيه لغتان فعل وأفعل وقد أنشدوا في (الصحاح) بيتين على اللغتين وهما:

أحب أبا مروان من أجتل تمره      وأعلم أن الحب بالمرء أرفق

ووالله لولا تمره ما حببته      وكان عياض منه أدنى ومشرق

والبيتان لغيلان بن شجاع النهشلي وهو عربي فصيح، وإذا ثبت أنهما لغتان في أحبته حبا فأناله محب وهو محبوب على تداخل اللغتين فأتوا في المصدر بمصدر الثلاثي كالشكر والشعل، واستعملوا من الفعلين الرباعي في غالب كلامهم حتى كأنهم هجروا الثلاثي وأتوا بمصدر حتى كأنهم هجروا الرباعي، فلما جاؤوا إلى اسم الفاعل أتوا بالاسم من الرباعي حتى كأنهم لم

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 41.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 2، ص ص 70-71.

ينطقوا بالثلاثي فقالوا: محب ولم يقولوا حاب أصلاً، وجاءوا إلى المفعول فأتوا به من الفعل الثلاثي في الأكثر فقالوا محبون ولم يقولوا محب إلا نادراً كما قال:

ولقد نزلت فلا تظني غيره منى بمنزلة المحب المكرم

فهذا من أحببت كما أن المحبوب من حبيت ثم استعملوا لفظ الحبيب في المحبوب أكثر من استعمالهم إياه في المحب مع أنه يطلق عليها فمن مجيئه بمعنى المفعول قول ابن الدهينة.

وإن الكئيب الفرد من جانب الحمى إلى وإن لم آتته الحبيب

أي المحبوب ومن مجيئه للفاعل قول المجنون

أتهجر ليلى للفراق حبيها وما كان نفساً بالفراق تطيب

فهذا بمعنى محبها وربما قالوا للحبيب: حب مثل خدن، فخدن، وخذين مثل: حب وحيب وإذا ثبت هذا فقوله رحمه الله: الحب ليس بمصدر لأحبيت إنما هو عبارة عن الشغل بالمحبوب ليس الأمر كما قال بل هي مصدر للثلاثي أجروه على الفعل الرباعي استغناء عن مصدره، وهذا لكثرة ولوع أنفسهم بالحب وألستهم به استعملوا منه أخف المصدرين استغناء به عن ثقلهما<sup>1</sup>.

"ومجيئه بالضم دون الفتح فكثير في ذلك وهو قوة هذا المعنى وتمكنه من نفس المحب وقهره وإذلاله إياه، حتى إنه ليزل الشجاع الذي لا يذل لأحد فينقر لمحبوبه ويستأسر له كما هو معروف في أشعارهم ونثرهم، وكما يدل عليه الوجود فلما كان بهذه المثابة أعطوه أقوى

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 2، ص 71.

الحركات وهي الضمة، فإن حركة الحب أقوى الحركات فأعطوا أقوى حركات المتحرك أقوى الحركات اللفظية ليتشاكل اللفظ والمعنى فلهذا عدلوا عن قياس مصدره وهو الحب إلى ضمه<sup>1</sup>.

"وأيضاً فإنهم كرهوا أن يجيئوا بمصدره عن لفظ الحب الذي هو اسم جنس للمحبة ولم يكن لابد من عدولهم إما إلى الضم أو إلى الكسر، وكان الضم أولى لوجهين: أحدهما قوته وقوة الحب، الثاني أن في الضمة من الجمع ما يوازي ما في معنى الحب من جمع الهمة والإرادة على المحبوب، فكأنهم دلوا السامع بلفظه وحركته على معناه"<sup>2</sup>.

كما "جاء في لفظ السقم: قالوا سقم وأسقام والسقم مصدر سقم وهذا جمع لاختلاف الأنواع لأنه اسم كما ذكرت.

وقيل هذه عفلة أليس قد قالوا سقم بضم السين فهو عبارة عن الدار الذي يسقم الانسان فصار كالدهن والشغل وهو في ذاته مختلف الأنواع فجمع، وأما المرض فقد يكون عبارة عن السقم والعلة فيجمع على أمراض وقد يكون مصدراً كقولك مرض فلا يجمع"<sup>3</sup>.

مما تقدم يتبين أن لسياق الحركات يتفاوت في دقة وضبط الدلالة وقوتها من حيث الاستعمال والمناسبة.

أما المد: فيختص باتساع دلالة المعنى في السياق الذي يرد فيه وقد عالج ابن القيم حركة المدى في عدة مواضع من هذا المصنف نذكر منها قوله في الألف: "ولما في في الألف من المد والاتساع في هواء الفم مشاكلة لاتساع معناه في الأجناس، فإذا أوقعوها على نوع يعينه وخصوا به من يعقل وقصرها عليه أبدلو الألف نون ساكنة فذهب امتداد الصوت فصار قصر

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ص ص 71-72.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 2، ص 72.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص ص 73-74.

اللفظ موازيا لقصر المعنى " وبهذا يوافق ابن القيم البنيوية حيث يقول: « حروف المد ثلاثة وهي الألف والواو والياء، وأنها من أوسع الحروف مخرجا والألف أوسعها اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج "الياء" و"الواو" لأنك قد تضم شفتيك في "الواو" وترفع في "الياء" لسانك قبل الحنك»<sup>1</sup>.

ويقول ابن جني في هذا الشأن « والحروف التي اتسعت مخرجها ثلاث الألف ثم الياء ثم الواو وأوسعها وألينها الألف »<sup>2</sup>.

ولهذا ابن القيم يوافق علماء اللغة في هذا التخريج بأن كل زيادة في اللفظ هي زيادة في المعنى، كما نجد أن ابن القيم قد استفاد في هذا الأمر وناقشه مع شيخه ابن تيمية حيث يقول: «في النفي ب (لن) بأنها مركبة من "أن" ولا وأن ناصبة ولا نافية غير عاملة فتكون (لن) ناصبة ونافية للقريب فيقول ابن القيم فجل هذه النواصب أنها تنفي ما قرب ولا يمتد معنى النفي فيها كامتداد معنى النفي في حرف (لا) إذا قلت: لا يقوم زيد أبدا، وقد قدمنا أن الالفاظ مشاكلة للمعاني التي أرواحها يتفرس الفطن فيها حقيقة المعنى بطبعه وحسه كما يتعرف الصادق الفراسة صفات الأرواح في الأجساد من قوالها بفطنته »<sup>3</sup>.

وبهذا يكون المد فيه امتداد للمعنى الذي يرد فيه أو السياق الذي يقع فيه، ويحكي ابن القيم مناقشته هذا الأمر مع شيخه ابن تيمية فيقول: « وقلت يوما لسيخنا أبي العباس ابن تيمية قد رساله روحه، قال ابن الجني: مكثت برهة إذ أورد علي لفظ آخذ معناه من نفس حروفه وصفاتها وجرسه وكيفية تركيبه، ثم أكشفه فإذا هو كما ظننته أو قريبا منه فقال لي رحمه الله: وهذا كثيرا ما يقع لي. وتأمل حرف (لا) كيف تجدها (لا) ما بعدها ألف مد يمتد بها الصوت

<sup>1</sup> - ينظر: سيبويه، الكتاب، ج 4، ص ص 435-436، وينظر: ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص ص 40-41.

<sup>2</sup> - ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن الهنداوي، دار القلم، دمشق، ط 2، 1993، ج 1، ص 08.

<sup>3</sup> - ينظر: ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص ص 92-93.

ما لم يقطعه ضيق النفس، فأذن امتداد لفظها بامتداد معناها ولن يعكس ذلك فتأمله فإنه معنى بديع<sup>1</sup>.

ثم يوضح ابن القيم ذلك أكثر بسرد الأمثلة من كلام الله جلا وعلا فيقول: وانظر بكيف جاء في أفصح الكلام كلام الله قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا﴾<sup>2</sup> بحرف لا في الموضع الذي اقترن به حرف الشرط بالفعل فصار من صيغ العموم فانسحب على جميع الأزمنة، وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>3</sup> كأنه يقول: متى زعموا ذلك لوقت من الأوقات أو زمن الأزمان، وقيل لهم تمونا الموت فلا يتمنونه أبدا، وحرف الشرط دل على هذا المعنى وحرف (لا) في جواب بازاء صيغة العموم ولا تساع معنى النفي فيها<sup>4</sup>.

وفي موضع آخر من سورة البقرة قوله تعالى: « ولن يتمنوه » فقصر من سعة النفي وقرب لأن قبله قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾<sup>5</sup> لأن (إن) و (كان) هنا ليست من موضع العموم لأن كانت ليست بدالة على حدث وإنما هي داخلية على المبتدأ، والخبر عبارة عن مضي الزمان الذي كان فيه ذلك الحدث فكأنه يقول عز وجل إن كان قد وهبت لكم الدار الآخرة وثبتت لكم في علم الله فلا تمنوا الموت الآن، ثم قال في الجواب « ولن يتمنوه » فانتظم معنى الجواب بمعنى الخطاب في الآتين جميعا، وليس في قوله « أبدا » ما يناقض ما قلناه، فقد يكون أبدا بعد فعل الحال تقول زيد يقوم أبدا، ومن أجل ما تقدم من قصور معنى

<sup>1</sup> - ينظر: ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 93.

<sup>2</sup> - البقرة (95).

<sup>3</sup> - الجمعة (06).

<sup>4</sup> - ينظر: ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 93.

<sup>5</sup> - البقرة (94).



النفى في "لن" وطوله في "لا" يعلم الموقف قصور المعتز له في فهم كلام الله تعالى حيث جعلوا "لن" تدل على النفي على الدوام واحتجوا بقوله تعالى: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾<sup>1</sup>،<sup>2</sup> ويضيف مثال آخر في قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾<sup>3</sup> كيف نفى فعل الإدراك (بلا) الدالة على طول النفي ودوامه، فإن لا يدرك أبدا وإن رآه المؤمنون فأبصارهم لا تدركه تعالى عن أن يحيط به مخلوق وكيف نفى الرؤية بـ (لن) فقال في قوله تعالى: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ لأن النفي بها لا يتأبد... الخ<sup>4</sup>.

وبهذا يتضح أن للسياق دوره في تحديد دلالة الكلام وفهمه وهذا ما وضعه ابن القيم في التفريق بين النفي القصير والطويل أو النفي المأبد والنفى المحدود من خلال توضيحه ذلك من كلام الله جلا وعلا.

#### - دلالة حركات الإعراب:

يقصد بالإعراب كما عرفه أهل اللغة الإبانة والإفصاح من خلال « الحركة التي تقع على أواخر الكلم بما يقتضيه موقعها من المعنى والتركيب، وتظهر في صورة أصوات تصاحب الحرف الأخير من الكلمة المعربة في الجملة، وحركة الإعراب تختلف عن حركة البناء فالأولى لا تقع إلا في تركيب لارتباطها بوظيفة الكلمات التي يتكون منها، والثانية تقع في أواخر الكلمة أو أصواتها»<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - الأعراف (143).

<sup>2</sup> - ينظر: ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 93.

<sup>3</sup> - الأنعام (103).

<sup>4</sup> - ينظر: ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 93-94.

<sup>5</sup> - ينظر: محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص ص 35-36.

والإعراب يجد وظيفة الكلمة في التركيب قال ابن يعش: « الإعراب الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلام لتعاقب العوامل في أولها »<sup>1</sup>.

ويرى الزجاج (ت 339) « أن الأسماء لما كانت تعتوها المعاني فتكون فاعلة ومفعولة، ومضافة ومضافا إليه، ولم تكن في صورها وأبنيتهما أدلة على هذه المعاني بل كانت مشتركة جعلت حركة الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني، فقالوا: ضرب زيد عمرا، فدلوا برفع رزید على أن الفعل له وينصب عمر على أن الفعل وقع به، ..... وكذلك سائل المعاني جعلوا الحركات دلائل عليها ليتسعوا في كلامهم ..... وتكون الحركات دالة على المعاني »<sup>2</sup>.

فالإعراب وظيفته دلالية حتى يفرق السامع كلام المتكلم وماذا يقصد من سياق كلامه، ويقول ابن الجني في هذا « ألا ترى أن الإعراب على مخالفة بعضه بعضا من حيث كان إنما جيء به والأعلى اختلاف المعاني » ويقول أيضا « ألا ترى أن استمرار رفع الفاعل ونصب المفعول إنما هو الفرق بين الفاعل والمفعول، وهذا الفرق أمر معنوي أصلح اللفظ به وقد مقادة الأوفق من أجله، فقد علم بهذا زينة الألفاظ وحليتها لم يقصد بها إلا تحصيل المعاني وحياطتها»<sup>3</sup>.

ويتضح أن للإعراب دور في الحفاظ على معاني وقصد المتكلمين وتبينه وهذا ما يوضحه ابن فارس بقوله: « الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ وبه يعرف الخبر

<sup>1</sup> - ينظر: موفق الدين ابن يعيش بن علي، شرح المفصل، دار التوزيع، ج 1، ص 72.

<sup>2</sup> - ينظر: أبو القاسم عبد الرحمن ابن اسحاق الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، القاهرة، 1909، ص 69.

<sup>3</sup> - ابن جني، الخصائص، ج 1، ص 38، وص 175.

الذي هو أصل الكلام ولولاه ما ميز فاعل من مفعول، ولا مضاف من منعت أو لا تعجب من استفهام»<sup>1</sup>.

ويؤكد ابن مضاء القرطبي هذا الكلام بقوله: « إن حركات الإعراب لم توجد لتدل على عوامل معينة وإنما جاءت لتدل على معاني في نفس المتكلم » فابن مضاء يوضح دور الإعراب في الإفصاح عن دلالة السياق التي ترد في الكلام المعبرة عن موقف أو مقام معين، ليخلص ابن في الأخير إلى القول أن الإعراب هو الإبانة من المعاني بالألفاظ ألا ترى أنك إذا سمعت "أكرم" سعيد أباه، وشكرا سعيدا، أبوه، وعلمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرحا واحدا لاستبهم أحدهما عن صاحبه»<sup>2</sup>، وهذا ما يؤكد أن للإعراب دور في إيضاح الكلام انطلاقا من السياق الذي قيل فيه فتتحدد دلالة الكلام وفقه.

ويتفق ابن القيم مع علماء اللغة والنحاة في أن الإعراب جيء به لإيضاح معاني الكلام انطلاقا من السياقات التي يرد فيها، وفي هذا الشأن يقول ابن القيم: « اختص الإعراب بالأواخر لأنه دليل على المعاني اللاحقة للمعرب وتلك المعاني لا تلحقه إلا بعد تحصيله وحصول العلم بحقيقته، فوجب أن يترتب الإعراب بعده كما ترتب مدلوله الذي هو الوصف في المعرب»<sup>3</sup>، وهذا يوضح أهمية الإعراب في تبين دلالة الكلام انطلاقا من السياق الذي يبنى فيه الكلام وهذا هو الشرط الذي أكده ابن القيم بقوله: وتلك المعاني لا تلحقه إلا بعد تحصيله وحصول العلم بحقيقته أي معرفة ما يترتب بعد المعرب كلام ويقصد به المتكلم لأن المعرب يحدد ما بعده انطلاقا من قصد ومراد المتكلم.

<sup>1</sup> - أحمد بن فارس، الصحاحي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ص 76.

<sup>2</sup> - ابن جني، الخصائص، ج 1، ص 46.

<sup>3</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 40-41.

ويضيف أيضا موضحا ذلك بقوله: « واقتضت الحكمة اللفظية أن يعبر بما يكون عن سبب فهو الإعراب، .... وأعني بالسبب العامل فاقتضت الحكمة أن يعبر عن تلك الأحوال بما يكون وجده تغييرا له، إذ الحركات الموجودة في العضو لا تكون إلا بآله، كما تكون الصفات المضافة إلى الموصوف <sup>1</sup>»، وهذا يوضح أكثر أن لحركات الإعراب دورها في توجيه وضبط دلالة السياق الذي يرد فيه الكلام انطلاقا من مراد المتكلم.

### -دلالة سياق الأصوات المركبة:

إن للصوت دلالة في ذاته انطلاقا من مخرجه وصفته فتحدد دلالاته وهو مفردا فكما يكون للصوت دلالة وهو مفرد تكون له دلالة وهو مركب مع غيره، ونقصد بالتركيب ضم الصوت إلى الصوت ليكون لنا كلمة تدل معنى معين يقصده المتكلم.

فدلالة الأصوات المركبة التي تشكل الكلمة أساسها قد تناولها العرب قديما بشكل واسع وخاصة في المعاجم العربية من خلال اجتماعها في كلمة واحدة فيقول ابن جني في هذا الشأن: «الدالف للشيخ الضعيف .... والدنف المريض .... ومثل الترفة، أو الطرف، والطرف أضعف من قلبه وأوسطه، قال تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ <sup>2</sup>، ومثل: الفتور، الضعف، ..... وغير ذلك من الكلمات التي جاءت فيها أصوات الدال أو التاء أو الفاء أو الراء أو اللام أو النون مع صوت الفاء الذي جاء قسيما لهذه الأصوات في بعض الكلمات للدلالة على الوهن والضعف» <sup>3</sup>.

كما أضاف ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة دلالة الأصوات المركبة من خلال اجتماع صوتين وما يشبههما فتشكل هذه الأصوات الثلاثة دلالة معينة فيقول: " إن الله تعالى جعل في كل

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 41.

<sup>2</sup> - الرعد (41).

<sup>3</sup> - ابن جني، الخصائص، ج 2، ص 110.

شيء سرا ولطيفة، وقد تأملت في هذا من أوله إلى آخره فلا ترى الدال مع اللام بحرف ثالث إلا وهي تدل على حركة ومجيء وذهاب وزوال من مكان إلى مكان<sup>1</sup>.

وقد وافقه في هذا وسار على هذا المنوال الكثير من المحدثين، وبحثوا في هذا المجال ومما توصلوا إليه نذكر مايلي:

– الهمزة والباء وما ثلثهما: يدل على النفور والانفصال مثل: أبي (الشيء كرهه)، أباد أهلك، أبدى (أظهر).... الخ<sup>2</sup>.

– الجيم والراء وما ثلثهما: ومدلولها الجذب والسحب والإطالة مثل: جر (جذب وسحب) جرأ (أقدم).... الخ<sup>3</sup>.

– الدال واللام وما ثلثهما: ومدلولهما الحركة مثل: دل (أرشد)، دلى (أرسل الدلو إلى البئر)..... الخ<sup>4</sup>.

وقد أشار إلى هذا ابن القيم في تحديد دلالة بعض الكلمات انطلاقاً من الأصوات التي تشكلها.

– الهمزة والهاء في اسم الله: قال ابن القيم « الحكمة في وجود الألف في أوله أنها من أقصى مخارج الصوت قريباً من القلب الذي هو محل المعرفة إليه، ثم الهاء في آخره مخرجها من هناك أيضاً، لأن المبتدأ منه والمعاد إليه والإعادة أهون من الإبتداء، وكذلك لفظ الهاء أهون من لفظ الهمزة »<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> – أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ج 2، ص 298.

<sup>2</sup> – محمد المبارك، فقه اللغة، ص 102.

<sup>3</sup> – المرجع نفسه، ص 102.

<sup>4</sup> – أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ج 2، ص 298.

<sup>5</sup> – ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 166.

"فتأمل هذه الأسرار ولا يزهديك فيها بنو طباع عثر عنها واستغنائهم بظاهر من الحياة الدنيا عن الفكر فيها والتنبيه عليها، فإني لم أفحص عن هذه الأسرار وخفي التحليل في الظواهر والإضمار إلا قصد التفكير والإعتبار في حكمة من خلق الانسان وعلمه البيان، فمتى لاح لك من

هذه الأسرار سر وكشف لك عن مكنونها نكر فاشكر الواهب للنعم ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾<sup>1</sup>،<sup>2</sup>.

ومن خلال هذا يتضح أن مدلول كلمة الله عند ابن القيم تلخص بدأ الخلق وفنائه، أي هو من خلقهم على هذه الأرض وهو يفنيهم ويعيدهم إليه، لهذا قال إذا اعتقد مخلق أنه لا يموت وطغى، فالله يخبره بأن موته أهون وأسهل فقال والمعاد إليه والإعادة أهون من الابتداء، أي أسهل من خلقهم يوم خلقهم.

### – الحاء والتاء، والحاء والذال في حتى وحد:

وقد أشار ابن القيم إلى دلالة هذين الحرفين انطلاقاً من المقارنة بين حتى وحد لأن التاء والذال من نفس المخرج والصفة إلا في الجهر فيقول: "وأما "حتى" فموضوعة للدلالة على أن ما بعدها غاية لما قبلها وغاية كل شيء حده، وذلك كان لفظاً كلفظ الحد فإنها حاء قبل تاءين، كما أن الحد حاء قبل دالين، والذال كالتاء في المخرج والصفة إلا في الجهر فكانت كجهرها أولى بالاسم لقوته، والتاء لعمسها أولى بالحرف لضعفه"<sup>3</sup>.

"ومن حيث كانت "حتى" للغاية خفضوا بها كما يخفضون ب "إلى" التي للغاية والفرق بينهما أن "حتى" غاية لما قبلها وهو منه وما بعد "إلى" ليس بما قبلها بل عنده انتهى ما قبل

<sup>1</sup> - طه (114).

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 166.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1، ص 180.

الحرف، ولذلك فارقتها في أكثر أحكامها ولم تكن "إلى" عاطفة لانقطاع ما بعدها عما قبلها بخلاف "حتى"<sup>1</sup>.

وبهذا قد أشار ابن القيم إلى دلالة "حتى" انطلاقاً من الحروف المشكلة لها فرآها تشبه لفظة الحد التي تعني حد الشيء وغايته، أو منتهاه، وفسر هذا بتشابه الحرفين الدال والتاء فكانت دلالتها انطلاقاً من هذين الحرفين.

### - دلالة السياق كلمة « الحب »:

فقد أشار ابن القيم إلى أن الحرفين الحاء والباء جيء بهم في هذا اللفظ الذي هو الحب فيقول « تأمل كيف أتوا في هذا المسمى بحرفين أحدهما الحاء التي هي من أقصى الحلق مبدأ الصوت ومخرجها قريب من مخرج همزة من أصل الصدر الذي هو معنى الحب وقراره، ثم قرنها بالباء التي هي من الشفتين وهي آخر مخرجها الصوت ونهايته فجمع الحرفان بداية الصوت ونهايته كما اشتمل معنى الحب على بداية الحركة ونهايتها، فإن بداية حركة الحب من جهة محبوبه ونهايتها إلى الوصول إليه فاختاروا له حرفيه هما بداية الصوت ونهايته، فتأمل هذه النكت البديعية نجدها ألطف من النسيم ولا تعلق إلا بذهن يناسبها لطافة ورقة:

فقل لكثيف الطبع ويحك ليس ذا بعثك فادرج سالما غير غانم

واشتقاقه في الأصل من الملازمة والثبات من قولهم: أحب البعير فهو محب إذا برك

فلم يثر فقال:

حلت عليه بالقطيع ضربا ضرب بعير السوء إذا حبا

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 180.

فلما كان الحب ملازماً لذكر محبوبه ثابت القلب على حبه مقيماً عليه لا يروم عنه انتقالاً ولا يبغى عنه زوالاً قد اتخذ في سويداء قلبه وطناً وجعله له ساكناً.

### نزول الجبال الراسيات وقلبه على العهد لا يلوى ولا يتغير

فلذلك أعطوه هذا اللفظ الدال على الثبات واللزوم ولما جاؤوا إلى المحبوب أعطوه في غالب استعمالها لفظ فعيل الدال على أن هذا الوصف وكون متعلق المحب أمر ثابت له لذاته، وإن لم يجب فهو حبيب سواء أحبه غير ألا، وهذا الوزن موضوع في الأصل لهذا المعنى الشريف وإن لم يشره غيره وهو من باب الأوصاف الثابتة اللازمة، كطويل وقصير، وكريم وعظيم وحليم وجميل وبابه»<sup>1</sup>.

فمن خلال هذا الكلام الذي نقله ابن القيم عن لفظة الحب أن ابن القيم استسقى دلالتها من سياق مخارجها لأنها تمتد من الاصدر إلى الشفتين والصدر قرار ومكان هذا الحب والشفتين هو التعبير عنه للمحبون فاختروا له بداية الصوت ونهايته، كما أضاف على هذا خاصية الثبات واللزوم لهذه اللفظة لأنها خارجة من القلب الذي هو مكنن هذا الشعور.

### -دلالة سياق الأصوات الفوق تركيبية:

وهي الأصوات التي يتضمنها سياق الكلام جملة أو نصاً تحدد ظواهر لغوية تعطي طابعاً صوتياً لأداء الكلام من ملائمة اللفظ مع أو مقابلة بين جملتين أو قولين، أو تضاد بين كلمتين في سياق معين أو تكرار للكلمة أو تشابه بين كلمتين في بعض الحروف كالجناس والسجع... الخ.

"وقد أطلق الكثير من علماء اللغة على النوع من الأصوات بالصوت الفوق تركيبى Phoneme Suprasegmental أو PlurisegmentacPhoneme وكذلك

<sup>1</sup>-ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 72.



يطلق عليه الصوت الثانوي Secondary (أي عناصر فوق تركيبية كالنبر، التنغيم، المفصل، الطول) وهو ملاح صوتية غير تركيبية مصاحبة تمتد عبر أطوال متنوعة في الأداء الصوتي، وتشارك في تنوع معاني الكلام مثلما تشارك في الأصوات التركيبية وليست بصوت رئيس بل صوت ثانوي يصاحب الرئيس، وتسمى العناصر الصوتية فوق التركيبية كذلك بالمصاحبات اللغوية Paralinguistic أو السمات شبه اللغوية المصاحبة للأداء الكلامي Vocal-performance، وهي ما يعرف بين اللغويين بالسلوك اللغوي Verbal behaviour الذي يتمثل في دراسة البنية الصوتية وما يصاحبها من عناصر صوتية تشارك في الدلالة وتؤثر في المستمع<sup>1</sup>.

إذن الصوت الناتج عن سياق معين أو أداء كلامي معين تحكمه ظواهر تعبيرية يستعملها المتكلم في كلامه فتحدث أصوات معينة تدل على معاني ييئها المتكلم ويفهمها السامع كالطباق، المقابلة، الجناس والسجع وملائمة اللفظ مع المعنى، وتطلق على هذه الظواهر في البلاغة العربية المحسنات البديعية فيرتب على المظاهر أصوات كالنبر والتنغيم، الوقف، ودرجة الصوت، والطول، والتناسب والتساوي، والتكرار، الإيقاع... الخ فأطلق عليها علماء الصوت من الغربيين والعرب المحدثين « بالتطيرز الصوتي وهي التي تصاحب الكلام والخطاب المنطوق ولا تدخل في تأليف البنية الصوتية للكلمة ولكنها تظهر في الأداء فقط وفي تركيب الجمل »<sup>2</sup>.

وقد أشار إلى هذا المعنى العديد من اللغويين القدامى فنجد السيوية يقول في ربط بين الصوت والمعنى أو اللفظ ومدلوله يقول « ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تضارب المعاني قولك: الزوان، والنقران، والقفزان وإنما هذه الأشياء في زعزة البدن واهتزازه في الارتفاع لأنه زعزعه وتحرك، ومثله العثيان لأنه تجيش نفسه وتثور ومثلها لحظه والدمعان

<sup>1</sup> - محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص ص 18-19.

<sup>2</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 19.

والوهجان لأنه تحرك الحر وتثوره وإنما هو بمنزلة الغليان»<sup>1</sup>، وهذه الصفات تدل على الحالات التي يكون عليها الإنسان في حاله من الحالات النفسية فوضعت لها أسماء تدل على طبيعتها، وقد ذهب العرب بهذا المذهب في الأسماء فنقل عن السجستاني قال: « قيل للعتبي ما بال العرب سميت أبناءها بالأسماء المستثناة وسمت عبيدها بالأسماء المستحسنة؟ فقال لأنها سميت أبناءها لأعدائها وسمت عبيدها لأنفسها»<sup>2</sup>، وهذا إن دل إنما يدل على أن العرب تفعل ذلك للقوة التي تربط اللفظ بمدلوله.

ويفسر ابن فارس ظاهر تسمية وكيفية استرخاء العرب ذلك في تعريفه للقلم فيقول: " القلم لا يكون قلما إلا وقد يري وأصلح وإلا فهو أنبوبة، وسمعت أبي يقول: قيل للأعرابي ما القلم؟ فقال: لا أدري، فقيل له: توهمه، فقال: هو عود قلم من جانبه كتقليم الأظفور فسمي قلما"<sup>3</sup>، إذن فالصلة بين اللفظ ومدلوله جاءت من التوهم أو التخيل من الشيء الذي يقلم وهو العود.

كما نجد أن ابن جني قد رصد في هذا الشأن عدة أبواب منها " تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني، وتصافي الألفاظ ولتعاقب المعاني وامساس الألفاظ أشباه المعاني"<sup>4</sup>.

فبهذا فقد تناول علماء اللغة دلالة الصوت في الكلمة ودلالة الصوت في التركيب أو السياق، ويقرر ابن القيم في هذا الشأن بقوله: " أعلم أن الأصل هو المعنى المفرد وأن يكون اللفظ الدال عليه مفردا لأن اللفظ قالب المعنى ولباسه يحتذي حذوه، والمناسبة الحقيقية معتبرة بين اللفظ والمعنى طولا وقصرا وخفة وثقلا، وكثرة وقلة، وحركة وسكونا، وشدة ولينا، فإن كان المعنى مفردا أفردوا لفظه وإن كان مركبا ركبوا لفظه وإن كان طويلا طولوه كالقطنط،

<sup>1</sup> - سيبويه، الكتاب، ج 2، ص 218.

<sup>2</sup> - ابن دريد، الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي بمصر، مطبعة الرسالة المحمدية، 1957، ص ص 4-5.

<sup>3</sup> - ابن فارس، الصاجي في فقه اللغة، ص ص 98-99.

<sup>4</sup> - ابن جني، الخصائص، ج 2، ص ص 133-139.

والعشق للطويل، فانظر إلى طول هذا اللفظ لطول معناه، وانظر إلى لفظ بخر وما فيه من الضم والاجتماع لما كان مسماها القصير المجتمع الخلق وكذلك لفظة الحديد والحجر والشدة والقوة ونحوها تجد في لفظها ما يناسب مسمياتها، وكذلك لفظا الحركة والسكون مناسبتهما معلوم بالحس، وكذلك لفظ الدوران والنروان والغليان وبابه في لفظهما من تتابع الحركة ما يدل على تتابع حركة مسماها، وكذلك الدجال والجراح والضراب والأفك في تكرار الحرف المضاعف منها ما يدل على تكرار المعنى، وكذلك الغضبان والظمان والحيران وبابه صيغ على هذا البناء الذي يتسع النطق به ويمتلئ الفم بلفظه لامتلاك حامله من هذا المعاني، فكان الغضبان هو الممتلئ غضبا الذي قد اتسع غضبه حتى ملأ قلبه وجوارحه وكذلك بقيتها<sup>1</sup>.

"ولا يتسع المقام لبسط هذا فإنه يطول ويدق جدا حتى تسكع عنه أكثر الأفهام وتنبو عنه لطافته فإنه ينسأ من جوهر الحرف تارة وتارة من صفته، ومن اقترانه بما يناسبه، ومن تكرره ومن حركته وسكونه وتقديمه وتأخيرته وإثباته وحذفه، وقلبه وإعلاله إلى غير ذلك من الموازنة بين الحركات وتعديل الحروف وتوخي المشاكلة والمخالفة والخفة والثقل والفصل والوصل وهذا باب يقوم من تتبع بمفر ضخم وعس الله أن يساعد على ابرازه وقوته"<sup>2</sup>. فيتضح أن ابن القيم أفرد في الكلام قضية صوتية مهمة وهي قضية تلاؤم اللفظ مع المعنى أو مناسبة اللفظ مع المعنى من خلال إثباتها وشرحها.

### - دلالة سياق التكرار الصوتي:

#### - تكرار معنى كلمة وسواس:

قال ابن القيم في معنى كلمة وسواس « وأصل الوسوسة الحركة أو الصوت الخفي الذي لا يحسن فيحترز منه، فالوسواس الإلقاء الخفي في النفس إما بصوت خفي لا يسمعه إلا من ألقى

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 103.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1، ص 103-104.

إليه، وإما بغير صوت كما يوسوس الشيطان إلى العبد، ومن هذا وسوسة الحلي وهو حركته الخفية في الأذن والوسواس فعلان من وسوس»<sup>1</sup>.

"والظاهر والله أعلم أنها سميت وسوست لقربها وشدة مجاورتها محل الوسوسة من شياطين الإنس، وهو الأذن فقيل: وسوسة الحلي لأنه صوت مجاور للأذن، كوسوسة الكلام الذي يلقيه الشيطان في أذن من يوسوس له، ولما كانت الوسوسة كلاماً يكره الموسوس ويؤكد عند من يلقيه إليه كرروا لفظها بإزاء تكرير معناها فقالوا: وسوس وسوسة فراعوا تكرير اللفظ ليفهم منه تكرير مسماه"<sup>2</sup>.

ويلاحظ أن ابن القيم أشار إلى التكرار ودوره في تحديد دلالة اللفظ ومن ثم راعى فيها تكرار اللفظ في السياق ليبدل على المعنى المراد من الكلام، فيقول: "ونظير هذا ما تقدم من متابعتهم حركة اللفظ بإزاء متابعة حركة معناه كال دوران والغليان والنزوان وبابه، ونظير ذلك زلزل ودكدك، وكوكب الشيء لأن الزلزلة حركة متكررة وكذلك الدكدكة والقلقلة، وكذلك كبكب الشيء إذا كبه في مكان بعيد فهو يكب فيه كبا بعد كب كقوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾<sup>3</sup> ومثله ررضضة إذا كرر رضه مرة بعد مرة..... الخ"<sup>4</sup>.

وبالتالي نجد هذا متكرراً في الكثير من الكلام ويبدل على معناه بمجرد سماعه أو ورده في سياق الكلام وبالتالي عبروا في الكثير من الكلام بهذه الألفاظ لأنها تعبر عن سياقها بمجرد سماعها من طرف المتلقي أو السامع.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 2، ص 210.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 2، ص 210.

<sup>3</sup> - الشعراء (94).

<sup>4</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 2، ص 209.

-دلالة سياق الحروف المقطعة في بداية سور القرآن الكريم:

حاول ابن القيم تفسير لتلك الأصوات المتقطعة في بدايات لسور القرآن الكريم وما سبب مجيئها على هذا المنوال فيقول: « تأمل سر « ألم » كيف اشتملت على هذه الحروف الثلاثة فالألف إذا بدئ بها أولا كانت همزة وهي أول المخارج من أقصى الصدر، واللام من وسط مخارج الحروف وهي أشد الحروف إعتقادا على اللسان، والميم آخر الحروف ومخرجها من الفم، وهذه الثلاثة أصول مخارج الحروف أعلى الحلق واللسان والشففتين، وترتيب في التنزيل من البداية إلى الوسط إلى النهاية»<sup>1</sup>.

وهذا الكلام الذي شرح ابن القيم فيه (ألم) يدل على أن كلام العرب هو بين الألف والميم من أول الحرف الخارج من الصدر الذي يخرج منه الكلام المعبر به عن حاجتهم ليمر عبر هذا السياق فيتربط عبره لينطق به على الشفتين، وبالتالي فالله عز وجل تكلم بهذه الحروف ليبين أن كلام العرب يكمن بين سياق هذه الحروف الثلاثة، ويصف ابن القيم قائلا: « فهذه الحروف معتمدة المخارج الثلاث التي تتفرع منها ستة عشر مخرجا فيصير منها تسعة وعشرين حرفا عليها مدار كلام الأمم الأولين والآخرين مع تضمنها سرا عجيبا، وهو أن للألف البداية واللام التوسط والميم النهاية، فاشتملت الأحرف الثلاثة على البداية والنهاية والوساطة بينهما، وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف الثلاثة فهي مشتملة على بدء الخلق ونهايته وتوسطه، فمشملة على تخليق العالم وغايته وعلى التوسط بين البداية والنهاية من التشريع والأوامر، فتأمل

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 3، ص 147.

ذلك (البقرة) و(آل عمران) و(تنزيل السجدة) وسورة (الروم)»<sup>1</sup>.

ويتضح من كلام أنّ ابن القيم هذه السور كانت تتضمن منهج حياة الأمم السابقة من الخلق إلى فنائها وسبب فنائها.

ثم يضيف أيضا فيقول: "وتأمل اقتران الطاء بالسين أو الهاء في القرآن فإن الطاء جمعت من صفات الحروف خمس صفات لم يجمعها غيرها، وهي الجهر والشدة والإستعلاء والاطباق، والسين مهموس رخو مستغل صفيري منفتح، لا يمكن أن يجمع إلى الطاء حروف يقابلها كالسين والهاء، فذكر الحرفين اللذين جمعا الحروف"<sup>2</sup>.

فابن القيم بين في النص صفات هذه الحروف فنجده قد ذكر في صفات حرف الطاء تكلم عن خمس صفات وعدد أربعاء، وذكر في الهاء والسين خمس تقابلها أربع في الطاء إلا صفة الضمير لا مقابل لها في الطاء فنجد أن الصفة التي لم يذكرها في الطاء هي التفخيم، بهذا فإن ابن القيم حاول بهذا أن يقول بأن هذا الحرف جمعت صفات كل الحروف لأن للصفة كذلك دور في تديد مناسبته لدلالته أو لمعناه أو السياق الصوتي الذي يرد فيه، وبالتالي هذين الحرفين باجتماعهما حققوا جميع صفات الحروف الهجائية التي ترد في سياق السورة.

ثم يضيف أيضا ابن القيم في هذا الباب فيقول: « تأمل السور التي اشتملت على الحروف المفردة في بدايات سور القرآن الكريم كيف نجد السورة مبنية على ذلك الحرف، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿قَٓٓٓ﴾<sup>3</sup> والسورة مبنية على كلمات القافية من ذكر القرآن وذكر الخلق، وتكرير القول ومراجعته مرارة والقريب من بني آدم، وتلغي الملكين قول العبد وذكر الرقيب وذكر السائق والقرين والإلقاء في جهنم، والتقديم بالوعيد، وذكر المتقين وذكر القلب والقرون

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد ، ج3، ص 147.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج3، ص 147.

<sup>3</sup> - ق (01).

والتنقيب في البلاد، وذكر الفيل مرتين وتشقق الأرض، وإلقاء الرواسي فيها، وبسوق النخل والرزق وذكر القوم وحقوق الوعيد، ولو لم يكن إلا تكرار القول والمحاورة، وسر آخر وهو أن كل معاني هذه السورة مناسبة لما في حرف القاف من الشدة والجهر والحر والانفتاح»<sup>1</sup>.

وهذا بارز في تخريج ابن القيم، لأن السياق الذي وردت فيه السورة لا تكاد تخلوا آية من آيات منه فكانت المناسبة واضحة بين حرف القاف وسورة قاف والسياق السورة.

ويضيف ابن القيم زيادة وأيضا في هذا فيقول: "فتأمل ما اشتملت عليه سورة (ص) ومن الخصوصات المتعددة فأولها خصومة الكفار مع النبي صلى الله عليه وسلم وقولهم في قوله تعالى: ﴿أَجْعَلِ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾<sup>2</sup> إلى آخر كلامهم ثم اختصام الخصمين عند داود، ثم تخاصم أهل النار ثم اختصام الملائة الأعلى في العلم وهو الدرجات والكفارات، ثم محاصمة إبليس واعتراضه على ربه في أمره بالسجود لآدم، ثم خصامه ثانيا في شأن بنيه وحلفه ليغوينهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم، فليتأمل اللبيب الفطن هل يليق بهذه السورة غير (ص) وسورة (ق) غير حرفها، وهذه قطرة من بحر من بعض أسرار هذه الحروف والله أعلم"<sup>3</sup>.

فيتضح من هذا القول أن ابن القيم حدد دلالة حرف الصاد المتمثلة في الخلاف والتصادم والخصومة بين طرفين وفيما بين الطرف الواحد فدل السورة على دلالة الحرف والسياق الذي جاءت فيه دال على ذلك.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 3، ص ص 147-148.

<sup>2</sup> - ص(05).

<sup>3</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 3، ص 148.

فالمتبع لدلالة سياق الحروف المتقطعة في القرآن يتضح له مدى مناسبة سياق الحروف  
لسياق السور التي ترد فيها سواء كان هذه منفردة أو مجتمعة في سياق متوالي مرتب حسب الصفة  
والمنخرج.



## الفصل الثالث:

### دلالة السّياق الصّرفي

#### أولاً: دلالة سياق المصادر

- مصدر المرة والنوع
- مصدر الفعل اللازم
- مصدر الوسواس

#### ثانياً: دلالة سياق المشتقات

- دلالة سياق اسم الفاعل
- دلالة سياق اسم المفعول
- دلالة سياق صيغ المبالغة
- دلالة سياق المكان
- مشتقات أخرى

#### ثالثاً: دلالة سياق أوزان الأفعال

1. دلالة سياق الفعل الماضي
2. دلالة سياق الفعل المضارع
3. دلالة سياق الأمر

يعتبر الصّرف من العلم الذي يحكم تغيير بناء الكلمات من زمن لآخر، أو من حدث لآخر، ليدل على مراد المتكلم عند استعماله في السياق الذي يريده، أو يناسب المقام أو الموقف الذي فيه أو يصادفه.

وعلم الصّرف MORPHOLOGY: العلم الذي تعرف به الأبنية المختلفة للكلام وما يشتق منه كأبواب الفعل وتصريفه وتصريف الاسم، وأصل البناء (الفعل أو المصدر) والمصادر بأنواعها، والمشتقات (إسم الفاعل، اسم المفعول، الصفة، المشبه، أفعال التفضيل، اسم الزمان، اسم المكان، اسم الآلة)، التصغير، والسنة<sup>1</sup>.... الخ.

وللصّرف قيمة عظيمة في علم اللغة وأسبق من النحو وفي هذا الشأن يقول ابن جني: من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة الصرف لأن معرفة ذات الشيء الثابت ينبغي أن يكون أصلاً لمعرفة حاله المتنقلة، إلا أن هذا الصرف من العلم لما كان عويصاً صعباً بدئاً قبله بمعرفة النحو، ثم ذكر أن التصريف أقرب إلى النحو من الاشتقاق يدل ذلك كأنك لا تكاد تجد كتاباً في النحو إلا والتصريف في آخره<sup>2</sup>.

ولهذا عرفه ابن مالك: التصريف علم يعرف به أحكام الكلمة من حيث هي التغيير وردّها إلى الأصول بزيادة أو حذف، فهو لا يتعلق بآخر الكلمة وإنما يتعلق بأولها وأوسطها<sup>3</sup>.

وجاء في شذا العرف للحملوي: قوله في تعريف الصرف: إذا تتبعنا معنى أحرف الكلمة الصاد والراء والفاء وجدنا أن الصاد تدل على المعالجة الشديدة، والراء تبين عن الملكة وتدل على شيوع الوصف، والفاء تتم عن لازم المعنى أي تدل على المعنى الكنائي<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص 61.

<sup>2</sup> - ينظر: ابن جني، المصنف، تح: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، دار إحياء التراث القديم، ط1، 1954، ج 1، ص 04.

<sup>3</sup> - ينظر: محمد بن صالح بن عثمان، شرح ألفية ابن مالك، دار الجوزي، القاهرة، ط 2008، ص 790.

<sup>4</sup> - ينظر: أحمد ابن محمد الحملوي، شذا العرف في فن الصرف، دار الكيان، ص 39.

وإذا نظرنا إلى فهم المعنى العام للكلمة وجدنا أن الفعل صرف يفيد مطلق التغيير من حال إلى حال، لأن المعالجة الشديدة الكامنة في معنى الصاد لا تتم إلا بالتغيير والتحويل مضافة إلى الملكة وشيوع الوصف الكامنة في الرءاء مخصصة هذا التغيير، وذلك التحويل بدخول الفاء الذي على لازم المعنى<sup>1</sup>.

كما وردت مادة صرف في القرآن الكريم مجردة ومزيدة تقيد كلها معنى النغير والتحويل كقوله تعالى: ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾<sup>2</sup> ﴿وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ﴾<sup>3</sup> ﴿رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾<sup>4</sup> ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾<sup>5</sup> ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ﴾<sup>6</sup> ﴿وَأَخْتَلَفِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾<sup>7، 8</sup>.

والصرف والتصريف مصدران لصرف وصرّف ويدور معناهما حول التحويل والتغيير والتقليب، ويقال صرفته عن وجهه صرفاً إذا رددته وحولته، وصرفته في الأمر تصريفاً إذا قبلته، ومن هذا تصريف الرياح أي تحويلها من إلى جهة، وتصريف السحاب تحويلها من جهة إلى جهة أخرى..... الخ<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: أحمد ابن محمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص 39.

<sup>2</sup> - يوسف (34).

<sup>3</sup> - النور (43).

<sup>4</sup> - الفرقان (65).

<sup>5</sup> - الفرقان (19).

<sup>6</sup> - البقرة (164).

<sup>7</sup> - الجاثية (05).

<sup>8</sup> - ينظر: أحمد ابن محمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص ص 39-40.

<sup>9</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 40.

وهذا يدل أن الصرف أو التصريف يدل على تغيير وتحويل الكلمة من صيغة إلى صيغة أخرى حسب حاجة المتكلم ومراده في توضيح كلامه أداء معناه ليدل في سياق معين على مدلول المتكلم فيفهم السامع الدلالة ومراد المتكلم.

وقد عرفه ابن حاحب في شافيته بقوله التصريف علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست إعراباً<sup>1</sup>.

والمراد بالأصول: يعني القوانين الكلية المنطقية على الجزئيات كقولهم « كل واو أو ياء إذا تحركت وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً » وقوله « أبنية الكلم المراد بناء الكلمة ووزنها وصيغتها وهيئتها التي يمكن أن يشاركها فيها غيرها »<sup>2</sup>.

وقد وضع ابن الحاحب معنى التغيير بزيادة الحروف في بنية الكلمة ولتلك الأبنية دلالة في المعنى إلى جانب وظيفة تركيبه أو تحديد شكل البنية يقوم على المعنى المراد فالمتكلم يتحكم في تصريف الكلمة الأصلية بزيادة أو نقصان أو نقل من زمان إلى زمان فكلمة مثل "الضرب" تتصرف إلى وجوه مختلفة فيبنى للماضي منه "ضرب" وللحاضر "يضرب" وللمستقبل "سيضرب" وللأمر "أضرب" وللنهي "لا تضرب" وللفاعل "ضارب" والمفعول "مضروب" ..... الخ<sup>3</sup>.

وبهذا يتضح أن الصرف يحدد دلالة معاني الكلمة بحسب ما تصرف إليه فتدل على ما يرده المتكلم من خلال السياق المستعمل في التركيب.

<sup>1</sup> - ينظر: رضى الدين محمد ابن الحسن، الاسترادي النحوي، تج: محمد محي الدين عبد الحميد وآخرون، شرح شافيه ابن الحاحب، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1982، ص 1.

<sup>2</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص ص 1-2.

<sup>3</sup> - أبو عبد الله محمد بن أبي الوفاء الموصلي المعروف بابن القبيهي، التنمية في التصريف، تج: محسن ابن سالم العميري، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، ط 1، 1993، ص 28.

وتقسم الأبنية الصرفية ذات الدلالة إلى نوعين:

–الأوزان الصرفية: مثل المصادر، والمشتقات (اسم الفاعل، اسم المفعول، والصفة المشتبهة، واسما الزمان والمكان، اسم الآلة)، وأوزان جمع التكسير والتصغير، أوزان الأفعال.

1. اللواحق: Prefixes واللواحق Suffixes والدواخل Infixes وهي التي تدخل في

صلب أو أحشاء بنية الكلمة لتحقيق معاني أو تشارك في الدلالة<sup>1</sup>.

وينظر إليه بعضهم بأنه هو حلقة وصل بين دلالة السياق الصوتي ودلالة السياق التركيبي، ويدرس التغييرات التي تقع على صيغ الكلمة وما يضاف إليها من سوابق ولواحق وحشو، تؤثر في المعنى وتؤدي إلى تغييره<sup>2</sup>.

وبعد المرور فيهم أساس التحليل الصرفي ونجد بأنه « أصغر وحدة لغوية مجردة ذات معنى دلالي أو نحوي في الكلمة أو الجملة »<sup>3</sup>، الذي يعبر به المتكلم عن حدث كالفعل أو الفاعلية أو المفعولية أو المصدرية أو الإسمية.... الخ.

وقد اتخذ فيرث من التحليل الصرفي للملفوظ اللساني مرحلة من مراحل البحث عن المعنى وليس هو المعنى بذاته، إذ لا جدوى من القول بأن هذه الكلمة اسم أو فعل وهي على صيغة كذا أو وزن كذا، فنحن لم نقم بشيء لنصل إلى المعنى سوى أننا وصفنا الكلمة صرفياً وهذا عند فيرث خطوة من الخطوات الإجرائية لإقتناص المعنى الذي هو كل مركب من مجموعة وظائف لغوية من بين عناصره: الوظيفة الصرفية، وإذا كانت النهاية القصوى لتشكيل الأصوات

<sup>1</sup> - ينظر: محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص ص 61-62.

<sup>2</sup> - ينظر: خليل أحمد عمارة، في نحو اللغة وتركيبها (منهج وتطبيق)، عالم المعرفة، جدة، ط 1، 1984، ص 26، ينظر: نور الهدى لوشن، علم الدلالة، ص 84.

<sup>3</sup> - ينظر: أحمد التوحني، وراجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة (الاستنباط)، ط 1.

لغة تتمثل في تشكيلها صيغا، فإن تشكل الصيغ كلمات دالة سيفضي لا محالة إلى النحو نظاما به تنظيم الكلمات جملا وبذلك تنتقل إلى المستوى التركيبي<sup>1</sup>.

وهذا يوضح أن دلالة الكلمة تتغير بتغير صيغة الكلمة وهذا يتم بحسب الاستعمال الذي يستخدمه المتكلم ضمن سياق يقوده إلى التعبير وبالطريقة التي يقبضها الموقف أو المقام.

وهذا يوضح أن السياق الصرفي هو ذلك السياق الذي يهتم بدراسة المفردات لا بوصفها صيغا وألفاظا فقط، وإنما بحسب ما فيها من خواص تفيد في خدمة الجملة أو العبارة<sup>2</sup>.

إذ يعمل السياق الصرفي على تحديد المعنى المراد من الصيغة المزيدة أو الوحدات الصرفية التي تلحق بالصيغ المجردة مثل الهمزة في صيغة « أفعل »<sup>3</sup>.

والسياق الصرفي لا يختص بدراسة الصيغ أو العلاقات منفردة بل بحسب كونها لاسقة في الكلمات فعندئذ يؤدي سياقها إلى دلالة معينة قد تختلف عن دلالتها الأصلية<sup>4</sup>.

فدلالة السياق الصرفي تبحث في دلالة الكلمة ضمن التركيب لأنها أكثر وضوحا دلاليا في أداء الكلام الذي يكون ضمن السياقات المختلفة التي يستعملها المتكلم في التعبير عما يريد وفقا للحاجة والمقتضى الذي يقتضيه الحال أو الموقف.

يعدّ السياق من أهم القرائن الدالة على فهم دلالة الصيغ من دلالة الأوزان ودلالة المصادر ودلالة الجموع والتثنية ودلالة المشتقات ..... الخ.

<sup>1</sup> - ينظر: محمد عياشي، اللسانيات والدلالة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط 1، 1996، ص 54.

<sup>2</sup> - ينظر: عواطف كنوش، الدلالة السياقية عند اللغويين، دار السياب، لندن، 2008، ص 58.

<sup>3</sup> - ينظر: عبد الفتاح البركاوي، دلالة السياق بعين التراث وعلم اللغة الحديث، ص 174.

<sup>4</sup> - ينظر: عواطف كنوش، الدلالة السياقية عند اللغويين، ص 59.

أولاً: دلالة سياق المصادر:

**المصدر:** ما يصدر عنه الشيء وهو مأخوذ من المصدر وهو: أعلى مقدم كل شيء وأوله<sup>1</sup>، ويقال صدر القوم عن المكان أي رجعوا عنه وصدروا إلى المكان: صاروا إليه<sup>2</sup>. وعند علماء اللغة صيغة اسمية تدل على حدث<sup>3</sup>. بهذا يكون المصدر لغة يدل على أصل الشيء وأوله.

وقال ابن جني في هذا: «أعلم أن المصدر كل اسم دل على حدث وزمن مجهول وهو وفعله من لفظ واحد والفعل مشتق من المصدر»<sup>4</sup>، فأورد ابن يعيش قوله: «المصدر هو المفعول الحقيقي لأن الفاعل يحدثه من العدم إلى الوجود وصيغة الفعل تدل عليه.... وإنما سمي مصدراً لأن الفعل صدر عنه وأخذ منه»<sup>5</sup>.

وقال ابن الحاجب: «المصدر اسم الحدث الجاري على الفعل»<sup>6</sup> كالضرب، فالمصدر اسم يقع على الأحداث مثل: الضرب، القتل، القيام، القعود، وهو أصل الأفعال لأن الاسم هو أصل اللغة ومنه ولد الفعل، والمصدر من جملة الأسماء ولهذا سمي مصدراً لصدور الأفعال عنه.

ويعرفه ابن القيم بقوله: «قولهم للضرب ونحوه مصدر، إن أريد بحروف مصدر، مصدر صدر يصدر مصدراً، فهو يقوي قول الكوفيين إن المصدر صادر عن الفعل المشتق منه والفعل أصله، وأصله على هذا صادر ولكن توسعوا فيه كصوم وزور»<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 4، ص 440.

<sup>2</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ج 4، ص 440.

<sup>3</sup> - ينظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ج 1، ص 510.

<sup>4</sup> - ينظر: ابن جني، اللع في العربية، تج: سيمح أبو مغلي، دار مجد اللاوي، 1988، ص 44.

<sup>5</sup> - موفق الدين أبي ابلقاء بن يعيش، شرح المفصل، إدارة الطبعة المنيرية بمصر، د.ط، د.ت، ج 1، ص 110.

<sup>6</sup> - ابن هشام، شرح شذور الذهب، شرح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، 2003، ص 392.

<sup>7</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 36 - 37.

فالمصدر عند ابن القيم كما نقله عن الكوفيين ورأيهم في ذلك أن المصدر مشتق من الفعل.

والمصدر أنواع منها:

### 1- المصدر القياسي:

وهو الذي نستطيع أن نقيس عليه مصادر الأفعال التي وردت عن العرب ولا نعلم كيف تكلموا بها، وهو الأصل الذي تتردد عليه مصادر كل باب<sup>1</sup>.

### 2- المصدر السماعي:

وهو الذي يسمع في الفعل خارجا عن الوزن القياسي الذي يجب أن يكون عليه، وهذا النوع من المصادر لا يكون مطرحا فيما شابهه من الأفعال إذ لا نستطيع أن نقيس عليه الأفعال التي جاءت عن العرب ولم نسمع مصدرها وهو يحفظ عن الفعل نفسه ولا يقاس عليه غيره.

### 3- المصدر الصناعي:

وهو المصوغ بإضافة "ياء" النسبة إلى اسم مردفة بـ "تاء" التأنيث للدلالة على صفة فيه ويكون ذلك في الأسماء الجامدة كالحجرية والإنسانية والحيوانية والكمية والكيفية، فالإنسانية هي الصفة المنسوبة إلى الإنسان والحجرية هي الصفة المنسوبة إلى الحجر ومثلهما بقية الكلمات<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيويه، مكتبة النهضة، بغداد، ط 1، 1965، ص 208.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 209.



#### 4- المصدر الميمي:

هو مصدر يدل على ما يدل عليه المصدر العادي غير أنه يبدأ بميم من الثلاثي على وزن "مفعَل" نحو "مَضْرَبٌ"....، ويبنى ما فوق الثلاثي بإبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وفتح ما قبل الآخر مطلقا نحو "مَدْحَرَجٌ" و "مَسْتَخْرَجٌ"، وقد وردت بعض المصادر بكسر العين وحقها الفتح كالمسير والمصير<sup>1</sup>.

#### 5- مصدر المرة والنوع:

1. اسم المرة: ما دل على عدد وقوع الفعل نحو (ضربته ضربة أو ضربتين) وتبنى المرة من الثلاثي على وزن "فَعْلَةٌ" وما فوق الثلاثي فكل منهما يبنى على صيغة مصدر فعلة مختوما بتاء التانيث مثل: انطلقت، انطلاقة.

2. مصدر النوع: ما يدل على كيفية وقوع الفعل نحو (نظرت إليه نظرة الحب) ويبنى النوع من الثلاثي على وزن "فَعْلَةٌ" أما مما فوق الثلاثي فيبنى على صيغة مصدر فعلة مختوما بتاء التانيث نحو (التفت إلتفاتة الظي)<sup>2</sup>.

وأما اسم المصدر فهو ما ساوى المصدر في الدلالة على معناه وخالفه بخلو لفظا وتقديرا من بعض أحرف فعله من دون عوض نحو العطاء والكلام من أعطى وتكلم، والعطاء والكلام اسما مصدر لا مصدران لخلوهما من بعض أحرف فعليهما، فالكلام خال من التاء التي في تكلم، والعطاء خال من الهمزة التي في أعطى، ومن المصدر أن يتضمن جميع أحرف فعله بمساواة نحو (علم، علما، تكلم، تكلما) أو بزيادة نحو (أكرم إكراما...) وإذا خلا من بعض أحرف فعله كان ذلك البعض مقدرًا كما في "قتال" أو معوصا عنه كما في "عدة" فقتال قد خلت من ألف

<sup>1</sup> - جرجي شاهين عطية، سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان، دار ريجاني، بيروت، ط 4، ص ص 39 - 40.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 41. وينظر: خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، المصدر الميمي ومصدر المرة ومصدر الهيئة الذي يسمى عند بعض النحاة بمصدر النوع وكل ما يتعلق بالمصدر وصيغته، ص ص 208 - 245.

قاتل ولكن الألف هنا مقدرة، لأن أصل قتال فيتال قلبت الألف ياء لانكسار ما قبلها ثم حذفت للتخفيف، وعدة مصدر وعد حذفت منها الواو وعوضت عنها بالتاء في آخرها<sup>1</sup>.

وقد أشار ابن القيم إلى الفرق بين المصدر واسم المصدر عند الكلام عن لفظ السلام فيقول: أن السلام الذي هو التحية اسم مصدر من سلم ومصدره الجاري عليه تسليم، كعلم تعليماً، وفهم تفهيماً، وكلم تكليماً والسلام من سلم، كالكلام من كلم، فإن قيل: وما الفرق بين المصدر والإسم؟ قلنا بينهما فرقان: لفظي ومعنوي.

أما اللفظي: فإن المصدر الجاري على فعله الذي هو قياسه كالأفعال من أفعل، والتفعيل من فعل والانفعال من انفعال، والتفعيل من تفعلل وبابه، وأما السلام والكلام فليسا بجارين على فعليهما ولو جريا عليه ل قيل تسليم وتكليم، وأما الفرق المعنوي: فهو أن المصدر دال على الحدث وفاعله، فإذا قلت: تكليم وتسليم وتعليم ونحو ذلك دل على الحدث ومن قام به، فيدل التسليم على السلام والمسلم وكذلك التكليم والتعليم، وأما اسم المصدر: فإنما يدل على الحدث وحده فالسلام والكلام لا يدل لفظاً على مسلم ولا بخلاف التكليم والتسليم.

وسر هذا الفرق أن المصدر في قولك: سلم تسليمًا وكلم تكليماً بمنزلة تكرار الفعل فكأنك قلت سلم سلم وتكلم تكلم، والفعل لا يخلو من فاعله أبداً، وأما اسم المصدر فإنهم جردوه مجرد الدلالة على الحدث وهذه النكته من أسرار العربية فهذا السلام الذي هو التحية<sup>2</sup> وأما السلام الذي هو اسم من أسماء الله ففيه قولان:

<sup>1</sup> - ينظر: بهاء الدين عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار التراث، القاهرة، ط 1980، 20، ص ص 98 - 99. وينظر: جرجي شاهين عطية، سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان، ص 34.

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 2، ص 112.

أحدهما: أنه كذلك اسم المصدر واطلاق عليه كإطلاق العدل عليه والمعنى أنه ذو السلام وذو العدل على حذف المضاف.

والثاني: أن المصدر بمعنى الفاعل هنا أي السالم كما سميت ليلة القدر سلاما، أي سالمة من كل شر بل هي لا شر فيها وأحسن من القولين، وأقيس في العربية أن يكون نفس السلام من أسمائه تعالى كالعدل وهو من باب اطلاق المصدر الفاعل لكونه غالبا عليه مكررا منه كقولهم: رجل صوم وعدل وزور وبابه.

وأما السلام الذي هو بمعنى السلامة فهو مصدر نفسه وهو مثل الجلال وجلالة، فإذا حذفت التاء كان المراد نفس المصدر، وإذا اتيت بالتاء كان فيه إذن بالتحديد بالمرّة من المصدر كالحب والحبّة فالسلام والجمال والجلال كالجنس العام من حيث لم يكن فيه تاء التحديد والسلامة والجلالة والملاحة والفصاحة كلها تدل على الخصلة الواحدة<sup>1</sup>، ليتضح من هذا أن السلام الذي جاء بمعنى السلامة هو مصدر المرة الدال على اسم مرة.

وقد أور ابن القيم الحكمة من مجيء السلام اسم مصدر ولم يجيء على أصل المصدر قال فإن قيل ما الحكمة؟ قيل هذا السر بديع وهو أن المقصود حصول مسمى السلامة للمسلم عليه على الإطلاق من غير تقييد بفاعل، فلما كان المراد مطلق السلامة من غير تعرض<sup>2</sup> لفاعل أتوا باسم المصدر الدال على مجرد الفعل ولم يأتوا بالمصدر الدال على الفعل والفاعل، ومن هذا يتضح أن السلام جاءت اسم مصدر لما جاء في سياق التحية.

وجاءت اسم مصدر عندما جاءت في سياق للدلالة على اسم من أسماء الله الحسنى أي أنه ذو السلام أي هو السلام.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج2، ص ص 112 - 113.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج2، ص 113.

وجاءت بمعنى الفاعل أي سالم كما سميت ليلة القدر سلاما بمعنى سالمة من كل شر بل هي خير لا شر فيها.

وهذا ما يؤكد أن ابن القيم أعطى كل الحالات التي ترد فيها لفظة السلام وفق السياق الذي ترد فيه حتى يتحدد معناها.

### 6- مصدر الفعل اللازم:

كما جاءت في كتب الصرف فلكل فعل مصدره سواء كان متعديا أو لازما فجاء في ألفية ابن مالك قوله:

وَفَعَلَ اللَّازِمُ بِأَبِهِ فَعَلٌ كَفَرَحَ، وَكَجَوَى وَكَشَلَّنُ

أي يجيء مصدر فَعَلَ اللازم على فَعَلَ قِيَّاسًا كَفَرَحَ فَرَحًا وَجَوَى جَوَى وَشَلَّتْ يَدُهُ شَلًّا.

وَفَعَلَ اللَّازِمُ مِثْلَ قَعَدَا لَهُ فُعُولٌ بِاطْرَادٍ كَعَدَا  
مَا لَمْ يَكُنْ مُسْتَوْجِبًا فَعَالًا أَوْ فَعْلَانًا - فَادِرٌ - أَوْ فَعَالًا  
فَأَوَّلُ لَدِي امْتِنَاعِ كَأَبِي وَالشَّانُ لِلَّذِي افْتَضَى تَقَلَّبًا  
لِلدَا فَعَالٌ أَوْ لَصَوْتٍ وَشَمَلٌ سَيْرًا وَصَوْتًا الْفَعِيلُ كَصَهْلٌ<sup>1</sup>

«يأتي مصدر فعل اللازم على فُعُولٌ قياسا، فنقول: ( قَعَدَ قَعُودًا، وَعَدَا غَدُورًا وَبَكَرَ بِكُورًا)، وأشار بقوله: « ما لم يكن مستوجبًا فعَالًا - إلى آخره » إلى أنه إنما يأتي مصدره على فعول إذا لم يستحق أن يكون مصدره: فَعَالٌ، أَفَعْلَانٌ أو فَعَالٌ.

<sup>1</sup> - ينظر: بهاء الدين عبد الله ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار التراث، القاهرة، ط20، 1980، ج3، ص ص 123 - 124.

فالذي استحق أن يكون مصدره على فعال هو: كل فعل دل على امتناع كأبي إباء... الخ.

والذي استحق أن يكون مصدره على فعلاَن هو كل فعل دل على تقلب نحو طاف

طوفان، جال جولان، ..... الخ.

والذي استحق أن يكون مصدره على فعال هو: كل فعل دل على داء أو صوت مثل:

سعل سعال، ونعب الغراب نعبًا.

وأشار بقوله: « ( وشمل سيرا وصوتا الفعيل ) إلى أن فعيلًا يأتي مصدرًا لما دل على تسير زلما

دل على صوت مثل رَحَلَ رَحِيلًا، وَنَعَقَ نَعِيقًا، وصهلت الخيل صهيلاً ..... الخ»<sup>1</sup>.

وقد أشار ابن القيم إلى مصدر الفعل اللازم بقوله « لما كان الفعل اللازم هو الذي

لزم فعله ولم يجاوزه إلى غيره جاء مصدره ثقیلاً بالحركات إذ المثقل صفة ما لزم محله ولم ينتقل عنه

إلى غيره، والخفة من صفة المنتقل من محله إلى غيره، فكان خفة اللفظ في هذا الباب وثقله موازيا

للمعنى فما لزم مكانه ومحله فهو الثقيل لفظًا ومعنى، وما تجاوزه وتعداه فهو الخفيف لفظًا

ومعنى»<sup>2</sup>.

ومن هنا يرجع قول سيبويه أن "دخلت الدار" غير متعد، لأن مصدره دخول فهو

كالخروج والعود وبابه إلا أن الفعل منه لم يجيء على فعل لأنه ليس بطبع في الفاعل ولا

خصلة ثابتة فيه، فإن كان الفعل عبارة عما هو طبع وخصلة ثابتة نقلوه بضم العين كظرف

وكرم فهذا الباب ألزم للفاعل من باب قعد ودخل، فكان أثقل منه لفظًا وباب قعد قعد وخرج

ألزم للفاعل من الفعل المتعدي كضرب فكان أثقل منه مصدرًا، وإن اتفقا في لفظ الفعل ولزم

<sup>1</sup> - ينظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ص ص 124 - 125، وينظر: خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، ص ص 214 - 215.

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 2، ص 43.

مصدر فعل الذي هو طبع وخصلة وزن فعال كالجمل والكمال والبهاء والثناء والجلال والعلاء، وهذا إذا كان المعنى عاما مشتملا على خصال ولا تختص بخصلة واحدة، فإن اختص المعنى بخصلة واحدة صار كالمحدود ولزمته تاء التأنيث لأنها تدل على نهاية ما دخلت عليه كالضربة من الضرب وحذفها من هذا الباب، وفي أكثر الأبواب يدل على انتفاء النهاية ألا ترى أن الضرب يقع على القليل والكثير إلى غير نهاية، وإنما استحقت التاء ذلك لأن مخرجها منتهى الصوت وغايته فصلحت للغايات، ولذلك قالوا: علامة ونسابة أي غاية في هذا الوصف<sup>1</sup>.

من خلال هذا النص يتضح أن ابن القيم ربط لزوم الفعل بفاعله ولم يتعدى فاعله بسبب ثقل مصدره بالحركات وعدم قدرته على الانتقال وتعديه، فكان لفظه مناسبا لمعناه من حيث الثقل ثم مثل لهذا بقول السيوي « دخلت الدار » لأن مصدره دخول فهو كالخروج والعودة وبابه على وزن فعول، ثم قال إن الفعل إذا كان من الطبع والخصلة جاء مضموم العين كظرف وكرم، فهذا الباب ألزم للفاعل من باب قعد ودخل فكان أثقل منه لفظا، وباب قعد وخرج ألزم للفاعل من الفعل المتعدي كضرب فكان أثقل منه مصدرا، وإن اتفقا في لفظ الفعل ولزم المصدر فعل الذي هو طبع وخصلة وزن الفعال كالجمل والكمال والبهاء.... الخ.

أي أن مصدر الفعل اللازم يكون أثقل وهو سبب في عدم التعدية مثل الوزن فعول مصدر الفعل فعل والوزن فعمل مصدر الفعل فعّل، أي دخل - دخول وقعد - قعود ثم ظرف - ظرف وكرم - كريم.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 2، ص ص 43 - 44.

7- مصدر وسواس:

لقد اختلف النحاة في لفظ "الوسواس" هل هو وصف أو مصدر؟ وهذا على قولين يقول ابن القيم ونحن نذكر حجة على كل قول ثم نبين الصحيح من القولين فيقول: فأما من ذهب إلى أنه مصدر فاحتج بأن الفعل منه فعلل والوصف من فعلل إنما هو مفعّل كمدحرج ومسترهف، وسيطر ومسيطر، وكذلك هو من فعل بوزن مفعّل كقطع ومخرج وبابه، فلو كان الوسواس صفة لقليل موسوس ألا تر أن اسم الفاعل من زلزل مزلزل لا زلزال، وكذلك من دكدك مدكدك وهو مطرد فدل على أن الوسواس مصدر وصف به على وجه المبالغة أو يكون على حذف مضاف تقديره ذو الوسواس؟

والدليل عليه أيضا قول الشاعر: تسمع للحلي بها وسواسا، فهذا مصدر بمعنى الوسوسة سواء<sup>1</sup>.

وقال أصحاب القول الآخر: الدليل على أنه وصف أن فعلل ضربان أحدهما صحيح لا تكرر فيه كدحرج وسرهف وبيطر، وقياس مصدر هذا الفعللة كالدحرجة والسرهفة والبيطرة، والفعالان بكسر الفاء كالسرهف والدحرج والوصف منه مفعّل مدحرج ومبيطر<sup>2</sup>.

والثاني: فعلل الثنائي المكرر كزُلزِلَ ودُكِّدَكَ ووسوس وهذا فرع على فعلل المجرد عن التكرار لأن الأصل السلامة من التكرار ومصدر هذا النوع والوصف منه مساوي لمصدر الأول وصفه، فمصدر يأتي على فَعَلَّلَهُ كوسوسة والزلزلة والفعالان كالزلزال... الخ<sup>3</sup>.

ويسرد ابن القيم الوجهان في مصدر أو صفة لوسواس ليفصل في آخر هذا التفصيل حول الوسواس فيقول: وهذا التفصيل أولى من اطلاق مع منع حذف الموصوف ولم يفصل، ومما يدل

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 2، ص 211.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 2، ص 211.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 2، ص ص 211 - 212.

على أن الوسواس وصف لا مصدر أن الوصفية أغلب على فعلل من المصدرية كما تقدم، فلو أريد المصدر لأتى بـ « ذو » المضافة إليه ليزول اللبس وتتعين المصدرية فإن اللفظ إذا احتمل الأمرين على السواء فلا بد من قرينة تدل على تعين أحدهما، فكيف والوصفية أغلب عليه من المصدرية؟ وهذا بخلاف صوم وفطر وبأبهما، فإنها مصادر لا تلتبس بالأوصاف فإذا جرت أوصافا علم أنها على حذف مضاف أو تنزيلا للمصدر منزلة الوصف مبالغة على الطرفين، فتعيين أن الوسواس هو الشيطان نفسه وأنه ذات لا مصدر والله أعلم<sup>1</sup>.

والوسواس على وزن فعلان من وسوس فعلل الرباعي المجرد فإذا كان الرباعي المجرد مضعفا أي فاؤه ولامه الأول من جنس وعينه ولامه الثانية من جنس، فإن مصدره تكون على وزن فعلة أو فعلال مثل زلزل زلزلة وزلزالا - وسوس وسوسة وسواس<sup>2</sup>.

ثم يعلل ابن القيم رأيه بقوله « فقد رأيت فعلال في هذا كله وصفا لا مصدرا، فما بال الوسواس أخرج عن نظائره وقياس بابه فثبت أن وسواسا وصف لا مصدر، كثرثار وتمتام ودحداح وبابه، ويدل عليه وجه آخر وهو أنه وصفه بما يستحيل أن يكون مصدرا بل هو متعين للوصفية وهو الخناس، فالوسواس والخناس وصفان لموصوف محذوف وهو الشيطان، وحسن حذف الموصوف هاهنا غلبة الوصف حتى صار كالعلم عليه، والموصوف إنما يقبح حذفه إذا كان الوصف مشتركا فيقع اللبس كالطويل والقبيح والحسن ونحوه، فيتعين ذكر الموصوف ليعلم أن الصفة له لا لغيره، فأما إذا غلب الوصف واختص ولم يعرض فيه اشتراك فإنه يجري مجرى الاسم ويحسن حذف الموصوف كالمسلم والكافر والبر والفاجر والقاضي والداني والشاهد والوالي ونحو ذلك، فحذف الموصوف هنا أحسن من ذكره<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 2، ص 214.

<sup>2</sup> - عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، ص 69.

<sup>3</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 2، ص 214.



ويتضح من كلام ابن القيم أنه فصل في المسألة بأن فعال في وسواس هي وصف حذف موصوفة وبالتالي فهو صفة مصدرا وإن اتفق الوزن مع اللفظ على أنه مصدر.

### ثانياً: دلالة سياق المشتقات:

يعد الاشتقاق من أهم الصفات اللغوية التي تطرأ على الكلمات لتعبر عن اسم أو وصف أو نعت ما يطرأ على سياق الكلام أثناء أداء المتكلم كلامه في موقف ما أو حال... الخ.

وللمشتق مفهوم يوضحه فجاء عند أصحاب المعاجم بمعنى الاشتقاق من شقق برحله شقوق وشقاق، وفي القدح شق وشقوق، وأحد شقه نصفه، ووقع في شق من هذا الأمر ومشقة ومشاق وتشق عليه ذلك، وقعدوا في شق من الدار في ناحية منها وخذ بين شق التباب من عرضها ولا تحتر، وقد اشتق الفرس في عدوه: مال في أحد شقيه<sup>1</sup>.

وشقق الحطب: شقه فتشقق، والكلام أخرج أحسن مخرج، وانشقت العصا: تفرق الأمر، والاشتقاق: أخذ شق الشيء، والأخذ في الكلام وفي الخصومة يمينا وشمالا، وأخذ الكلمة من الكلمة<sup>2</sup>.

وجاء في معجم التعريفات للشريف الجرجاني أن الاشتقاق نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتها معنى وتركيبا ومغايرتهما في الصيغة<sup>3</sup>.

ومن خلال هذا يتضح أن هناك تقارب بين تعريف الاشتقاق بأنه الأخذ من نفس المصدر فهو اجتماع في الأصل واختلاف في الفرع أي كما سماه الجرجاني الصيغة.

<sup>1</sup> - أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ، أساس البلاغة، ج 1، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط 1، 1998، ص 515.

<sup>2</sup> - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 898.

<sup>3</sup> - ينظر: الشريف الجرجاني، التعريفات، ص 26.

وجاء في كتب اللغة: « والاشتقاق أخذ كلمة أو أكثر من أخرى لمناسبة بين المأخوذ والمأخوذ منه في الأصل اللفظي والمعنوي ليدل بالثانية على المعنى الأصلي مع زيادة مفيدة لأجلها، اختلفت بعض الحروف أو حركاتها أهمما معا وهذا جريا على الغالب وإلا فقد لا يحدث تغيير في المشتق عن المشتق منه كما في ( طلب - طلبا ) .... الخ »<sup>1</sup>.

والاشتقاق عند النحويين: « ما يراد به الصفة ويعمل عمل وينحصر في أربعة أصناف هي اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وأفعال التفصيل، وقد خصوها بهذا لأن المشتق عندهم ما دل على ذات مبهممة وحدث، ولإبهام الذات فيها لا بد أن يجري المشتق على موصوف يعين هذه الذات، ومن ثمة يتحمل ضميرا أو يرفع اسما ظاهرا، أما أسماء الزمان والمكان والآلة فهي عندهم ملحقة بالجوامد في ذاتها نوع تعيين فهي لا تتحمل ضميرا ولا تعطي حكم الأربعة السابقة في باب الخبر والصلة والحال والنعته، ويلحق بالمشتق عند النحويين المنسوب للإنبهام<sup>2</sup>.

أما الصرفيون فالمشتقات عندهم - هي سبعة المعروفة - لأن المقصود بالمشتقات هي الأسماء فقط والمصدر عندهم من يقول أنه مشتق من الفعل، وأما اللغويون فالاشتقاق عندهم أوسع لأنهم يشتقون من أسماء الأعيان كما يقولون في بعض الجوامد أنها مشتقة كالجبل من ( الخيلاء ) والإنسان من ( الإنس ) أو ( النسيان )<sup>3</sup>.

والاشتقاق يعني أن هناك مادة لغوية معينة مثل ( ك، ت، ب ) ويمكن تشكيلها في هيئات مختلفة كهيئة منها لها وزنها الخاص، ولها وظيفة خاصة كأن نقول مثلا ( كاتب ) أو ( مكتوب ) أو ( مكتب ) وتعرف هذه العملية بالاشتقاق.

<sup>1</sup> - ينظر: خديجة الحديشي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، ص 246.

<sup>2</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص ص 246 - 247.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 246.

والمشتقات هي كالتالي: اسم الفاعل، صيغ المبالغة، الصفة المشبهة، اسم المفعول، اسما الزمان والمكان، اسم الآلة، صيغة التعجب، التفصيل<sup>1</sup>.

والاشتقاق له عدة أقسام أو أنواع:

### 1. الاشتقاق الصغير:

وهو أخذ كلمة من كلمة أخرى بتغيير في الصيغة مع تشابه بينهما في المعنى واتفاق في عدد الأحرف الأصلية وترتيبها، واختلاف في الحركات أو عدد الحروف الزائدة، ويسميه ابن جني الاشتقاق الأصغر وهو الأكثر استعمالاً واتساعاً عند الصرفيين، مثل ذهب، يذهب، ذاهب.... الخ<sup>2</sup>.

ومثل: ضرب من الضرب<sup>3</sup>..

2. الاشتقاق الكبير: هو أن يكون بين لفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون الترتيب نحو (حبذ والحذب)<sup>4</sup> ونحو (قول - قلوه - وقل، ولق - لقولوق) ونحو (كلم، كمل، مكل، ملك، لكم - ملك)<sup>5</sup>.

الاشتقاق الأكبر هو أن يكون بين اللفظين تناسب في المخرج نحو (نحق من النهق)<sup>6</sup> أو بتغيير في بعض أحرفها مع تشابه في المعنى وأكثر الأحرف وترتيبها على أن تكون الأحرف

<sup>1</sup> - عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية، بيروت، 1973، ص ص 75 - 98.

<sup>2</sup> - خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيوييه، ص 248.

<sup>3</sup> - ينظر: الشريف الجرجاني، التعريفات، ص 26.

<sup>4</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 26.

<sup>5</sup> - ينظر: خديجة الحديثي، أبنية الصرف، ص 248.

<sup>6</sup> - ينظر: الشريف الجرجاني، التعريفات، ص 26.

المختلفة إما من مخرج واحد أو مخرجين متقاربين مثل: (ثلم، ثلب) و (هتن، هتل) ويسمى نحت عند القدامى مثل (بسمل) من (باسم الله)<sup>1</sup>.

إذن فالاشتقاق عند علماء اللغة هو أخذ الكلمة من الكلمة مع تشابه في الحروف وترتيبها في أصول الحروف واختلافها في المعنى المراد من كل صيغة في الاستعمال.

وقد أشار ابن القيم إلى الاشتقاق وأولاه أهمية كبيرة باعتباره أحد عوامل اتساع اللغة وتطورها في إيجاد الألفاظ المناسبة للكثير من التعابير والأسماء والأفعال والصيغ المختلفة التي نستعملها في الأداء الكلامي والسياقات المختلفة التي نواجهها أثناء الحديث.

### 1- دلالة سياق اسم الفاعل:

هو اسم مصوغ من المصدر للدلالة على الحدث والذات ويكون معناه التجدد والحدوث<sup>2</sup>، هذا فمن قال باشتقاق من المصدر أما فيمن قال بالاشتقاق من الفعل، فهو صيغة تدل على ما قام به الفعل على معنى الحدث نحو « قائم » و « ذاهب »<sup>3</sup>، أو هو اسم يشتق من الفعل للدلالة على وصف من قام بالفعل فكلمة « كاتب » مثلا اسم فاعل تدل على وصف الذي قام بالكتابة<sup>4</sup>، ويصاغ اسم الفاعل من الثلاثي على وزن فاعل مثل لعب لاعب<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: خديجة الحديثي، أبنية الصرف، ص 249.

<sup>2</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 259.

<sup>3</sup> - ينظر: جرجي شاهين، سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان، ص 45.

<sup>4</sup> - ينظر: عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، ص ص 75 - 76.

<sup>5</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 76.

ومن غير الثلاثي على وزن الفعل المضارع مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة مع كسر ما قبل الآخر مثل: يدحرج مدحرج، ينطلق منطلق<sup>1</sup>.

وغيرها من الصيغ منها: يختار ومختار، ومفتعل مثل الفعل، يختبر مختبر، ومتقاطع متفاعل، ومقتطع مفتعل، مفعل، مخزن، ومستفعل، مستجلب، محروف، مفعول<sup>2</sup>.

أما الرباعي: مدحرج، مفعل، متدحرج، متفعل، مكفهر، مفعول<sup>3</sup>.

وقد تناول ابن القيم اسم الفاعل ودلالته في أداء المعنى الذي يتضمن السياق الكلامي في عدد من المواضع.

وجاء في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾<sup>4</sup>.

جاءت الضالين على اسم الفاعل لأن أهل الضلال فإنهم هم الذين ضلوا وآثروا الضلال واكتسبوه، ولهذا استحقوا العقوبة عليه ولا يليق أن يقال ولا المضلين مبنيا للمفعول لما في رائحته من إقامة عذرهم، وأنهم لم يكتسبوا الضلال من أنفسهم بل فعل فيهم ولا حجة في هذا للقدرية، فإننا نقول إنهم هم الذين أضلوا وإن كان الله أضلهم بل فيه رد على الجبرية الذين لا ينسبون إلى العبد فعلا... الخ<sup>5</sup>.

ويتضح من هذا أن اسم الفاعل جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ لأنهم من اختاروا الضلال على الهدى فجاء هذا الصيغة على وزن الفاعل الذي قام بهذا الفعل ولم يكن هو ضحية

<sup>1</sup> - ينظر: عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، ص ص 76 - 77.

<sup>2</sup> - ينظر: عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، ص 77، وينظر: جرجي شاهين، سلم اللسان، ص ص 45 - 46.

<sup>3</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 77، وينظر: المرجع نفسه، ص 45.

<sup>4</sup> - الفاتحة (07).

<sup>5</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 2، ص 29.

خداع أو مكر من غيره، لأن الهدى والحق كان واضحا لهم فتكلم الله بوصفهم بهذا الوصف على صيغة اسم الفاعل.

وقد اهتم ابن القيم في الكثير من المواضع بتفسير وشرح معاني القرآن الكريم وفقا لسياقاتها اللغوية فنجد قوله: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾<sup>1</sup> على أصح الوجوه في الآية، فإنه تعالى لما ذكر العاصم استدى معصوما مفهوما من السياق فكأنه قيل: لا معصوم اليوم من أمره إلا من رحمه، فإنه لما قال: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ بقي في ذهن طالبا للمعصوم، فكأنه قيل: فمن الذي يعصم فأجيب بأنه لا يعصم إلا من رحمه الله، ودل هذا اللفظ باختصاره وجلالته وفصاحته على نفي كل عاصم سواه، وعلى نفي كل معصوم سوى من رحمه الله، فدل الاستثناء على أمرين المعصوم من هو وعلى العاصم وهو ذو الرحمة وهذا من أبلغ الكلام وأفصح وأوجزه ولا يلتفت إلى ما قيل في الآية بعد ذلك<sup>2</sup>.

وقد قالوا فيها ثلاثة أقوال أخرى أحدهما أن عاصما بمعنى معصوم كماء دافق وعيشة راضية والمعنى لا معصوم إلا من رحمة الله، وهذا فاسد لأن كل واحد من اسم الفاعل واسم المفعول موضوع لمعناه الخاص به، فلا يشاركه فيه الآخر وليس كماء الدافق بمعنى مدفوق بل هو فاعل على بابه.

كما يقال: ماء جار فدافق كجار، فما الموجب للتكلف البارد، وأما عيشة راضية فهي عند السيوي على النسب كتامر، ولابن، أي ذات رضى وعند غيره كنهار صايم وليل قائم على المبالغة.

<sup>1</sup> - هود (43).

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 3، ص 59.

والقول الثاني أن من رحم فاعل لا مفعول والمعنى لا يعصم اليوم من أمر الله إلا الراحم، فهو استثناء الفاعل من الفاعل وهذا وإن كان أقل تكلفاً فهو أيضاً ضعيف جداً وجزأ له الكلام وبلاغته تأباه بأول نظر.

والقول الثالث أن الكلام مضافاً محذوفاً قام إليه مقامه والتقدير لا معصوم عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحمه الله، وهذا من أنكر الأقوال وأشدّها منافاة للفصاحة والبلاغة ولوضح به لكان مستغناً<sup>1</sup>.

وهذا ما يوضح أن ابن القيم فصل في هذا بأن اسم الفاعل هو عاصم وأوضح ذلك بأن نفى كل عاصم لأمر الله إلا هو بقوله إلا من رحم فالراحم هو العاصم نفسه لأنه نفى كل عاصم سواه أي هو القادر على أن يعصم من يشاء من عباده برحمته سبحانه وتعالى.

وأما عيشة راضية فاعتبرها اسم فاعل بقوله لأن كل واحد من اسم الفاعل واسم المفعول موضوع لمعناه الخاص به فلا يشاركه في الآخر وليس الماء الدافق بمدفوق بل هو فاعل على بابه، أي أن يكون اسم فاعل كما هو مصاغ وكذلك في عيشة راضية في نقله لما ذكره سيبويه.

إذن فابن القيم يوضح وضع اسم الفاعل على أنه لا يشترك في عمله مع المفعول لا يمكن أن تقول على ذلك كما هو عند بعض اللغويين والمفسرين.

كما نجد أن ابن القيم قد تحدث عن اسم الفاعل في الكثير من المواضع دون أن يذكر التفصيل الذي ذكره في الذي ذكرناه مع ما فاتنا ذكره آنفاً.

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾<sup>2</sup> فهذا وصف

يخص به الإناث وقد جاء بالتاء، يقول ابن القيم: قلت في هذا والله الحمد رد لهذا المذهب ولا

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 3، ص 59.

<sup>2</sup> - الحج (02).

إبطال له، فإن دخول التاء ههنا يتضمن فائدة لا تحصل بدونها فتعين الإيتان بها، ولو أريد الوصف المجرد بكونها من أهل الإرضاع ل قيل مرضع كحائض وطامث، ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم: « لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار »<sup>1</sup> فإن المراد به الموصوف بكونها من أهل الحيض لا من يجري دمها، فالحائض والمرضع وصف عام يقال على من لها ذلك وصفا وإن لم يكن قائما بها، ويقال على من قام بهذا الفعل فأدخلت التاء هاهنا إيدانا بأن المراد من تفعل الرضاع فإنها تذهل عما ترضعه لشدة هول زلزلة الساعة، وأكد هذا المعنى بقوله: « عما أرضعت » فعلم أن المراد المرضعة التي ترضع بالفعل لا بالقوة والتهيؤ.<sup>2</sup>

وبهذا يوضح ابن القيم أن لفظة مرضعة هي اسم فاعل وليس وصف أو صفة مشبهة لأنها هي من تمارس فعل الرضاع بالفعل وليست صفة عامة تخص كل النساء دون استثناء.

والمرضع من لها ولد ترضعه والمرضعة من ألقمت الثدي للرضيع وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾<sup>3</sup> أبلغ من مرضع في هذا المقام، فإن المرأة قد تذهل عن الرضيع إذا كان غير مباشر للرضاع، فإذا التقم الثدي واشتغلت برضاعة لم تذهل عنه إلا لأمر أعظم عندها من اشتغالها بالرضاعة، ويعسر ابن القيم بقوله وتأمل رحمك الله تعالى السر البديع في عدوله سبحانه وتعالى عن كل حامل إلى قول: « ذات حمل » فإن الحامل قد تطلق على المهية للحمل وعلى من هي في أول حملها ومباده، فإذا قيل ذات حمل لم يكن إلا لمن قد ظهر حملها وصلح للوضع كاملا أو سقطا، كما يقال ذات ولد فأتى في المرضعة

<sup>1</sup> - رواه أبو داود، الحديث رقم (641) وغيره، وصححه الألباني في الصحيح الجامع، رقم الحديث (7747).

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 3، ص ص 25 - 26.

<sup>3</sup> - الحج (02).



بالتاء التي تحقق فعل الرضاعة دون التهيؤ لها وأتى في الحامل بالسبب الذي يحقق وجود الحمل وقبوله للرضع<sup>1</sup>.

وهذا تأكيد للنص السابق بأن لفظة مرضعة هي اسم فاعل دل على من قام بفعل الرضاع فعلا ومثله في مرضع على من لها ولد ترضعه وحامل على من هي قابلة للحمل أو حامل ذات حمل فدللت على ظهر وبان حملها فتعرف به.

## 2- دلالة سياق اسم المفعول:

هو اسم يشتق من الفعل المضارع المتعدي المبني للمجهول للدلالة على من وقع عليه الفعل حدوثا لا ثبوتا ويصاغ من الثلاثي بوزن مفعول نحو: مشهود، مدفوع، مسؤل، مسكور<sup>2</sup>.

وقد تناول ابن القيم هذا في عدد من المواضع وجاء في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾<sup>3</sup> الفاتحة الآية (07) مبينا مجيئا عن سبب مجيء غضب الله بصيغة مغضوب بقوله « وهي أنه أتى في أهل الغضب باسم المفعول، فإن أهل الغضب من غضب الله عليهم وأصابهم غضبه فهم مغضوب عليهم»، فيوضح ابن القيم أن هذا اللفظ جاء على من وقع عليهم الغضب من الله وهم اليهود<sup>4</sup>.

كما جاء في لفظة مسحورا في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾<sup>5</sup> وقوله تعالى: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾<sup>6</sup> أن المسحور على بابه وهو من سحر

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 4، ص 17.

<sup>2</sup> - عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، ص 78.

<sup>3</sup> - الفاتحة (07).

<sup>4</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 2، ص 29

<sup>5</sup> - الإسراء (47)

<sup>6</sup> - الإسراء (101).

حتى جن، فقالوا مسحور مثل مجنون أي زائل العقل لا يعقل ما يقول فإن المسحور الذي لا يتبع هو الذي فسد عقله بحيث لا يدري ما يقول فهو كالمجنون<sup>1</sup>، أي الذي وقع عليه فعل السحر فأصبح مسحورا بمعنى على وزن مفعول.

**3- دلالة سياق صيغ المبالغة:** صيغة المبالغة ألفاظ تدل على ما يدل عليه اسم الفاعل مع إفادة معنى التكثير، كعلامة أي عالم كثير العلم<sup>2</sup>.

أو إذا أريد الدلالة على الكثرة والمبالغة في اتصاف الذات بالحدث حوّل بناء اسم الفاعل إلى أبنية متعددة هي صيغ المبالغة ويرى بعضهم أنها لا تجيء إلا من الثلاثي المتعدي وإن ما جاء على أوزنها من اللازم إنما هو صفة مشبهة<sup>3</sup>.

وأبنية العربية كثيرة وعديدة الأوزان في المبالغة وخاصة في القرآن الكريم وجاءت مختلفة: منها ما يختلف معنى آخر لتأدية معنى جديد نحو قولهم رجل دُعِرَ أي ذو عيوب، والضحكة الرجل كثير الضحك يعاب عليه... ونحوها<sup>4</sup>.

ومنها ما تدل على صيغة المبالغة يختلف عن الصيغة الأخرى فمعنى فَعَّال يختلف عن فعول في المبالغة وهما يختلفان عن مفعال<sup>5</sup>.

ومن أشهر أوزانها: فَعَّال، مفعال، فَعَّيل، وفَعَّالة، مَفْعِيل، وفَعَّل، فعول، فَعِيل، فَعَّال، فُعول، فَيَعول، فاعلة، فعلة، فاعول، وفعال، وكلها سماعية<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 2، ص 189.

<sup>2</sup> - جرجي شاهين عطية، سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان، ص 50.

<sup>3</sup> - خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيوييه، ص 269.

<sup>4</sup> - فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في اللغة العربية، ص 92.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 94.

<sup>6</sup> - جرجي شاهين عطية، سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان، ص 50.

وقد تناول ابن القيم الكثير من صيغ المبالغة بمختلف الصيغ لتدل على معاني في السياقات التي جاء فيها ومنها.

● **صيغة فعال:** فيقول ابن القيم في لفظ الخناس: وأما الخناس فهو فعال من خنس يخنس إذا توارى واختفى، ومنه قول أبي هريرة « لقيني النبي صلى الله عليه وسلم في بعض طرق المدينة وأنا جنب فتخنست منه »<sup>1</sup>، وحقيقة اللفظ اختفاء بعد ظهور فليست لمجرد الاختفاء، ولهذا وصفت بها الكواكب في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ﴾<sup>2</sup>، وقال قتادة: هي النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار فتختفي ولا ترى<sup>3</sup>.

وجيء بهذا الفعل بوزن فعال الذي للمبالغة دون الخانس والمجنس إذانا بشدة هروبه ورجوعه وعاصم نفوره عند ذكر الله<sup>4</sup>.

وذكر ابن القيم تصريح رائعاً في تفسير سياق ورود لفظة الخناس فيقول: « وتأمل كيف جاء بناء الوسواس متكرراً لتكريره الوسوسة الواحدة مرارا حتى يعزم عليها العبد » وجاء بناء "الخناس" على وزن الفعال الذي يتكرر منه نوع الفعل لأنه كلما ذكر خنس ثم إذا غفل العبد عاوده بالوسوسة فجاء بناء اللفظين مطابقاً لمعنيهما، وبهذا يوضح ابن القيم أن هذاهلصيغة تدل على التكرار الذي هو مفاده المبالغة في الدفع أو الحث.

● **صيغة فعيل:** لقد جاءت لفظة فعيل للدلالة على المبالغة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>5</sup>، فقريت على وزن فعيل فأورد ابن القيم أن فعيل على

<sup>1</sup> - متفق عليه، رواه البخاري (283)، ومسلم (371).

<sup>2</sup> - التكوير (15).

<sup>3</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 2، ص 214.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه.

<sup>5</sup> - الأعراف (56).

ضربين فيقول أن فعلا على ضربين أحدهما يأتي بمعنى فاعل كقدير وسميع وعليم، والثاني يأتي بمعنى مفعول كقتيل وجريح وكف خصيب وطرف كحيل وشعر دهين بمعنى مفعول، فإذا أتى بمعنى فاعل فقياسه أن يجري مجراه في إلحاق التاء به مع المؤنث دون المذكر كجميل وجميلة وشريف وشريفة، وصبيح وصبيحة، وصي وصية ومليح ومليحة وطويل وطويلة ونحوه.

وإذا أتى بمعنى مفعول فلا يخلو إما أن يكون يصحب الموصوف كرجل قتيل وامرأة قتيل أو يفرد عنه، فإن صحب الموصوف استوى فيه المذكر والمؤنث كرجل قتيل وامرأة قتيل وإن لم يصحب الموصوف فإنه يؤنث إذا اجترى على المؤنث نحو قتيلة بني فلان، ومنه قوله تعالى: « حرمت عليكم الميتة » إلى قوله: ﴿ وَالنَّطِیْحَةُ ﴾<sup>1</sup> وهذا حكم فعيل وفعل قريب منهلفظا ومعنى فإنهما متشابهان في الوزن والدلالة على المبالغة، وورودها بمعنى الفاعل ومفعول ولما كان فعيل أخف استغنى به عن فاعل في المضاعف كجليل وعزيز ودليل كراهية منهم لثقل التضعيف إذ قالوا: حائل وعازز وذال، فأتوا بفعيل مفصولا فيه بين المثليين بالياء الساكنة، ولم يأتوا في هذا بمفعول لأن فعلا أخف منه ولخفته أيضا اطرده بناؤه من فعل كشريف وظريف وجميل ونبيل وليس لفعل بناء يطرد منه<sup>2</sup>.

ولخفته أيضا كان في أسماء الله تعالى أكثر من ألفاظ فعول فإن الرحيم، والقدير، والحسيب، والرقيب ونظائره أكثر من ألفاظ الرؤف والغفور والسكور والصبور، والودود والغفور ولا يعرف إلا هذه الألفاظ الستة<sup>3</sup>.

وهذا ما يبين أن لفظة قريب على وزن فعيل وهو ما أقره ابن القيم في قوله: « فإذا تقرر ذلك فقريب بمعنى فاعل وليس المراد أنه بمعنى قارب بل بمعنى اسم الفاعل العام »<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - المائدة (03).

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 3، ص 17.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 3، ص ص 17 - 18.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج 3، ص 18.

ويوضح هذا ابن القيم في اعتراضاته على النحاة بقوله: « فإن فعيل بمعنى مفعول بابه الفعل المتعدي، وفعيلاً بمعنى فاعل بابه الفعل اللازم لأنه غالب ما يأتي من فعل مضموم العين فلو جرى على أحدهما حكم الآخر لكان ذلك تسوية بين اللازم والمتعدي وهو ممتنع.

« وأن العرب تنطق في فعيل يالتاء وهو بمعنى مفعول وجرده من التاء وهو بمعنى فاعل»<sup>1</sup>، ويتضح من هذا أن قريب جاء على وزن فعيل للمبالغة لأنه أخف فجاء باءه كذلك.

وطريق: في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾<sup>2</sup>، أي إلى مطروق قد مرت عليه الرسل قبله وأنه ليس ببدع كما قال في أول السورة نصها في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾<sup>3</sup>، فاقتضت البلاغة والإعجاز لفظ الطريق لأنه بمعنى مفعول، أي مطروق مثبت عليه الرسل والأنبياء فحقيق على من صدق رسل الله وآمن بهم أن يؤمن به ويصدقه، فذكر الطريق هنا إذا أولى لأنه أدخل في باب الدعوة والتنبيه على تعيين اتباعه<sup>4</sup>.

أي أن لفظة الطريق جاءت على وزن فعيل بمعنى مفعول أي التي يتبعها الرسل والأنبياء من قبله ومن بعده أي هي من يقع عليها فعل الاتباع.

#### 4- دلالة سياق المكان: اسم المكان والزمان صيغة تدل على مكان أو زمان وقوع الفعل<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 3، ص 18.

<sup>2</sup> - الأحقاف (30).

<sup>3</sup> - الأحقاف (09).

<sup>4</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 2، ص ص 14 - 15.

<sup>5</sup> - جرجي شاهين عطية، سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان، ص 54.

واسما المكان والزمان اسمان مبدوءان بميم زائدة للدلالة على مكان وقوع الفعل أو زمانه مثل (مضرب ومجلس) بفتح الميم أي مكان الضرب والجلوس أو زمانهما ويصاغ اسما الزمان والمكان من الثلاثي المضموم العين في المضارع والمفتوح العين على زنة (مفعل) بفتح الميم والعين مثل منصر ومقتل وكذلك من الفعل المعتل الآخر مثل مرمى ومجرى، ويصاغ من الفعل الثلاثي المكسور العين في المضارع على زنة (مفعل) بكسر العين مثل مجلس وموعد وإذا كان معتل الآخر فإنه يصاغ على (مفعل)<sup>1</sup>، ومن غير الثلاثي على زنة اسم المفعول مثل المنطلق والمستخرج .

ويصاغ من الثلاثي أو الأصل على وزن مفعلة للدلالة على الكثرة أي كثرة الشيء الجامد بالمكان مثل أرض مأسدة: بمعنى كثرة الأسود<sup>2</sup>.

أما خارج الوزن نحو: المسجد والمشرق والمغرب<sup>3</sup>. وقد أشار ابن القيم إلى ذلك ووضحه بقوله:

في قول القائل نحو جلست مكان زيد لأن مفعل من الكون فهو في أصل وضعه مصدر عبرية عن الوضع والموضع أيضا من لفظ الوضع، فلا يعمل الفعل في شيء من هذا القبيل بغير حرف، والذي قلناه في مكان أنه من الكون وهو قول الخليل في كتابه العين لأنهم شبهوا الميم بالحرف الأصلي للزومها، فقالوا أنه من الجمع أمكنة حتى كأنه على وزن فعال وقد فعلوا ذلك في كثير من الألفاظ وشبهوا الزائد بالأصلي ..... الخ<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في اللغة العربية، ص36.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص39.

<sup>3</sup> - نفسه، ص36.

<sup>4</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 2، ص 90.

إذن فمكان مصدر على وزن مفعّل لأنه في الأصل مصدر من الكون عبر به عن الوضع أو الموضع.

- مشتقات أخرى:

### 1- اشتقاق اسم الله:

زعم السهيلي وشيخه أبو بكر بن العربي، أن اسم الله غير مشتق، لأنه الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها، واسمه تعالى قديم، والقديم لا مادة له، فيستحيل الاشتقاق، ولا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى، وأنه مستمد من أصل آخر، فهو باطل، ولكن الذين قالوا بالاشتقاق، لم يريدوا هذا المعنى، ولا الم بقلوبهم، وإنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى وهي الإلهية كسائر أسماءه الحسنى، كالعليم والتقدير والغفور والرحيم والسميع والبصير.

فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة، والقديم لا مادة له، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء فهو جواب القائلين باشتقاق اسم الله.

ثم الجواب من الجميع أننا لا نعني بالاشتقاق، إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى، لا أنها متولدة منها تولد الفرع عن أصله، وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلاً وفرعاً ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة، وقول سيبويه: أن الفعل أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء هو بهذا الاعتبار لا لأن العرب تكلموا بالأسماء أو لا، ثم اشتقوا منها الأفعال، فإن التخاطب بالأفعال ضروري كالتخاطب بالأسماء، لا فرق بينهما، فالاشتقاق هنا ليس هو اشتقاق مادي، وإنما هو اشتقاق تلازم سمي المتضمن بالكسر مشتقاً، والمتضمن بالفتح مشتقاً منه، ولا محذور في اشتقاق أسماء الله تعالى بهذا المعنى<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - ابن القيم ، بدائع الفوائد، ج1، ص ص30-31.

الملاحظ من هذا النص أن ابن القيم لا يوافق السهيلي وشيخه ويرى بأن أسماء الله مشتقة من منظور لغوي ومن هنا يتضح أن السهيلي ربط المنظور العقائدي باللغوي مما جعله يقف عند هذا الباب، وينصح مما سرده الشيخ أن على اطلاع برأي القائلين بالاشتقاق وبحكم أنه عالم من علماء الشرع فخالف السهيلي وشيخه ومن خلال ما تبين لنا من كلام الشيخ نسرد بعض أقوال أهل العلم من اللغويين والشرعيين في هذا الباب:

ذهب الخليل وسيبويه وجماعة من أئمة اللغة الكلمة لما جاز واللام فيه لازمة، فتقول يا الله ولا تقول يا الرحمن، فلولا أنه من أصل وافقهم إلى عدم الاشتقاق لأن الألف، واختلفوا في اشتقاقه إلى أقوال أقوال أقواها أنه مشتق من أله، إدخال حرف النداء على الألف واللام وقال آخرون إنه مشتق الله، ومن أقوى الأدلة عليه قوله الاسم الإله فحذفت الهمزة وأدغمت اللام الأولى في الثانية وجوبا فقيل بأله إلهة، فأصل ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾<sup>1</sup>، وقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾<sup>2</sup>، تعالى عبادته فالله المألوه أي المعبود ومعناه ذو الألوهية التي لا تنبغي إلا له، ومعنى إله، يأله إلهة عبد يعبد<sup>3</sup>.

### قال أهل اللغة:

الله مشتق من إله، معنى مألوه، أي معبود وقيل من أله، بكسر اللام، يأله، بفتحها إلهًا.

وفي معنى كلمة الله: وأصله إله على فعال بمعنى مفعول لأنه مؤتم به<sup>4</sup>.

والإلهة والألوهة، والألوهية العبادة<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - الزخرف (84).

<sup>2</sup> - الأنعام (03).

<sup>3</sup> - الحافظ الحكمي، معراج القبول بشرح سلم الوصول، مكتبة الصفا، ط1، 2004م، ص21.

<sup>4</sup> - محمد أمان بن علي الجامي، الصفات الإلهية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط2، 1413هـ، ص77.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص79.



وأورد الجامي قول ابن القيم -رحمه الله- اسم (الله) حال على جميع الأسماء الحسنی والصفات العلی بالدلالات الثلاث:

1- فإنه دال على الإلهية المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له سبحانه مع نفي أضدادها عنه تعالى، وصفات الإلهية هي صفات الكمال المنزه عن التشبيه والمثال، ومن العيوب والنقائص، ولهذا يضيف الله تعالى الأسماء الحسنی إلى هذا (الاسم العظيم)، قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾<sup>1</sup>، ويقال: الرحمن الرحيم، القدوس والسلام، والعزیز والحكيم من أسماء الله ولا يقال: الله من أسماء الرحمن ولا من أسماء العزيز ونحو ذلك.

2- فعلم أن اسم الله مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنی دال عليها بالإجمال، والأسماء الحسنی تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي أشتق منها اسم الله.

3- واسم الله دال على كونه مألوها، معبود، تأله الخلائق محبة وتعظيماً وخضوعاً وفزعاً إليه في الحوائج والنوائب وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته المتضمنين لكمال الملك والحمد.

إن لفظ (إله) مأخوذ من التأله وهو التبعّد وجمعه ألهة (وإله والألهة) ينطقان على كل ما عبد بأي نوع من أنواع العبادات ولو كان المعبود جماداً.

أما لفظ الجلالة (الله) فلا يطلق إلا على المعبود بالحق وهو خالق السموات والأرض، ومدبر الأمر فيهما سبحانه<sup>2</sup>.

وقد أورد الجامي عن ابن القيم قوله: «إن الاسم من أسمائه تبارك وتعالى كما يدل على الذات والصفة التي أشتق منها بالمطابقة» فإنه يدل دالتين أخريين بالتضمنين واللزوم فيدل على

<sup>1</sup> - الأعراف (180).

<sup>2</sup> - محمد أمان بن علي الجامي، الصفات الإلهية، ص78.

الصفة بمفردها بالتضمين، وكذلك على الذات المجردة عن الصفة ويدل على الصفة الأخرى باللزوم<sup>1</sup>.

### ثالثاً: دلالة سياق أوزان الأفعال:

الفعل ما دل على حدث يفيد بزمن يفيد التحدي والحدث والحركة في زمن وقوعه في أزمنه الثلاثة ماضي ومضارع وأمر عرفه سيبويه بقوله: "الفعل أمثله أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن ولم ينقطع، فأما بناء ما مضى فذهب ومكث ومُحَمَّد، وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك أمراً: اذهب وقتل وضرب، ومخبراً يقتل ويذهب ويضرب، ويُقتل ويُضرب، وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كان إذا أخبرته"<sup>2</sup>.

وعرفه ابن السراج في أصوله بقوله: الفعل ما دل على معنى و زمان، وذلك الزمان إما ماض وإما حاضر وإما مستقبل<sup>3</sup>.

وبهذا يتفق العلماء على أن الفعل على ثلاثة أزمنه ماض ومضارع و أمر، وهو بالنسبة لفاعله مبني للمعلوم ومبني للمجهول، وبالنسبة لعمله لازم ومتعد، وبالنسبة لأبنيته مجرد ومزيد، وهو أصل المشتقات عند الكوفيين ومشتق عند البصريين.

ويعرفه ابن القيم بقوله: الفعل لا يعمل في الحقيقة إلا في ما يدل عليه و لفظه كالمصدر والفاعل والمفعول به، أو في ما كان صفه لواحد من هذه، نحو سرت سريعاً، وجاء زيد ضاحكاً لأن الحال هي صاحب الحال في المعنى وكذلك النعت والتوكيد والبدل كل واحد من هذه هو الاسم الأول في المعنى، فلم يعمل الفعل إلا في ما دل عليه لفظه، لأنك إذا قلت "الضرب" اقتضى هذا اللفظ ضرباً وضارباً ومضروباً، وأقوى دلالاته على المصدر لأنه هو الفعل في المعنى،

<sup>1</sup> - محمد أمان بن علي الجامي، الصفات الإلهية، ص178.

<sup>2</sup> - سيبويه، الكتاب، ج1، ص12.

<sup>3</sup> - ابن السراج، الأصول في النحو، ج1، ص38.

ولا فائدة في ذكره مع الفعل إلا أن تريد التوكيد أو تبين نوع منه، وإلا فلفظ الفعل مغن عنه، ثم دلالة الفعل على الفاعل أقوى من دلالة على المفعول<sup>1</sup>.

ومن خلال هذين النصين يتضح من كلام ابن القيم أن هناك بعض القواعد التي تدخل في التركيب اللغوي لها تأصيل لدلالة الأفعال الزمنية، وذلك حسب ما تفرضه تلك التركيب اللغوية في تحديد دلالات تلك السياقات المعبر بها.

ومن ذلك التغييرات التي تحدث للفعل الماضي بعد "إلا" و"لما"، ودخول أداة الشرط عليه "إن" و"إذا" و"ما" الظرفية، أو كان منفيًا بـ "لا" أو "إن"، وبعد "همزة التسوية" و"حروف التحضيض" مثل "هالا" و"ألا" وبعد "كلما وحيث"، أو سبق الفعل الماضي بجعل الكون المضارع، أو دخلت كان على الفعل المضارع، أو سبق الفعل المضارع بأفعال الأخبار والمقاربة والرجاء والشروع، أو تلبس الحصول للفعل بوقت من الأوقات<sup>2</sup>... إلخ، وهذه الأدوات والأفعال تحدث تغييرات في الدلالة الزمنية للفعل من زمن الماضي إلى زمن الماضي والمستقبل والاستمرار، وهذا بحسب السياق الذي تقع فيه.

وأما التغييرات التي تحدث للفعل المضارع "بالسين و سوف"، و "نون التوكيد" و أداه الشرط "إن"، أو "لو" المصدرية أو بعد "هل" أو إذا قضى طلبا "كالأمر و النهي و الدعاء و التحضيض والتمني والترجي أو الوعد و الوعيد" أو أسند إلى متوقع، أو بـ "لم" و "لما" الجازمة أو "لو" الشرطية و"إذا" و"قد" و"ربما"، أو حكاية الحال الماضية أو سبق بفعل دال على الاستمرار وأفعال المقاربة، وتلبس حصول الفعل بوقت من الأوقات<sup>3</sup>، وهذه الأدوات والعوامل التي تدخل على الفعل المضارع وتغير من دلالة الزمنية من الحال والاستقبال إلى الماضي والاستقبال، وكذلك التجدد والاستمرار وهذا حسب السياق الذي تريد فيه .

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج2، ص ص 76-77 .

<sup>2</sup> - ينظر: فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، شركة العاتك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2003، ج3، ص ص 267-279 .

<sup>3</sup> - ينظر: فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج3، ص ص 280-288 .

أما الأمر فيفيد المستقبل أبداً، كما قد يكون ذلك على الحال وقد يكون حاصلًا في الماضي وقد يكون مستمرا، والأمر بالاستمرار على ما هو حاصل وطلب الثبات والمداومة عليه<sup>1</sup>.

وقد أشار إلى هذا ابن القيم عندما تناول الزوائد على الحروف، وحروف المضارعة وحروف التنبيه بحروف المضارعة التي تدخل على الأفعال فتؤثر في معانيها بزيادة في المعنى، أو تغيير المعنى في هذا الشأن: "دخول الزوائد على الحروف الأصلية مبنية على معاني الزيادة على معنى الكلمة والتي وضعت الحروف الأصلية عبارة عنه، فإن كان المعنى الزائد آخرًا كانت زيادة آخرًا، كنحو التاء في فعلت، لأنها تنبني عما رتبته بعد الفعل، وإن كان المعنى الزائد أولًا كان الزيادة الدالة عليه سابقه على حروف الكلمه، كالزوائد الأربعة فانها تنبئ أن الفعل لم يحصل بعد لفاعله وإن بينه وبين تحصيله جزءا من الزمان، وكان الحرف الزائد السابق للفظ مشير في اللسان إلى الجزء من الزمان مرتبا في البيان وعلى حسب ترتب المعنى في الجنان، وكذلك حكم جميع ما يرد عليك في كلامهم"<sup>2</sup>.

"وحروف المضارعة وإن كانت من الزوائد فقط صارت كأنها من أنفس الكلم، أنالسين وسوف من حروف المعاني الداخلة على الجملة ومعناها في نفس المتكلم وإليه يسند لا إلى الاسم المخبر عنه، فوجب أن يكون له صدر الكلام كحروف الاستفهام والنفي والنهي وغير ذلك، ولذلك قبح قولهم زيد سأضرب وزيد سيقوم، مع أن الخبر عنه عن زيد إنما هو بالفعل لا بالمعنى الذي دلت عليه السين، فإن ذلك معنى مستند إلى المتكلم لا إلى زيد، يجوز أن يخلط بالخبر عن زيد، فتقول زيد سيفعل، وإذا دخلت "أن" على الاسم المبتدأ جاز دخول السين في الخبر

<sup>1</sup> - ينظر: فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج3، ص ص 409-418.

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص 86.

لا اعتماد الاسم على "أن" ومضارعها للفعل، فصارت في اللفظ مع اسمها كالجمله التامة فصلح دخول السين فيما بعدها، وأما مع عدم "أن" فيقبح ذلك، وهذا مذهب أبي الحسن شيخ السهيلي<sup>1</sup>. ودخول "أن" المصدرية فإنها منزلة منزلة الجزء من الكلمة، ولهذا يصير الفعل بها في تأويل الكلمة المفردة، ومع هذا فهي عاملة قبل هذا لا ينقض ما أصلناه، لأن هذا الحرف لم ينزل منزلة الجزء من الفعل وإنما صار به الفعل في التأويل الاسم فلم ينتقض ما ذكرناه. وأما سوف حرف ولكنه على لفظ سوف الذي هو الشم لرائحة ما ليس بحاضر، وقد وجدت رائحته كما أن سوف هذه تدل على أن ما بعدها ليس بحاضر<sup>2</sup>.

وكذلك السين مع الفعل فاصلة للمستقبل عن الحال فصارت مع الفعل بمنزله الكلمة الواحدة دالة على فعل الاستقبال، وهذا المعنى موجود في سوف أيضا فاختصاص الحرف شرط عمله ونزوله منزلة الجزء مانع من العمل<sup>3</sup>.

وأن الحرف إذا نزل منزله جزء من الكلمة لم يعمل فيها، لأن أجزاء الكلمة لا يعمل بعضها في بعض ولام التعريف مع المعرف بمنزلة اسم علم فنزلت منزلته، و"قد" مع الماضي بمنزله فعل الحال فنزلت منزلة جزئه، وأما الزوائد الأربع فهي فاصلة لفعل الحال عن الماضي فصارت مع الفعل بمنزلة كلمه واحدة دالة على فعل الحال<sup>4</sup>.

ومن خلال هذه النصوص يتضح أن ابن القيم اختصر الكلام في ورود هذه الحروف والأدوات و تأثيرها على دلالة الفعل، وبالتالي التأثير في دلالة سياق الكلام المراد التعبير به عن أغراض وحاجات المتكلم.

دلالة الأفعال باعتبار الزمن، والأفعال باعتبار الزمن ماض ومضارع وأمر<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 88.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص ص 89-90.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 1، ص 89.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 89.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ج 4، ص 152.

1- دلالة سياق الفعل الماضي :

الفعل الماضي ما دل على حدوث شيء قبل زمن المتكلم نحو قام وقعد وأكل و شرب وعلامته أن يقبل تاء الفاعل نحو قرأت ، وتاء التأنيث الساكنة نحو قرأت هند<sup>1</sup>، وقد يأتي الفعل الماضي ويحتمل الحال أو الاستمرار أو الاستقبال بحسب السياق الذي يرد فيه الفعل، وقد أوضح ذلك ابن القيم في قوله: الماضي يصرف إلى الاستقبال بعد أدوات الشرط وفي الوعد والإنشاء ونحوه لا في الخير كقوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِيَّ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِّنْ قَبْلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكٰذِبِينَ﴾<sup>٢٦</sup> وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾<sup>٢٧</sup> وقوله أيضا: ﴿إِنْ كُنْتَ قُلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾<sup>3</sup> وقول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة "إن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وأتوبي إليه " ونظائره كثير جدا. ولا يخفى فساد تأويل ذلك بأن المعنى إن ثبت في المستقبل وقوع ذلك في الماضي، افترى المسيح يقول لربه: إن ثبت في المستقبل أنني قتلته في الماضي فقد علمته، وهل هذا إلا فاسد في الكلام ممتنع في العاقل إطلاقه، وكذلك قول النبي صلى وسلم لعائشة، إنما أراد أن كان وجد ا فيما مضى ذنب فتداركيه بالتوبة<sup>4</sup>.

قد أشار ابن القيم إلى هذه النصوص التي تدل على الماضي، ومن خلال سياقاتها دون غيرها من الأزمنة، حتى وإن كان فيها بعض ما يدل على أزمنة الحاضر أو المستقبل، لأن الفعل أو الحدث وقع في الماضي.

<sup>1</sup> - الحملاوي ، شدا العرف، ص56.

<sup>2</sup> - يوسف (26، 27).

<sup>3</sup> - المائدة (116).

<sup>4</sup> - ابن القيم ، بدائع الفوائد، ج 4 ، ص152 .

وهذا ما يعرف بالماضي الدال على الماضي المطلق أو المنقطع، أو الماضي المجرد والماضي القريب أو البعيد، أو الدال على ماض بالنسبة إلى حدث ماض قبله<sup>1</sup>.

وأما ما يصير الماضي مستقبلاً كقولك: إن أقمت أكرمتك، وإن زرتني أحسنت إليك، فهذا ماضي اللفظ مستقبل المعنى، وللنحاة ها هنا مسلكان :

أحدهما: التعبير وقع في لفظ الفعل وكان الموضوع للمستقبل فغير إلى لفظ الماضي، والأداة هي التي تصرفت في التغيير، وهذا اختيار أبي العباس المبرد.

والثاني: أن التغيير إنما هو في المعنى، والأداة وردت على فعل الماضي فغيرت معناه إلى الاستقبال، وهذا هو الصواب، لأن الأدوات المغيرة للكلم إنما تغير معانيها دون ألفاظها، كالأستفهام المغير لمعنى ما بعده من الخبر إلى الطلب، وكالتمني والترجي والطلب والنفي ونظائره، ويتصرف إلى الحال بقريته الإنشاء، كتزوجت وبعثتك وطلقتك على أحد القولين في هذا الصيغ، ومن جعلها أخباراً عما قام بالنفس فهي ماضيه على بابها<sup>2</sup>.

وينصرف الماضي إلى الحال والمستقبل والمضي أو الاستمرار، انطلاقاً من تغيير معنى الماضي إلى معنى الحال أو المستقبل أو المضي والاستمرار، وهذا يتم بأدوات تدل و تغير المعنى حسب السياق الذي ترد فيه فيتحدد منها من خلالها الزمن .

فالدال على الحال إذا قصد بها الإنشاء كبعث واشترت... إلخ.

والدال على الاستقبال ينصرف إلى ذلك في مواضع كثيرة، منها الإنشاء المقصود بالطلب، نحو غفر الله لك أي ليغفر الله لك والأفعال الواقعة بعد إلا ولما ماضيه في اللفظ مستقبلي في المعنى، لأنك إذا قلت ( عزمت عليك لما فعلت ) لم يكن قد فعل وإنما فعله وأنت تتوقعه<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج3، ص ص 280-288 .

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج4، ص152 .

<sup>3</sup> - ينظر: فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج3، ص 270 - 272 .

والوعد والوعيد نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾<sup>1</sup> ومن ذلك الإخبار عن الأحداث المستقبله مع القصد القطع بوقوعها وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>2</sup> وقوله تعالى أيضا: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾<sup>3</sup> وقوله تعالى أيضا: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾<sup>4</sup>، وقد أورد ابن القيم الكثير من هذه الصيغ الماضية الدالة على الطلب والوعد والوعيد... إلخ.

وينصرف إلى استقبال بقرينه الطلب والدعاء كقولك: غفر الله لك أدخلك الجنة وأعادك من النار، ونحو: عزمت عليك ألا فعلت وينصرف إليه أيضا بالوعد عند بعضهم مستشهدا بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾<sup>5</sup> وقوله تعالى أيضا: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾<sup>6</sup> وقوله تعالى أيضا: ﴿آتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾<sup>7</sup> ونحوه وفيه نظر ظاهر للتأمل.

وينصرف إلى الاستقبال بعطفه على ما علم استقباله بقوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأُورَدَهُمُ النَّارَ﴾<sup>8</sup> قوله أيضا: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ السَّمَوَاتِ

<sup>1</sup> - الحجر (95).

<sup>2</sup> - الزمر (68).

<sup>3</sup> - الزمر (73).

<sup>4</sup> - الأعراف (44).

<sup>5</sup> - الكوثر (01).

<sup>6</sup> - الزمر (69).

<sup>7</sup> - النحل (01).

<sup>8</sup> - هود (98).



وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾<sup>1</sup>، <sup>2</sup> وقد جاء الكثير من هذه السياقات في القرآن الكريم خاصة تلك المتعلقة بعلم الغيب كما ينصرف إلى الاستقبال أيضا بالنفي بـ "لا" و"إن" بعد القسم في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنِ زَالَتَا إِنَّ أُمْسَكُهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ﴾<sup>3</sup> وكقول الشاعر:

ردوا فو الله لا زدناكم أبدا ما دام في مائنا ورد لنزال<sup>4</sup>

يحتمل الماضي والاستقبال بعد همزة التسوية، نحو: سواء علي أقيمت أم قعت، والصواب أن المراد المصدر المدلول بالفعل وهو أعم من الحال والاستقبال، فلم يجد الاحتمال من جهة الهمزة بل من جهة القصد إلى المصدر<sup>5</sup>. ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾<sup>6</sup> ونحو قوله تعالى أيضا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾<sup>7</sup>، <sup>8</sup>.

وقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>9</sup> وهنا يريد ابن القيم أنهما يتعين الماضي لأن المعنى سواء عليهم الانذار وعدم فلا فرق بين ذلك وبين أن يقال

<sup>1</sup> - النمل (87).

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج4، ص153 .

<sup>3</sup> - فاطر (41).

<sup>4</sup> - ابن القيم ، بدائع الفوائد، ج4، ص153 .

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ج4، ص153 .

<sup>6</sup> - الشعراء (136).

<sup>7</sup> - إبراهيم (21).

<sup>8</sup> - ينظر: فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج3، ص273 .

<sup>9</sup> - البقرة (06).

سواء عليهم أنذرتم أم تركت الإنذار وكذلك لو كان بعد أم جملة اسميه لم يتعين المضىء في الفعل كقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَمِتُونَ﴾<sup>1</sup>،<sup>2</sup>.

بعد حرف التحضيض نحو "هلا" فعلت و"ألا" ذهبت إليه، ونحو قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾<sup>3</sup> وجاء في شرح ابن يعيش في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾<sup>4</sup> فقد وليه الماضي إلا أن الماضي هنا في تأويل المستقبل كما يكون بعد حرف الشرط لأنه في معناه والتقدير: أن أخرتني أصدق<sup>5</sup>.

ويقر ابن القيم ذلك بقوله: وإذا وقع الماضي بعد حرف التحضيض صلح أيضا للماضي والمستقبل كقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾<sup>6</sup>، والصواب أن الماضي ههنا باق على وضعه لم يتغير عنه كقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾<sup>7</sup> ويقول: هلا اتقيت الله تعالى فيما أتيت، والآية إنما نزلت في غزوة تبوك في سياق ذم المتخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبر تعالى أن المؤمنين لم يكونوا لينفروا كافة، ثم وبخهم توبيخا متضمنا للحض على أن ينفر بعضهم ويقعد بعضهم<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> - الأعراف (193).

<sup>2</sup> - ينظر: فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج3، ص 274.

<sup>3</sup> - التوبة (122).

<sup>4</sup> - المنافقون (10).

<sup>5</sup> - ينظر: فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج3، ص 274.

<sup>6</sup> - التوبة (122).

<sup>7</sup> - هود (116).

<sup>8</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج4، ص154.

والمقصود أن "نفر" في الآية ماض، وإنما يفهم منه الاستقبال لأن التحضيض يؤذن به، والتحقيق في هذا الموضع أن لفظه "لولا" و"هلا" أن تجرد للتوبيخ لم يتغير الماضي عن وضعه وإن تجرد للتحضيض تغير إلى الاستقبال، وإن كان توبيخا مشربا معنى التحضيض صلح للأمرين<sup>1</sup>.

بعد حيث فالمضي نحو قوله تعالى: ﴿فَأْتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾<sup>2</sup>، والاستقبال نحو قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾<sup>3</sup>،<sup>4</sup>.

ويوضح ابن القيم كذلك إذا وقع مضافا إليه حيث صلح للاستقبال إذا تضمنت معنى الشرط، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾<sup>5</sup> فلم يأت الاستقبال هاهنا من قبل حيث كما ظنه، وإنما جاء من قبل ما تضمنه الكلام من الشرط، ولهذا لو تجرد من الشرط لم يكن إلا للمضي، كقولك اذهب حيث ذهب فلان، وأما قول الشاعر:

وإني لآتيكم بذكر ما مضى من الأمر واستحباب ما كان في غد

فلم تكن "كان" ههنا مستقبلة المعنى لكونها في صلة الموصول بدليل وقوعها للمضي في قوله "ما مضى من الأمر" وإنما جاء الاستقبال من جهة الظرف الذي جعل وقتا للفعل<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 4، ص 155 .

<sup>2</sup> - البقرة (222).

<sup>3</sup> - البقرة (149).

<sup>4</sup> - ينظر: فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج 3، ص 274 .

<sup>5</sup> - البقرة (150).

<sup>6</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 4، ص 155، 156 .

بعد كلما فالمضي نحو قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾<sup>1</sup> والاستقبال نحو قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾<sup>2</sup> وهذا في الحقيقة يدل على الاستمرار، ولكن قد يكون الاستمرار في الماضي. كما في الآية الأولى، ونحو قولك "كلما جئتكَ عاتبني"، وقد يكون في المستقبل كما في الآية الثانية<sup>3</sup>.

وقد أورد ابن القيم ذلك بقوله: وإن وقع بعد "كلما" جاز أن يراد به المضي كقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾<sup>4</sup> وإن يراد به الاستقبال كقوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾<sup>5</sup>،<sup>6</sup>

إذا وقعت صلة نحو قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾<sup>7</sup> فأعلموا أن الله غفورٌ رحيمٌ<sup>8</sup> وقد اجتمع في قوله تعالى إني لأتاكم بذكر ما مضى واستجاب مكان في غد، ونحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّهٗ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾<sup>9</sup> إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ<sup>10</sup>،<sup>8</sup>

<sup>1</sup> - المؤمنون (44).

<sup>2</sup> - النساء (56).

<sup>3</sup> - ينظر: فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج3، ص 274.

<sup>4</sup> - المؤمنون (44).

<sup>5</sup> - النساء (173).

<sup>6</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج4، ص155.

<sup>7</sup> - المائدة (34).

<sup>8</sup> - البقرة (159،160).

فقوله تعالى: ﴿تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا﴾ يراد به الاستقبال لأن "يكنموا" فعل مضارع وهذا بعده، فالتوبة بعد الكتمان<sup>1</sup>.

وقد أكد هذا ابن القيم بقوله: وقد ظن صاحب التسهيل أنه إذا وقع صلة للموصول جاز أن يراد به الاستقبال محتجا بقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ط فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>2</sup> وهذا وهم منه رحمة الله والفعل ماضي لفظا ومعنى، والمراد والمراد إلا الذين تقدمت توبتهم القدرة عليهم فخلوا سبيلهم، والاستقبال الذي لحظه رحمه الله إنما هو لما تضمنه الكلام من معنى الشرط، ففيه معنى من تاب قبل أن تقدروا عليه فخلوا سبيله، فلم يجيء هذا من قبل الصلة ولو تجردت الصلة عن معنى الشرط لم يكن الفعل إلا ماضيا وضعا ومعنى كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾<sup>3، 4</sup>.

إذا وقع صفة لنكرة عامة فالمضي نحو قولك: "رب رقد هرقته ذلك إلى يوم" والاستقبال كحديث "نصر الله امرءا سمع مقالتي، فوعاها فأبداها كما سمعها" أي يسمع لأنه ترغيب لمن أدرك حياته في حفظ ما يسمعه منه<sup>5</sup>.

وأما قوله "نصر الله امرءا سمع مقالتي"، فقال صاحب "التسهيل" إن الاستقبال في سمع جاء من كونه وقع صفة لنكرة عامة، وهذا وهم أيضا فإن ذلك لا يوجب استقبالا بحال، تقول: كم مال أنفقته، وكم رجل لقيته، وكم نعمة كفرها أبو جهل، وكم مشهد شهدته علي مع رسول الله

<sup>1</sup> - ينظر: فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج3، ص 274.

<sup>2</sup> - المائة (34).

<sup>3</sup> - آل عمران (173)

<sup>4</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج4، ص155.

<sup>5</sup> - ينظر: فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج3، ص ص 274-275.

صلى الله عليه وسلم، جاء الاستقبال من جهة ما تضمنه الكلام من الشرط، فهو في قوله: " من سمع مقالتي فوعاها"<sup>1</sup> "نضره الله فتأمله"<sup>1</sup>.

## 2- دلالة سياق الفعل المضارع:

دل فعل المضارع على أزمنة متعددة أشهرها:

-**دلالة على الحال والاستقبال:** مثل هو يكتب وهو يقرأ فقد يحتمل ان يقصد به الحال والاستقبال جاء في "المقتضب": تقول: "زيد يأكل" فيصلح أن يكون في الحال أكل وأن يأكل في ما يستقبل، وجاء في "المفصل": "ويشترك في الحاضر والمستقبل".

**دلالة الحال تنصيها:** وذلك في مواطن منها: إذا اقترن بضرب يدل على الحال كالآن والساعة والحين، نحو: "هو يقرأ الآن" و"هو يكتب الساعة"<sup>2</sup>.

وأما "الآن" و "آنفا" و"الساعة" فمخلصة للحال خلافا لبعضهم، واحتج بقوله تعالى: ﴿فَأَلَّكْنَ بَشْرُوهُنَّ﴾<sup>3</sup> والأمر إنما يكون للمستقبل وقد عمل في "الآن" وأجيب عن ذلك بأن "الآن" هنا هو الزمن المتصل أوله بالحال مستمرا في الاستقبال، فعبر عنه بالآن اعتبارا بأوله كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾<sup>4</sup>، والصواب أن "الآن" في الآية ظرف للأمر والإباحة لا لفعل المأمور به، والمعنى فالآن أبحث لكم مباشرتهن لا أن المعنى، فالآن مدة وقوع المباشرة منكم<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - ابن القيم ، بدائع الفوائد، ج 4، ص 155 .

<sup>2</sup> - ينظر :فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج3، ص 280 .

<sup>3</sup> - البقرة (187).

<sup>4</sup> - الجن ( 09 )

<sup>5</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 4، ص 157 .

وإذا دخل عليه الام الإبتداء نحو قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَىٰ ﴿٦﴾ أَنْ رَعَاهُ  
 أَسْتَغَىٰ ﴿٧﴾﴾<sup>1</sup>، وهذا رأي الكوفيون وذهب إليه الأكثرون واعترض ابن مالك على ذلك بقوله  
 تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾<sup>2</sup>، وقوله  
 تعالى أيضا: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ ۖ﴾<sup>3</sup> الفعلان يفيدان الاستقبال، وأجيب أنه نزل  
 المستقبل منزلة الحاضر المشاهد وهو نحو ما مر في تنزيل المستقبل منزلة الماضي، نحو: ﴿وَسِيقَ  
 الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ﴾<sup>4</sup>، وقوله تعالى أيضا: ﴿وَوُفِّخَ فِي الصُّورِ﴾<sup>5</sup> ويدولي أنها  
 تفيد التوكيد كما يقول البصريون، أما تخصيصها المضارع بالحال ففيه نظر لما ورد في القرآن الكريم  
 من دلالة على الاستقبال معها وصرفه إلى الحال في الآية يحتاج إلى دليل، وكما هو الحال في  
 دخولها على المستقبل مع غير الفعل المضارع نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا  
 صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾﴾<sup>6</sup> وقوله تعالى أيضا: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكُونَنَّ  
 مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾﴾<sup>7، 8</sup>.

وتأمل كيف جاء نفي المضارع وهو مرفوع بـ "ما" و"لا" وهما لا يزيلان رفعه لتشاكل المنفي  
 بالمثبت، ويقابل مرفوع بمرفوع والمشكلة مهمة في كلامهم حتى يغيروا بها بعض الألفاظ، كقولهم:  
 أخذته ما قدم وما حدث والغدايا والعشايا ونظائره.

<sup>1</sup> - العلق (6-7).

<sup>2</sup> - النحل (124).

<sup>3</sup> - يوسف (13).

<sup>4</sup> - الزمر (71).

<sup>5</sup> - الزمر (68).

<sup>6</sup> - الكهف (08).

<sup>7</sup> - الواقعة (51-52).

<sup>8</sup> - ينظر: فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج3، ص ص 280-281.

وترجع الحال بدخول لام الابتداء عليه نحو: إني لأحبك وأما قوله تعالى حكاية عن يعقوب: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾<sup>1</sup> ذهابهم مستقبل وهو فاعل الحزن، ويمتنع أن يكون الفاعل مستقبلا والفعل حالا .

فزعم صاحب "التسهيل" أن هذا دليل على أن اللام لا تخلص للحالية، واحتج أيضا بقوله ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾<sup>2</sup> إن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة والقائل أن يقول التخلص إنما يكون باللام المجردة، وأما إذا اقترن بالفعل قرينة تخلصه للاستقبال لم تكن اللام للحال، وهذا كسوف كما في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾<sup>3</sup> فلولا هذه القرائن لتخلص للحال، وهذا كان مع "لم" كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَّمْ يَنْتَهُوا﴾<sup>4</sup> فإن منعت اقتضاء "لم" للمضي<sup>5</sup>.

نفيه بـ"ليس" أو "ما" أو "إن" عند الإطلاق نحو: "ما خالد يكتب" و"ليس علي يقرأ" فإذا كانت هناك قرينة فاصرف الفعل المضارع إلى غير الحال، كان ذلك بحسبها نحو: وليس يكون الدهر ما دام يذبل، وما محمد مسافر غدا، ومثله في غير المضارع: "ليس خلق الله مثله"، وقوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولَنَّ مَا يَجِبُ سَهًّا أَلَّا يَوْمَ

<sup>1</sup> - يوسف (13)

<sup>2</sup> - النحل ( 124 )

<sup>3</sup> - الضحى (05).

<sup>4</sup> - المائدة (73).

<sup>5</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج4، ص ص 156 - 157.



يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾<sup>1</sup> قوله تعالى  
أيضا: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾﴾<sup>2</sup>،<sup>3</sup>.

وترجع الحالية بنفيه بـ "ما" و "ليس" و "إن" كقوله: ﴿وَمَا أَدْرِى مَا يُفَعَلُ بِي وَلَا  
بِكُمْ﴾<sup>4</sup> وكقوله ﴿وَإِنْ أَدْرِى أَقْرِبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾<sup>5</sup> مثال نفيه بـ "ليس" قول  
الشاعر:

ولست وبيت الله أرضي ولكن من يمشي سيرضى بما

وأما قوله:

فما مثله فيهم ولا كان قبله وليس يكون الدهر ما دام

فإنما جاء للاستقبال من تقسيم النفي إلى ماض وحال ومستقبل، وقال ابن مالك: لا يخلصه  
النفي بذلك للاستقبال، واحتج بهذا البيت وقوله:

والمرء ساع لأمر ليس يدركه والعيش شح وإشفاق وتأميل

ويقول أبو ذؤيب

أودى بني وأودعوني حسرة عند الرقاد وعبرة ما تطلع

<sup>1</sup> - هود (08).

<sup>2</sup> - الانفطار (16).

<sup>3</sup> - ينظر: فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج3، ص281.

<sup>4</sup> - الأحقاف (09).

<sup>5</sup> - الأنبياء (109).

وبقول النابغة الذبياني يمدح النبي صلى الله عليه وسلم:

له نافات ما يغيب نوالها      وليس عطاء اليوم مانعه غدا

وبقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي ۚ إِنَّهُ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىٰٓ إِلَهِِّي أَخَافُ ۚ إِنَّ عَصِيَّتَ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾<sup>1</sup>،<sup>2</sup>.

دلالتة على الاستقبال تنصيها وذلك في مواطن كثيرة منها، إذا اقترن بظرف يدل على المستقبل نحو: غدا أو بعد يومين ويوم القيامة نحو: "يقضي الله بين عباده يوم القيامة".

**النصب:** فإن الناصب يصرف الفعل إلى الاستقبال، نحو: "أرغب في أن تزورني". جاء في "الهمع": "ومن شأن الناصب أن يخلص المضارع إلى الاستقبال، وجاء فيه "الناصب من مخلصات المضارع للاستقبال"، وجاء في "المقتضب" أن "حروف النصب إنما معناها ما لم يقع" وقال ابن الناظم: "فلو كان المضارع بمعنى الحال وجب رفعه لأن فعل الحال لا يكون إلا مرفوعاً" وليس معنى هذا أن كل فعل مرفوع هو يدل على الحال، ولكل فعل مستقبل يكون منصوباً، بل قد يكون المرفوع لغير الحال، وقد يكون الفعل المستقبل غير منصوب، نحو: "سيحاسب الله الخلق".

إذا دخل عليه حرف التنفيس وهو السين أو سوف نحوي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا﴾<sup>3</sup>، وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾<sup>4</sup> لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا

<sup>1</sup> - يونس (15).

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 4، ص ص 157 - 158.

<sup>3</sup> - النساء (56).

<sup>4</sup> - النساء (57).

إِنَّا لِلَّهِ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾<sup>1</sup>.

وإذا دخلت عليهم نون التوكيد كقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ﴾<sup>2</sup>، قوله تعالى أيضا: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهُ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾<sup>3</sup>.

إذا دخلت عليه أداة الشرط نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُرْحَمَكُمُ﴾<sup>4</sup>، ومثل: "أن تزورني أكرمك" إلا "لو" شرطيه فإنها موضوعة للشرط في الماضي نحو: "لو زارني لآكرمته". وهذا هو الغالب ومن غير الغالب قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾<sup>5</sup> وقوله تعالى أيضا: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾<sup>6</sup> فهذا يحتمل الماضي والاستقبال.

بعد "لو" المصدرية نحو قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾<sup>7</sup> وذهب بعضهم إلى أنها لا تخصص المضارع بالاستقبال بدليل قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> - المائدة (73).

<sup>2</sup> - الفتح (27).

<sup>3</sup> - العلق (15).

<sup>4</sup> - الإسراء (54).

<sup>5</sup> - الأنفال (23).

<sup>6</sup> - الواقعة (70).

<sup>7</sup> - القلم (09).

<sup>8</sup> - البقرة (96).

بعد "هل" و"هي" تخصص المضارع بالاستقبال غالبا، نحو هل تسافر بخلاف الهمزة نحو اتظنه قائما ومن غير الغالب قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>1</sup> وقوله تعالى أيضا: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾<sup>2</sup>.

إذا اقتضى طلبا كالأمر والنهي والدعاء والتحضيض والتمني والترجي نحو قوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾<sup>3</sup> ولا تخبره وليتني أجد وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَلَهُمُنِ ابْنِي لِي صِرْحًا لَعَلِّي أبلغُ الْأَسْبَابِ﴾<sup>4</sup>، وقوله تعالى أيضا: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾<sup>5</sup> وقوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾<sup>6</sup>، وقوله تعالى أيضا: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾<sup>7</sup> أي ليرضعن.

وإذا أسند إلى متوقع نحو يحاسب الله عباده وقوله تعالى: ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾<sup>8</sup> وتقوم القيامة وغير ذلك من الصوارف في الاستقبال.<sup>9</sup>

والتحقيق في ذلك أن هذه الأدوات تنفي الفعل المبتدئ من الحال مستمر النفي في الاستقبال فلا تنفيه في الحال نفيا منقطعا عن التعرض للمستقبل، ولا تنفيه في المستقبل مع جواز التلبس به في الحال فتأمله. وتتخلص للاستقبال بعشرة أشياء .

<sup>1</sup> - الزمر (09).

<sup>2</sup> - المائدة (59).

<sup>3</sup> - الطلاق (07).

<sup>4</sup> - غافر (36).

<sup>5</sup> - النمل (46).

<sup>6</sup> - يوسف (92).

<sup>7</sup> - البقرة (233).

<sup>8</sup> - الزمر (46).

<sup>9</sup> - ينظر: فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج3، ص ص 281-283 .

حرف تنفيس، أو مصاحبة ناصب، أو أداة ترج، أو إشفاق، ك "لعل" أو مجازاة أو نوني التوكيد أو "لو" المصدرية كقوله تعالى: ﴿وَدَّوْا لَوْ تَدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾<sup>1</sup>، ومثال الإشفاق قول قول الشاعر:

فأما كيس فنجاً ولكن عسى يغتر بي حمق لئيم<sup>2</sup>

### 3- دلالة سياق الأمر:

الأمر: الأمر هو ما يطلب به الحصول شيء بعد زمن التكلم، نحو: "اجتهد" وعلامته أن يقبل نون التوكيد وياء المخاطب مع دلالاته على الطلب<sup>3</sup>، أو هو ما دل على طلب وقوع الفعل من الفاعل المخاطب<sup>4</sup>.

والأمر وهو طلب الفعل بصيغته مقصوده وصيغته أفعل نحو أذهب من الفعل المضارع ولا يكون بصيغته المعلومة إلا للمخاطب، وأما غير المخاطب فيؤمر باللام نحو قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَمَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ط قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ﴾<sup>5</sup>، "ولاذهب معكم" وقد يخرج الأمر عن معناه الحقيقي إلى المجاز، ومن أشهر معانيه المجازية،- الإباحة نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَأَصْطَادُوا﴾<sup>6، 7</sup>.

<sup>1</sup> - القلم (09).

<sup>2</sup> - ابن القيم ، بدائع الفوائد، ج4، ص 158.

<sup>3</sup> - الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص 57 .

<sup>4</sup> - مصطفى الغلايني، جامع دروس العربية، المكتبة العصرية، المكتبة العصرية الطبعة، 28، 1993، ص ص 33-34

<sup>5</sup> - الزخرف (77).

<sup>6</sup> - المائدة (02).

<sup>7</sup> - ينظر فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج4، ص 409 .

- الدعاء نحو قوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾<sup>1</sup>.
- التهديد نحو قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾<sup>2</sup> وكأن تقول "لابنك مهددا العب ولا تدرس"
- التوجيه والإرشاد نحو قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾<sup>3</sup> ومثله و"احفظ الله يحفظك".
- الإكرام نحو قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾<sup>4</sup>.
- الإهانة نحو قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾<sup>5</sup>.
- التسوية نحو افعال أو لا تفعل ونحو قوله تعالى: ﴿أَصْلَوْهَا فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾<sup>6</sup>.
- الامتنان نحو الي كل مما انفق عليك ونحو قوله تعالى: ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾<sup>7</sup>.
- التعجب نحو أنظر ماذا يصنع، ونحو قوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾<sup>8</sup>.
- التكذيب نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا﴾<sup>9</sup>، إذا القصد إظهار كذب إدعائهم.

<sup>1</sup> - نوح (28).

<sup>2</sup> - فصلت (40).

<sup>3</sup> - البقرة (45).

<sup>4</sup> - الحجر (46).

<sup>5</sup> - الدخان (49).

<sup>6</sup> - الطور (16).

<sup>7</sup> - الملك (15).

<sup>8</sup> - الإسراء (48).

<sup>9</sup> - آل عمران (93).

- التعجيز نحو قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾<sup>1</sup> ليس المراد طلب ذلك منهم بل إظهار عددهم، ونحو قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَتُبْغُونِي بِأَسْمَاءٍ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>2</sup> صَادِقِينَ﴾<sup>2</sup>.

- الإذلال نحو قوله تعالى: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾<sup>3</sup> فليس المخاطب مكلفاً أن يفعل شيئاً.

- إظهار القدرة وفي هذا يكون المخاطب غير مأمور بأن يحدث فعلاً نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾<sup>4</sup> يعني لو كنتم حجارة أو حديدا لأعدناكم ألم تسمع إلى قوله حاكيا عنهم ومجيباً له قوله تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾<sup>5</sup> فهذا يبينك أن لفظ الأمر في هذا الموضع تنبيه على قدرته سبحانه<sup>6</sup>.

وزمن الأمر كما يقول النحاة والأمر مستقبل أبداً لأنه مطلوب به حصول ما لم يحصل أو دوام ما حصل نحو قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّجِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾<sup>7</sup>، وقال ابن هشام إلا أن يراد به الخبر الخبر نحو أرمي ولا حاجه فانه بمعنى رميت والحالة هذه وإلا لكان أمراً بتجديد الرمز وليس كذلك، ومن هذا القول يتبين أن زمناً فعل الأمر، كما يرى النحاة هو الاستقبال، وقد يراد به دوام ما حصل<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> - البقرة (23).

<sup>2</sup> - البقرة (31).

<sup>3</sup> - البقرة (65).

<sup>4</sup> - الإسراء (50).

<sup>5</sup> - الإسراء (51).

<sup>6</sup> - ينظر: فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج3، ص 409-410.

<sup>7</sup> - الأحزاب (01).

<sup>8</sup> - ينظر: فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج3، ص 410.

ويذهب الكثير من النحاة إلى القول أن تحديد زمن فعل الأمر بما هو مذكور فيه نظر، وهو اوسع من ذلك بكثير، الامر يمكن أن يكون دالا على الاستقبال مطلقا سواء كان قريبا أو بعيدا، كما يمكن أن يكون دالا على الماضي، كما يمكن أن يكون كذلك دالا على الماضي والاستمرار، قد أثبت ذلك الكثير من علماء اللغة العربية وخاصة في القران الكريم .

فالأمر لا يكون إلا للاستقبال ولذلك فلا يقترن به ما يجعله لغيره وأما وروده لمن هو ملتبس بالفعل فلا يكون المطلوب منه إلا أمرا متجددا، وهو إما الاستدامة وإما تكميل المأمور به نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾<sup>1، 2</sup>.

<sup>1</sup> - النساء (136).

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج4، ص152 .



## الفصل الرابع:

### دلالة السّياق النّحوي

#### أولاً: دلالة سياق التقديم والتأخير

- 1- مفهوم التقديم والتأخير
- 2- أقسام التقديم والتأخير
- 3- التقديم والتأخير عند ابن القيم

#### ثانياً: دلالة سياق الحذف

1. الحذف
- 2- الحذف عند ابن القيم

#### ثالثاً: دلالة سياق حروف المعاني

- 1- تعريف الحرف
- 2- أهمية حروف المعاني
- 3- دلالة سياق حروف المعاني عند ابن القيم

يعتبر علم النحو من أهم العلوم التي تهتم بتركيب ونظم الألفاظ والكلمات في سياق معين يقتضيه الموقف أو الحال وفق قواعد أو أسس أو قوانين علم النحو العبي، ومن أمثلة ذلك الجملة الفعلية التي تقتضي فعل و فاعل وإذا كان الفعل متعدي تقتضي مفعولاً، أو الجملة الاسمية التي تقتضي مبتدأ و خبر مع وجود الجبر في حالات متعددة كمفرد أو جملة أو شبه جملة مع وجود حالات الإضافة توظيفاً لأداء معنى معين يصب في مراد المتكلم مع مراعاة خصائص الكلام من السكوت عن أمور وتقديم أمور وتأخير أخرى... الخ، والنحو في مفهومه هو علم تعرف به أحوال الكلمة العربية مفرد أو مركبة<sup>1</sup>.

وجاء في شرح ألفية ابن مالك: أن علم النحو هو علم يعرف به حكم أحوال أو آخر الكلم من حيث الإعراب والبناء<sup>2</sup>.

ويتضح من هذين التعريفين أن النحو هو العلم الضابط للكلام عند نظمه وتأليفه في السياق مدام يحكم أواخر الكلم.

وقد أطلق علماء اللغة قديماً على علوم العربية النحو ويشمل جميع قواعد اللغة من صرف ونحو وتركيب وأبنية ثم بدأ العلماء يفصلون ويحددون كل علم على حد كما هي عليه في الدراسات الحديثة.

فمفهوم النحو قديماً أطلق بدلالة عامة تعني دراسة نظام ترتيب الجمل والنظام الصوتي، والنظام الصرفي، وهذا ما تناوله علماء العربية قديماً مثل الكتاب لسيبويه<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - مصطفى الغلاييني، جامع دروس العربية، ص 09.

<sup>2</sup> - محمد بن صالح بن عثيمين، شرح ألفية ابن مالك، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط 1، 2008، ص 15.

<sup>3</sup> - محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص 114.

وقد عرفه ابن جني في قوله: « هو انتحاء كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع، والتحقيق والتكسير، والإضافة والنسب، والتركيب وغير ذلك»<sup>1</sup>.

وهذا المفهوم العام لعلم النحو عند القدامى وهذه الموضوعات (التركيب والإعراب والأصوات والصرف) هي علم النحو قديماً ثم فصلت فيها بعد خاصة عند المحدثين فأصل التركيبي والإعراب يطلق على النحو، والأبنية تطلق على الصرف، والأصوات تطلق على علم الصوت كأنواعه وما تعلق بالمعنى أطلق عليه اسم علم الدلالة<sup>2</sup>.

فيصبح علم النحو في الاصطلاح: «هو العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي ائتلف منها، أو هو علم يبحث عن أواخر الكلم إعراباً وبناءً، أو هو العلم الذي يختص بقواعد اللغة التركيبية»<sup>3</sup>.

وقد اعتبر الكثير من العلماء أن علم النحو له وظيفة أكبر من الوظيفة التي يرى البعض بأن لا تتجاوز حدود القواعد وترتيب الألفاظ، بل هي وظيفة تبحث في العلاقات بين الكلمات ومفردات التركيبي، حيث قال السكاكي: « إن علم النحو هو أن تنحو إلى معرفة التركيبي فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقاً بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبنية عليها ليحترز بها عن الخطأ في التركيبي من حيث تلك الكيفية، وأعني بكيفية التركيبي تقديم بعض الكلم عن بعض، ورعاية ما يكون الهيئات إذ ذاك...»<sup>4</sup>.

وقد تناول الموضوع علم النحو ووظيفته الدلالية طاش كبري زادة أحمد بن مصطفى في كتابه مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم حيث قال: « علم النحو علم باحث عن

<sup>1</sup> - ابن جني، الخصائص، ج 1، ص 34.

<sup>2</sup> - ينظر: محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص 115.

<sup>3</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 114.

<sup>4</sup> - ينظر: أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي بن أبي بكر السكاكي، مفتاح العلوم، مطبعة دار الرسالة، بغداد، ط 1، 1982، ص 204.

أحوال المركبات الموضوعية وضعا نوعيا لنوع من المعاني التركيبية النسبية من حيث دلالتها عليها. وعرضه تحصيل ملكة يقتدر بها على إيراد تركيب وضع وضعا نوعيا لما أراده المتكلم من معنى وعلى فهم المعنى أي مركب كان بحسب الوضع المذكور، وغايته الاحتراز عن الخطأ في تطبيق التراكيب العربية على المعاني الأصلية»<sup>1</sup>.

ومن خلال هذا النص يتضح أن السياق هو الضابط الأساسي في تحديد الدلالة النحوية الناتجة عن تركيب ما، وإذا قلنا السياق نعني الاحتراز في التعبير عن الموقف أو الحال والمقام والكلمات أو الألفاظ المناسبة لهذه الظروف المذكورة مع مراعاة قوانين النحو في الضم والترتيب، لأن صيغ الكلمات هي اللبنة الأساسية التي تبنى منها الجمل، وعلم النحو هو الذي يضع ترتيبها ويحدد وظيفتها انطلاقا من دلالتها الصرفية المعجمية، وهذا مما يجعل هذا التكامل بين الصرف والنحو فالصرف هو المادة الخام التي يستخدمها النحو في بناء الجمل والنصوص أو السياقات بمختلف مواضيعها ومواقفها وأحوالها التي تشكلها، فتعطي لنا دلالات تعبر عما يريد المتكلم الحديث عنه في موقف ما أو مقتضى حال ما.

والسياق يؤدي دورا كبيرا في تحديد المعاني النحوية المرادة التي تنتجها الجمل أو النصوص لأن «علم الدلالة عندما يدرس اللغة فهو لا يخرج من إطارها الداخلي، حيث يهتم بالبنية الداخلية للفظ، أي أن علم الدلالة يدخل المعاني داخل الجمل النحوية، وهذه المعاني الناتجة عن مجموعة من العناصر اللغوية المؤلفة فيما بينها لأن كل كلمة لها معنى وليس لها دلالة لأن الدلالة من خصائص الجملة والجملة لا تتوفر إلا بتوفر التركيب، فإن كان المعنى يوجد بدون تركيب فإنه يستحيل أن توجد دلالة بدون تركيب»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: طاش كبري زادة أحمد ابن مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تح: كامل كامل بكري، عبد الوهاب أبو النور، دار الكتب العلمية، ج 1، بيروت، لبنان، ط 1985، ص 138.

<sup>2</sup> - علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري، منطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 2000، ص 43.

وعليه فالكلمة لا معنى لها في ذاتها لأنها قد تحمل تغييرات دلالية كثيرة حسب السياق الذي ترد فيه، ونقصد بالسياق البنيات التركيبية التي ترد فيها<sup>1</sup>.

إذن فالسياق له دور في فهم النصوص دلاليا انطلاقا من التأليف والترتيب الذي يتضمنه نظم النص.

ولنخلص في النهاية إلى أن دلالة السياق النحوي يعنى بالبنية النحوية وعلاقة الكلمات ووظائفها ومواقعها من الترتيب.

وبالتالي فالسياق النحوي هو الذي يدرس البنية النحوية التي ترد فيها الكلمة بوصفها وحدة نحوية<sup>2</sup>، وتعود أهمية السياق النحوي إلى أن دلالة السياق تجعل الجملة ذات الهيئة التركيبية الواحدة بمفرداتها نفسها، إذا قيلت بنصها في مواقت مختلفة باختلاف السياق الذي ترد فيه مهما كانت بساطة هذه الجملة وسذاجتها<sup>3</sup>، وفي هذا دلالة على أن للسياق دورا بارزا في التنوع الذي يحصل في الجملة نفسها، إذ أن التغيير في البنية النحوية وعلاقات الكلمات ووظائفها ومواقعها وترتيبها من شأنه أن يبدل في المعنى<sup>4</sup>، والسياق النحوي هو الذي يحدد العنصر الدلالي في الجملة أو النص بالمعنى الأساسي<sup>5</sup>.

ودلالة السياق النحوي يدرس التركيب من خلال دلالة السياق الذكر والحذف والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير.... الخ<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري، ص 45.

<sup>2</sup> - عواطف كنوش، الدلالة السياقية عند اللغويين، ص 60.

<sup>3</sup> - ينظر: عبد اللطيف حماسة، النحو والدلالة، دار الشروق، ط 1، 2000، ص 113.

<sup>4</sup> - ينظر: عودة خليل أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، مكتبة المنار، الأردن، ط 1، 1985، ص 75.

<sup>5</sup> - ينظر: عواطف كنوش، الدلالة السياقية عند اللغويين، ص 61.

<sup>6</sup> - ينظر: عبد اللطيف حماسة، النحو والدلالة، ص 113.

والقضية ليست قضية وظيفة معنى لفظ في تركيب بل المقصد هو دلالة التركيب أو الجملة، وعلاقته المتناسكة وأثرها في المعنى، والمتلقي يدرك بوعيه اللغوي مقاصد اللغة ومعاني الألفاظ ترتبط بالسياق النصي العام الذي جاءت فيه، وتعد دراسة النص من خلال التركيب هي الأساس في فهم الدلالة، لأن التركيب متى افتقد الدلالة افتقد قيمته، وقيمة المفردات في وظائفها الدلالية<sup>1</sup>.

ويتعدد معنى اللفظ بتعدد سياقاته التي يصلح لها، وهذه المعاني المتعددة لها علاقة بالمعنى الأصلي الذي وضع له اللفظ، "والألفاظ لا تفيد شيئاً غير معناه المعجمي حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب"<sup>2</sup>.

وهو ما سماه عبد القاهر الجرجاني بالنظم حيث يقول: « أعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو" وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها » وهذا هو السبيل، فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه إن كان جواباً وخطؤه إن كان خطأً إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم إلا وهو معنى من معاني النحو قد أجيب به موضعه وضع في حقه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساده أو وصف بمزية وفصل فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وتلك الفساد وتلك الميزة وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله وباب من أبوابه<sup>3</sup>، لينتهي إلى القول بأن النظم هو توحي معاني النحو في معاني الكلم وإن توخينا في الألفاظ لا يستقيم إلا في التركيب والتأليف الذي يحدده السياق.

<sup>1</sup> - توفيق الزيدي، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث من خلال بعض نماذجه، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص 73، نقلاً عن محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص 122.

<sup>2</sup> - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني، 1991، ص 04.

<sup>3</sup> - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ص 81 - 82 - 83.

ومن خلال هذه النصوص يتضح أن السياق له دور في تحديد الدلالة النحوية لأن الضم أو النظم أو التأليف للكلمات في جمل أو نصوص يتم عبر خصائص وعوامل للسياق الذي يحدد الدلالة من خلال ما يقتضيه حال المتكلم من جهة، وقابلية المتلقي لهذا الكلام من منطلق الموقف الذي يجمعهما أو الحال أو المقتضى المقال الذي يستدعي الألفاظ التي ترتسم في السياق الذي يحدد مراد المتكلم، انطلاقاً من الترتيب الذي يسوق فيه هذه الألفاظ التي تنظم في سياقها وفق قواعد وقوانين النحو، نحو المتلقي الذي يستقبل هذا الكلام فيفهم مقصوده ودلالته.

### أولاً: دلالة سياق التقديم والتأخير:

**1- مفهوم التقديم والتأخير:** يعد التقديم والتأخير من الظواهر اللغوية، المستعملة في اللغة العربية بكثرة، وهذا ما يجعلها قادرة على اكتساب متحدثيها قدرة على تنويع الكلام دون إحداث خلل في دلالة المعنى المراد التعبير عنه، في سياق معين.

التقديم والتأخير هو نقل في الكلام حيث لم يزد شيئاً على المعنى اللغوي، وجعل التقديم أحد تقنيات إخراج الكلام عن رتبته، "والكلام وغيره مما ترتب، يخرج عن رتبته بأحد ستة أشياء وهي التقديم والتأخير، والرفع والحط، والأخذ يميناً وشمالاً، وليس ترتيب الكلام باختيار ألفاظه"<sup>1</sup> فالقديم والتأخير هو خروج عن الرتب النحوية، وتغيير مواضع الكلمات.

والتقديم والتأخير هو أحد أساليب البلاغة، وأحد الدلائل على براعة الإنسان العربي، فقد أتى به العرب "دلالةً على تمكُّنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - علي أبو القاسم عون، بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، دار المدار الإسلامي، ط1، 2006، ص 42.

<sup>2</sup> - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص234.

ويعرفه أحمد مطلوب: " التقديم والتأخير تغيير في لبنة التراكيب الأساسية، أو هو عدول عن الأصل يكسبها حرية ودقة".

ويعرف إدريس الناقوري: " التأخير من الاصطلاحات البلاغية ومعناه تركيب الكلام شعرا أو نثرا، بطريقة يتوخى منها هدف بياني معين يتحقق بتأخير كلمة أو جملة أو معنى في سياق معين، وهو بهذا يقابل التقديم الذي يفيد دلالة معاكسة ويتوخى هدفا بلاغيا يتحقق في تقديم الكلمة أو الجملة في تركيب أدبي " <sup>1</sup>.

إن في ثنائية التقديم والتأخير ما يشير إلى ارتباط الطرفين، فإذا قدمت كلمة فهناك أخرى قد أخرت، وإذا رفع هذا الثنائي فهناك نظام محفوظ وترتيب معهود، ووراء الوجود وعدمه أغراض مقصودة وأسرار مكنونة <sup>2</sup>.

والتقديم والتأخير دليل مرونة العربية، في تغيير بنية الكلام، والتصرف في الرتب المحفوظة اعتمادا على قرائن متعددة من أهمها العلامات الإعرابية، فلو اقتصر في البيان على حفظ المرتبة فيعلم الفاعل بتقدمه والمفعول بتأخره لضاق المذهب ولم يجد من الاتساع بالتقديم أو التأخير ما يوجد بوجود الإعراب، إنه يكسب المتكلم مقدرة على إنتاج الجمل وتفهمها وهو ما يعرف في الألسنية بالكفاءة اللغوية <sup>3</sup>.

ويعد التقديم والتأخير دليل على مرونة العربية وحريتها لأنه يمثل إحدى عمليات التحويل فإنه من اللازم التمثيل لذلك، إيضاحا لدلالة وتوكيدا لها، ففي الجملة التحويلية يمكن إنتاج جمل تحويلية أصولية كثيرة تنفق في بنيتها العميقة، وتفترق في صورتها السطحية وتنوع دلالتها البلاغية.

<sup>1</sup> - علي أبو القاسم عون، بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ص 46.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 74.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 48.



وقد قام كثير من العلماء بتبيين مكانة التقديم و التأخير، وتبين محاسنه، ومن ذلك ما ذكر عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز قائلاً:

"هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، إن قُدم فيه شيء، وحول اللفظ من مكان إلى مكان"<sup>1</sup>.

ولقد اختلف العلماء في تقسيم وتصنيف التقديم والتأخير، ونجد من أهم هذه التقسيمات تقسيم عبد القاهر الجرجاني، الذي يعتمد الكثير من المتأخرين لما له من دقة وانضباط، ولما له من شمول وعموم، ولعله انضج تقسيم للتقديم والتأخير في كتب المتقدمين الذي جعله قسمين:

**الأول:** "يقال على نية التأخير، وذلك في كل شيء أقرته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه وفي حبسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدمته على الفاعل، كقولك: منطلق زيد، وصرح عمر زيد، معلوم أن (منطلق) و (عمر) لم يخرجوا بالتقديم عما كانا عليه من كون هذا خبر مبتدأ ومرفوعاً بذلك وكون ذلك مفعولاً ومنصوباً من اجله كما يكون إذا أخرت"<sup>2</sup>، فالمقدم يحتفظ بالوظيفة النحوية التي كان عليها قبل التقديم.

**الثاني:** "تقديم لا على نية التأخير، ولكن على أن تنقل الشيء من حكم إلى حكم وتجعله باباً من بابه، وإعراباً غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ أو يكون الآخر خبراً له فتقدم تارة هذا على ذلك وتأخر ذاك على هذا، ومثاله ما تصنعه بزيد والمنطلق حيث تقول مرة: زيد المنطلق، وأخرى المنطلق زيد، فأتت في هذا لم تقدم المنطلق

<sup>1</sup> - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 106.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 106.

على أن يكون متروكا على حكمه الذي كان عليه مع التأخير فيكون خبر مبتدأ كما كان بل على أن تنقله عن كونه خبرا إلى كونه مبتدأ، وكذلك لم تؤخر زيدا على أن تخرجه عن كونه مبتدأ إلى كونه خبرا<sup>1</sup>.

فالمقدم فقد وظيفته الأولى وأخذ وظيفة نحوية أخرى بعد التقديم.

## 2- أقسام التقديم والتأخير:

الأول: تقديم على نية التأخير ويسمى تقديمًا معنويًا.

الثاني: تقديم لا على نية التأخير ويسمى تقديمًا لفظيًا.

أ- فالقسم الأول: يشمل تقديم المسند الذي هو خبر المبتدأ أو خبر كان وأن وأخواتها، ويشمل متعلقات المسند سواء كان الخبر في الجملة الاسمية أو الفعل في الجملة الفعلية، ونعني بالمتعلقات المفعولات، والظرف، والجار والمجرور.

ب- أمّا القسم الثاني: فيشمل تقديم المسند إليه الذي هو المبتدأ، اسم كان وإن وأخواتها، والتقديم والتأخير بين المتعددات من أخبار وأحوال ونعوت، والتقديم والتأخير بين المعطوفات، وتقديم الحال التي أصلها نعت للنكرة<sup>2</sup>.

و"إن فن التقديم والتأخير فن رفيع يعرفه أهل البصر بالتعبير، والذين أوتوا حظاً من معرفة مواقع الكلام وليس ادعاء يدعى، أو كلمة تقال"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 106.

<sup>2</sup> - علي أبو القاسم عون، بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ص 69-70.

<sup>3</sup> - فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، دار عماري، الطبعة الأولى، عمان، 2006، ص 53.

3- التقديم والتأخير عند ابن القيم:

وقد أشار ابن القيم إلى التقديم والتأخير بقوله: فنقول: ما تقدم الكلام فتقدمه في اللسان على حسب تقدم المعاني في الجنان، تقديم المعاني تتقدم المعاني بأحد خمسة أشياء: إما بالزمان، وإما بالطبع، وإما بالرتبة، وإما بالسبب، وإما بالفضل والكمال، فإذا سبق معنى من المعاني إلى الخفة والثقل بأحد هذه الأسباب الخمسة أو بأكثرها سبق اللفظ الدال على ذلك المعنى السابق، وكان ترتيب الألفاظ بحسب ذلك، نعم وربما كان ترتب الألفاظ بحسب الخفة والثقل لا بحسب المعنى، كقولهم: ربيعة ومضر، وكان تقدم مضر أولى من جهة الفضل، ولكن آثروا الخفة، لأنك لو قدمت مضر في اللفظ كثرت الحركات وتوالت، فلما أخرجت وقف عليها بالسكون<sup>1</sup>. وهذا ما يوضحه كلام السهيلي بقوله: قال السهيلي: وهو كلام مجمل يحتاج إلى بسط وتبيين، فيقال: متى يكون أحد الشيئين أحق بالتقدم ويكون المتكلم بيانه أعنى؟ قال: والجواب أن هذا الأصل يجب الاعتناء به لعظم منفعة في كتاب الله وحديث رسوله، إذ لا بد من الوقوف على الحكمة في تقديم ما قدم وتأخير ما أخر، نحو السميع والبصير، والظلمات والنور، والليل والنهار، والجن والإنس في الأكثر، وفي بعضها الإنس والجن، وتقدم السماء على الأرض في الذكر، وتقدم الأرض عليها في بعض الآي، ونحو سميع عليم، ولم يجيء: عليم سميع، وكذلك عزيز حكيم، وغفور رحيم، وفي موضع واحد: الرحيم الغفور إلى غير ذلك مما لا يكاد ينحصر. وليس شيء من ذلك يخلو عن فائدة وحكمة لأنه كلام الحكيم الخبير وسنقدم بين يدي الخوض في هذا الغرض أصلاً يقف بك على الطريق الأوضح<sup>2</sup>. ويضيف ابن القيم قائلاً:

قلت: ومن هذا النحو الجن والإنس، فإن لفظ الإنس أخف لمكان النون الخفيفة والسين المهموسة، فكان الأثقل أولى بأول الكلام من الأخف لنشاط المتكلم وجمامه.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص ص 63، 64.

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص 63.

وأما في القرآن فلحكمة أخرى سوى هذه قدم الجن على الإنس في الأكثر والأغلب وسنشير إليها في آخر الفصل إن شاء الله.

أما ما تقدم بتقديم الزمان فكعاد وتمد، والظلمات والنور، فإن الظلمة سابقة للنور في المحسوس والمعقول، وتقدمها في المحسوس معلوم بالخبر المنقول، وتقدم الظلمة المعقولة معلوم بضرورة العقل، قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾<sup>1</sup>. فالجهل ظلمة معقولة وهي متقدمة بالزمان على نور العلم، ولذلك قال تعالى: ﴿فِي ظُلْمَتٍ تَكْتَبُ﴾<sup>2</sup>، فهذه ثلاث محسوسات: ظلمة الرحم، وظلمة البطن، وظلمة المشيمة<sup>3</sup>.

وثلاث معقولات وهي: عدم الإدراكات الثلاثة المذكورة في الآية المتقدمة، إذ لكل آية ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع، وفي الحديث: "إن الله خلق عباده في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره"<sup>4</sup>، ومن المتقدم بالطبع نحو: ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبُعٍ﴾<sup>5</sup> ونحو: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾<sup>6</sup>. وما يتقدم من الأعداد بعضها على بعض إنما يتقدم بالطبع، كتقدم الحيوان على الإنسان والجسم على الحيوان.

<sup>1</sup> - النحل (78).

<sup>2</sup> - الزمر (06).

<sup>3</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص 64. وينظر: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليميني، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، طبع بمطبعة المنتقطف، مصر، 1914، ج2، ص 59.

<sup>4</sup> - رواه الترمذي (2642)، ورواه أحمد (27761) - (27762)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (1076).

<sup>5</sup> - النساء (03).

<sup>6</sup> - المجادلة (07).

ومن هذا الباب تقدم العزيز على الحكيم، لأنه عز، فلما عز حكم، وربما كان هذا من تقدم السبب على المسبب، ومثله كثير في القرآن نحو: ﴿يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾<sup>1</sup> لأن التوبة سبب الطهارة، وكذلك ﴿تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ﴾<sup>2</sup> لأن الإفك سبب الإثم، وكذلك ﴿كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾<sup>3</sup> وأما تقدم "ههاز" على "مشاء بنميم" فالرتبة، لأن المشي مرتب على القعود في المكان. والههاز هو: العياب، وذلك لا يفتقر إلى حركة وانتقال من موضعه بخلاف النميمة. وأما تقدم "مناع للخير" على "معتد" فالرتبة أيضا، لأن المناع يمنع من نفسه، والمعتدي يعتدي على غيره ونفسه قبل غيره.

ومن المقدم بالرتبة: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾<sup>4</sup>، لأن الذي يأتي راجلا يأتي من المكان القريب، والذي يأتي على الضامر يأتي من المكان البعيد، على أنه قد روي عن ابن عباس أنه قال: "وددت أني حججت راجلا لأن الله قدم الرجالة على الركبان" في القرآن، فجعله ابن عباس من باب تقدم الفاضل على المفضول، والمعنيان موجودان، وربما قدم الشيء لثلاثة معان وأربعة وخمسة، وربما قدم لمعنى واحد من الخمسة، ومما قدم للفضل والشرف ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾<sup>5</sup>، وقوله: ﴿مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾<sup>6</sup>، ومنه تقديم السميع على البصير، وسميع على بصير، ومنه تقديم الجن على الإنس في أكثر المواضع، لأن الجن تشتمل على الملائكة

<sup>1</sup> - البقرة (222).

<sup>2</sup> - الشعراء (222).

<sup>3</sup> - المطففين (12).

<sup>4</sup> - الحج (27).

<sup>5</sup> - المائدة (06).

<sup>6</sup> - النساء (69).

وغيرهم مما اجتن عن الأبصار قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا﴾<sup>1</sup> وقال الأعرشي:

وسخر من جن الملائكة شيعة قياما لديه يعملون بلا أجر

وأما قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾<sup>2</sup>

قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾<sup>3</sup>.

وقوله: ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾<sup>4</sup>.

فإن لفظ الجن ههنا لا يتناول الملائكة بحال لنزاهتهم عن العيوب، وأنه لا يتوهم عليهم الكذب ولا سائر الذنوب، فلما لم يتناولهم عموم لفظ هذه القرينة بدأ بلفظ الإنس لفضلهم وكمالهم، وأما تقديم السماء على الأرض فبالرتبة أيضا وبالفضل والشرف<sup>5</sup>. ومن خلال هذا الكلام يتضح أن التقديم والتأخير له عدة عوامل وأسباب، منها ما قد يكون التقديم بالرتبة، وقد يكون بالزمان، وقد يكون الشرف، وقد يكون بالفضل وقد يكون بالسبب، كما قد يكون بالطبع والأصل في الشيء، وهو ما فصل فيه ابن القيم. ومن النماذج التي سردها ما يأتي:

<sup>1</sup> - الصافات (158).

<sup>2</sup> - الرحمن (74).

<sup>3</sup> - الرحمن (39).

<sup>4</sup> - الجن (05).

<sup>5</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 65. يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج 2، ص ص 59-62.

1. تقديم الأرض على السماء :

وأما تقديم الأرض في قوله: ﴿ وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾<sup>1</sup>، فالترتبة أيضا لأنها منتظمة بذكر ما هي أقرب إليه وهم المخاطبون بقوله: ﴿ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْهُ ﴾<sup>2</sup>، فاقترضى حسن النظم تقديمها مرتبة في الذكر مع المخاطبين الذين هم أهلها بخلاف الآية التي في "سبأ" فإنها منتظمة بقوله: "عالم الغيب"<sup>3</sup>.

وأما تقديم السماء على الأرض ففيه معنى آخر غير ما ذكره، وهو أن غالبا تذكر السموات والأرض في سياق آيات الرب الدالة على وحدانيته وربوبيته، ومعلوم أن الآيات في السموات أعظم منها في الأرض لسعتها وعظمتها وما فيها من كواكبها وشمسها وقمرها وبروجها وعلوها، واستغنائها عن عمد ثقلها أو علاقة ترفعها إلى غير ذلك من عجائبها وما فيها كقطرة في سعتها، ولهذا أمر سبحانه بأن يرجع الناظر البصر فيها كرة بعد كرة، ويتأمل استواءها واتساقها وبراءتها من الخلل والفتور، فالآية فيها أعظم من الأرض وفي كل شيء له آية سبحانه وبحمده .

وأما تقديم الأرض عليها في قوله: ﴿ وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾<sup>4</sup>، وتأخيرها عنها في "سبأ" فتأمل كيف وقع هذا الترتيب في "سبأ" في ضمن قول الكفار ﴿ لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾<sup>5</sup> كيف قدم السموات هنا لأن الساعة إنما تأتي من

<sup>1</sup> - يونس (61).

<sup>2</sup> - يونس (61).

<sup>3</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص 65.

<sup>4</sup> - يونس (61).

<sup>5</sup> - سبأ (03).

من قبلها وهي غيب فيها، ومن جهتها تبدئ وتنشأ، ولهذا قدم صعق أهل السموات على أهل الأرض عندها، فقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>1</sup>.

وأما تقديم الأرض على السماء في سورة "يونس" فإنه لما كان السياق سياق تحذير وتهديد للبشر، وإعلامهم أنه سبحانه عالم بأعمالهم دقيقها وجليلها، وأنه لا يغيب عنه منها شيء اقتضى ذلك ذكر محلهم وهو الأرض قبل ذكر السماء، فتبارك من أودع كلامه من الحكم والأسرار والعلوم ما يشهد أنه كلام الله، وأن مخلوقا لا يمكن أن يصدر منه مثل هذا الكلام أبدا<sup>2</sup>.

اعلم أنه إذا كان مطلع الكلام في إفادة معنى من المعاني ثم يجيء بعده ذكر شيئين واحدهما يكون أفضل من الآخر وكان المفضل مناسباً لمطلع الكلام، فأنت ههنا بالخيار، فإن شئت قدمت المفضل لماله من المناسبة لمطلع الكلام، وإن شئت قدمت الفاضل لماله من رتبة الفضل، وقد جاء في التنزيل تقديم السماء على الأرض والأرض على السماء، وكل واحد منهما تحتته سر ورمز إلى لطائف غريبة، ومعاني عجيبة، فعلى الناظر أعمال نظره في استنباطها، وإمعان فكره في استخراجها، فليجدَّ النظر الممارسون، وفي ذلك فليتنافس المتنافس<sup>3</sup>. يتضح من خلال تقديم السماء على الأرض، أو العكس أن التقديم احدهما على الأخرى يتضمن الترتيب وفقا للسياق الذي ترد فيه الآيات ونوع الخطاب الذي يؤديه هذا السياق، من هو المعني بالخطاب هل هم أهل السماء أم أهل الأرض، فإذا كان الخطاب موجه لأهل الأرض، فله سياقه الخاص، وإذا كان

<sup>1</sup> - سورة الزمر (68).

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص 75. وينظر: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليميني، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج2، ص ص76- 77.

<sup>3</sup> - يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليميني، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج2، ص 77.



الخطاب موجه لأهل السماء أو مخبرا عنهم فله أيضا سياقه الخاص وهذا مدار تقديم السماء أو الأرض.

## 2. تقديمه المال على الولد:

وأما تقديمه المال على الولد في كثير من الآي فلا أن الولد بعد وجود المال نعمة ومسرة، وعند الفقر وسوء الحال هم ومضرة، فهذا من باب تقديم السبب على المسبب لأن المال سبب، تمام النعمة بالولد<sup>1</sup>.

وكذلك كل عله من معلولها كقوله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوْلَكُمُ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾<sup>2</sup>، قيل قدمت الأموال من باب تقديم السبب، فانه إنما شرع النكاح عند قدرته على مؤنته، وسبب التزويج، والتزويج سبب للتناسب، ولأن المال سبب للتنعيم بالولد، وفقده سبب لشقائه<sup>3</sup>.

وأما قوله: ﴿حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾<sup>4</sup> بالسبب، وتقدم الأموال على البنين بالرتبة<sup>5</sup>. وآخر ذكر الذهب والفضة عن النساء والبنين لأنهما أقوى في الشهوة الجبلية من المال، فإن الطبع يحث على بذل المال، فيحصل النكاح، والنساء أقعد من الأولاد في الشهوة الجبلية، والبنون أقعد من الأموال، والذهب أقعد من الفضة، والفضة أقعد من الأنعام، إذ هي وسيلة إلى تحصيل النعم، فلما صدرت الآية بذكر الحب، وكان المحبوب مختلف المراتب، اقتضت حكمة الترتيب أن يقدم ما هو أهم فالأهم، في رتبة المحبوبات<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص 65.

<sup>2</sup> - الأنفال (28).

<sup>3</sup> - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 248.

<sup>4</sup> - آل عمران (14).

<sup>5</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص ص 65-66.

<sup>6</sup> - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 248.

ويضيف قائلاً : وأما تقديم المال على الولد: فلم يطرد هذا التقديم في القرآن بل قد جاء مقدماً كذلك في قوله : ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ﴾<sup>1</sup>، وقوله : ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾<sup>2</sup>، وقوله: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ﴾<sup>3، 4</sup>.

فأما تقديم الأموال في تلك المواضع الثلاثة فلأنها ينتظمها معنى واحد، وهو التحذير من الاشتغال بها والحرص على تحصيلها حتى يفوته حظه من الله والدار الآخرة، فهي في موضع عن الإلتهاؤ بها، وأخبر في موضع أنها فتنة، وأخبر في موضع آخر أن الذي يقرب عباده إليه إيمانهم وعملهم الصالح لا أموالهم ولا أولادهم، ففي ضمن هذا النهي عن الاشتغال بها عما يقرب إليه، ومعلوم أن اشتغال الناس بأموالهم والتلاهي بها أعظم من اشتغالهم بأولادهم، وهذا هو الواقع حتى إن الرجل ليستغرقه اشتغاله بماله عن مصلحة ولده وعن معاشرته وقربه<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - سبأ (37).

<sup>2</sup> - الأنفال (28).

<sup>3</sup> - المنافقون (09).

<sup>4</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص 75.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص ص 75-76.

وجاء ذكر البنين مقدما كما في قوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾<sup>1</sup>، وقوله: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾<sup>2،3</sup>.

وأما تقديمهم على الأموال في تلك الآيتين فلحكمة باهرة وهي أن براءة متضمنة لوعيد من كانت تلك الأشياء المذكورة فيها أحب إليه من الجهاد في سبيل الله، ومعلوم أن تصور المجاهد فراق أهله وأولاده وآبائه وإخوانه وعشيرته تمنعه من الخروج عنهم أكثر مما يمنعه مفارقتهم ماله، فإن تصور مع هذا أن يقتل فيفارقهم فراق الدهر نفرت نفسه عن هذه أكثر وأكثر، ولا يكاد عند هذا التصور يخطر له مفارقة ماله، بل يغيب بمفارقة الأحباب عن مفارقة المال، فكان تقديم هذا الجنس أولى من تقديم المال<sup>4</sup>.

وتأمل هذا الترتيب البديع في تقديم ما قدم وتأخير ما أخر يطلعك على عظمة هذا الكلام وجلالته، فبدأ أولا بذكر أصول العبد وهم: آباؤه المتقدمون طبعاً وشرفاً ورتبة، وكان فخر القوم بآبائهم ومحاماتهم عنهم أكثر من محاماتهم عن أنفسهم وأموالهم وحتى عن آبائهم، ولهذا حملتهم محاماتهم عن آبائهم ومناضلتهم عنهم إلى أن احتملوا القتل وسبي الذرية، ولا يشهدون على آبائهم بالكفر والنقيصة ويرغبون عن دينهم لما في ذلك من إزرائهم بهم، ثم ذكر الفروع وهم الأبناء لأنهم يتلونهم في الرتبة وهم أقرب أقاربهم إليهم، وأعلق بقلوبهم وألصق بأكبادهم من الإخوان والعشيرة، ثم ذكر الإخوان وهم: الكلاله وحواشي النسب، فذكر الأصول أولاً، ثم الفروع ثانياً، ثم النظراء ثالثاً، ثم الأزواج رابعاً، لأن الزوجة أجنبية عنده، ويمكن أن يتعوض عنها بغيرها،

<sup>1</sup> - التوبة (24).

<sup>2</sup> - آل عمران (14).

<sup>3</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص 75.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص 76.

وهي إنما تراد للشهوة، وأما الأقارب من الآباء والأبناء والإخوان فلا عوض عنهم ويرادون للنصرة والدفاع، وذلك مقدم على مجرد الشهوة، ثم ذكر القرابة البعيدة خامسا، وهي العشيرة وبنو العم، فإن عشائرهم كانوا بني عمتهم غالبا وإن كانوا أجانبا فأولى بالتأخير، ثم انتقل إلى ذكر الأموال بعد الأقارب سادسا، ووصفها بكونها مقترفة، أي مكتسبة لأن القلوب إلى ما اكتسبته من المال أميل وله أحب وبقدره أعرف لما حصل له فيه من التعب والمشقة، بخلاف مال جاء عفوا بلا كسب من ميراث أو هبة أو وصية، فإن حفظه للأول ومراعاته له وحرصه على بقاءه أعظم من الثاني، والحس شاهد بهذا وحسبك به، ثم ذكر التجارة سابعا، لأن محبة العبد للمال أعظم من محبته للتجارة التي يحصله بها، فالتجارة عنده وسيلة إلى المال المقترف، فقدم المال على التجارة تقديم الغايات على وسائلها، ثم وصف التجارة بكونها مما يخشى كسادها، وهذا يدل على شرفها وخطرها وأنه قد بلغ قدرها إلى أنها مخوفة الكساد، ثم ذكر الأوطان ثامنا آخر المراتب، لأن تعلق القلب بها دون تعلقه بسائر ما تقدم، فإن الأوطان تتشابه وقد يقوم الوطن الثاني مقام الأول من كل وجه، ويكون خيرا منه فمنها عوض<sup>1</sup>.

وأما الآباء والأبناء والأقارب والعشائر فلا يتعوض منهما غيرها، فالقلب وإن كان يحن إلى وطنه الأول فحينئذ إلى آباءه وأبنائه وزوجاته أعظم، فمحبة الوطن آخر المراتب، وهذا هو الواقع إلا لعارض يترجح عنده إثارة البعيد على القريب فذلك جزئي لا كلي فلا تناقض به.

وأما عند عدم العوارض فهذا هو الترتيب المناسب والواقع.

وأما آية "آل عمران" فإنها لما كانت في سياق الإخبار بما زين للناس من الشهوات التي آثروها على ما عند الله واستغنوا بها قدم ما تعلق الشهوة به أقوى والنفوس إليه أشد سعرا وهو النساء التي فتنتهن أعظم فتن الدنيا، وهي القيود التي حالت بين العباد وبين سيرهم إلى الله.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص ص 76-77.

ثم ذكر البنين المتولدين منهن، فالإنسان يشتهي المرأة للذة والولد وكلاهما مقصود له لذاته، ثم ذكر شهوة الأموال لأنها تقصد لغيرها فشهوتهما شهوة الوسائل، وقدم أشرف أنواعها وهو الذهب ثم الفضة بعده<sup>1</sup>. من خلال ما تقدم يتضح أن كلام ابن القيم حول تقديم المال على الولد أو تقديم النساء على البنين، فهو بالسبب والرتبة وهذا لحاجة الثاني للأول والأول أصل والثاني فرع عنه، وأما تقديمها لمال في مواضع أخرى جاء للاختصاص، وغرضه في الغالب التحذير من فتنة المال، فاقضى هذا الترتيب لأن المال أخطر من الباقي المحذر منها.

**3. تقديم المال على النفس:** وهو تقديم الأموال على النفس في الجهاد حيث ما وقع في القرآن الكريم إلا في موضع واحد، وهو قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾<sup>2</sup>.

وأما سائر المواضع فقدم فيها المال نحو قوله: ﴿وَتَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾<sup>3</sup>، وقوله: ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾<sup>4</sup> وهو كثير. فما الحكمة في تقديم المال على النفس، وما الحكمة في تأخيره في هذا الموضع وحده، وهذا لم يتعرض له السهيلي رحمه الله، فيقال: أولاً: هذا دليل على وجوب الجهاد بالمال، كما يجب بالنفس، فإذا دهم العدو وجب على القادر الخروج بنفسه، فإن كان عاجزاً وجب عليه أن يكتري بماله، وهذا إحدى الروايتين عن الإمام أحمد، والأدلة عليها أكثر من أن تذكر هنا<sup>5</sup>. فوجه التقديم أن الجهاد يستدعي تقديم إنفاق الأموال، فهو

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص 77 .

<sup>2</sup> - التوبة (111).

<sup>3</sup> - الصف (11).

<sup>4</sup> - التوبة (20).

<sup>5</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص 77-78. وينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 256 .

من باب السبق بالسببية<sup>1</sup>. إذن فتقديم المال على النفس في الجهاد أولى من تقديم النفس لأنه سبب في بذل الأنفس.

ومن تأمل أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته في أصحابه وأمرهم بإخراج أموالهم في الجهاد قطع بصحة هذا القول<sup>2</sup>.

والمقصود تقديم المال في الذكر، وأن ذلك مشعر بإنكار وهم من يتوهم أن العاجز بنفسه إذا كان قادراً على أن يغزو بماله لا يجب عليه شيء، فحيث ذكر الجهاد قدم ذكر المال فكيف يقال لا يجب به.

ولو قيل: إن وجوبه بالمال أعظم وأقوى من وجوبه بالنفس لكان هذا القول أصح من قول من قال لا يجب بالمال، وهذا بين، وعلى هذا فتظهر الفائدة في تقديمه في الذكر.

ولهذا يدافع الرجل عن ماله وأهله وولده، فإذا أحس بالمغلوبة والوصول إلى مهجته ونفسه فر وتركهم، فلم يرض الله من محبيه بهذا، بل أمرهم أن يبذلوا له نفوسهم بعد أن بذلوا له محبوباتهم. وأيضاً فبذل النفس آخر المراتب، فإن العبد يبذل ماله أولاً يقي به نفسه، فإذا لم يبق له ماله بذل نفسه، فكان تقديم المال على النفس في الجهاد مطابقاً للواقع.

وأما قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾<sup>3</sup> فكان

تقديم النفس هو الأولى لأنها هي المشتراة في الحقيقة وهي مورد العقد، وهي السلعة التي استلمها ربها وطلب شراءها لنفسه، وجعل ثمن هذا العقد رضاه وجنته، فكانت هي المقصود بعقد الشراء والأموال تبع لها، فإذا ملكها مشتريها ملك مالها، فإن العبد وما يملكه لسيدته ليس له فيه شيء،

<sup>1</sup> - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 256.

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص78.

<sup>3</sup> - التوبة(111).

فالمالك الحق إذا ملك النفس ملك أموالها ومتعلقاتها، فحسن تقديم النفس على المال في هذه الآية حسناً لا مزيد عليه<sup>1</sup>.

يتضح مما ساقه ابن القيم أن النفس مجبولة على حب المال لهذا جاء المال في الرتبة الأولى، وأما تقديم النفس لأن الله اشتريها، والله إذا اشترى، يشتري الأعلى و الأثمن وهي النفس بثمن أعلى وهي الحنة، لهذا كان حث الله تعالى المؤمنين على بذل الأنفس أولى من المال، لأن المال يتبع النفس فهي سبب لبذل المال.

#### 4. تقديم الغفور على الرحيم:

وأما تقديم الغفور على الرحيم فهو أولى بالطبع، لأن المغفرة سلامة، والرحمة غنيمة، والسلامة تطلب قبل الغنيمة، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن العاص: " أبعثك وجها يسلمك الله فيه ويغنمك وأرغب لك رغبة من المال"<sup>2</sup>، فهذا من الترتيب البديع بدأ بالسلامة قبل الغنيمة، وبالغنيمة قبل الكسب<sup>3</sup>.

وقد يكون من صور تقديم بحسب الرتبة، وجعلوا منه تقديم (المغفرة) على (الرحمة) نحو:

قوله تعالى ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>4</sup>.

فإن المغفرة سلامة والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة فالرحمة شملتهم جميعاً، والمغفرة تخص بعضاً، والعموم قبل الخصوص بالرتبة<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص 78 - 79.

<sup>2</sup> - رواه أحمد (17309)، صححه الألباني في المشكاة (3756).

<sup>3</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص 66.

<sup>4</sup> - هود (41).

<sup>5</sup> - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 249.

والتعبير القرآني يمتلئ بمثل هذا التقديم، وفيه أورد السامرائي قوله:

"وسبب تقديم الغفور على الرحيم؛ أن المغفرة سلامة، والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة ... وإيضاً كذلك؛ أن جميع الخلائق من الإنس، والجن، والحيوان، وغيرهم محتاجون إلى رحمته، فهي برحمته تحياو تعيش، وبرحمته تتراحم، وأما المغفرة فتخص المكلفين فالرحمة أعم"<sup>1</sup>.  
وأما قوله: ﴿ وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴾<sup>2</sup> في "سبأ" فالرحمة هناك متقدمة على المغفرة فإما بالفضل والكمال، وإما بالطبع لأنها منتظمة بذكر أصناف الخلق من المكلفين وغيرهم من الحيوان، فالرحمة تشملهم والمغفرة تخصهم، والعموم بالطبع قبل الخصوص كقوله: ﴿ فِيهِمَا فَكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَّانٌ ﴾<sup>3</sup> وكقوله: ﴿ وَمَلَكَيْتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾<sup>4</sup>،<sup>5</sup>.

فتقديم المغفرة على الرحمة لأن نيل المغفرة سلامة من العذاب، وبهذا شملته رحمة الله جلا وعلا، وأما تقديم الرحمة على المغفرة لأن الرحمة تتضمن المغفرة، وبالتالي فتقدم الرحمة دلالة على فضل الله وكماله في رحمة مخلوقاته، وأما المغفرة فهي تخص من وقع منهم الذنب والإثم، وبالتالي الرحمة تشمل الكل المذنب وغيره.

5. تقديم السجود على الركوع: وهو مما قدم بالفضل قوله: ﴿ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ

الرَّاكِعِينَ ﴾<sup>6</sup> لأن السجود أفضل وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد<sup>1</sup>. وقيل أراد بـ " أسجدي " صلي وحدك ، و بـ " أركعي " صلي في جماعة، ولذلك قال "مع الراكعين"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، ص 57.

<sup>2</sup> - سبأ (02).

<sup>3</sup> - الرحمن (68).

<sup>4</sup> - البقرة (98).

<sup>5</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 66.

<sup>6</sup> - آل عمران (43).



فإن قيل فالركوع قبله بالطبع والزمان والعادة، لأنه انتقال من علو إلى انخفاض، والعلو بالطبع قبل الانخفاض فهلا قدم الركوع؟ .

الجواب: أن يقال انتبه لمعنى الآية من قوله: ﴿وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّكَّعِينَ﴾<sup>3</sup>، ولم يقل: اسجدي مع الساجدين، وإنما عبر بالسجود عن الصلاة وأراد صلاتها في بيتها، لأن صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها مع قومها، ثم قال لها: اركعي مع الراكعين، أي صلي مع المصلين في بيت المقدس.

ولم يرد أيضا الركوع وحده دون أجزاء الصلاة، ولكنه عبر بالركوع عن الصلاة كما تقول: ركعت ركعتين وأربع ركعات، يريد الصلاة لا الركوع بمجرد، فصارت الآية متضمنة لصلاتين صلاتها وحدها عبر عنها بالسجود، لأن السجود أفضل حالات العبد، وكذلك صلاة المرأة في بيتها أفضل لها. ثم صلاتها في المسجد عبر عنها بالركوع لأنه في الفضل دون السجود، وكذلك صلاتها مع المصلين دون صلاتها وحدها في بيتها ومحرابها، وهذا نظم بديع وفقه دقيق، وهذه نبذ تسيير بك إلى ما وراءها ترشدك وأنت صحيح<sup>4</sup>. فقد قدم السجود على الركوع لأن السجود أفضل من الركوع إذن فهو تقديم بالأفضل.

### 6. تقديم الطائفين والقائمين على الركع السجود:

ومما ذكره بهذا الباب قوله: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾<sup>5</sup> بدأ بالطائفين للرتبة والقرب من البيت المأمور بتطهيره من أجل الطوافين، وجمعهم جمع السلامة،

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص66.

<sup>2</sup> - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص245.

<sup>3</sup> - آل عمران (43).

<sup>4</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص66.

<sup>5</sup> - الحج (26).

لأن جمع السلامة أدل على لفظ الفعل الذي هو علة تعلق بها حكم التطهير، ولو كان مكان الطائفتين الطواف لم يكن في هذا اللفظ من بيان قصد الفعل ما في قوله للطائفتين، ألا ترى أنك تقول: تطوفون كما تقول طائفون، فاللفظان متشابهان.

فإن قيل: فهلا أتى بلفظ الفعل بعينه فيكون أبين فيقول: وطهر بيتي للذين يطوفون.

قيل: إن الحكم يعلل بالفعل لا بدوات الأشخاص، ولفظ الذين ينبئ عن الشخص والذات، ولفظ الطواف يخفي معنى الفعل ولا يبينه، فكان لفظ الطائفتين أولى بهذا الموطن، ثم يليه في الترتيب القائمين لأنه في معنى العاكفين، وهو في معنى قوله: ﴿إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا<sup>١</sup>﴾، أي مثابرا ملازما وهو كالطائفتين في تعلق حكم التطهر به، ثم يليه بالرتبة لفظ الراكع لأن المستقبلين البيت بالركوع لا يختصون بما قرب منه كالطائفتين والعاكفين، ولذلك لم يتعلق حكم التطهير بهذا الفعل الذي هو الركوع، وأنه لا يلزم أن يكون في البيت ولا عنده، فلذلك لم يجيء بلفظ جمع السلامة لأنه لا يحتاج فيه إلى بيان لفظ الفعل، كما احتيج فيما قبله، ثم وصف الركع بالسجود ولم يعطف بالواو كما عطف ما قبله، لأن الركع هم السجود، والشيء لا يعطف بالواو على نفسه<sup>٢</sup>. ولفائدة أخرى وهو: أن السجود أغلب ما يجيء عبارة عن المصدر والمراد به ههنا الجمع، فلو عطف بالواو لتوهم أنه يريد السجود الذي هو المصدر دون الاسم الذي هو النعت.

<sup>١</sup> - آل عمران (75).

<sup>٢</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، صص 66-67. وينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص250.

وفائدة ثالثة : أن الراكع إن لم يسجد فليس براكع في حكم الشريعة فلو عطفت ههنا بالواو لتوهم أن الركوع حكم يجري على حياله<sup>1</sup>. ففي الآية تقدم الطائفين على القائمين والقائمين على الركع السجود تقدم ترتيب الأولى بالبيت والأقرب منه والأخص به عبادة أي الأهم فالأهم.

### 7. تقديم الملائكة على الإنس:

وأما قوله: إن الملائكة أفضل أو هم أشرف،... فلأن أصل الملائكة ومادتهم التي خلقوا منها هي النور كما ثبت ذلك مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم (رواه مسلم) وأما الجان: فمادتهم النار بنص القرآن، ولا يصح التفريق بين الجن والجان لغة ولا شرعاً ولا عقلاً<sup>2</sup>.

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾<sup>3</sup>، فإن مذهب أهل

السنة تفضل البشر، وإنما قدم الملك لسبقه في الوجود<sup>4</sup>.

وأما... كون الملائكة خيراً وأشرف من الإنس فهي المسألة المشهورة وهي تفضيل الملائكة أو البشر، والجمهور على تفضيل البشر، والذين فضلوا الملائكة هم المعتزلة والفلاسفة وطائفة ممن عداهم، بل الذي ينبغي أن يقال في التقديم هنا أنه تقديم بالزمان لقوله تعالى:

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص67.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص68.

<sup>3</sup> - الحج (75).

<sup>4</sup> - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص239.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾<sup>1</sup>،<sup>2</sup>. فتقدم الملائكة على الإنس ليس من باب التقديم بالشرف أو الفضل، وإنما قدم لسبقهم بالزمان أي لوجودهم قبل الإنس.

### 8. تقديم الإنس على الجن:

وأما تقديم الإنس على الجن في قوله: ﴿لَمْ يَطْمِئْتُهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾<sup>3</sup> فلحكمة أخرى سوى ما ذكره، وهو أن النفي تابع لما تعقله القلوب من الإثبات فيرد النفي عليه، وعلم النفوس بطمئ الإنس ونفرتها ممن طمئها الرجال هو المعروف، فجاء النفي على مقتضى ذلك، وكان تقديم الإنس في هذا النفي أهم<sup>4</sup>.

وأما قوله: ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَّنْ نَقُولَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾<sup>5</sup> فهذا يعرف سره من السياق، فإن هذا حكاية كلام مؤمني الجن حين سماع القرآن كما قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾<sup>6</sup>. وكان القرآن أول ما حوَّط به الإنس، ونزل على نبيهم وهم أول من بدأ بالتصديق والتكذيب قبل الجن، فجاء قول

<sup>1</sup> - الحجر (26-27).

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص68.

<sup>3</sup> - الرحمن (56).

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص68. وينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص257.

<sup>5</sup> - الجن (05).

<sup>6</sup> - الجن (01).

مؤمني الجن: ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾<sup>1</sup> بتقديم الإنس لتقديمهم في الخطاب بالقرآن وتقديمهم في التصديق والتكذيب<sup>2</sup>.

وفائدة أخرى: وهي أن هذا حكاية كلام مؤمني الجن لقومهم بعد أن رجعوا إليهم فأخبروهم بما سمعوا من القرآن وعظمته وهدايته إلى الرشد، ثم اعتذروا عما كانوا يعتقدونه أولاً بخلاف ما سمعوه من الرشد بأنهم لم يكونوا يظنون أن الإنس والجن يقولون على الله كذبا، فذكرهم الإنس هنا في التقديم أحسن في الدعوة وأبلغ في عدم التهمة، فإنهم خالفوا ما كانوا يسمعون من الإنس والجن لما تبين لهم كذبهم، فبداءتهم بذكر الإنس أبلغ في نفي الغرض والتهمة، وأن لا يظن بهم قومهم أنهم ظاهروا الإنس عليهم، فإنهم أول ما أقروا بتقولهم الكذب على الله تعالى. وهذا من اللطف المعاني وأدقها، ومن تأمل مواقعه في الخطاب عرف صحته<sup>3</sup>. فتقديم الإنس على الجن في هذه الآيات فهو تقديم بالشرف والفضل لأن الله تعالى شرف وأكرم وفضل الأنس بأن اختار منهم الرسل وأنزل عليهم الكتب والرسائل من عنده عندما ظلوا الطريق.

وأما تقديم (الجن) على (الإنس) في قوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾<sup>4</sup>، والله سبحانه وتعالى قدمهم، "لأنهم أصل في الشر"<sup>5</sup>.

وقد تحدث القرآن الكريم في آيات كثيرة عن الإنس والجن، ولكننا لذي يلفتنا لانتباهنا نجد في النظم القرآني البديع من تقديم الجن تارة، وتقديم الإنس أخرى، وذلك حسب السياق. ففي

<sup>1</sup> - الجن (05).

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص68. وينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص257.

<sup>3</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص69.

<sup>4</sup> - هود (119).

<sup>5</sup> - البقاعي، نظم الدرر في تناسي الآيات والسور، ج9، ص403.

سياق التحدي بالقرآن يقدم الإنس على الجن؛ لأن الإنس هم المقصودون بالتحدي أولاً وقبل كل شيء، أما في سياق التحدي بالنفوذ من أقطار السموات والأرض، فلقد قدم الجن؛ لأنهم أقدر على الحركة من الإنس، أما قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>1</sup>، فلقد قدم ﴿الْجِنَّ﴾ على ﴿الْإِنْسِ﴾؛ لأنه قدر ورعي السبق الزمني؛ فإن الجن مخلوقون قبل الإنس<sup>2</sup>.

### 9. تقديم عاد على ثمود:

وأما تقديم عاد على ثمود في قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّن مَّسَكِنِهِمْ﴾<sup>3</sup> حيث وقع في القرآن فما ذكره من تقدمهم بالزمان فصحيح، وكذلك الظلمات والنور، وكذلك مثني وبابه<sup>4</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَىٰ﴾<sup>5</sup>،<sup>6</sup> وهذا تقديم تقديم بالسبق بالزمان، لأن عادا كانوا قبل ثمود.

### 10. تقديم العزيز على الحكيم:

وأما تقديم العزيز على الحكيم فإن كان من الحكم وهو الفصل والأمر فما ذكره من المعنى صحيح، وإن كان من الحكمة وهي كمال العلم والإرادة المتضمنين اتساق صنعه وجريانه على

<sup>1</sup> - الذاريات (56).

<sup>2</sup> - فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، ص 223.

<sup>3</sup> - العنكبوت (38).

<sup>4</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 68-69. وينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 3، ص 240.

<sup>5</sup> - النجم (50-51).

<sup>6</sup> - وينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 3، ص 240.

أحسن الوجوه وأكملها، ووضعه الأشياء مواضعها، وهو الظاهر من هذا الاسم، فيكون وجه التقديم أن العزة كمال القدرة والحكمة كمال العلم، وهو سبحانه الموصوف من كل صفة كمال بأكملها وأعظمها وغايتها، فتقدم وصف القدرة لأن متعلقه أقرب إلى مشاهدة الخلق وهو مفعولا ته تعالى وآياته.

وأما الحكمة فمتعلقها بالنظر والفكر والاعتبار غالبا وكانت متأخرة عن متعلق القدرة. وجه ثان أن النظر في الحكمة بعد النظر في المفعول والعلم به فينتقل منه إلى النظر فيما أودعه من

### الحكم والمعاني<sup>1</sup>.

وجه ثالث: أن الحكمة غاية الفعل فهي متأخرة عنه تأخر الغايات عن وسائلها، فالقدرة تتعلق بإيجاده والحكمة تتعلق بغايته، فقدم الوسيلة على الغاية لأنها أسبق في الترتيب الخارجي<sup>2</sup>. وتقديم العزيز على الحكيم، لأنه عز فحكم<sup>3</sup>، وهو تقدم بالعلة والسبب.

**11. تقديم التوابين على المتطهرين:** وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ

الْمُتَّطِّهِينَ﴾<sup>4</sup>، ففيه معنى آخر سوى ما ذكره وهو أن الطهر طهران: طهر بالماء من الأحداث والنجاسات، وطهر بالتوبة من الشرك والمعاصي، وهذا الطهور أصل لظهور الماء، وظهور الماء لا ينفع بدونه بل هو مكمل له معد مهياً بحصوله، فكان أولى بالتقديم، لأن العبد

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص ص 68-69 .

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص70.

<sup>3</sup> - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 247.

<sup>4</sup> - البقرة (222).

أول ما يدخل في الإسلام فقد تطهر بالتوبة من الشرك ثم يتطهر بالماء من الحدث<sup>1</sup>. وبهذا فإن التوبة سبب الطهارة<sup>2</sup>، وبهذا فإن هذا التقديم هو تقديم بالسبب.

**12. تقديم الإفك على الإثم :** وأما قوله: ﴿تَنْزَلُ عَلَيَّ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ﴾<sup>3</sup>، فالإفك هو الكذب وهو: في القول، والإثم هو الفجور وهو: في الفعل. الكذب يدعو إلى الفجور كما في الحديث الصحيح "إن الكذب يدعو إلى الفجور وإن الفجور يدعو إلى النار"<sup>4</sup> فالذي قاله صحيح. وأما ﴿إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾<sup>5</sup>، ففيه معنى ثان غير ما ذكره، وهو أن العدوان مجاوزة الحد الذي حد للعبد فهو ظلم في القدر والوصف، وأما الإثم فهو: محرم الجنس، ومن تعاطى تعدي الحدود تخطى إلى الجنس الآخر، وهو: الإثم.

معنى ثالث: وهو أن المعتدي: الظالم لعباد الله تعالى عدوانا عليهم، والأثيم: الظالم لنفسه بالفجور، فكان تقديمه هنا على الأثيم أولى لأنه في سياق ذمه والنهي عن طاعته، فمن كان معتديا على العباد ظالما لهم فهو أحرى بأن لا تطيعه وتوافقه.

وفيه معنى رابع: وهو أنه قدمه على الأثيم ليقترن بما قبله وهو وصف المنع للخير، فوصفه بأنه لا خير فيه للناس وأنه مع ذلك معتد عليهم، فهو متأخر عن المنع لأنه يمنع خيره أولا، ثم يعتدي عليهم ثانيا ولهذا يحمد الناس من يوجد لهم الراحة ويكف عنهم الأذى، وهذا هو حقيقة التصوف، وهذا لا راحة يوجد لها ولا أذى يكفه<sup>6</sup>. فتقديم الإفك على الأثيم والمعتدي على الأثيم

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص70.

<sup>2</sup> - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص247.

<sup>3</sup> - الشعراء (222).

<sup>4</sup> - رواه البخاري ومسلم .

<sup>5</sup> - المطففين (12).

<sup>6</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص70.



لأن كلاهما سبب للإثم<sup>1</sup>. بهذا فكل من الإفك والمعتدي يتقدمان على الإثم لأنهما سبب لحصول الإثم، وبالتالي فهو التقديم بالسبب.

**13. تقديم هماز على مشاء بنميم:** في قوله تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾<sup>2</sup>، فإن الهماز هو المغتاب، وذلك لا يفتقر إلى شيء بخلاف النميمة<sup>3</sup>. فهو كما تقدم، تقدم بالرتبة لأن الهمز لا يقتضي المشي بخلاف صاحب النميمة. وأضاف ابن القيم قوله:

وأما تقديم "هماز" على "مشاء" بنميم ففيه آخر غير ما ذكره، وهو أن همزه عيب للمهموز وإزراء به وإظهار لفساد حاله في نفسه، فإن قال يختص بالمهموز لا يتعداه إلى غيره، والمشى بالنميمة يتعداه إلى من ينم عنده، فهو ضرر متعد، والهمز ضرره لازم للمهموز إذا شعر به ما ينقل من الأذى اللازم إلى الأذى المتعدي المنتشر<sup>4</sup>. فسبب تقديم الهماز لأنه أصل البلاء والضرر الذي يسببه النمام فيصيب الناس به.

**14. تقديم الرجال على الركبان:** في قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾<sup>5</sup>، فإن الغالب أن الذي يأتون رجالا من مكان قريب، والذين يأتون على الضامر من البعيد، ويحتمل أن يكون تقديم بالشرف، لأن الأجر في المشي مضاعف<sup>6</sup>. فتقديم الرجال على الركبان هو تقديم بالرتبة لما فيه من المشقة والتعب فكان لهم شرف وفضل التقديم من تقدم فضل الأجر والثواب. وأضاف ابن القيم مفصلا في هذا بقوله: "وأما تقديم الرجال على الركبان ففيه فائدة جليلة، وهي أن الله تعالى شرط في الحج الاستطاعة ولا بد من السفر إليه لغالب الناس، فذكر نوعي الحجاج

<sup>1</sup> - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 249.

<sup>2</sup> - القلم (11).

<sup>3</sup> - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 249.

<sup>4</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص 70.

<sup>5</sup> - الحج (27).

<sup>6</sup> - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 249.

لقطع توهم من يظن أنه لا يجب إلا على راكب، وقدم الرجال اهتماما بهذا المعنى وتأكيذا، ومن الناس من يقول قدمهم جبرا لهم، لأن نفوس الركبان تزدريهم وتوبخهم، وتقول إن الله تعالى لم يكتبه عليكم ولد يرده منكم، وربما توهموا أنه غير نافع لهم، فبدأ به جبرا لهم ورحمة<sup>1</sup>. فلما كان في الحج مشقة اشترط الله عز وجل على الحاج القدرة والاستطاعة فكان هذا الترتيب موافقا لما يتحمله الرجال مقارنة مع الركبان فنال الرجال فضل وشرف التقديم.

### 15. تقديم غسل الوجه ثم اليد ثم مسح الرأس ثم الرجلين في الوضوء:

ومنه تقديم الوجه في قوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾<sup>2</sup> التقديم بالأفضل والشرف<sup>3</sup>. لأن الوجه أفضل من باقي الأعضاء لهذا جاء هذا الترتيب.

ويفصل ابن القيم في ذلك بقوله: وأما تقديم غسل الوجه ثم اليد ثم مسح الرأس ثم الرجلين في الوضوء، فمن يقول: إن هذا الترتيب واجب وهو: الشافعي وأحمد بن حنبل رضي الله عنهما ومن وافقهما، فالآية عندهم اقتضت التقديم وجوبا لقرائن عديدة:

أحدها: أنه أدخل ممسوحا بين مغسولين، وقطع النظر عن نظيره، ولو أريد الجمع المطلق لكان المناسبات أن يذكر المغسولات متسقة في النظم والممسوح بعدها، فلما عدل إلى ذلك دل على وجوب ترتيبها على الوجه الذي ذكره الله تعالى.

الثاني: أن هذه الأفعال هي أجزاء فعل واحد مأمور به وهو الوضوء، فدخلت الواو عاطفة لأجزائه بعضها على بعض، والفعل الواحد يحصل من ارتباط أجزائه بعضها ببعض، فدخلت الواو بين الأجزاء للربط، فأفادت الترتيب إذا هو الربط المذكور في الآية، ولا يلزمه من كونها لا تفيد

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص70.

<sup>2</sup> - المائدة (06).

<sup>3</sup> - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 256.

الترتيب بين أفعال لا ارتباط بينها، نحو "أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة" أن لا تفيده بين أجزاء فعل مرتبطة بعضها ببعض. فتأمل هذا الموضع ولطفه، وهذا أحد الأقوال الثلاثة في إفادة الواو للترتيب، وأكثر الأصوليين لا يعرفونه ولا يحكونه، وهو قول ابن أبي موسى من أصحاب أحمد ولعله أرجح الأقوال.

**الثالث:** أن البداءة الرب تعالى بالوجه دون سائر الأعضاء خاصة فيجب مراعاتها، وأن لا تلغى وتحذر فيهدر ما اعتبره الله تعالى ويؤخر ما قدمه الله تعالى، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن ما قدمه الله فإنه ينبغي تقديمه ولا يؤخر، بل يقدم ما قدمه الله ويؤخر ما أخره الله تعالى، فلما طاف بين الصفا والمروة بدأ بالصفاء، وقال: "بدأ بما بدأ الله به"<sup>1</sup> وفي رواية للنسائي "ابدأوا بما بدأ الله به"<sup>2</sup> على الأمر، فتأمل بداءته بالصفاء معللا ذلك بكون الله تعالى بدأ به. فلا ينبغي تأخيره، وهكذا يقول المرتبون للوضوء، سواء نحن نبدأ بما بدأ الله به، ولا يجوز تأخير ما قدمه الله تعالى، ويتعين البداءة بما بدأ الله تعالى به، وهذا هو الصواب لمواظبة المبين عن الله تعالى مراده صلى الله عليه وسلم على الوضوء المرتب، فاتفق جميع من ثقل عنه وضوء كلهم على إيقاعه مرتبا، ولم ينقل عنه أحد قط أنه أدخل بالترتيب مرة واحدة، فلو كان الوضوء المنكوس مشروعاً لفعله ولو في عمره مرة واحدة لتبين جوازه لأتمته، وهذا بحمد الله أوضح<sup>3</sup>. يتضح من كلام ابن القيم أن هذا الترتيب جاء من عند الله ولا يجب التقديم شيء أو تأخير آخر وقال ابن القيم: يجب مراعاة هذا الترتيب لما له من أهمية بحسب أهمية هذه الأعضاء.

<sup>1</sup> - رواه مسلم، 1218. والترمذي، 862. والنسائي، 2961.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه.

<sup>3</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص ص 70-71.

16. تقديم النبيين على الصديقين :

فأما تقديم النبيين على الصديقين: فلما ذكره ولكون الصديق تابعا للنبي فإنما استحق اسم الصديق بكمال تصديقه للنبي فهو تابع محض.

وتأمل تقديم الصديقين على الشهداء لفضل الصديقين عليهم، وتقديم الشهداء على الصالحين لفضلهم عليهم<sup>1</sup>. فهذا النوع من التقديم، هو تقديم بالفضل والشرف، لأن الأنبياء أفضل وأشرف من الصديقين و الصديقين أفضل و أشرف من الشهداء منزلة.

17. تقديم السمع على البصر:

وأما تقديم السمع على البصر: فهو متقدم عليه حيث وقع في القرآن الكريم مصدرا أو فعلا أو اسما. فالأول: كقوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾<sup>2</sup>.

الثاني: كقوله تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص 71.

<sup>2</sup> - الإسراء (36).

<sup>3</sup> - طه (46).

والثالث: كقوله تعالى: ﴿ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾<sup>1</sup>، ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾<sup>2</sup> ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾<sup>3</sup>،<sup>4</sup>.

ويرى الزركشي كذلك أن من مقتضيات التقديم والتأخير الشرف؛ ومنها: "شرف الإدراك كتقديم السمع على البصر، والسميع على البصير؛ لأن السمع أشرف"<sup>5</sup>.

ومن العلماء من يرى أن: "السمع أفضل، والظاهر أن السمع إلى تلقي الرسالة أفضل من البصر؛ ففاقد البصر يستطيع أن يفهم ويعي مقاصد الرسالة، فإن مهمة الرسل التبليغ عن الله، والأعمى يمكن تبليغه بها ويتيسر استيعابه لها كالبصير، غير أن فاقد السمع لا يمكن تبليغه بسهولة، فالأصم أنأى عن الفهم من الأعمى، ولذا كان من العميان علماء كبار بخلاف الصم؛ فلكون متعلق ذلك التبليغ كان تقديم السمع أولى"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - الحج (61).

<sup>2</sup> - غافر (56).

<sup>3</sup> - النساء (134).

<sup>4</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص ص 71 - 72.

<sup>5</sup> - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 255.

<sup>6</sup> - فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، ص 55.

أما ابن عطية فيورد في هذا التقديم قوله:

وقدم ﴿السَّمْعَ﴾ في هذه الآية على ﴿البَصَرَ﴾؛ لأن حاسته أشرف، إذ عليه تبنى في الأطف المعرفة دلالات الأسماء، وإذ هو كافٍ في أكثر المعقولات دون البصر إلى غير ذلك<sup>1</sup>.

ويسمي السيوطي هذا النوع؛ "التشريف"<sup>2</sup>. وقد فصل في ابن القيم من خلال تناوله آراء العلماء سواء من قال بأن السمع أشرف أو من عارضوهم بأن البصر أشرف بقوله:

فاحتج بهذا من يقول: إن السمع أشرف من البصر، وهذا قول الأكثرين، وهو الذي ذكره أصحاب الشافعي وحكوا هم وغيرهم عن أصحاب أبي حنيفة أنهم قالوا: البصر أفضل، ونصبوا معهم الخلاف، وذكروا الحجاج من الطرفين، ولا أدري ما يترتب على هذه المسألة من الأحكام حتى تذكر في كتب الفقه، وكذلك القولان للمتكلمين والمفسرين<sup>3</sup>.

وحكى أبو المعالي عن ابن قتيبة تفضيل البصر، ورد عليه واحتج مفضلو السمع بأن الله تعالى يقدمه في القرآن حيث وقع، وبالسمع تنال سعادة الدنيا والآخرة، فإن السعادة بأجمعها في طاعة الرسل والإيمان بما جاءوا به، وهذا إنما يدرك بالسمع، ولهذا في الحديث الذي رواه أحمد

<sup>1</sup> - ابن عطية، المحرر الوجيز، ج 3، ص 161.

<sup>2</sup> - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج 3، ص 35.

<sup>3</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 72.

وغيره من حديث الأسود بن سريع "ثلاثة كلهم يدلي على الله بحجته يوم القيامة" فذكر منهم رجلا أصم يقول "يا رب لقد جاء الإسلام وأنا لا أسمع شيئاً"<sup>1</sup>.

قال منازعوههم يفصل بيننا وبينكم أمران:

أحدهما: أن مدرك البصر النظر إلى وجه الله تعالى في الدار الآخرة وهو أفضل نعيم أهل الجنة وأحبه إليهم ولا شيء أكمل من المنظور إليه سبحانه، فلا حاسة في العبد أكمل من حاسة تراه بها.

الثاني: أن هذا النعيم وهذا العطاء إنما نالوه بواسطة السمع، فكان السمع كالوسيلة لهذا المطلوب الأعظم، فتفضيله عليه كفضيلة الغايات على وسائلها<sup>3</sup>. وكلام في هذا الشأن يطول وجدل بين الفريقين لا ينتهي، كما نجد أن ابن القيم ذكر رأي معتدل أنصف الصفتين وأعطى كل حاسة حقها وفضلها وهو رأي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث يقول:

قال شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه:

وفصل الخطاب: أن إدراك السمع أعم وأشمل، وإدراك البصر أتم وأكمل، فهذا له التمام والكمال، وذاك له العموم والشمول، فقد ترجح كل منهما على الآخر بما اختص به. تم كلامه<sup>4</sup>. وبهذا يكون كل من السمع والبصر له فضله على حس البشر وغير البشر كل بما تميز عن الآخر.

<sup>1</sup> - رواه أحمد (15866) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (1434).

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص 72 .

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص ص 72-73.

<sup>4</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص 73.

18. تقديم المجرور وتأخير المفعول :

إنَّ أغراض تقديم الجار والمجرور، لاتكاد تختلف عن غيرها من أغراض تقديم المفعول، والحال، والظرف، ونحوها ومدار الأمر في ذلك هو العناية والاهتمام<sup>1</sup>. ومن ذلك أن يكون الخاطر ملتفتا إليه والهمة معقودة به، وذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾<sup>2</sup>

بتقديم المجرور على المفعول الأول، لأن الإنكار متوجه إلى الجعل لله، لا إلى مطلق جعل<sup>3</sup>.

ومن ذلك ما ذكره ابن القيم بقوله: « الاختيار تقديم المجرور في باب اخترت، وتأخير المفعول المجرد عن حرف الجر، فتقول: اخترت من الرجال زيدا، ويجوز فيه التأخير، فإذا أسقطت الحرف لم يحسن تأخير ما كان مجرورا به في الأصل، فيقبح أن تقول: اخترت زيدا الرجال، واخترت عشرة الرجال، أي: من الرجال، لما يوهم من كون المجرور في موضع النعت للعشرة، وأنه ليس في موضع المفعول الثاني، وأيضا فإن الرجال معرفة فهو أحق بالتقديم للاهتمام به، كما لزم في تقديم المجرور الذي هو خبر عن النكرة من قولك: في الدار رجل، لكون المجرور معرفة وكأنه المخبر عنه، فإذا حذف حرف الجر لم يكن بد من التقديم للاسم الذي كان مجرورا، نحو اخترت الرجال عشرة»<sup>4</sup>. فتقديم المجرور على المفعول به للدلالة على الاهتمام والعناية بالمقدم.

وأما تقديم الجارو المجرور على غير متعلقه فللعناية والاهتمام أيضا، وهذا الأمر جار في عموم رصف الكلمات، فأنت بما قدمته أعنى، وتندرج العناية والاهتمام مع الكلمات تدرجا تنازليا فما قدمته أولا هو الأهم، وهكذا إلى آخرها ذكرا، فقولك (ذهب إلى المسجد خالد) يفيد أن العناية بالجار والمجرور أكثر من قولك (ذهب خالد إلى المسجد)، قال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ

<sup>1</sup> - فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج3، ص91.

<sup>2</sup> - الأنعام (100).

<sup>3</sup> - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص ص 235- 236.

<sup>4</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج2، ص48.



الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا<sup>1</sup> فقدمنا الجار والمجرور في (القلوب) على المفعول به (الرعب) وذلك لأن الأهم في هذا الموطن مكان الرعب، لا الرعب نفسه، إذ المهم أن تمتلئ قلوب الكافرين بالرعب وليس المهم أن يوضع الرعب في مكان آخر<sup>2</sup>. فكان تقديم القلوب لأنها محل دخول الرعب في النفس فكان هو المهم في التقديم. إذن فسياق تقديم المجرور على المفعول به يتضمن دلالة الاهتمام والعناية بالمتقدم.

<sup>1</sup> - آل عمران (151).

<sup>2</sup> - فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج 3، ص 94 .

ثانياً: دلالة سياق الحذف

### 1-الحذف:

تعد ظاهرة الحذف من الظواهر اللغوية التي اعتنى بها علماء اللغة قداماً ومحدثوها وقد ارتبطت هذه الظاهرة في العربية بظاهرة التقدير ارتباطاً وثيقاً، فلا يذكر الحذف إلاً ويتبعه تقدير ذلك المحذوف ليتم بناء الكلام، وذلك لأن "الحذف يعدُّ عارضاً يعرض في الكلام، لأن الأصل أن يرد الكلام بغير حذف وهو يتفق عليه النحاة"<sup>1</sup>، وقد يكون الحذف غير ملائم في كل الحالات إذا أصابه خلل في المعنى أو في التركيب، لذا لا بد للمخاطب أن يراعي هذا الأمر ويتأكد منه قبل أن يستخدمه في خطابه .

وهو كمصطلح لغوي يتفق المنظرون في جميع المجالات اللغوية على معناه وإن اختلفت التسميات فيسميه أهل البلاغة بالإيجاز، وأهل الأسلوب بالقصر، وأهل النحو بالحذف، لكن هناك اجتماع حول لفظة الحذف، فالحذف إذن هو "أن تحذف جزءاً من الكلام الذي نعبر به عن المعنى المراد وقد يكون هذا الجزء كلمة، وقد يكون جملة، وهذا المحذوف، لا بد من أن يستغني بكلامه عنه، أي تفهم بدونه، كما أنّ هذا الحذف لا بد من قرينة تدل عليه، والأدلة على الحذف كثيرة: منها دلالة الحال، ودلالة المقام ودلالة العقل بأقسامه، ودلالة العادة، ودلالة الصناعة النحوية"<sup>2</sup>.

والأساس العام لمفهوم الحذف ينطلق من الحاجة الفنية للمعبر في استخدام هذا النسق من الأداء، بحيث يكون العدول عنه إفساداً له، وقد وصفه عبد القاهر الجرجاني بقوله: " الحذف باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح

<sup>1</sup> - طاهر حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع بالإسكندرية، (د.ت)، ص19.

<sup>2</sup> - ينظر: فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفانها، دار الفرقان، ط1، الأردن، 1997، ص ص459، 461 .

من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبين<sup>1</sup>، ويربط هذا النسق بالصياغة الفنية ذاتها، فلزوم الحذف يكون من أجل الكلام لا من حيث غرض المتكلم به .

ويختلف الخطاب من فئة إلى فئة فهناك من يحتاج إلى إيماء أو إشارة فقط وهناك من يحتاج إلى أدلة وقرائن وبراهين، "فقد يرى المتكلم البليغ الذّواق للأدب الرفيع أن يحذف من كلامه الذي يريد توصيل معناه لمن يتلقّى كلامه، وما يمكن أن يفهمه المتلقي بقرائن الحال، أو قرائن المقال، أو باللوازم الفكرية الجليّة، أو باللوازم الفكرية الخفيّة، بالإشارات التي تدرك بالذّكاء اللّمّاح، ومن المعلوم أن الأذكياء يكفيهم الإلماح؛ لأنّهم يدركون المقاصد باللمح"<sup>2</sup>.

ومن فوائد الحذف ما ذكره الزركشي بقوله: "فمنها التفخيم، والإعظام لما فيه من الإبهام لذهاب الذهن في كلّ مذهب، وتشوفه إلى ما هو المراد، فيرجع قاصراً عن إدراكه فعند ذلك يعظم شأنه، ويعلو في النفس مكانه، ألا ترى أنّ المحذوف إذا ظهر في اللفظ زال ما كان يختلج في الوهم من المراد، وخلص للمذكور؟ ومنها: زيادة لذّة بسبب استنباط الذهن للمحذوف، وكلّما كان الشعور بالمحذوف أعسر، كان الالتذاذ بمأشّد وأحسن. ومنها زيادة الأجر بسبب الاجتهاد في ذلك؛ بخلاف غير المحذوف، ومنها الإيجاز والاختصار وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل، ومنها موقعه في النفس في موقعه على الذكر، ومنها لمجرد الاختصار والاحتراز من العبث بناء على الظاهر، ومنها التخفيف لكثرة دورانه في الكلام، ومنها رعاية الفاصلة ومنها

<sup>1</sup> - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 146 .

<sup>2</sup> - عبد الرحمان حسين حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج 1، ص 329.

صيانة اللسان عنه، ومنها كونه لا يصلح إلا له من ذلك قوله تعالى ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾<sup>١</sup>، وقوله: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾<sup>٢</sup>،<sup>١</sup>،<sup>٢</sup>.

أ- الحذف لغةً: جاء في معجم لسان العرب: حذف الشيء يحذفه حذفاً، قطعه من طرفه. وقال الجوهري: حذف الشيء إسقاطه<sup>٣</sup>. وحذفه يحذفه، أسقطه ومن شعره أخذه<sup>٤</sup>. والحذف الإسقاط، ومنه حذف الشعر إذا أخذت منه<sup>٥</sup>.

وبناءً على هذه التعريفات فإن المعنى اللغوي لكلمة حذف يدور حول معنيين، أولهما القطع، والثاني الإسقاط، وعليه فإن الحذف يدور حول إسقاط أو حذف عنصر من عناصر الكلام لوجود قرينة.

#### ب- اصطلاحاً:

والحذف اصطلاحاً: إسقاط جزء من الكلام أو كله للدليل<sup>٦</sup>. وهو إسقاط حركة أو كلمة أكثر أو أقل وقد يصير الكلام به متساوياً موجزاً، وقد سماه أي الحذف ابن جني شجاعة العربية، وجاء في الإتيقان أنواع: الاقتطاع والاكتفاء والاحتباك، والحذف المقابلي، والاختزال<sup>٧</sup>.

ومن الحذف الاختزال: "وهو حذف كلمة أو أكثر، وهي: إما اسم، أو فعل، أو حرف كحذف المضاف والمضاف إليه ..."<sup>٨</sup>.

<sup>١</sup> - الأنعام (73)، والبروج (16).

<sup>٢</sup> - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، صص 105 - 108.

<sup>٣</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج9، صص 39، 40.

<sup>٤</sup> - الفيروزبادي، قاموس المحيط، ص 799.

<sup>٥</sup> - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 102.

<sup>٦</sup> - المرجع نفسه، ج3، ص 102.

<sup>٧</sup> - التهانوي، كشف المصطلحات والفنون، ج، ص 632.

<sup>٨</sup> - المرجع نفسه، ج، ص 632.

والحذف يسبغ على الخطاب نوعاً من الجمال والحس والإبداع "ومن علامات الحذف البليغ الذي يرفع قيمة الكلام؛ أنه إذا أظهر المحذوف زال ما في الكلام من بهجة وطلاوة وجمال فني وإبداع"<sup>1</sup>.

وللحذف بيانه في التعبير يجعل من السامع يلفت انتباهه ويبحث عن المراد الذي أراد المخاطب إيصال الفكرة له محاولاً اكتشاف السر في عدم ذكر ما حذف.

ويأتي الحذف بحسب ما يقضيه المقام ومقتضى الحال والسياق الذي يرد فيه وهو ما نجد في التعبير القرآني، و"قد يحذف في التعبير القرآني لفظ أو أكثر حسبما يقتضيه السياق، فقد يحذف حرفاً أو يذكره أو يجتزئ بالحركة للدلالة على المحذوف، كل ذلك لغرض بلاغي تلحظ فيه غاية الفن و الجمال"<sup>2</sup>.

### ج - أنواع الحذف: وللحذف نوعين أساسيين هما: حذف الكلمة وحذف الجملة.

وحذف الكلمة كثير ومتنوع منها: حذف المبتدأ، وحذف الخبر، وحذف الفاعل، وحذف المفعول، وحذف المضاف، وحذف المضاف إليه، وحذف الجار والمجرور، وحذف الصفة، وحذف الموصوف، وحذف الشرط، وحذف جواب الشرط، وحذف جواب القسم، وحذف الحال، ثم حذف الجمل<sup>3</sup>، وأضاف بعض العلماء حذف أكثر من الجملة وهو حذف القول.

<sup>1</sup> - عبد الرحمان حسين حبنكه الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ج1، ص330.

<sup>2</sup> - فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، ص 75.

<sup>3</sup> - ينظر: فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ص 462 - 470 .

1- الحذف عند ابن القيم

ومما أورد ابن القيم من ظواهر الحذف :

1- حذف الفاعل:

حذف الفاعل إنما يكون إذا دلت عليه دلالة<sup>1</sup>، وحذف الفاعل المشهور امتناعه إلا في ثلاثة

مواقع:

أحدها: إذا بني الفعل للمعلوم.

ثانيها: في المصدر، إذا لم يذكر معه الفاعل، مظهرا يكون محذوفا، ولا يكون مضمرا نحو: ﴿أَوْ

إِطْعَمُ﴾<sup>2</sup>.

ثالثها: إذا لاقى الفاعل ساكنا من كلمة أخرى، كقولك للجماعة أضرب القوم، وللمخاطبة:

أضرب القوم.

وجوز الكسائي حذفه مطلقا إذا وجد ما يدل عليه، كقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ

الْتَّرَاقِيَ﴾<sup>3</sup> أي بلغت الروح وقوله: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾<sup>4</sup>، أي شمس،

وقوله: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾<sup>5</sup> يعني العذاب، لقوله قبله: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾<sup>6</sup>،

وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ﴾<sup>7</sup> تقديره فلما جاء الرسول سليمان، والحق أنه في المذكورات

<sup>1</sup> - العلوي، الطراز، ج2، ص103 .

<sup>2</sup> - البلد (14).

<sup>3</sup> - القيامة (26).

<sup>4</sup> - ص (32).

<sup>5</sup> - الصفات (177).

<sup>6</sup> - الصفات (176).

<sup>7</sup> - النمل (36).

مضمر لا محذوف وقد سبق الفرق بينهما<sup>1</sup>. ومن ذلك ما ذكره ابن القيم بقوله: في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾<sup>2</sup> أي قال: "أنعمت عليهم" ولم يقل المنعم عليهم، كما قال: "المغضوب عليهم" أن هذا جاء على الطريقة المعهودة في القرآن، وهي أن أفعال الإحسان والرحمة والجود تضاف إلى الله سبحانه وتعالى، فيذكر فاعلها منسوبة إليه ولا يبيّن الفعل معها للمفعول، فإذا جيء بأفعال العدل والجزاء والعقوبة حذف وبني الفعل معها للمفعول أدبا في الخطاب، وإضافته إلى الله تعالى أشرف، فسمي أفعاله، فمنه هذه الآية فإنه ذكر النعمة فأضافها إليه ولم يحذف فاعلها، ولما ذكر الغضب حذف الفاعل وبني الفعل للمفعول، فقال: ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾<sup>3</sup>.

يتضح أن ابن القيم أن أفعال الإحسان والرحمة والجود مضافة إليه تعالى، أما أفعال العدل والجزاء والعقوبة فحذف فاعلها وبني فعل معها للمفعول تأدبا في الخطاب، وفي الآية نسب النعمة إليه وذكر الغضب وحذف الفاعل. لأن النعمة كما قال: أن النعمة بالهداية إلى الصراط لله وحده، وهو المنعم بالهداية دون أن يشرك أحد في نعمته، فاقترض اختصاصه بها أن يضاف إليه بوصف الأفراد، فيقال: "أنعمت عليهم" أي أنت وحدك المنعم المحسن المتفضل بهذه النعمة، وأما الغضب فإن الله سبحانه غضب على من لم يكن من أهل الهداية إلى هذا الصراط، وأمر عباده المؤمنين بمعاداتهم، وذلك يستلزم غضبهم عليهم موافقة لغضب ربه عليهم، فموافقته تعالى تقتضي أن يغضب على من غضب، عليه ويرضى عمن رضي عنه، فيغضب لغضبه ويرضى لرضاه، وهذا حقيقة العبودية، واليهود قد غضب الله عليهم، فحقيق بالمؤمنين الغضب

<sup>1</sup> - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 143 .

<sup>2</sup> - الفاتحة (07).

<sup>3</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج2، ص 16 .

عليهم، فحذف فاعل الغضب وقال المغضوب عليهم لما كان للمؤمنين نصيب من غضب الله عليه، بخلاف الإنعام فإن الله وحده<sup>1</sup>.

ويضيف ابن القيم في باب الإحسان: " قول إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه:

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾<sup>(٧٨)</sup> وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ

يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾<sup>2</sup> فنسب الخلق والهداية والإحسان بالطعام والسقي إلى الله تعالى، ولما جاء

إلى ذكر المرض، قال: " وإذا مرضت " ولم يقل أمرضني، وقال " فهو يشفين ". ومنه قوله تعالى

حكاية عن مؤمني الجن : ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ

رَشْدًا﴾<sup>(١٠)</sup><sup>3</sup> فنسبوا إرادة الرشد إلى الرب، ومنه قول الخضر عليه الصلاة والسلام في

السفينة : ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾<sup>4</sup> فأضاف العيب إلى نفسه<sup>5</sup>.

من خلال هذا يتضح جليا أن ينسب الله عز وجل إليه على لسان ابراهيم عليه السلام،

الخلق والهداية والإطعام والسقي والشفاء، و في الآية الثانية من سورة الجن الرشد، وينسب العيب

إلى الخضر في سورة الكهف. وهذا ما أشار إليه الزركشي في البرهان بقول: وأما حذفه وإقامة

المفعول مقامه، مع بناء الفعل للمفعول له أسباب:

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج2، ص ص 17- 18 .

<sup>2</sup> - الشعراء (78-80).

<sup>3</sup> - الجن (10).

<sup>4</sup> - الكهف (79).

<sup>5</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج2، ص 17 .



منها العلمية، قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾<sup>1</sup> وقوله: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾<sup>2</sup>، ونحن نعلم أن الله خالقه.

قال ابن جني: وضابطه أن يكون الغرض إنما هو الإعلام بوقوع الفعل بالمفعول، ولا غرض في إبانة الفاعل من هو.

ومنه التعظيم، قوله تعالى: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾<sup>3</sup> إذا كان الذي

قضاه عظيم القدر. وقوله: ﴿وَعِضَّ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾<sup>4</sup> وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾<sup>5</sup> قال الزمخشري في كشافه القديم: هذا أدل على كبرياء المنزل وجلالة شأنه (ومنا لقراءة الشاذة أنزل على لفظ ما سمي فاعله، وهي قراءة يزيد ابن قطيب)، مبنية للفاعل. كما تقول الملك أمر بكذا، ورسم بكذا، وخاصة إذا كان الفعل فعلا لا يقدر عليه إلا الله، كقوله: ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾<sup>6</sup>، قال: كأنه طي ذكر الفاعل كالواجب، لأمرين: أحدهما: أنه إن تعين الفاعل وعلم أن الفعل مما لا يتولاه إلا هو وحده، كان ذكره فضلا و لغوا.

الثاني: الإيذان بأنه منه، غير مشارك ولا مدافع عن الاستثاربه، وتفرد بإيجاده، وأيضا فما في ذلك من مصير أن اسمه جدير بأن يصاب ويرتفع به عن الابتذال والامتهان. وعن الحسن قال: لولا أبي ماذون لي في ذكر اسمه لربأت به عن مسلك الطعام والشراب.

<sup>1</sup> - الأنبياء (37).

<sup>2</sup> - النساء (28).

<sup>3</sup> - يوسف (41).

<sup>4</sup> - هود(44).

<sup>5</sup> - البقرة (04).

<sup>6</sup> - هود (44).

ومنها مناسبة الفواصل، نحو قوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾<sup>1</sup>، ولم يقل يجزيها.

ومنها مناسبة ما تقدمه، «كقوله في سورة براءة: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾<sup>2</sup> لأنقلبها: ﴿وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً﴾<sup>3</sup>، على بناء الفعل للمفعول، فجاء قوله "وطبِعَ" ليناسب الختام المطع، بخلاف قوله فيما بعدها: ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>4</sup>، فإنه لم يقع قبلها ما يقتضي البناء، فجاءت على الأصل»<sup>5</sup>.

ويضيف ابن القيم في باب العدل والجزاء والعقوبة قوله: «ومنه قوله تعالى حكاية عن مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾<sup>6</sup>، وحذفوا فاعل إرادة الشر، وبنوا الفعل للمفعول<sup>7</sup>. وقوله تعالى: ﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾<sup>8</sup> فحذف الفاعل وبناه للمفعول، لأن في ذكر الرفث ما يحسن منه أن لا يقترن بالتصريح بالفاعل، ومنه ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ﴾<sup>9</sup>»<sup>10</sup>.

<sup>1</sup> - الليل (19).

<sup>2</sup> - التوبة (87).

<sup>3</sup> - التوبة (86).

<sup>4</sup> - التوبة (93).

<sup>5</sup> - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص ص 143- 144- 145.

<sup>6</sup> - الجن (10).

<sup>7</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج2، ص 17.

<sup>8</sup> - البقرة (187).

<sup>9</sup> - المائدة (03).

<sup>10</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج2، ص 17.

فابن القيم يوضح في هذه السياقات أن الفاعل فيها محذوف وبني الفعل للمفعول ، فحذفوا فاعل إرادة الشر في الآية الأولى من سورة الجن، وكذلك في الآية الثانية من سورة النساء لأنه لا يليق التصريح بالفاعل عند ذكر الرفث، وهذا كلما تعلق الأمر بسياقات باب العدل والجزاء والعقوبة، وقد ساق ابن القيم العديد من الأمثلة الدالة على ذلك. إذن فمقتضى حذف الفاعل يتضمن عدة أغراض ودلالات يضبطها السياق الذي ترد فيه منها: العدل والجزاء والعقوبة والعلم والتعظيم ، ومناسبة الفواصل، ومناسبة ما تقدمه.

## 2- حذف المضاف إقامة المضاف إليه مقامه:

يعد حذف المضاف من الأنواع الكثيرة التداول في اللغة "قال الزركشي: هو كثير، قال ابن جني وفي القرآن الكريم منه زهاء ألف موضع"<sup>1</sup>. وسماه العلماء قديما بالاتساع ومن ذلك قول ابن جني: حذف المضاف صرب الاتساع<sup>2</sup>، "ويحذف المضاف كثيرا بدلالة القرائن الدالة عليه"<sup>3</sup>. وكذلك حذف المضاف قد كثر، حتى إن في القرآن - وهو أفصح الكلام - منه أكثر من مائة موضع ، بل ثلاثمائة موضع وفي الشعر منه ما لا أحصيه.

فإن قيل: يجيء من هذا أن تقول: ضربت زيدا وإنما ضربت غلامه وولده .

قيل: هذا الذي شئت به بعينه جائز، ألا ترك تقول: إنما ضربت زيدا بضربك غلامه، وأهنته بإهانتك ولده. وهذا باب إنما يصلحه ويفسده المعرفة به. فإن فهم عنك في قولك: ضربت زيدا أنك إنما أردت بذلك: ضربت غلامه أو أخاه أو نحو ذلك جاز، وإن لم يفهم عنك لم يجز، كما أنك إن فهم عنك بقولك: أكلت الطعام أنك أكلت بعضه لم تحتج إلى البدل،

<sup>1</sup> - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 146 .

<sup>2</sup> - ابن جني، الخصائص، ج3، ص 362 .

<sup>3</sup> - فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، ص 122 .

وإن لم يفهم عنك وأردت إفهامالمخاطب إياه لم تجد من البيان، وأن تقول: بعضه أو نصفه أو نحو ذلك. ألا ترى أن الشاعر لما فهم عنه ما (أراد بقوله) قال:

صحب من كاظمة الخُصَّ الحُرِّبَ      يحملن عبَّاس بنَّ عبد المطلب

وإنما أراد: عبد الله بن عباس، ولو لم يكن على ثقة بفهم ذلك لم يجد بدا من البيان .

وعلى ذلك قول الآخر:

عليم بما النطاسيَّ حذِيمَا      أراد: ابن حذِيم<sup>1</sup>

ومن خلال ما أورده ابن جني من حذف يتضح أنه لم يكن بحاجة إلى إيضاح وبيان دلالة ذلك، لأن شعراء ذاك الزمن يدركون أن المخاطب يعلم قصدهم من ذكر بعض الكلام، وترك الآخر، لأن السامع يعي قصدهم فلم يحتج الشاعر إلى توضيح أكثر، واختار ابن جني لذلك لأن الحذف لا يحتاج فيه إلى دليل يثبتته أو يوضحه وبالتالي فسياق الكلام معروف لدى السامع.

ومما ذكره ابن القيم في هذا الباب: قوله في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ

الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>2</sup>، إن "قريبا" في الآية من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه مع الالتفات إلى المحذوف، فكأنه قال: إن مكان الرحمة قريب من المحسنين، ثم حذف المكان وأعطى الرحمة إعرابه وتذكيره<sup>3</sup>، يتضح مما ساقه ابن القيم في الآية غير مناسب لحذف المضاف، ويعلل ذلك بقوله: وإذا عرفت هذا فقوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>4</sup>، ليس في اللفظ ما يدل على إرادة موضع ولا مكان أصلا فلا يجوز دعوى إضماره، بل دعوى إضماره خطأ قطعاً، لأنه يتضمن الإخبار بأن المتكلم أراد المحذوف ولم ينص

<sup>1</sup> - ابن جني، الخصائص، ج2، ص ص 452 - 453.

<sup>2</sup> - الأعراف (56).

<sup>3</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج3، ص 21 - 22 .

<sup>4</sup> - الأعراف (56).

على إرادته دليلا لا صريحا ولا لزوما، فدعوى المدعي أنه أراد دعوى باطلة<sup>1</sup>. ثم يضيف قائلا: ومن ذلك قول الشاعر حسان بن ثابت:

يسقون من ورد البريض بردى يصفق بالرحيق

فقال يصفق بالياء وبردى هي مؤنث لأنه أراد ماء بردى، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: وقد أخذ بيديه ذهباً وحريرا فقال: "هذان حرام على ذكور أمتي"<sup>2</sup> فقال حرام بالإفراد والمخبر عنه مثنى كأنه قال استعمال هذين حرام وهذا المسلك ضعيف جدا، لأن حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه لا يسوغ ادعاؤه مطلقا، وإلا لالتبس الخطاب وفسد التفاهم وتعطلت الأدلة، إذ ما من لفظ أمر أو نهي أو خبر متضمن مأمورا به ومنهيا عنه ومخبرا إلا ويمكن على هذا أن يقدر له لفظ مضاف يخرج عن تعلق الأمر والنهي والخبرية<sup>3</sup>. يتضح من كلام ابن القيم أن هذه الأمثلة التي ساقها لنا في حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه لا تستقيم في مثل هذا الموضوع. ويعلل ذلك بقوله: وأما قوله: "بردى يصفق" فليس أيضا من باب حذف المضاف بل أراد ببردى النهر. وهو مذكر، فوصفه بصفة المذكر، فقال: يصفق، فلم يذكر بناء على حذف المضاف، وإنما ذكر بناء على أن بردى المراد به النهر<sup>4</sup>.

فإن قلت: فلا بد من حذف مضاف لأنهم إنما يسقون ماء بردى لا نفس النهر.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج3، ص22.

<sup>2</sup> - رواه أبو داود (4057)، والنسائي (5144) وأحمد (752)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

<sup>3</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج3، ص22.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج3، ص22.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ج3، ص23.

قلت: هذا وإن كان مراد الشاعر، فلم يلزم منه صحة ما ادعاه من أنه ذكر يصفق باعتبار الماء المحذوف، فإن تذكيره إنما يكون باعتبار إرادة النهر وهو مذكر، فلا يدل على ما ادعوه<sup>1</sup>. وأما قوله صلى الله عليه وسلم: "هذان حرام" ففي أفراد الخبر سر بديع جدا وهو التنبيه والإشارة على أن كل واحد منهما بمفرده موصوف بأنه حرام، فلو ثنى الخبر لم يكن فيه تنبيه على هذا المعنى، فلهذا أفرد الخبر، فكأنه قال: وكل واحد من هذين حرام، فدل أفراد الخبر على إرادة الإخبار عن كل واحد واحد بمفرده، فتأمله فإنه من بديع اللغة<sup>2</sup>. ويضيف قائلا: فيقول الملحد في قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾<sup>3</sup>، أي معرفة حج البيت و﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾<sup>4</sup>، أي معرفة الصيام وإذا فتح هذا الباب فسد التخاطب وتعطلت الأدلة، وإنما يضم المضاف حيث يتعين ولا يصح الكلام إلا بتقديره للضرورة، كما إذا قيل "أكلت الشاة"، فإن المفهوم من ذلك "أكلت لحمها"، فحذف المضاف لا يلبس. وكذلك إذا قلت: "أكل فلان كبد فلان" إذا "أكل ماله"، فإن المفهوم "أكل ثمرة كبده" فحذف المضاف هنا لا يلبس، ونظائره كثيرة<sup>5</sup>. ويتضح من كلام ابن القيم أنه ليس كل محذوف يمكن تأويله على أنه حذف مضاف وخاصة إذا كان هذا التأويل فيه لبس في التخاطب والفهم بين المتخاطبين فتكون بهذا سبب في تعطيل الأدلة خاصة إذا كان الخطاب هو القرآن الكريم، ثم سرد ابن القيم أمثلة بسيطة توضح حذف المضاف دون لبس في الفهم.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج3، ص23.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج3، ص23.

<sup>3</sup> - آل عمران (97).

<sup>4</sup> - البقرة (183).

<sup>5</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج3، ص22.

ثم يضيف قائلاً : وليس منه ﴿وَسَّئِلِ الْقَرْيَةَ﴾<sup>1</sup> ، وإن كان أكثر الأصوليين يمثلون به، فإن القرية اسم للسكان في مسكن مجتمع، وإنما تطلق القرية باعتبار الأمرين كالكأس لما فيه من الشراب والذنوب للدلو الملائن ماء، النهر، والخوان للمائدة إذا كان عليها طعام، ونظائره<sup>2</sup> . وهو بهذا يخاف علماء في ذلك، ونجد ممن قال بحذف المضاف وأكد هذا:

جاء في الكتاب: على اتساع الكلام والاختصار قوله تعالى: ﴿وَسَّئِلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾<sup>3</sup> إنما يريد أهل القرية فاختصر عمل الفعل في القرية<sup>4</sup> .

وجاء في الخصائص لابن جني قوله: وقد حذف المضاف، وذلك كثير واسع، نحو قول الله سبحانه: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾<sup>5</sup> ، أي البر من التقى، أن شئت كان تقديره: ولكن ذا البر من اتقى، الأول أجود، لأن حذف المضاف ضرب من الاتساع، والخبر أولى بذلك من المبتدأ، لأن الاتساع بالأعجاز أولى منه بالصدر، ومنه قوله عز اسمه: ﴿وَسَّئِلِ الْقَرْيَةَ﴾ أي أهلها<sup>6</sup> .

وأكد الزركشي ذلك بقوله: وقال تعالى: ﴿وَسَّئِلِ الْقَرْيَةَ﴾<sup>7</sup> ، أي أهلها وقال الزمخشري في كشافه القديم لا يستقيم تقدير حذف المضاف في كل موضع ولا يقدم، عليه إلا

<sup>1</sup> - يوسف (82).

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج3، ص22.

<sup>3</sup> - يوسف (82).

<sup>4</sup> - فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج3، صص 123- 124 .

<sup>5</sup> - البقرة (177).

<sup>6</sup> - ابن جني، الخصائص، ج2، ص362 .

<sup>7</sup> - يوسف (82).

بدليل واضح وغير ملتبس، كقوله تعالى: ﴿كَلِمَاتٍ مُّسَوِّمَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾<sup>1، 2</sup>. وهذا يوضح خلاف ابن القيم في هذا ويضعفه بقوله:

ثم إنهم لكثرة استعمالهم لهذه اللفظة ودورانها في كلامهم أطلقوها على السكان تارة وعلى المسكن تارة بحسب سياق الكلام وبساطه، وإنما يفعلون هذا حيث لا لبس فيه فلا إضرار في ذلك ولا حذف فتأمل هذا الموضع الذي خفي على القوم مع وضوحه<sup>3</sup>. يتضح من كلام ابن القيم أن السياق الذي جاءت فيه الآية لا حذف فيه لأنه مفهوم وواضح مقصده ومعناه لا يحتاج إلى تأويل.

### 3- حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامة:

يعتبر حذف الموصوف من أكثر أنواع الحذف وروداً في اللغة، وهو ما ذكره ابن جني في الخصائص بقوله: وقد حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه، وأكثر ذلك في الشعر، وإنما كانت كثرته في دون النثر من حيث كان القياس يكاد يحظره، وذلك أن الصفة في الكلام على ضربين: "إما للتخليص والتخصيص"، وإما للمدح والثناء، وكلاهما من مقامات الإسهال والإطناب، لا من مظان الإيجاز والاختصار، وإذا كان كذلك لم يلق الحذف به ولا تخفيف اللفظ منه. وهذا ما يضاف إلى ذلك من الإلباس وضد البيان، فلا ترى أنك إذا قلت: مررت بطويل، لم يستبين من ظاهر هذا اللفظ أن المرور به إنسان دون رمح أو ثوب أو نحو ذلك، وإذا كان كذلك كان حذف الموصوف إنما هو متى قام الدليل عليه أو شهيد حاله، وكلما استبهم الموصوف كان حذفه غير لائق بالحديث<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - يوسف (82).

<sup>2</sup> - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 146.

<sup>3</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج3، ص 22.

<sup>4</sup> - ابن جني، الخصائص، ج2، ص 366.



فمن خلال ما ذكره ابن جني يتضح أن حذف الموصوف يكون أكثر في الشعر ويقل في النثر، ويكاد ينعدم حذف الموصوف للالتباس وعدم وضوح صفة الموصوف، لهذا وضع علماء النحو شرطين لحذف الموصوف، كما ذكر الزركشي بقوله: يشترط فيه أمران: أي حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه.

أحدهما: كون صفتي خاصة بالموصل، حتى يحصل العلم بالموصوف، فمتى كانت الصفة العامة أمتنع حذف الموصوف، نص عليه سيبويه في آخر باب ترجمة، هذاب اب مجاري أواخر كلم العربية.

الثاني: أن يعتمد على مجرد الصفة من حيث هي، لتعلق غرض السياق، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾<sup>1</sup>، وقوله تعالى أيضاً " ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾<sup>2</sup>، فإن الاعتماد في سياق القول على مجرد الصفة لتعلق غرض القول من المدح أو الذم بها<sup>3</sup>.

وقد أورد ابن القيم ذلك بقوله: في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>4</sup>، إنه من باب حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه وتقديره: إن رحمة الله شيء قريب من المحسنين أو لطف قريب أو بر قريب ونحو ذلك. وحذف الموصوف كثير، فمنه قول الشاعر:

قامت تبيكه على قبره      من لي من بعدك يا عامر  
تركنتني في الدار ذا غربة      قد ذل من ليس له ناصر

<sup>1</sup> - آل عمران (115).

<sup>2</sup> - البقرة (95).

<sup>3</sup> - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص 154.

<sup>4</sup> - الأعراف (56).

والمعنى تركتني شخصا أو إنسانا ذا غربة، ولولا ذلك لقاتلت تركتني ذات غربة. ومنه قول

الآخر :

فلو أنك في يوم الرخاء فراقك لم أبخل وأنت صديق

أراد وأنت شخص أو إنسان صديق<sup>1</sup>، وبهذا فحذف الموصوف كثير في الشعر.

ومن خلال هذا يضع ابن القيم شرطين لحذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه بقوله: أن حذف الموصوف وإقامة الصفة مقاومة إنما يحسن بشرطين: أولا: أن تكون الصفة خاصة يعلم ثبوتها لذلك الموصوف بعينه لا لغيره<sup>2</sup>.

الثاني: أن تكون الصفة قد غلب استعمالها مفردة على الموصوف كالبر والفاجر، والعالم، والجاهل والمتقي، والرسول، والنجي، ونحو ذلك مما غلب استعمال الصفة فيه مجردة عن الموصوف فلا يكاد يجيء ذكر الموصوف معها كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾<sup>3</sup>، وقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾﴾<sup>4</sup>، وقوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾<sup>5</sup>، وقوله: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾<sup>6</sup>، وهو كثير جدا في القرآن وكلام العرب وبدون ذلك لا يحسن الاقتصار على الصفة، فلا يحسن أن تقول جاءني طويل، ورأيت جميلا أو قبيحا وأنت تريد جاءني رجل طويل، ورأيت رجلا جميلا أو قبيحا، ولا تقول: سكنت في قريب تريد في مكان قريب

<sup>1</sup> - ابن القيم ، بدائع الفوائد، ج3، ص21.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج3، ص21.

<sup>3</sup> - الانفطار (13-14).

<sup>4</sup> - الحجر (45).

<sup>5</sup> - الأحزاب (35).

<sup>6</sup> - البقرة (254).

مع دلالة السكنى على المكان<sup>1</sup>. فابن القيم ذكر الشرطين في حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه كأن تكون الصفة معلومة لذلك الموصوف وأن يغلب عليها استعمالها مفردة وقد أورد الزركشي الكثير من الأمثلة موافقا لما قاله ابن القيم منها قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا﴾<sup>2</sup> أي جنة دانية، وقوله: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾<sup>3</sup>، أي سفينة ذات ألواح، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ﴾<sup>4</sup>، أي يا أيها الرجل الساحر، وقوله: ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾<sup>5</sup>، أي عملا صالحا<sup>6</sup>. ومن خلال هذا يتضح أن السياقات الواردة في حذف الموصوف لا تحتاج إلى قرينة دالة توضح ذلك لأن السياق تكفل ببيان الدلالة.

### ثالثا: حروف المعاني:

تعد حروف المعاني من أهم الموضوعات التي اهتم بها العلماء، لما لها من أهمية في تحديد المعنى داخل السياق، ومنه يمكن استنباط الآراء والأحكام التي يتضمنها النص، لأن الرأي أو الحكم يختلف باختلاف الحرف، وخاصة عندما يتعلق الأمر بالمسائل الأصولية والفقهية والتفسير. وهذا ما سنطرقه عند ابن القيم رحمه الله.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج3، ص24.

<sup>2</sup> - الإنسان (14).

<sup>3</sup> - القمر (13).

<sup>4</sup> - الزخرف (49).

<sup>5</sup> - القصص (67).

<sup>6</sup> - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص155.

1-تعريف الحرف:

أ-الحرف: لغة:

الحرف في اللغة يطلق على حد الشيء وطرفه وشفيره، يقول الجوهري: صاحب مختار الصحاح " : حرف كل شيء طرفه وشفيره وحده، والحرف واحد حروف التهجي، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾<sup>1</sup>، قالوا علي وجه واحد، وهو أن يعبده على السراء دون الضراء.<sup>2</sup>

ويؤكد الراغب الأصفهاني هذا المعنى بقول: " حرف الشيء : طرفه وجمعه أحرف وحروف، يقال:حرف السيف وحرف السفينة وحرف الجبل، وحروف الهجاء : الكلمات الرابطة بعضها ببعض"<sup>3</sup>.

ويقول ابن منظور في لسان العرب: الحرف: الطرف والجانب، وبه سمي الحرف من حروف الهجاء.<sup>4</sup>

ب-اصطلاحاً: هو ما يدل بنفسه على معنى في غيره، فقد ذكر سيبويه : أن الحرف ما جاء لمعنى ليس باسم، ولا فعل، ومثل لذلك : " ثم، سوف، واو القسم، ولام الإضافة"<sup>5</sup>.

وذكر ابن جني أن الحرف : ما لم تحسن فيه علامات الأسماء، ولا علامات الأفعال، وإنما جاء لمعنى في غيره، نحو : هل وبل وقد.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> - الحج (11).

<sup>2</sup> - الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، مادة ( حرف )، ج4، ص1342 .

<sup>3</sup> - الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، ص114 .

<sup>4</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص41 .

<sup>5</sup> - سيبويه، الكتاب، ج1، ص12 .

<sup>6</sup> - ابن جني، اللمع في اللغة، ص ص 46 - 47 .

قال ابن عقيل : والكلم : اسم جنس واحده كلمة، وهي إما اسم و إما فعل و إما حرف، لأنها إن دلت على معنى في نفسها غير مقترنة بزمان فهي الاسم، وإن اقترنت بزمان فهي الفعل، وإن لم تدل على معنى في نفسها بل في غيرها فهي الحرف" <sup>1</sup>.

وأما المرادي فقد قال عن الحرف : "وقد حد الحرف بحدود كثيرة، ومن أحسنها قول بعضهم : الحرف كلمة تدل على معنى في غيرها فقط" <sup>2</sup> ثم فسر ذلك بقوله "إن دلالة الحرف على معناها لإفرادي متوقفة على ذكر متعلق، بخلاف الاسم و الفعل فإن دلالة كل منهما على معناه الإفرادي غير متوقفة على ذكر متعلق، ألا ترى أنك

إذا قلت: "الغلام" فهم منه التعريف، ولو قلت : "ال" مفردة، لم يفهم منه معنى فإذا قرن بالاسم أفاد التعريف" <sup>3</sup>.

وقد عرفه ابن القيم بقوله: أصل الحروف أن تكون عاملة، لأنه ليس لها معان في أنفسها، وإنما معانيها في غيرها، وأما الذي معناه في غيره، وهو الاسم، فأصله أن لا يعمل في غيره، وإنما وجب أن يعمل الحرف في كل ما دل على معنى فيه، لأن اقتضائه معنى، فيقتضيه عملاً لأن الألفاظ تابعة للمعاني <sup>4</sup>. ولكل حرف حد ولكل حد مطلع <sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - ابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك، ج1، ص15 .

<sup>2</sup> - الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ت: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص20 .

<sup>3</sup> - الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص22.

<sup>4</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص37 .

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص64 .

والحروف قسمان:

أحدها: حروف تدخل في بناء الكلمة، أي: أن الكلمة تتركب من عدد من الحروف مثل "زيد" أو "عمر" .

الثاني: حروف تدل على معنى في غيرها، أي تلك الحروف التي تربط بين الكلام فيفهم معناه كقولك: جاء زيد وعمر، فالواو هنا تدل على الاشتراك. وفي هذا يقول سعد الدين التفتازاني: "وتسميتها حروف المعاني بناء على أن وضعه المعان تتميز بها عن حروف المباني التي بنيت الكلمة عليها وركبت منها؛ فالهمزة المفتوحة: إذا قصد بها الاستفهام أو النداء فهي من حروف المعاني وإلا فمن حروف المباني"<sup>1</sup>.

## 2- أهمية حروف المعاني:

لقد اهتم العلماء بحروف المعاني، فالنحويون قاموا بسردها وبيان نوعها وعملها و إعرابها، أما المفسرون والأصوليون فقاموا ببيان دور هذه حروف في توجيه المعنى و الدلالة انطلاقاً من السياقات التي ترد فيها.

يقول الزركشي: " وإنما احتاج الأصولي إليها- أي إلى حروف المعاني - لأنها جملة كلام العرب، وتختلف الأحكام الفقهية بسبب اختلاف معانيها، قال ابن السيد النحوي يخبر عمن تأمل غرضه ومقصده، فإن الطريقة الفقهية مفتقرة إلى علم الأدب، مؤسسة على أصول وكلام العرب، وأن مثلها ومثله قول أبي الأسود الدؤلي:

فإن لا يكتنها أو تكتنه فإنه أخوها غذته أمه بلبانها<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، شرح التويح على التوضيح لمثن التنقيح في أصول الفقه، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ص181.

<sup>2</sup> - الزركشي، البحر المحيط، ج2، ص253.

ويؤكد السيوطي أهمية حروف المعاني بقوله: " اعلم أن معرفة ذلك - أي حروف المعاني - من المهمات المطلوبة لاختلاف مواقعها، ولهذا يختلف الكلام و الاستنباط بحسبها كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَّ هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>1</sup>، فاستعملت "على" في جانب الحق و"في" جانب الضلال، لأن صاحب الحق مستقل يصرف نظره كيف شاء، وصاحب الباطل كأنه منغمس في ظلام منخفض لا يدري أين يتوجه، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>2</sup>، حيث عدل عن "اللام" إلى "في" في إيداناً إلى أنهم أكثر استحقاقاً للمتصدق عليهم عن سبق ذكره باللام، لأن "في" للوعاء، فبها باستعمالها على أم أحق بأن يجعلوا مظنة. لوضع الصدقات فيهم كما يوضع الشيء في وعاء مستقراً فيه<sup>3</sup>. ويقول المرادي أيضاً: فإنه لما كانت مقاصدهم كلام العرب على اختلاف صنوفهم، مبنياً أكثرها على معاني الحروف، صرفت الهمم إلى تحصيلها، ومعرفة جملتها وتفصيلها، وهي مع قلتها، وتيسر الوقوف على جملتها، وقد كثر دورها، وبعد غورها، فعزت على الأذهان معانيها وأبت الإذعان إلا لمن يعينها<sup>4</sup>. فمن خلال هذه النصوص يتضح مدى أهمية حروف المعاني، ودورها في تحصيل الدلالة وتوجيهها وفق السياقات التي ترد فيها، فهذا مما جعل العلماء من نحويين ومفسرين وأصوليين يلونها أهمية كبيرة، نظير أهميتها في السياق الذي يضبط المعنى الذي تؤديه داخله، فيفهم من خلال ذلك دلالاتها وبالتالي دلالة سياق النص. وهو ما ذهب إليه ابن القيم من خلال تناوله لحروف المعاني.

<sup>1</sup> - سبأ(24).

<sup>2</sup> - التوبة (60).

<sup>3</sup> - السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ت: أبو الفضل إبراهيم، ج2، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ص141.

<sup>4</sup> - الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني، ص 19.

3- دلالة سياق حروف المعاني عند ابن القيم:

1. حرف الواو :

قال سيبويه: الواو لا تدل على الترتيب ولا التعقيب، تقول: صمت رمضان وشعبان، وإن شئت شعبان ورمضان، بخلاف الفاء وثم إلا أنهم يقدمون في كلامهم ما هم به أهم وهم بيانه أعنى وإن كانا جميعا يهماثم ويعنيانهم، هذا لفظه . ومن معاني الواو: جاء لمطلق الجمع وهذا عند البصريين ، أما الكوفيين تفيد عندهم الترتيب<sup>1</sup>. وقد اختلف العلماء في المعاني التي تفيدها الواو ، وقد وردت الواو للترتيب ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾<sup>2</sup>، وهؤلاء مذكورين على الترتيب وكما في آية الوضوء وهي قوله تعالى: ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾<sup>3</sup>، فالأعضاء مذكورين بحسب الترتيب<sup>4</sup>.

ويقول في هذا الشأن فاضل صالح السمرائي ليس معنى قولنا أنها لا تفيد، إنها لا تأتي للترتيب البتة، بل قد تأتي للترتيب وتأتي لغيره، فقد يصح أن يكون المعطوف بعد المعطوف عليه كما يصح أن يكون قبله أو مصاحب له فهي قد تأتي للترتيب ولا مانع من ذلك وإنما ردا على الذين يزعمون أنها لا تكون إلا للترتيب<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - محمد محي الدين عبد الحميد، شرح ابن عقيل على الألفية، ج3، ص226 .

<sup>2</sup> - البقرة (136).

<sup>3</sup> - المائدة (06).

<sup>4</sup> - فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج3، ص188 .

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ج3، ص188 .



وذهب ابن القيم رحمه الله إلى أن الواو إن كان كل واحد من معطوفاتها مرتبط بالآخر، اقتضت الترتيب، ومن ذلك قوله تعالى في آية "الوضوء": ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ<sup>1</sup>﴾ فقال أن هذه الأفعال في أجزاء فعل واحد مأخوذ به وهو الوضوء، فدخلت الواو عاطفة لأجزاء بعضها على بعض. والفعل الواحد يحصل من ارتباط أجزائه بعضها ببعض. فدخلت الواو بين أجزاء للربط، فأفادت الترتيب. إذ هو الربط المذكور في الآية، ولا يلزمه من كونه لا تفيد الترتيب بين أفعال لا ارتباط بينها، نحو ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ<sup>2</sup>﴾ أن لا تفيد بين أجزاء فعل مرتبطة بعضها لبعض، فتأمل هذا الموضع ولطفه، وهذه أحد الأقوال الثلاثة في إفادة الواو للترتيب، أكثر الأصوليين يعرفونه ولا يحكونه. وهو قول أبي موسى من أصحاب أحمد، ولعله أرجح الأقوال.

وقد تأتي الواو حرف عطف غير عامل ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا<sup>3</sup>﴾، وقوله أيضا

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ<sup>4</sup>﴾، وقوله أيضا: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا<sup>5</sup>﴾ إذا فعلنا وهو كثير جدا بواو العطف من غير ذكر عامل يعمل في "إذ" لأن الكلام في سياق تعداد النعم وتكرار الأقسايص فيشير بالواو العاطفة إليها كأنها مذكورة في اللفظ في علم المخاطب بلم . ولما خفي هذا على بعض

<sup>1</sup> - المائدة (06).

<sup>2</sup> - البقرة (110).

<sup>3</sup> - البقرة (34).

<sup>4</sup> - البقرة (49).

<sup>5</sup> - البقرة (50).

ظاهرة النحاة قال: إن الواو زائدة هنا وليس كذلك. ومن معاني الواو غير العاملة هذا العطف الترتيب والجمع والاقتران<sup>1</sup>.

وكذلك من معاني الواو العاملة مثل التي تحمل معنى رب يقول ابن القيم في هذا الشأن: ومن هذا الباب "الواو" المتضمنة معنى "رب" فإنك تجد في أول الكلام كثيرا إشارة منهم إلى تعدد المذكور بعدها من فخر أو مدح أو غير ذلك. وهذه كلها معان مضمرة في النفس، وهذه الحروف عاطفة عليها، وربما صارحوا بذلك المضمّر بقول ابن مسعود: "دعم في نفسك وإن أفدوك عنه واتوك" ومن هذا الباب حذف كثير من الأجوبة في القرآن لدلالة الواو عليها لعلم مخاطب أن الواو عاطفة ولا يعطف بها إلا على شيء كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِءِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ﴾<sup>2</sup>، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾<sup>3</sup>، ثم قال وهذا الباب واسع في اللغة. وقد أورد جماعة من النحويين الواو في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾<sup>4</sup>، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾<sup>5</sup> قالوا الواو هنا زائدة وهو مذهب البصريين والواو هنا لا ترد وأولوا هذه الآيات ونحوها على حذف الجواب<sup>6</sup>. وقال ابن القيم هذا من باب حذف الجواب لنكتة بديعة

بديعة

<sup>1</sup> - الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص ص 158-160.

<sup>2</sup> - يوسف (15).

<sup>3</sup> - الزمر (73).

<sup>4</sup> - الزمر (73).

<sup>5</sup> - الصافات (103).

<sup>6</sup> - الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص 166.

وهي أن تفتيح أبواب النار كان حال موافاة أهلها ففتحت في وجوههم لأنه أبلغ في مفاجأة المكروه<sup>1</sup>.

2. حرف ثم : حرف عطف يشرك في الحكم ويفيد الترتيب بمهلة فإذا قلت قام زيد ثم عمرو، أذنت بالثاني بعد الأول بمهلة. وهذا مذهب الجمهور<sup>2</sup>. وهو حرف عطف يفيد الترتيب والتراخي، ومعنى التراخي المهلة<sup>3</sup> ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾<sup>4</sup> فجاء بـ "ثم" لأن البشر المنتشر متراخ عن كونه ترابا، وبينهما مهلة وجاء في تفسير الرازي قال في خلق الإنسان، فنقول هناك خلق وتقدير وتدرج وتراخ، حتى يصير التراب قابلا للحياة فينفخ فيه روحه فإذا هو بشر<sup>5</sup>، فأتي بـ "ثم" لأن الخلق يمر بمراحل تقتضي الترتيب والتراخي (مهلة).

وقد أشار إلى ذلك ابن القيم بقوله: «ثم حرف عطف ولفظها كلفظ ثم وهو زم الشيء بعضه إلى بعض، كما قال كنا أهل ثمة وزمة، وأصله ثممت البيت إذا كان فيه فرج فسدد بالثمام والمعنى الذي في ثم العاطفة قريب من هذا لأنه ضم شيء إلى شيء بينهما مهلة، كما أن ثم البيت ضم بين شيئين بينهما فرجة، ومن تأمل هذا المعنى في الحروف والأسماء المضارعة لها ألفاه كثيرا»<sup>6</sup>. إذن فمعنى ثم يفيد الترتيب بعد العطف الترتيب والمهلة.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج3، ص84.

<sup>2</sup> - الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص426.

<sup>3</sup> - فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج3، ص206.

<sup>4</sup> - الروم (20).

<sup>5</sup> - محمد الرازي فخر الدين، تفسير فخر الرازي التفسير الكبير و مفاتيح الغيب، ج25، دار الفكر، ط1، 1981، ص117.

<sup>6</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص90.

3. حرف حتى: حرف عطف يفيد الغاية نحو: يمرض الناس جميعا حتى الأطباء، وشرط معطوفها أن يكون بعضا من المعطوف عليه كبعضه، كما يشترط في المعطوف بها، أن يكون غاية لما قبلها في الزيادة أو النقص<sup>1</sup>.

وأما حتى فموضوعة للدلالة على أن ما بعدها غاية لما قبلها، وغاية كل شيء حده، لذلك كان لفظها كلفظ الحد فإنها حاء قبل تاءين، كما أن الحد جاء قبل دالين، والدال كالتاء في المخرج والصفة إلا في الجهر، فكانت لجهرها أولى بالاسم لقوته والتاء لهما أولى بالحرف لضعفه. ومن حيث كانت حتى للغاية خفضوا بها كما يخفضون بـ إلى التي للغاية والفرق بينهما أن حتى غاية لما قبلها وهو منه وما بعد إلى ليس مما قبلها بل عنده انتهى ما قبل الحرف، ولذلك فارقتها في أكثر أحكامها ولم تكن إلى عاطفة لانقطاع ما بعدها عما قبلها، بخلاف حتى.

ومن ثم دخلت حتى في حروف العطف ولم يجز دخولها على المضمر المخفوض إذ كانت خافضة، لا تقول: قام القوم حتاك، كما لا تقول: قاموا "وك" ومن حيث كان ما بعدها غاية لما قبلها لم يجز في العطف قام زيد حتى عمرو، ولا أكلت خبزا حتى تمرا، لأن الثاني ليس بحد للأول ولا ظرف<sup>2</sup>... يتضح من كلام ابن القيم أن معنى حتى يفيد الغاية وتشتك مع إلى في الغاية التي بعدهما ويفترقان في الغاية التي قبلهما لأن إلى ليس لها غاية قبلها بعكس حتى وبالتالي إلى ليست عاطفة لانفصالها عما قبلها. كما أشار بعض العلماء من النحويين والأصوليين إلى أنها لا تفيد الترتيب كالواو ومن ذلك ما ذكر في الأصول بقوله: " وإنما يذكر أي اسم بعد حتى للدلالة على التحقير أو التعظيم أو قوة أو ضعف وذلك قولك " ضربت القوم حتى زيد" فـ "زيد" من القوم وانتهى الضرب به فهو مضروب مفعول، ولا يخلو أن يكون أحقر من

<sup>1</sup> - فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج3، ص211.

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص180.

ضرب ولا أعظمهم شأنًا، وإلا فلا معنى لذكره، وكذلك المعنى إذا عاطفة كما تعطف الواو، تقول "ضربت القوم حتى عمرا" ف "عمر" من القوم، و به انتهى الضرب و "قدم الحاج حتى المشاة والنساء" فهذا في التحقير والضعف وتقول: "مات الناس حتى الأنبياء والملوك" وهذا من التعظيم والقوة<sup>1</sup>. "وهو الغالب ليس لزاما، فإنه قد يكون العطف بها أو الجر يفيد الغاية بها فحسب دون التعظيم أو التحقير وذلك نحو قولك: قرأت القرآن حتى سورة الناس، عطفا وجرًا، فهذا للغاية في كون سورة الناس آخر القرآن، وليس لتحقير أو تعظيم، نحو كقولك "قرأت الكتاب حتى الصفحة الأخيرة"<sup>2</sup>. وقد أشار ابن القيم إلى ذلك بقوله: "ليس المراد من كون "حتى" لانتهاؤ الغاية وأن ما بعدها ظرفا أن يكون متأخرا في الفعل عما قبلها، فإذا قلت: "مات الناس حتى الأنبياء"، و"قدم الحاج حتى المشاة"، لم يلزم تأخر موت الأنبياء عن الناس وتأخر قدوم المشاة عن الحاج"<sup>3</sup>. يتضح من كلام ابن القيم أن حتى "قد تأتي للعاطفة وهو رأي البصريين، وقد تأتي غير ذلك وهو رأي الكوفيين، وقد تفيد الترتيب أيضا عند البصريين"<sup>4</sup>. و قد أشار ابن القيم إلى ذلك بقوله: ولهذا قال بعض الناس: إن حتى مثل الواو لا تخالفها إلا في شيئين: أحدهما أن يكون المعطوف من قبيل المعطوف عليه، فلا تقول قدم الناس حتى الخيل، بخلاف الواو. الثاني أن تخالفه بقوة أو ضعف أو كثرة أو قلة، وأما أن يفهم منها الغاية والحد فلا، والذي حمله على ذلك ما تقدم من المثالين<sup>5</sup>. فيرى ابن القيم أن حتى تختلف عن الواو وقد وجدت للغاية، فيجيب على ذلك بقوله: "ولكن فاته أن يعلم المراد بكون ما بعدها غاية وظرفا، فاعلم أن المراد به أن يكون غاية في المعطوف عليه لا في الفعل، فإنه يجب أن يخالفه في

<sup>1</sup> - أبو بكر محمد ابن السراج، الأصول في النحو، ت عبد الله الفتيلي، مؤسسة الرسالة، ط2، 1996، ج1، ص 424 .

<sup>2</sup> - فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج3، ص212 .

<sup>3</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص180 .

<sup>4</sup> - الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص ص 544-546 .

<sup>5</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص180 .

الأشد والأضعف والقلة والكثرة، وإذا فهمت هذا فالأنبياء غاية للناس في الشرف والفضل، والمشاة غاية للحجاج في الضعف والعجز<sup>1</sup>. ومن خلال هذا يتضح أن حتى غايتها في المعطوف عليه، أن يكون من نفس المعطوف و يخالفه في الزيادة أو النقص مثلما أشار ابن القيم إلى الشدة والضعف والقلة والكثرة والشرف والفضل. كما يشير ابن القيم إلى إفادة حتى معنى الترتيب بقوله: وأنت إذا قلت: "أكلت السمكة حتى رأسها"، فالرأس غاية لانتهاؤ السمكة وليس المراد أن غاية أكلك كان الرأس، بل يجوز أن يتقدم أكلك للرأس وهذا مما أغفله كثير من النحويين لم ينبهوا عليه<sup>2</sup>. ومعنى قول ابن القيم أن حتى لا تفيد الترتيب لأنه يمكن تقديم الرأس أو تأخيره.

#### 4. حرف أو :

حرف عطف ومذهب الجمهور: أنها تشرك في الإعراب لا في المعنى لأنك إذا قلت: قام زيد أو عمرو، فالفعل واقع من أحدهما. وقال ابن مالك أنها تشرك في الإعراب والمعنى، لأن ما بعدها مشارك لما قبلها في المعنى الذي جاء بها لأجله؛ و ل أو ثمانية معاني: الشك، الإبهام، التخيير، الإباحة، التقسيم، الإضراب، معنى ولا، تأتي بمعنى الواو<sup>3</sup>. وقد أشار ابن القيم إلى ذلك بقوله: أو وضعت للدلالة على أحد الشيئين المذكورين معها، ولذلك وقعت في الخبر المشكوك فيه من حيث كان الشك ترددا بين أمرين من غير ترجيح لأحدهما على الآخر، لا أنها وضعت للشك فقد تكون في الخبر الذي لا شك فيه إذا أجمت على المخاطب ولم تقصد أن تبين له، كقوله سبحانه: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾<sup>4</sup>، أي أنهم من الكثرة بحيث يقال فيهم هم مائة ألف أو يزيدون ف أو دالة على أحد الشيئين إما مائة ألف

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 180 - 181.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1، ص 181.

<sup>3</sup> - الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص 226 - 229.

<sup>4</sup> - الصافات (147).

بمجردها، وإما مائة ألف مع زيادة والمخبر في كل هذا لا يشك<sup>1</sup>. «فالشك عند ابن القيم في سياق الآية الكريمة، أن الالتباس والشك يقع عند السامع وهذا يسمى إبهاما ولا يقع عند المتكلم لأن المتكلم لا يشك فيما يقول. ومن الشك إذا كان المتكلم شاكا في الأمر نحو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ يَوْمًا يُؤَمُّمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾<sup>2</sup> «<sup>3</sup>.

يفهم من سياق الآية أن المتكلم يشك في أمر لبوئه. أما الفرق بين الشك والإبهام والفرق بينهما الشك من جهة المتكلم والإبهام على السامع<sup>4</sup>. ومن معانيها أيضا الإباحة عند بعض النحاة ومن ذلك: "جالس العلماء" أو الزهاد، "وتعلم النحو أو الفقه" وقد أشار ابن القيم إلى ذلك بقوله: وقوله تعالى: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾<sup>5</sup>. ذهب في هذه الزجاج كالتي في قوله: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾<sup>6</sup> إلى أنها أو التي للإباحة، أي أبيض للمخاطبين أن يشبهوا بهذا أو هذا، وهذا فاسد فإن أو لم توضع للإباحة في شيء من الكلام، ولكنها على بابها، أما قوله: "أو كصيب من السماء" فإنه تعالى ذكر مثلين مضروبين للمنافقين في حالتين مختلفتين فهم لا يخلون من إحدى الحالتين فـ "أو" على بابها من الدلالة على أحد المعنيين، وهذا كما تقول زيد لا يخلو أن يكون في المسجد أو الدار ذكرت أو لأنك أردت أحد الشئيين، وتأمل الآية بما قبلها وافهم المراد منها تجد الأمر كما ذكرت لك، وليس المعنى أبحت لكم أن تشبهوهم بهذا

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص181 .

<sup>2</sup> - الكهف (19).

<sup>3</sup> - فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج3، ص217 .

<sup>4</sup> - الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص228 .

<sup>5</sup> - البقرة (74).

<sup>6</sup> - البقرة (19).

وهذا<sup>1</sup>. فمن خلال هذا الكلام فابن القيم ينكر الإباحة ومعنى أو الآية الأولى تفيد معنى الإبهام لأن الشك يقع عند السامع أما سياق الآية الثانية: فتفيد معنى الشك لأن الشك وقع عند المتكلم.

وأما قوله فهي كالحجارة أو أشد قسوة فإنه ذكر قلوبا ولم يذكر قلبا واحدا، فهي على الجملة قاسية أو على التعيين لا تخلو من أحد أمرين إما أن تكون كالحجارة، وإما أن تكون أشد قسوة ومن هذا قول الشاعر:

فقلت لهم شيئا لا بد      صدور رماح أشرعت أو سلاسل

أي لا بد منهما في الجملة، ثم فصل الاثنين بالرمح والسلاسل، فبعضهم له الرماح قتلا وبعضهم له السلاسل أسرا، فهذا على التفصيل والتعيين والأول على الجملة، فالأمران واقعان جملة وتفصيلهما بما بعد "أو"، وقد يجوز في قوله تعالى: ﴿كَأَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾، مثل أن يكون مائة ألف أو يزيدون وأما أو التي للتخيير فالأمر فيها ظاهر. فيفهم من كلام ابن القيم أن سياق أو في الآية الأولى يفيد الإبهام والآية كذلك لأن كلاهما أفادا الشك عند السامع لأن المتكلم لا يشك في المخبر عنه. أما أو التي تفيد التخيير فعند ظاهرة وواضحة .

وينفي ابن القيم معنى الإباحة في "أو" بقوله: وأما "أو" التي زعموا أنها للإباحة نحو جالس الحسن أو ابن سيرين، فلم توجد الإباحة من لفظ "أو" ولا من معناها، ولا تكون "أو" قط للإباحة وإنما أخذت من لفظ الأمر الذي هو للإباحة، ويدل على هذا أن القائلين بأنها للإباحة يلزمهم أن يقولوا إنها للوجوب إذا دخلت بين شيئين لا بد من أحدهما، نحو قولك للمكفر: أطمع عشرة مساكين أو اكسهم، فالوجوب هنا لم يوجد من أو وإنما أخذ من الأمر فكذا

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص181.



جالس الحسن أو ابن سيرين<sup>1</sup>. إذن فابن القيم ينفي وينكر وجود معنى الإباحة لـ "أو" وأنها تستمدها من الأحكام الشرعية المتعلقة بالأمر.

## 5. حرف اللام:

واللام حرف كثير المعاني والأقسام ذكره النحويون ومما ذكر من معانيها الاختصاص أو الاستحقاق، وفقد أفرد له بعضهم تصنيفا كاملا وذكر لها نحو من أربعين معنى<sup>2</sup>، ومن معاني اللام الاختصاص وله معاني أخرى كثيرة<sup>3</sup>، ومنها لام كي ولام الجحود ولام الصيرورة "العاقبة"... وقد أشار ابن القيم إلى ذلك بقوله: لام كي والجحود حرفان ماضيان بإضمار أن<sup>4</sup>.

أ- لام التعليل: وتسمي لام كي نحو جئتكَ لتكرمني فهذه اللام جارة، والفعل منصوب بـ "أن" المضمر. و"أن" مع الفعل في تأويل المصدر، مجرور باللام. وهذا مذهب البصريين. وهذه اللام هي لام التعليل<sup>5</sup>. لام "كي" هي لام التعليل. وسميت لام كي لأنها تفيد ما تفيد "كي" مع التعليل. ومذهب أكثر الكوفيين بأنها ناصبة وقال البصريون جارة<sup>6</sup>.

ب- لام الجحود: لام الجحود. وهي الواقعة بعد "كان" الناقصة المنفية. نحو ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>7</sup>،<sup>8</sup>. سميت لام الجحود لاختصاصها بالنفي<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص182.

<sup>2</sup> - الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص95.

<sup>3</sup> - فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج3، ص55.

<sup>4</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص96.

<sup>5</sup> - الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص105.

<sup>6</sup> - المرجع نفسه، ص115.

<sup>7</sup> - آل عمران ( 179 )

<sup>8</sup> - المرجع نفسه، ص105.

<sup>9</sup> - المرجع نفسه، ص116.

ويوضح ابن القيم ذلك بقوله: إلا أن لام كي هي لام العلة فلا يقع فيها إلا فعل يكون علة لما بعدها، فإن كان ذلك الفعل منفيًا لم يخرجها عن أن تكون لام كي، كما ذهب إليه الصيمري، لأن معنى العلة فيها باق<sup>1</sup>. فابن القيم يرى أن الفعل إذا كان منفيًا لا يخرج اللام على كونها لام كي ويقول لأن العلة باقية، ويوضح ذلك عندما يتطرق إلى الفرق بين لام كي ولام الجحود فيقول:

أحدها: أن لام الجحود يكون قبلها كون منفي بشرط الماضي، إما ما كان أو لم يكن لا مستقبلًا، فلا تقول: ما أكون لأزورك، وتكون زمانية ناقصة لا تامة، ولا يقع بعد اسمها ظرف ولا مجرور لا تقول: ما كان زيد عندك ليذهب ولا أمس ليخرج. فهذه أربعة فروق، والذي يكشف لك قناع المعنى ويهجم بك على الغرض أن كان الزمانية عبارة عن زمان ماض فلا يكون علة لحادث ولا يتعدى إلى المفعول من أجله، ولا إلى الحال وظروف المكان، وفي تعديها إلى ظرف الزمان نظر، وهذا الذي منعها أن تقع قبلها لام العلة أو يقع بعدها الجحود أو الظرف<sup>2</sup>. من خلال هذا يتضح أن ابن القيم وضع شروطًا في الفرق بين لام كي ولام الجحود وهي أربعة: يكون قبلها كون منفي بشرط الماضي، لا المستقبل، ولا يقع بعد اسمها ظرف ولا مجرور.

وأما الفرق الخامس بين اللامين: فهو أن الفعل بعد لام الجحود لا يكون فاعله إلا عائداً على اسم كان، لأن الفعل بعدها في موضع الخبر، فلا تقول: ما كان زيد ليذهب عمرو، كما تقول: يا زيد ليذهب عمرو أو لتذهب أنت، ولكن تقول ما كان ليذهب وما كنت لأفعل<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص96.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص96.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص96.

إذن فابن القيم يرى أن الفعل الذي يقع بعد لام الجحود هو خبر كان. وبهذا فابن القيم يوافق الكوفيين ويخالف البصريين<sup>1</sup>.

والفرق السادس: جواز إظهار أن بعد لام كي، ولا يجوز إظهارها بعد لام الجحود، لأنها جرت في كلامهم نفياً للفعل المستقبل بالسين أو سوف، فصارت لام الجحود بإزائها فلم يظهر بعدها ما لا يكون بعدها<sup>2</sup>. وبهذا فابن القيم يوافق الجمهور في جواز إظهار أن بعد لام كي<sup>3</sup>، ويوافق ابن القيم البصريين في عدم جواز إظهار أن بعد لام الجحود، ويخالف بعض الكوفيين ممن قال بجواز إظهاره<sup>4</sup>.

وفي هذه النكتة مطلع على فوائد من كتاب الله ومرقاة إلى تدبره كقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾<sup>5</sup> فجاء بلام الجحود حيث كان نفياً لأمر متوقع وسبب مخوف في المستقبل، ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾<sup>6</sup> فجاء باسم الفاعل الذي لا يختص بزمان حيث أراد نفي وقوع العذاب بالمستغفرين على العموم في الأقوال لا يخص مضياً من استقبال<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص 118 - 120.

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 96.

<sup>3</sup> - ينظر: الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص 117.

<sup>4</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 118.

<sup>5</sup> - الأنفال (33).

<sup>6</sup> - الأنفال (33).

<sup>7</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 96.

ومثله ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ﴾<sup>1</sup> ثم قال: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ﴾<sup>2</sup>

فلاحظ هذه الآية من مطلع الأخرى تجدها كذلك في الكلام على لام العاقبة<sup>3</sup>.

لام العاقبة وهي: لام الصيرورة، وتسمى لام العاقبة، ولام المأل. ذكرها الكوفيون، والأخفش، وقوم من المتأخرين، منهم ابن مالك. كقوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ ءَالٌ فَرِعُونَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾<sup>4</sup>. وهذه اللام، عند أكثر البصريين، هي لام "كي"، وعند الكوفيين ناصبة بنفسها<sup>5</sup>. ويقول فيها بن القيم: وأما لام العاقبة، ويسمونها لام الصيرورة في نحو ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾<sup>6</sup> فهي في الحقيقة لام كي، ولكنها تتعلق بالخبر لقصد المخبر عنه وإرادته، ولكنها تعلق بإرادة فاعل الفعل على الحقيقة وهو الله سبحانه وتعالى، أي فعل الله تعالى ذلك ليكون كذا وكذا. وكذلك قولهم: أعتق ليموت، لم يعتق لقصد الموت ولم تتعلق اللام بالفعل وإنما المعنى قدر الله أنه يعتق ليموت، فهي متعلقة بالمقدور وفعل الله. ونظيره "إني أنسى لأ سن" ومن رواه أنسي بالتشديد فقد كشف قناع المعنى<sup>7</sup>. إذن فابن القيم يرى أن لام العاقبة هي لام كي وبهذا يوافق رأي أكثر البصريين وخالف فيها الكوفيون<sup>8</sup>.

وسمعت شيخنا أبا العباس بن تيمية يقول يستحيل دخول لام العاقبة في فعل الله فإنها حيث وردت في الكلام فهي لجهل الفاعل لعاقبة فعله، كالتقاط آل فرعون لموسى، فإنهم لم

<sup>1</sup> - هود (117).

<sup>2</sup> - القصص (59).

<sup>3</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 96.

<sup>4</sup> - القصص (08).

<sup>5</sup> - الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص 121.

<sup>6</sup> - القصص (08).

<sup>7</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 97.

<sup>8</sup> - الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص 121.

يعلموا عاقبته أو لعجز الفاعل عن دفع العاقبة نحو: لدوا للموت وابنوا للخراب. فأما في فعل من لا يعزب عنه مثقال ذرة ومن هو على كل شيء قدير فلا يكون قط إلا لام كي وهي لام التعليل. ومثل هذه الفوائد التي لا تكاد توجد في الكتب يحتاج إلى مجالسة الشيوخ والعلماء<sup>1</sup>. من خلال هذا التعقيب لشيخ الإسلام ابن تيمية يتضح أن لام العاقبة هي لام كي ولام التعليل وبالتالي فابن تيمية ينفي وجود لام العاقبة في أفعال الله جلا وهلا، وهو بهذا يوافق رأي ابن القيم والبصريين.

**6. حرف أن: أن** : لفظ مشترك ، يكون اسما وحرفا<sup>2</sup>. وذكر لها ابن القيم موضعين:

أحدها: أن تكون مصدرية<sup>3</sup> ، وذكر أةئد دخولها على الفعل دون الاكتفاء بمصدرها، فقال: في دخول "أن" على الفعل دون الاكتفاء بالمصدر ثلاث فوائد :

أحدها: أن المصدر قد يكون فيما مضى وفيما هو آت، وليس في صيغته ما يدل عليه، فجاءوا بلفظ الفعل المشتق منه مع "أن" ليجتمع لهم الإخبار عن الحدث مع الدلالة على الزمان.

الثانية: أن "أن" تدل على إمكان الفعل دون الوجوب والاستحالة.

الثالثة: أنها تدل على مجرد معنى الحدث دون احتمال معنى زائد عليه ففيها تحصين من الإشكال وتخليص له من شوائب الإجمال، بيانه أنك إذا قلت: كرهت خروجك وأعجبني قدومك، احتمال الكلام معاني:

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص97.

<sup>2</sup> - الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص215 .

<sup>3</sup> - ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، د.ط، د.ت، ج1، ص24. و ينظر: الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص216.

منها: أن يكون نفس القدوم هو المعجب لك دون صفة من صفاته وهيأته، وإن كان لا يوصف في الحقيقة بصفات ولكنها عبارة عن الكيفيات، واحتمل أيضا أنك تريد أنه أعجبك سرعته أو بطؤه أو حالة من حالاته، فإذا قلت: أعجبتني أن قدمت، كانت أن على الفعل بمنزلة الطباع والصواب من عوارض الإجمالات المتصورة في الأذهان، وكذلك زادوا أن بعد "لما" في قولهم: لما أن جاء زيد أكرمتمك، ولم يزيدوها بغير ظرف سوى "لما" وذلك أن "لما" ليست في الحقيقة ظرف زمان ولكنه حرف يدل على ارتباط الفعل الثاني بالأول، وأن أحدهما كالعلة للآخر بخلاف الظرف<sup>1</sup>.

إذا قلت: حين قام زيد قام عمرو، فجعلت أحدهما وقتا للآخر على اتفاق لا على ارتباط فلذلك زادوا "أن" بعدها صيانة لهذا المعنى وتخليصا له من الإحتمال العارض في الظرف إذ ليس الظرف من الزمان بحرف، فيكون قد جاء لمعنى كما جاءت "لما"<sup>2</sup>.

الثاني: أن تكون مفسرة<sup>3</sup>، فقال في بيان حقيقتها:

وأما "أن" التي للتفسير فليست مع ما بعدها بتأويل المصدر، ولكنها تشارك "أن" التي تقدم ذكرها في بعض معانيها، لأنها تحصين لما بعدها من الاحتمالات، وتفسير لما قبلها من المصادر المحتملات، التي في معنى المقالات والإشارات. فلا يكون تفسيراً إلا لفعل، في معنى التراجم الخمسة الكاشفة عن كلام النفس، لأن الكلام القائم في النفس، والغائب عن الحواس في الأفئدة، يكشفه للمخاطبين خمسة أشياء: اللفظ، والخط، والإشارة، والعقد، والنصب، وهي لسان الحال، وهي أصدق من لسان المقال. فلا تكون "أن" المفسرة، إلا تفسيراً لما أجمل

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص90 .

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص ص90-91 .

<sup>3</sup> - ينظر: الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص220 . وينظر: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج1، ص29.

من هذه الأشياء، كقولك: "كُتبت إليه أن اخرج، وأشرت إليه أن ذهب" ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾<sup>1</sup> وأوصيته أن اشكر، وعقدت في يدي أن قد أخذت بخمسين، وزربت على حائطي أن لا يدخلوه<sup>2</sup>.

ومنه قول الله عز وجل: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾<sup>3</sup> أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾<sup>3</sup> هي ههنا لتفسير النصبه التي هي لسان الحال، وإذا كان الأمر فيها كذلك فهي بعينها التي تقدم ذكرها، لأنها إذا كانت تفسيراً فإنما تفسر الكلام والكلام مصدر، فهي إذا في تأويل مصدر إلا أنك أوقعت بعدها الفعل بلفظ الأمر والنهي وذلك مزيد فائدة، ومزيد الفائدة لا تخرج الفعل عن كونه فعلاً، فلذلك لا تخرج عن كونها مصدرية كما لا يخرجها عن ذلك صيغة المضى والاستقبال بعدها، إذا قلت: يعجبني أن تقوم وأن قمت، فكأنهم إنما قصدوا إلى ماهية الحدث مخبراً عن الفاعل لا الحدث مطلقاً ولذلك لا تكون مبتدأة وخبرها في ظرف أو مجرور، لأن المجرور لا يتعلق بالمعنى الذي يدل عليه "أن" ولا الذي من أجله صيغ الفعل واشتق من المصدر، وإنما يتعلق المجرور بالمصدر نفسه مجرداً من هذا المعنى كما تقدم، فلا يكون خبراً عن "أن" المتقدمة وإن كانت في تأويل اسم، وكذلك أيضاً لا يخبر عنها بشيء مما هو من صفة للمصدر، كقولك: قيام سريع أو بطيء ونحوه، لا يكون مثل هذا خبراً عن المصدر.

فإن قلت: حسن أن تقوم وقبح أن تفعل، جاز ذلك لأنك تريد بها معنى المفعول، كأنك تقول أستحسن هذا أو أستقبحه، وكذلك إذا قلت: لأن تقوم خير من أن تقعد، جاز لأنه ترجيح وتفصيل، فكأنك تأمره بأن يفعل ولست بمخبر عن الحدث بدليل امتناع ذلك

<sup>1</sup> - النمل (08).

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص 91.

<sup>3</sup> - الرحمن (7-8).

في الماضي، فإنك لا تقول إن قمت خير من أن قعد، ولا إن قام زيد خير من أن قعد، وامتناع هذا دليل على ما قدمناه من أن الحدث هو الذي يخبر عنه، وأما "أن" وما بعدها فإنها وإن كانت في تأويل المصدر فإن لها معنى زائدا ولا يجوز الإخبار عنه، ولكنه يراد ويلزم يؤمر به، فإن وجدتها مبتدأة ولها خبر فليس الكلام على ظاهره كما تقدم<sup>1</sup>.

7. حرف إن : المكسور الخفيفة: شرطية<sup>2</sup>: يرى ابن القيم أنها تأتي للشرط، وتستعمل فيما يمكن وقوعه.

قال: المشهور عند النحاة والأصوليين والفقهاء أن أداة "إن" لا يعلق عليها إلا محتمل الوجود والعدم، كقولك: "إن تأتي أكرمك" ولا يعلق عليها محقق الوجود، فلا تقول: إن طلعت الشمس أتيتك، بل تقول: "إذا طلعت الشمس أتيتك"، و"إذا" يعلق عليها النوعان.

واستشكل هذا بعض الأصوليين، فقال: "قد وردت "إن" في القرآن في معلوم الوقوع قطعاً كقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾<sup>3</sup>، وهو سبحانه يعلم أن الكفار في ريب منهم. وقوله: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ﴾<sup>4</sup>، ومعلوم قطعاً انتفاء فعلهم<sup>5</sup>.

وأجاب عن هذا بأن قال: "إن الخصائص الإلهية لا تدخل في الأوضاع العريية، بل الأوضاع العريية مبنية على خصائص الخلق، والله تعالى أنزل القرآن بلغة العرب، وعلى

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص ص 91- 92 .

<sup>2</sup> - ينظر: الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص208. وينظر: ابن هشام ، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج1، ص 17.

<sup>3</sup> - البقرة (23).

<sup>4</sup> - البقرة (24).

<sup>5</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1 ، ص ص 50- 51 .



منوالهم، فكل ما كان في عادة العرب حسناً، أنزل القرآن على ذلك الوجه، أو قبيحاً لم ينزل في القرآن، فكل ما كان شأنه أن يكون في العادة مشكوكاً فيه بين الناس، حسن تعليقه بـ أن من قبل الله ومن قبل غيره، سواء كان معلوماً للمتكلم أو للسامع أم لا.

وكذلك يحسن من الواحد منا أن يقول: "إن كان زيد في الدار فأكرمه"، مع علمه بأنه في الدار، لأن حصول زيد في الدار شأنه أن يكون في العادة مشكوكاً فيه، فهذا هو الضابط لما تعلق على "إن"، فاندفع الإشكال<sup>1</sup>.

قلت: "هذا السؤال لا يرد، فإن الذي قاله القوم: إن الواقع ولا بد لا يعلق بأن، وأما ما يجوز أن يقع ويجوز أن لا يقع فهو الذي يعلق بها، وإن كان بعد وقوعه متعين الوقوع، وإذا عرفت هذا فتدبر قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾<sup>2</sup>، كيف أتى في تعليق الرحمة المحققة إصابتها من الله تعالى بـ "إذا" وأتى في إصابة السيئة بـ "إن" فإن ما يعفو الله تعالى عنه أكثر. وأتى في الرحمة بالفعل الماضي الدال على تحقيق الوقوع، وفي حصول السيئة بالمستقبل الدال على أنه غير محقق، ولا بد، وكيف أتى في وصول الرحمة بفعل الإذاعة الدال على مباشرة الرحمة لهم، وأنها مذوقة لهم، والذوق هو أخص أنواع الملابس وأشدها، وكيف أتى في الرحمة بحرف ابتداء الغاية مضافة إليه، فقال: "منا رحمة"، وأتى في السيئة بباء السببية مضافة إلى كسب أيديهم، وكيف أكد الجملة الأولى التي تضمنت إذاعة الرحمة بحرف "إن" دون الجملة الثانية، وأسرار القرآن الكريم أكثر وأعظم من أن يحيط بها عقول البشر"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 51.

<sup>2</sup> - الشورى (48).

<sup>3</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 51.

وتأمل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا ۗ﴾<sup>1</sup>، كيف أتى بـ "إذا" وهنا لما كان مس الضر لهم في البحر محققا، بخلاف قوله: ﴿لَا يَسْمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَعُوْثُ فَنُوحًا ۗ﴾<sup>2</sup>، فإنه لم يقيد مس الشر هنا، بل أطلقه، ولما قيده بالبحر الذي هو متحقق فيه ذلك أتى بأداة "إذا"<sup>3</sup>.

وتأمل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَجَّ بِجَانِبِهِ ۗ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانِ يُّوسَا ۗ﴾<sup>4</sup>، كيف أتى هنا بـ "إذا" المشعرة بتحقيق الوقوع، المستلزم لليأس، فإن اليأس إنما حصل عند تحقق مس الشر له، فكان الإتيان بـ "إذا" وهنا أدل على المعنى المقصود من "إن"، بخلاف قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ۗ﴾<sup>5</sup>، فإنه بقلة صبره وضعف احتمال له متى توقع الشر أعرض وأطال في الدعاء، فإذا تحقق وقوعه كان يؤوسا<sup>6</sup>. يتضح من خلال هذا التفصيل أن ابن القيم يؤكد أن "إن" تأتي للمحتمل الوقوع أو عدم الوقوع، أي ممكن يقع وممكن لا يقع.

ومثل هذه الأسرار في القرآن لا يرقى إليها إلا بموهبة من الله وفهم يؤتاه عبدا في كتابه<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - الإسراء (67).

<sup>2</sup> - فصلت (49).

<sup>3</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص51.

<sup>4</sup> - الإسراء(83).

<sup>5</sup> - فصلت (51).

<sup>6</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص ص51-52.

<sup>7</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص52.

8. حرف أيّ:

أيّ: هي اسم يأتي على خمسة أوجه: قال ابن هشام في المغني وهي: شرط واستفهام وموصولة، وان تكون دالة على معنى الكمال، وأن تكون وصلة إلى نداء ما فيه أل<sup>1</sup>. ويعرف ابن القيم أيّ بقوله: في تحقيق معنى أي وهو أن لفظ الألف والياء المكررة راجع في جميع الكلام إلى معنى التعيين والتمييز للشيء من غيره، فمنه آية الشمس لضوئها، لأنه يبينها ويميزها من غيره، ومنه الآية العلامة، ومنه خرج القوم بأيهم أي: بجماعتهم التي يتميزون بها عن غيرهم.

ومنه تأييت بالمكان أي: تثبت لتبيين شيء أو تمييزه. ومنه قول امرئ القيس:

قف بالديار وقوف حابس      وتأي إنك غير يائس

وقال الكمي:

وتأي إنك غير صاغر

ومنه إياك في المضمرة، لأنه في أكثر الكلام مفعول مقدم، والمفعول إنما يتقدم على فعله قصدا إلى تعيينه وحرصا على تمييزه عن غيره وصرفا للذهن عن الذهاب إلى غيره، ولذلك تقدم في "إياك نعبد" إذ الكلام وارد في معرض الإخلاص وتحقيق الوحدانية ونفي عوارض الأوهام عن التعلق بغيره، ولهذا اختصت "أي" بنداء ما فيه الألف واللام تمييزا له وتعيينا، وكذلك أي زيد، ومنه إياك المرء والأسد، أي ميز نفسك وأخلصها عنه<sup>2</sup>، ومن ذلك "يا أيها الرجل"<sup>3</sup> ومنه وقوع "أي" تفسيرا كقولك عندي عن أي صوف<sup>4</sup>. وأما وقوعها نفيًا لما قبلها نحو مررت

<sup>1</sup> - ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج1، ص ص 81 - 82 .

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص 149 .

<sup>3</sup> - ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج1، ص 82 .

<sup>4</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص 149 .

برجل أي رجل، فأى تدرجت إلى الصفة من الاستفهام كان الأصل، أي رجل؟، هو على الاستفهام الذي يراد به التفخيم والتهويل، وإنما دخله التفخيم لأنهم يريدون إظهار العجز والإحاطة لوصفه، فكأنه مما يستفهم عنه بجهل كنهه فأدخلوه في باب الاستفهام الذي هو موضوع لما يجهل<sup>1</sup>. وقال ابن هشام: تكون دالة على معنى الكمال، فتقع صفة للنكرة نحو زيد رجل أي رجل، أي كامل في صفات الرجال<sup>2</sup>. من خلال كلام ابن القيم يتضح أن "أي" تأتي أولاً: وصلة إل نداء "ما" في "أل" والثانية: أنها مفسرة، والثالثة: أنها منفية لما قبلها.

وكذلك جاء: ﴿الْقَارِعَةُ ۙ مَا الْقَارِعَةُ﴾<sup>3</sup>، ﴿الْحَاقَّةُ ۙ مَا الْحَاقَّةُ﴾<sup>4</sup>، أي أنها

لا يحاط بوصفها، فلما ثبت هذا اللفظ في باب التفخيم

والتعظيم للشيء قرب من الوصف حتى أدخلوه في باب النعت وأخروه في الإعراب عما

قبله. ومنه قول الشاعر:

### جاء بمذق هل رأيت الذئب

أي كأنه في لون الذئب إن كنت رأيت الذئب.

ومنه مررت بفارس هل رأيت الأسد، وهذا التقدير أحسن من قوله بعض النحويين أنه

معمول ووصف مقدر، وهو قول محذوف أي مقول فيه هل رأيت كذا؟، وما ذكرته لك أحسن

وأبلغ فتأمل. ويتضح من كلام ابن القيم أن أي تأتي على المعاني الثلاثة التي ذكرها بحسب

السياقات التي ساقها لنا ولا تخرج عنها بهذا فهي جاءت لتؤدي هذه المعاني.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص149 .

<sup>2</sup> - ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج1، ص82 .

<sup>3</sup> - القارعة (1-2).

<sup>4</sup> - الحاقة (1-2).

9. حرف ما : تأتي ما على عدة معاني كثيرة، فهي لفظ مشترك يكون حرفا واسما<sup>1</sup>، ذكر منها ابن القيم ثلاثة أوجه:

أولها: أن تكون موصولة:

**قول النحاة:** إن ما الموصولة بمعنى "الذي" إن أرادوا به أنها بمعناها من كل وجه فليس بحق، وإن أرادوا أنها بمعناها من بعض الوجوه فحق<sup>2</sup>. «ما اسم بمعنى التي يصلح في موضعها الذي نحو قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>3</sup>». <sup>4</sup> . ثم يعرض ابن القيم لفرق بينهما بقوله: والفرق بينهما أن "ما" اسم مبهم في غاية الإبهام حتى أنها تقع على كل شيء، وتقع على ما ليس بشيء. ألا تراك تقول: "إن الله يعلم ما كان وما لم يكن" لفرط إبهامها لم يجوز الإخبار عنها، حتى توصل بما يوضحها. وكل ما وصلت به، يجوز أن يكون صلة لـ "الذي" فهو يوافق الذي في هذا الحكم، ويخالفها في إبهامها، فلا تكون نعتا لما قبلها، ولا منعوتة لأن صلتها بعينها غير النعت. وأيضا فلو نعتت بنعت زائد على الصلة، لارتفع إبهامها، وفي ارتفاع الإبهام منها جملة بطلان حقيقتها وإخراجها عن أصل موضوعها<sup>5</sup>.

وتفارق "الذي" أيضا في امتناعها من التثنية والجمع، وذلك أيضا لفظ إبهامها، فإذا ثبت الفرق بينهما، فاعلم أنه لا يجوز أن توجد إلا موصولة لإبهامها، وموصوفة ولا يجوز أن توجد إلا واقعة على جنس تتنوع منه أنواع، لأنها لا تخلو من الإبهام أبدا، ولذلك كان في لفظها ألف آخره، لما في الألف من المد والاتساع في هواء الفم، مشاكلة لاتساع معناها في الأجناس، فإذا

<sup>1</sup> - الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص 322 .

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 123-124 .

<sup>3</sup> - النحل (49).

<sup>4</sup> - الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص 336.

<sup>5</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 123-124 .

أوقعوها على نوع بعينه، وخصوا به من يعقل وقصروها عليه، أبدلوا الألف نونا ساكنة، فذهب امتداد الصوت، فصار قصر اللفظ موازنا لقصر المعنى<sup>1</sup>. ويتضح من كلام ابن القيم أن الفرق بينها وبين الذي هو في الإبهام والتثنية والجمع وهذا ما دلالتها على المعنى عامة وأكثر اتساعا، وستفيض ابن القيم في شرح ذلك بقوله:

وإذا كان أمرها كذلك، وجب أن يكون ضميرها العائد عليها، من الصلة التي لا بد للصلة منه، ولولا هو لم ترتبط بموصول حتى تكون صلة له، فيجب أن يكون ذلك الضمير بمنزلة ما يعود عليه في الإعراب والمعنى. فإذا وقعت على ما هو فاعل في المعنى، كان ضميرها فاعلا في المعنى واللفظ، نحو "كرهت ما أصابك" فـ "ما" مفعولة لكرهت في اللفظ، وهي فاعلة لأصاب في المعنى، فالضمير الذي في أصاب فاعل في اللفظ والمعنى<sup>2</sup>.

وإذا وقعت على مفعول، كان ضميرها مفعولا لفظا ومعنى، نحو "سرتني ما أكلته، وأعجبتني ما لبسته" فهي في المعنى مفعولة، لأنها عبارة عن الملبوس، فضميرها مفعول في اللفظ والمعنى، وكذلك إذا وقعت على اللفظ، كان ضميرها مجرورا بـ "في" لأن الظرف كذلك في المعنى، إلا أنها لا تقع على المصادر، إلا على ما تختلف أنواعه للإبهام الذي فيها. فإن قيل: فكف وقعت على من يعقل، كقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾<sup>3</sup>، ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾<sup>4</sup> ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾<sup>5</sup> وأمثال ذلك؟ قيل: هي في هذا كله على أصلها من الإبهام، والوقوع على الجنس العام لما يراد بـ "ما"، ما يراد بـ "من" من

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، صص 123-124.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص124.

<sup>3</sup> - ص (75).

<sup>4</sup> - الشمس (05).

<sup>5</sup> - الكافرون (03).

التعيين لما يعقل والاختصاص دون الشيوخ، ومن فهم حقيقة الكلام، وكان له ذوق عرف هذا، واستبان له.

وأما قوله تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ ۗ ﴾<sup>1</sup>، فهذا كلام ورد في معرض التوبيخ والتبكيك للعين على امتناعه من السجود، ولم يستحق هذا التبكيك والتوبيخ، حيث كان السجود لمن يعقل، ولكن للمعصية والتكبر على ما لم يخلقه، إذ لا ينبغي التكبر لمخلوق على مثله، إنما التكبر للخالق وحده. فكأنه يقول سبحانه: لم عصيتني وتكبرت على ما لم تخلقه وخلقته أنا، وشرفته وأمرتك بالسجود له فهذا موضع "ما" لأن معناها أبلغ، ولفظها أعم، وهو في الحجة أوقع، وللعذر والشبهة أقطع<sup>2</sup>.

فلو قال: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ ۗ ﴾<sup>3</sup> لكان استفهاما مجردا من توبيخ وتبكيك، ولتوهم أنه وجب السجود له من حيث كان يعقل، ولعله موجود في ذاته وعينه وليس المراد كذلك. وإنما المراد توبيخه وتبكيته على ترك سجوده لما خلق الله، وأمره بالسجود له ولهذا عدل عن اسم آدم العلم مع كونه أخص، وأتى بالاسم الموصول الدال على جهة التشريف المقتضية لسجوده له، كونه خلقه بيديه وأنت لو وضعت مكان "ما" لفظة "من" لما رأيت هذا المعنى المذكور في الصلة، وأن "ما" جيء بها وصلة إلى ذكر الصلة. فتأمل ذلك فلا معنى إذا لتعيين بالذكر، إذ لو أريد التعيين لكان بالاسم العلم أولى وأحرى<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - ص (75).

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص ص124-125.

<sup>3</sup> - ص (75).

<sup>4</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص125.

وكذلك قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَيْهَا﴾<sup>1</sup>، لأن القسم تعظيم للمقسم به واستحقاقه للتعظيم من حيث "ما"، وأظهر هذا الخلق العظيم الذي هو السماء ومن حيث سواها وزينها بحكمته فاستحق التعظيم، وثبتت قدرته. فلو قال: "ومن بناها" لم يكن في اللفظ دليل على استحقاقه للقسم من حيث اقتدر على بنائها، ولكان المعنى مقصورا على ذاته ونفسه، دون الإيماء إلى أفعاله الدالة على عظمته، المنبئة عن حكمته، المفصحة باستحقاقه للتعظيم من خليقته. وكذلك قولهم: "سبحان ما يسبح الرعد بحمده" لأن الرعد صوت عظيم، من جرم عظيم، والمسبح به لا محالة أعظم. فاستحقاقه للتسبيح من حيث يستحقه العظيّمات، من خلقه لا من حيث كان يعلم، ولا تقل يعقل في هذا الموضع.

فإذا تأملت ما ذكرناه، استبان لك قصور من قال: أن ما مع الفعل في هذا كله، سوى الأول في تأويل المصدر. وأنه لم يقدر المعنى حق قدره فلا لصناعة النحو وفق، ولا لفهم التفسير رزق، وأنه تابع الحز، وأخطأ المفصل، وحام ولكن ما ورد المنهل<sup>2</sup>. ومن خلال هذه السياقات التي أوردها ابن القيم بالشرح والتفصيل حتى يبين لمن خالفه الرأي أن هذه ما الموصولة وليست مصدرية.

الثاني: أن تكون ما المصدرية: وهي حرف لا يعود عليها ضميرها من صلتها وتصل بين الفعل الماضي و المضارع<sup>3</sup>، فيقول ابن القيم: ومعنى وقوعها عليه، أنها إذا دخلت على الفعل، كان معها في تأويل المصدر، هكذا أطلق النحاة، وهنا أمور يجب التنبيه عليها والتنبيه لها: فيقول: أحدها: الفرق بين المصدر الصريح، والمصدر المقدر مع "ما" والفرق بينهما أنك إذا قلت: "يعجبني صنعك" فالإعجاب هنا واقع على نفس الحدث، بقطع النظر عن زمانه ومكانه. وإذا

<sup>1</sup> - الشمس (05).

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص125.

<sup>3</sup> - الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص ص 331-332.



قلت: " يعجبني ما صنعت " فالإعجاب واقع على صنع ماض، وكذلك " ما تصنع " واقع على مستقبل . فلم تتحد دلالة ما . والفعل والمصدر .

الثاني: أنه لا تقع مع كل فعل في تأويل المصدر، وإن وقع المصدر في ذلك الموضع، فإنك إذا قلت: " يعجبني قيامك "، كان حسنا. فلو قلت: " يعجبني ما تقوم " لم يكن كلاما حسنا، وكذلك: " يعجبني ما تقوم، وما تجلس "، أي قيامك وجلوسك، ولو أتيت بالمصدر كان حسنا. وكذلك إذا قلت: " يعجبني ما تذهب "، لم يكن في الجواز والاستعمال مثل " يعجبني ذهابك " <sup>1</sup>. فمن خلال هذا الفرق الذي قام به ابن القيم يتضح معنى تأويل الكلام وكيف تكون ما مصدرية وفقا لسياق معين، وهو كذلك تخريج " سيبويه " <sup>2</sup>.

والثالث: أن تكون مهية لدخول الفعل على الفعل، فقال ابن القيم في ذلك:

"وأما طالما يقوم زيد، وقل ما يأتي عمرو، ف " ما " هنا واقعة على الزمان، والفعل بعدها متعدد إلى ضميره بحرف الجر، والتقدير: طال زمان يقوم فيه زيد، وقل زمان يأتي فيه عمرو، ثم حذف الضمير، فسقط الحرف ". هذا تقدير طائفة من النحاة منهم السهيلي وغيره. من خلال هذا يتضح أن " ما " تربط بين فعلين الأول ماضي والثاني مضارع .

ويقول ابن القيم: ويحتمل عندي تقديرين آخرين، هما أحسن من هذا :

أحدهما: أن تكون مصدرية وقتية، والتقدير: طال قيام زيد، وقل إتيان عمرو. وإنما كان هذا أحسن، لأن حذف العائد من الصفة قبيح، بخلاف حذفه إذا لم يكن عائدا على شيء، فإنه أسهل وإذا جعلت مصدرية، كان حذف الضمير حذف فضلا غير عائدا على موصوف. يتضح من كلامه أن " ما " هنا مصدرية لأن التقدير جاء بالمصدر المؤول.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، صص 133 - 134 .

<sup>2</sup> - الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص 332 .

والتقدير الثاني وهو أحسنها: أن "ما" ههنا مهيأة لدخول الفعل على الفعل، ليست مصدرية، ولا نكرة، وإنما أتى بها لتكون مهيأة لدخول طال على الفعل، فإنك لو قلت طال يقوم زيد وقل يجني عمرو، لم يجز، فإذا أدخلت "ما" استقام الكلام<sup>1</sup>. يتضح من هذا الكلام أيضا أن "ما" لدخول الفعل على الفعل ليست مصدرية ولا نكرة ولا يستقيم الكلام إلا بـ "ما" وبالتالي فهي رابط بين الفعلين فهي مهيأة لدخول الفعل على الفعل.

وهذا كما دخلت على "رب" مهيأة لدخولها على الفعل. نحو قوله: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾<sup>2</sup>، وكما دخلت على "إن" مهيأة لدخولها على الفعل، نحو: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾<sup>3</sup>،<sup>4</sup>. فـ "ما" هنا مهيأة لدخولها على الفعل فهي كافة لأنها هيأت هذه الألفاظ لدخولها على الفعل، ولم تكن قبل ذلك صالحة، للدخول عليه، لأنها من خواص الأسماء، والتحقيق أن المهيأة نوع من أنواع الكافة، وكل مهيأة كافة، ولا ينعكس<sup>5</sup>. ويقول ابن القيم في موضع آخر: فإذا عرفت هذا فقول النبي صلى الله عليه وسلم: "صلوا كما رأيتموني أصلي"<sup>6</sup> هو من هذا الباب، ودخلت "ما" بين كاف التشبيه، وبين الفعل، مهيأة لدخولها عليه فهي كافة للخافض، ومهيأة له أن تقع بعد الفعل، وهذا قد خفي على أكثر النحاة، حتى ظن كثير منهم أن "ما" ههنا مصدرية، وليس كما ظن، فإنه لم يقع التشبيه بالرؤية.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص135.

<sup>2</sup> - الحجر (02).

<sup>3</sup> - فاطر (28).

<sup>4</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص ص135 - 136.

<sup>5</sup> - الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص335.

<sup>6</sup> - رواه البخاري، باب الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة والإقامة، رقم631.

وأنت لو صرحت بالمصدر هنا، لم يكن كلاما صحيحا، فإنه لو قيل: "صلوا كرؤيتكم صلاتي"، لم يكن مطابقا للمعنى المقصود، فلو قيل: إنها موصولة والعائد محذوف، والتقدير: صلوا كالتى رأيتموني أصلي، أى كالصلوات التى رأيتموني أصليها، كان أقرب من المصدرية على كراهته، فالصواب ما ذكرته لك<sup>1</sup>. فما هنا مهية لدخولها على الفعل و هي كافة، وقولهم أن تكون كافة وهي تقع بعد "إن" أخواتها و"رب" و"كاف التشبيه" في الأكثر<sup>2</sup>.

ونظير هذه المسألة قوله صلى الله عليه وسلم للصديق: "كما أنت<sup>3</sup>"، فأنت مبتدأ، والخبر محذوف، فلا مصدر هنا، إذ لا فعل. فمن قال: "إنها مصدرية" فقد غلط، وإنما هي مهية لدخول الكاف على ضمير الرفع، والمعنى: كما أنت صانع أو كما أنت مصل، فدم على حالتك<sup>4</sup>. ف"ما" كذلك مهية لدخول الكاف على الضمير.

ونظير ذلك أيضا وقوعها بين بعد والفعل، نحو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ تَبِعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>5</sup> ليست مصدرية كما زعم أكثر النحاة، بل هي مهية لدخول "بعد" على فعل كاد، إذ لا يصاغ من كاد و"ما" مصدر إلا أن يتحشم له فعل بمعناه، يسبك منها، ومن ذلك الفعل مصدر. وعلى ما قررناه لا يحتاج إلى ذلك، ويؤيد هذا قول الشاعر:

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص136 .

<sup>2</sup> - الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص333 .

<sup>3</sup> - رواه الطبراني، في الكبير، ج6، ص158، رقم الحديث: 5843 .

<sup>4</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص136 .

<sup>5</sup> - التوبة (117).

أعلاقة أم الوليد بعدما أفنان رأسك كالشمام المنخلس<sup>1</sup>

أفلا تراها ههنا، حيث لا فعل ولا مصدر أصلاً؟، فهي كقوله: "كما أنت" مهية لدخول "بعد" على الجملة الابتدائية، ولكن الخبر في البيت المذكور، وهو في قوله: "كما أنت" محذوف<sup>2</sup>. فـ"ما" الكافة الغرض منها توسيع دائرة الاستعمال، وقد تكون للقصر إذا احتتم المعنى ذلك<sup>3</sup>. ويتضح من خلال كلام ابن القيم أن ما المهينة لا يمكن لها أن تكون مصدرية، لانتهاء تأويل المصدر عند دخول الكاف على الضمير أو بعد على كاد، ليخلص في الأخير "ما" في على ثلاثة أقسام: موصولة، ومصدرية، ومهية.

12. حرف أم: تأتي "أم" على أوجه، متصلة ومنقطعة<sup>4</sup>، ذكر ابن القيم منها وجهين:

أحدهما: أن أن تكون متصلة قال: "أم" تكون على ضربين: متصلة، وهي المعادلة لهمزة الاستفهام<sup>5</sup>. ثم ذكر سبب معادلتها لهمزة، دون غيرها من حروف الاستفهام، فقال:

" وإنما جعلوها معادلة لهمزة، دون "هل" و"متى" و"كيف" لأن الهمزة هي أمّ الباب، والسؤال بها استفهام بسيط مطلق، غير مقيد بوقت ولا حال. والسؤال غيرها استفهام مركب مقيد إما بوقت كـ"متى"، وإما بمكان كـ"أين"، وإما بحال نحو: "كيف"، وإما بنسبة

<sup>1</sup> - المراتلققعسي، وهو من شواهد سبويه، والمبرد، وابن هشام .

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص136 .

<sup>3</sup> - فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج3، ص90 .

<sup>4</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ج3، ص113 .

<sup>5</sup> - ينظر: الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص204. وينظر: ابن هشام، معني اللبيب، ج1، ص40.

نحو: "هل زيد عندك" ولهذا لا يقال: "كيف زيد أم عمرو؟" ولا: "أين زيد أم عمرو؟" ولا: "من زيد أم عمرو؟"<sup>1</sup>.

وأیضا فلأن "الهمزة" و"أم" يصطحبان كثيرا، كقوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>2</sup>، ونحو قوله تعالى: ﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَدَلَهَا﴾<sup>3</sup>.

وأیضا فلأن اقتران "أم" بسائر أدوات النفي غير الهمزة، يفسد معناها، فإنك إذا قلت: كيف زيد؟ فأنت سائل عن حاله، فإذا قلت: أم عمرو، كان خلفا من الكلام، وكذلك إذا قلت: "من عندك؟"، فأنت سائل عن تعيينه. فإذا قلت: "أم عمرو" فسد الكلام، وكذلك الباقي<sup>4</sup>. وأيضا فإنما عادت الهمزة دون غيرها، لأن الهمزة من بين حروف الاستفهام تكون للتقرير والإثبات، نحو: "ألم أحسن إليك؟"، فإذا قلت: "أعندك زيد أم عمرو؟"، فأنت مقر بأن أحدهما عنده ومثبت لذلك، وطالب تعيينه. فأتوا بالهمزة التي تكون للتقرير دون "هل" التي لا تكون لذلك، إنما يستقبل بها الاستفهام استقبالا<sup>5</sup>.

"وسر المسألة أن: "أم" هذه مشربة معنى "أي" فإذا قلت: "أزيد عندك أم عمرو؟"، كأنك قلت: "أي هذين عندك؟"، ولذلك تعين الجواب بأحدهما، أو بنفيهما، أو بإثباتهما. ولو قلت: نعم أو لا كان خلفا من الكلام، وهذا بخلاف "أو"، فإنك إذا قلت: "أزيد عندك أم

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص185.

<sup>2</sup> - البقرة (06).

<sup>3</sup> - النازعات (27).

<sup>4</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص185.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص185.

عمرو؟" كنت سائلا عن كون أحدهما عنده بخبر معين، فكأنك قلت: "أعندك أحدهما؟"، فيتعين الجواب بـ "نعم" أو "لا"<sup>1</sup>.

وتفصيل ذلك: أن السؤال على أربع مراتب، في هذا الباب: الأول: السؤال بالهمزة منفردة، نحو: "أعندك شيء مما يحتاج إليه؟"، فتقول "نعم". فينتقل إلى المرتبة الثانية، فتقول: "ما هو؟"، فتقول: "متاع"، فينتقل إلى المرتبة الثالثة بـ "أي"، فتقول: "أي متاع؟" فتقول: "ثياب"، فتنتقل إلى المرتبة الرابعة، فتقول: "أكتان هي، أم قطن، أم صوف؟"، وهذه أخص المراتب، وأشدّها طلبا للتعين، فلا يحسن الجواب إلا بالتعين، وأشدّها إبهاما السؤال الأول، لأنه لم يدع فيه أن عنده شيئا، ثم الثاني أقل إبهاما منه، لأن فيه ادعاء شيء عنده، وطلب ماهيته، ثم الثالث أقل إبهاما وهو السؤال بـ "أي"، لأن فيه طلب تعيين ما عرف حقيقته، ثم السؤال الرابع بـ "أم" أخص من ذلك كله، لأن فيه طلب تعيين فرد من أفراد قد عرفها وميزها، والثالث إنما فيه تعيين جنس عن غيره<sup>2</sup>. ولا بد في "أم" هذه من ثلاثة أمور، تكون بها متصلة.

أحدها: أن تعادل بهمزة الاستفهام .

الثاني: أن يكون السائل عنده علم أحدها، دون تعيينه.

الثالث: أن لا يكون بعدها جملة من مبتدأ وخبر، نحو قولك "أزيد عندك أم عندك عمرو؟" فقولك "أم عندك عمرو؟" يقتضي أن تكون منفصلة، بخلاف ما إذا قلت: "أزيد عندك أم عمرو؟" فإذا وقعت الجملة بعدها فعلية، لم تخرجها عن الاتصال نحو: "أعطيت زيدا أم حرمة".

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص185. وينظر: الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص205 وينظر: فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج3، صص213-214 .

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، صص185-186 .

وسر ذلك كله: أن السؤال قام عن تعيين أحد الأمرين، أو للأمر فإذا قلت: "أزيد عندك أم عمرو؟"، كأنك قلت: "أيهما عندك؟"، وإذا قلت: "أزيد عندك أم عندك عمرو" كان كل واحد منهما جملة مستقلة بنفسها، وأنت سائل: "هل عنده زيد أو لا"، ثم استأنفت سؤالاً آخر: "هل عندك عمرو أم لا؟". فتأمل أنه من دقيق النحو وفقهه<sup>1</sup>.

ثم ذكر ابن القيم العلة في تسميتها متصلة ومعادلة، فقال: "ولذلك سميت متصلة، لاتصال ما بعدها بما قبلها، وكونه كلاماً واحداً.

وفي السؤال بها معادلة وتسوية، فأما المعادلة: فهي بين الاسمين أو الفعلين، لأنك جعلت الثاني عدل الأول في وقوع "الألف" على الأول، و"أم" على الثاني.

وأما التسوية: فإن الشئين المسؤول عن تعيين أحدهما مستويان في علم السائل، وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿عَأْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بِنَاهَا﴾<sup>2</sup>. هو على التقرير والتوبيخ، والمعنى: أي المخلوقين أشد خلقاً، وأعظم.

ومثله: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّعُ﴾<sup>3</sup>،<sup>4</sup>.

فإن قيل: هذا ينقض ما أصلتموه، فإنكم ادعيتم أنها إنما يسأل بها عن تعيين ما علم وقوعه، وهنا لا خير فيهم، ولا في قوم تبع .

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص186 .

<sup>2</sup> - النازعات (27).

<sup>3</sup> - الدخان (37).

<sup>4</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص186 .

قيل: هذا لا ينقض ما ذكرناه، بل يشده ويقويه، فإن مثل هذا الكلام يخرج خطابا على تقرير دعوى المخاطب، وظنه أن هناك خيرا، ثم يدعي أنه هو ذلك المفصل، فيخرج الكلام معه، والتقريع والتوبيخ على زعمه وظنه، أي ليس الأمر كما زعمتم، وهذا كما تعاقب شخصا على ذنب لم يفعله مثله، وتدعي أنك لا تعاقبه فتقول: "أنت خير أم فلان؟ وقد عاقبته بهذا الذنب، ولست خيرا منه"<sup>1</sup>.

الثانية: أن تكون منقطعة<sup>2</sup>.

ذكر ابن القيم أولا تقرير النحاة في إفادتها للإضراب، وأشار إلى الخلاف بينهم، في كونها بمنزلة "بل"، فقال: "وأما "أم" التي للإضراب، وهي: المنقطعة، فإنها قد تكون "أم" إضرابا ولكن ليس بمنزلة "بل" كما زعم بعضهم، ولكن إذا مضى كلامك على اليقين، ثم أدركك الشك، مثل قولهم: "إنها لإبل أم شاء، كأنك أضريت عن اليقين، ورجعت إلى الاستفهام حين أدركك الشك"<sup>3</sup>.

ونظيره قول الزَّيَّاء: "عسى الغوير أبؤسا"

فتكلمت بعسى الغوير ثم أدركها اليقين، فحتمت كلامها بحكم ما غلب على ظنها، لا بحكم عسى، لأن عسى لا يكون خبرها اسما عن حدث، فكأنها لما قالت: "عسى الغوير"، قالته متوقعة شرا، تريد الإخبار بفعل مستقبل متوقع، كما تقتضيه عسى، ثم هجم عليها اليقين،

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص ص 186 - 187.

<sup>2</sup> - ابن هشام، مغني اللبيب، ج، ص 44.

<sup>3</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص ص 186 - 187.



فعدلت إلى الإخبار باسم حدث يقتضي جملة ثبوتية محققة، فكأنها قالت: "أصار الغوير أبؤسا"، فابتدأت كلامها على الشك، ثم ختمته بما يقتضي اليقين والتحقيق<sup>1</sup>.

فكذا "أم" إذا قلت: "إنها لأبل" ابتدأت كلامك باليقين والجزم، ثم أدركك الشك في أثناءه، فأتيت بـ "أم" الدالة على الشك، فهو عكس طريقه "عسى الغوير أبؤسا" ولذلك قدرت بـ "بل" لدلالاتها على الإضراب، فإنك أضربت عن الخبر الأول إلى الاستفهام والشك، فإنك أخبرت أولاً عما توهمت، ثم أدركك الشك، فأضربت عن ذلك الإخبار، وإذا وقع بعد "أم" هذه، الاسم المفرد، فلا بد من تقدير مبتدأ محذوف، وهمزة استفهام. فإذا قلت: "إنها لإبل أم شاء"، كان تقديره لإبل أمي شاء، وليس الثاني خبراً ثبوتياً كما توهمه بعضهم، وهو من أقبح الغلط، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبُنُونَ﴾<sup>2</sup>، وقوله تعالى: ﴿أَمْ أَتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ﴾<sup>3</sup>، وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾<sup>4</sup>، ﴿أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾<sup>5</sup>، ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾<sup>6</sup>، ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾<sup>7</sup>، فهذا ونحوه يدل على أن الكلام بعدها استفهام محض وأنه لا يقدر بـ "بل" وحدها، ولا يقدر أيضاً بـ الهمزة وحدها إذ لو قدر بالهمزة وحدها لم يكن بينه وبين الأول

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص 187 .

<sup>2</sup> - الطور (39).

<sup>3</sup> - الزخرف (16).

<sup>4</sup> - الطور (43).

<sup>5</sup> - الطور (38).

<sup>6</sup> - الصافات (156).

<sup>7</sup> - الطور (35).

علاقة، لأن الأول خبر و"أم" المقدرة بالهمزة وحدها لا تكون إلا بعد استفهام، فتأمله رحمك الله تعالى<sup>1</sup>.

هذا شرح كلام النحاة، وتقريره في هذا الحرف". ثم اختار أنها على أسهلها من المعادلة والاستفهام، مستعرضاً أدلته على ذلك، فقال: "والحق أن يقال: إنها على بابها، وأصلها الأول من المعادلة والاستفهام حيث وقعت، وإن لم يكن قبلها أداة استفهام في اللفظ وتقديرها بـ "بل" والهمزة خارج عن أصول اللغة العربية، فإن "أم" للاستفهام و"بل" للإضراب، ويا بعد ما بينهما. والحروف لا يقوم بعضها مقام بعض، على أصح الطريقتين، وهي طريقة إمام الصناعة والمحققين من أتباعه، ولو قدر قيام بعضها مقام بعض فهو فيما تقارب معناهما كمعنى "على"، و"في" ومعنى "إلى" و"مع"، ونظائر ذلك.

وأما في ما لا جامع بينهما فلا.

ومن هنا، كان زعم من زعم، أن "لا" قد تأتي بمعنى "الواو" باطلاً، لبعدها ما بين معنييهما، وكذلك "أو" بمعنى الواو، فأين معنى الجمع بين الشئيين إلى معنى الإثبات لأحدهما؟، وكذلك مسألتنا، أين معنى "أم" من معنى "بل" فاسمع الآن فقه المسألة وسرها<sup>2</sup>. ثم بين وجهها، فقال: "اعلم أن ورود "أم" هذه على قسمين:

أحدهما: ما تقدمه استفهام صريح بالهمزة، وحكمها ما تقدم، وهو الأصل فيها، والأخية التي يرجع إليها ما خرج عن ذلك كله.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص187 .

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص ص 187 - 188 .

والثاني: ورودها مبتدأة، مجردة من استفهام لفظي سابق عليها، نحو قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾<sup>1</sup>، وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ﴾<sup>2</sup>، وقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾<sup>3</sup>، ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾<sup>4</sup>، ﴿أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾<sup>5</sup>، ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾<sup>6</sup>، ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾<sup>7</sup>، ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾<sup>8</sup>، وهو كثير جدا تجد فيه أم مبتدءا بها ليس قبلها استفهام في اللفظ، وليس هذا استفهام استعلام بل تفریع وتوبيخ وإنكار، وليس بإخبار فهو إذا متضمن لاستفهام سابق مدلول عليه بقوة الكلام وسياقه ودلت "أم" عليه، لأنها لا تكون إلا بعد تقدم استفهام، كأنه يقول: أيقولون صادق أم يقولون شاعر، وكذلك ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾<sup>9</sup> أي: أتصدقونه أم تقولون تقوله. كذلك "أم حسبت أن أصحاب الكهف"، أي أبلغك خبرهم، أم حسبت "أنهم كانوا من آياتنا عجا" <sup>10</sup>.

<sup>1</sup> - الكهف (09).

<sup>2</sup> - الطور (30).

<sup>3</sup> - البقرة (214).

<sup>4</sup> - المؤمنون (69).

<sup>5</sup> - الزخرف (16).

<sup>6</sup> - الطور (39).

<sup>7</sup> - الزخرف (52).

<sup>8</sup> - الروم (35).

<sup>9</sup> - الطور (33).

<sup>10</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص188.

وتأمل كيف تجد هذا المعنى باديا على صفحات قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾<sup>1</sup> كيف تجد المعنى أحضر أم كان من الغائبين؟ وهذا يظهر كل الظهور فيما إذا كان الذي دخلت عليه "أم" له ضد، وقد حصل التردد بينهما، فإذا ذكر أحدهما استغني به عن ذكر الآخر، لأن الضد يخطر بالقلب، وهو عند شعوره بضده. فإذا قلت: "ما لي لا أرى زيدا أم هو في الأموات؟" كان المعنى الذي لا معنى للكلام سواه: أحي هو أم في الأموات".

كذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾<sup>2</sup>، معناه: أهو خير مني أم أم أنا خير منه؟.

وكذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾<sup>3</sup>، هو استفهام إنكار معادل لاستفهام مقدر في قوة الكلام، فإذا قلت: "لم فعلت هذا، أم حسبت أن لا أعاقبك"، كان معناه: أحسبت أن أعاقبك فأقدمت على العقوبة، أم حسبت أني لا أعاقبك، فجهلتها؟.

وكذلك قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾<sup>4</sup> أي: أحسبتم أن تدخلوا الجنة بغير جهاد فتكونوا جاهلين، أم لم تحسبوا ذلك، فتكونوا مفرطين؟.

<sup>1</sup> - النمل (20).

<sup>2</sup> - الزخرف (52).

<sup>3</sup> - البقرة (214).

<sup>4</sup> - آل عمران (142).

وكذلك إذا قلت: "أم حسبت أن تنال العلم، بغير جد واجتهاد؟، معناه: أحسبت أن تناله بالبطالة والهويناء؟ فأنت جاهل، أم لم تحسب ذلك فأنت مفرط .

وكذلك: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ﴾<sup>1</sup>، أي: أحسبوا هذا فهم مغترون، أم لم يحسبوه، فما لهم مقيمون على السيئات وعلى هذا سائر ما يريد عليك من هذا الباب<sup>2</sup>.

وحكى هذا القول عن إمامين من أئمة النحو، فقال: "وكان قد وقع لي هذا بعينه، أمام المقام بمكة، وكان يجول في نفسي، فأضرب عنه صفحا، لأني لم أره في مباحث القوم، ثم رأيت بعد لفاضلين من النحاة.

أحدهما: حام حوله، وما ورد، ولا أعرف اسمه.

والثاني: أبو القاسم السهيلي رحمه الله، فإنه كشفه وصرح به. وإذا لاحت الحقائق، فكن أسعد الناس بها، وإن جفاها الأعمار. والله الموفق للصواب<sup>3</sup>.

إنَّ حروف المعاني تسهم مساهمة كبيرة في تحديد دلالة السياق، لذا اهتم بها الدارسون منذ القدم وابن القيم أحد أعلام البحث في هذا الموضوع، وما تقتضيه حاجته إليه، من بحث في أدلة الأحكام والفتاوى والقضاء، وما يحتاجه الناس في قضاء حوائجهم من خلال الإخبار عن الله جلا وعلا، وهذا يقتضي البحث في مفاصل النص وهو الحرف الذي يربط بين عقد الكلام

<sup>1</sup> - الجاثية (21).

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص 189.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص 190 .

فبين هذه العقد ويحلها، فيوصل الكلاب بعضه ببعض فيبين دلالاته، وتعرف المعنى، ويستنتق الحكم.

## الفصل الخامس:

# دلالة السّيق المعجمي والدّلالي

أولاً: دلالة سياق المشترك اللفظي

ثانياً: دلالة سياق الترادف

ثالثاً: دلالة سياق التضاد

رابعاً: دلالة سياق الفرق اللغوية

خامساً: دلالة سياق الكلمات المفردة

سادساً: دلالة سياق التعبير الاصطلاحي

1. خصائص التعبير الاصطلاحي

أولاً: المجاز

ثانياً: التّأويل

ثالثاً: الإشارة

يعدّ السياق المعجمي من أهم العوامل المساهمة في إيجاد الدلالة المناسبة لسياقات الكلام، حيث تتم عملية اختيار اللفظ أو الكلمة المناسبة للموقف أو الحال انطلاقاً من استدعاء المعجم والبحث عن ما يناسب هذا التركيب أو ذاك، وللمعجم مفاهيم ودلالات عديدة كما يتنوع حسب ميادين ومجالات البحث التي يحتاجها المتكلم أو المتلقي.

### المعجم لغة:

جاء في معاجم العربية بمعنى معجم أي مبهم مقفل ويقال كتاب فلان أعجم بمعنى إذا لم يفهم ما كتب.<sup>1</sup>

وجاء في القاموس المحيط: العُجْمُ، بالضم والتحرريك : خلاف العرب، رجل وقوم أعجم. والأعجم من لا يفصح كالأعجمي، والعجمي من جنسه العجم وإن أفصح وجمعه عَجْمٌ، وأعجم فلان الكلام ذهب به إلى عجمه.<sup>2</sup>

وذهب صاحب لسان العرب في التفصيل كثيراً في هذا الباب فجاء عنه أنه قال قال ابن جني: أعجمت الكتاب أزلت استعجامة.<sup>3</sup>

أما في الاصطلاح: فجاء «بأنه كتاب يجمع بين دفتيه ألفاظ اللغة ومفرداتها وتراكيبها، والمداخل الحضارية فيها، بغية شرحها وإيضاحها شريطة أن يرتب ترتيباً معيناً، وغالباً ما يكون هجائياً»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - الزمخشري، أساس البلاغة، ج1، ص ص 636، 637.

<sup>2</sup> - الفيروز بادي، القاموس المحيط، ص 1135.

<sup>3</sup> - ابن منظور، لسان العرب،

<sup>4</sup> - حامد صادق قنبي ومحمد عريف الحراوي، المدخل لمصادر الدراسات الأدبية واللغوية والمعجمية القديمة والحديثة، دار ابن الجوزي، الأردن، عمان، ط1، 2005، ص 17.



و يعرفه على القاسمي: بأنه « كتاب يحتوي على كلمات منتقاة، ترتب عادة ترتيباً هجائياً مع شرح معانيها ومعلومات أخرى ذات علاقة بها، سواء أعطيت تلك الشروح والمعلومات باللغة ذاتها أو بلغة أخرى».<sup>1</sup>

كما يعرف ابراهيم ابن مراد «أي هو منهج معالجة المفردات المجموعة معالجة قاموسية (Traitement Dictionnaire)، وأهم ما يكون الوضع ركنان أيضاً هما:

**1- الترتيب:** أي تبويب المفردات داخل القاموس، وتفصيل تتابعها أو تجميعها

**2- التعريف:** وهو الإخبار عن الخصائص الذاتية والخصائص العلاقية التي تكون المفردات».<sup>2</sup>

ويعرفها أحمد مختار عمر بأنه « الكتاب الذي يجمع كلمات لغة ما يشرحها ويوضح معناها ويرتبها بشكل معين، وتكون تسمية هذا النوع من الكتب معجماً إما لأنه مرتب على حروف المعجم (حروف هجائية، وإما لأنه قد أزيل أي ابهامه أو الغموض منه فهو معجم بمعنى مزال فيه من غموض وإبهام».<sup>3</sup>

وقد فهم من هذا أن لفظ (معجم) يعد اسم مفعول من الفعل (أعجم) ويتحمل من أخرى أن يكون مصدراً ميمياً من نفس الفعل، ويكون معناه الأعجام أو إزالة العجمة والغموض.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - علي القاسم، علم اللغة وصناعة المعاجم، مطابع جامعة الملك سعود، ط1، 1991، ص3.

<sup>2</sup> - ابراهيم بن مراد، المعجم العربي بين التطبيق والتنظير، جامعة منوبة، تونس، الجامعة الأمريكية في بيروت، كريس مارغريت وايرهاوزر جويت للدراسات العربية من سلسلة محاضرات التي يراها الكري 2009 يجرها: رمزي بعلبيكي، ص 11 .

<sup>3</sup> - أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، ط2، 2009، ص ص19،20.

<sup>4</sup> - ينظر: محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء النظرية الدلالية، ص 157.

ومن هاهنا فالمعجم له دور كبير في ازالة الإبهام عن الألفاظ والكلمات المستعملة في الأداء الكلامي عند استعمالها والنطق بها في سياقات تتطلبها حاجة التعبير، وبهذا يعتبر المعجم مصدرا مهما لهذا، وللمعجم أنواع كثيرة من أهمها : معجم الألفاظ، ومعجم المعاني.

كما يتّضح أن الغاية من تأليف المعاجم هو تبين وإيضاح معنى ودلالة الكلمات على مختلف أحوالها وظروفها واستعمالاتها، وعليه فالدلالة المعجمية هي دلالة الكلمة التي استخدمت في المجتمع مفردة أو في تركيب، سواء كان المعنى حقيقيا في أصل الوضع أو مجازيا منقولا عن معنى حقيقي، فالمعجم يبحث معنى كلمة بذكر معناها أو مرادفها أو مضادها أو ما يفسرها، وقد يقدم معلومات عنها كأصل الوضع وتطورها التاريخي ومشتقاتها، كما قد يذكر بعض السياقات اللغوية التي توضح دلالتها<sup>1</sup>.

وهذا ما يبرز أهمية المعجم في توضيح الدلالة وكيفية استعمالها ومناسبتها للسياقات التي يمكن أن تستعمل فيها .

والدلالة المعجمية لا تعني دلالة الكلمة مفردة فقط، بل يدخل فيها كل التراكيب التي تشكل وحدة دلالية متماسكة لا تتجزأ، فالمعجم يبحث في معنى الكلمة المفردة والتركيب الاصطلاحي، والمثل، والمعنى المجازي، ويسوق للمعنى المجازي شواهد توضيحية، والدلالة المعجمية من خلال ما جاء في هذا يتضح أنها تدرس الكلمة ومعناها أي دلالتها وهي مفردة وتوضحها أكثر عندما تدرسها في تركيب ما أو سياق ما، ومن أمثلة هذا قولنا "الشهادتين" ونقصد بها "أشهد أن لا اله الا الله، وأن محمد رسول الله"، وكذلك قولنا "الصوم"، ونقصد بها صوم رمضان"، وهذا المدلول لا يفهم إلا عندما نربطه بسياق فيحدد المراد منه<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء النظرية الدلالية، ص 157.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 157.

وهذه المدلولات تحكمها سياقات مختلفة باختلاف الأشخاص والأزمنة والأمكنة، وعوامل أخرى يحكمها السياق الخارجي الذي يحدد دلالتها من شخص إلى آخر، وهذا يوضح أن "دلالة اللفظة المعجمية تتوقف على استعمالها في تراكيب مختلفة"<sup>1</sup>، يوضح هذا تمام حسان بقول في لفظة (ضرب) فمن معانيها المعجمية العقاب مثل ضرب زيد عمرا، والذكر مثل ضرب الله مثلا، والقيام بشيء وصوغ العملة والسعي في الأرض والحساب وغيرها<sup>2</sup>.

وهذا يزيد الأمر وضوحًا في شأن أن اللفظة أو الكلمة لا تحدد معناه بشكل واضح إلا عند استعمالها في تركيب، ويكاد يجمع اللغويون على "أن الكلمة تؤثر في معنى الجملة ولكن، أحيانا يحدث العكس، الجملة تؤثر في معنى الكلمة، وهو ما يسمى المعنى السياقي، وكثير من الكلمات يختلف معناها حسب السياق اللغوي الذي تقع فيه، فيحدث أن نفهم كلمة ما، ونحن نقرأ على نحو ما، ثم نعدل معناها في ضوء السياق اللغوي التالي، ولذلك فنحن لا نقرأ دائما بتجاه واحد، كثيرا ما نعود إلى الخلف لتعديل ما فهمناه في ضوء ما سيحدث في أثناء عملية القراءة، وإذا كان لكلمة ما عدة معاني غير سياقية، فإن السياق اللغوي هو الذي يحدد المعنى المقصود من بين تلك المعاني"<sup>3</sup>، وقد أشار إلى هذا الباقلاني إلى أن انتقال الدلالة المعجمية للفظ ما، وإحلالها في الموضع المناسب لها في السياق يساهم بقدر كبير في تماسك النص، ويعلل ذلك "بأن إحدى اللفظتين قد تنفر في موضع، وتزل عن مكان لا تزل عنه اللفظة الأخرى، بل تتمكن فيه، وتضرب بجوانبها، وتراها في مظاهرها، وتجدها فيه غير منازعة إلى أوطانها وتجدها الأخرى - لو وضعت موضعها- في محل نفار، ومرمى شراد، ونابية عن استقرار"<sup>4</sup>، ويزيد تمام حسان توضيح ذلك بقوله «والمعجم

<sup>1</sup> - ينظر: محمد عبد اللطيف حماسة، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق، ط1، 2000، ص22.

<sup>2</sup> - ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص324.

<sup>3</sup> - ينظر محمد علي الخولي، علم الدلالة، دار الفلاح، الأردن، 2001، ص324.

<sup>4</sup> - ينظر: محمد بن الطيب أبو بكر البقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، 1997، ص184.

جزء من اللغة لا من الكلام، ومحتوياته الكلمات التي هي محتزنة في ذهن المجتمع أو مقيدة في جلدتي المعجم، وهي صامته في كلتا الحالتين، وحين يتكلم الفرد يغترف من هذا المعين الصامت فيصير الكلمات ألفاظا ويصوغها بحسب الأنظمة اللغوية، فالمتكلم إذن يحول الكلمات من وادي القوة إلى وادي الفعل، و أن معنى الكلمة في المعجم متعدد ومحمّل، ولكن معنى اللفظ في السياق واحد لا يتعدد بسبب ما في السياق من قرائن تعين على التحديد، وارتباط كل سياق بمقام معين يحدد في ضوء القرائن الحالية»<sup>1</sup>.

ويتّضح من هذا أن اللفظة أو الكلمة المعجمية تكون أكثر قوة ووضوحا عندما نسوقها في سياق ما في مقام أو موقف معين، فتحدد دلالتها داخل ذلك السياق، ويصبح هو الضابط والمعين للدلالة في هذا الاستعمال، وقد أخذ العلماء في دراسة دلالة السياق المعجمي عدة مباحث منها المشترك اللفظي، والتضاد، والترادف، الفروق اللغوية، دلالة الكلمات المفردة، والتعبير الاصطلاحي .

### أولاً: دلالة سياق المشترك اللفظي:

-**المشترك اللفظي:** يعد المشترك اللفظي من الظواهر اللغوية ذات الخصائص الاستعمالية، في توضيح وتبين مفردات الألفاظ ضمن ما يحتاجه المتكلم، أو المستعمل في سياقه قصد إيضاح المعنى الدلالي للفظه المستعملة، وقد عرفه العلماء كل حسب حاجته أو استعماله أو رأيه وتوجهه ويمكن تعريفه لغة واصطلاحاً بما يلي:

أ- لغة: يعرفه ابن فارس في مقاييس اللغة بقوله الشين والراء والكاف أصلان: أحدهما يدل على المقارنة وخلاف انفراد، والأخر يدل على امتداد واستقامة<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص316.

<sup>2</sup>- أحمد بن فارس، مقاييس اللغة ، ج3، ص265 .

الأول: الشركة وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهم ويقال: شاركت فلانا في شيء إذا صرت شريكه، وأشركت فلانا، إذا جعلته شريكاً لك، قال الله تعالى في ثنائه على موسى ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾<sup>1</sup>. ويقال في الدعاء اللهم أشركنا في دعاء المؤمنين، أي اجعلنا لهم شركاء في ذلك، وشركت الرجل في أمره أشركه.

وأما الأصل الآخر فالشرك: لقم الطريق وهو شراكه أيضاً، وشرك النعل مثبه بهذا، ومنه شرك الصائد سمي بذلك لامتداده<sup>2</sup>.

ويعرف ابن منظور في اللسان بقوله: شركة والشركة سواء: مخالطة الشريكين، يقال: اشتركتنا بمعنى تشاركتنا وقد اشترك الرجلان وتشارك وشاركا أحدهما الآخر؛ وشاركت فلانا: صرت شريكه، واشتركتنا وتشاركنا في كذا، وشركته في البيع والميراث، قال: ورأيت فلاناً مشتركاً إذا كان يحدث نفسه أن رأيه مشترك ليس بواحد<sup>3</sup>.

ومن خلال هذه التعاريف يمكن القول بأن هناك اتفاق بين العلماء على تعريف المشترك، بأنه تشارك بين شيئين فأكثر.

ب- اصطلاحاً: للمشارك اللفظي تعريفات كثيرة منها ما عرفه به سيبويه بقوله: اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين هو نحو: جلس وذهب، واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو ذهب وانطلق، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدت عليه من الموجدة ووجدت إذا أردت وجدان الضالة وأشباه هذا كثير<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - طه (32).

<sup>2</sup> - أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ج3، ص265.

<sup>3</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص450.

<sup>3</sup> - سيبويه، الكتاب، ج1، ص24.

وعرفه المبرد بقوله: ومن كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين واختلاف اللفظين والمعنى واد واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين، فأما اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين فهو الباب، نحو قولك: قام وجلس وذهب وجاء وجمل وجبل، وأما اختلاف اللفظين والمعنى واحد فنحو: جلس وقعد وقولك بر وحنطة وذراع وساعد وأما اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين فقولك: ضربت مثلا وضربت زيدان وضربت في الأرض إذا أبعدت وكذلك وجدت تكون من وجدان الضالة وتكون في معنى علمت كقولك وجدت زيدا كريما وفي معنى الموجدة نحو: وجدت على زيد.<sup>1</sup>

لقد عرفه كذلك الفارس بقوله: في باب أجناس الكلام في الاتفاق والافتراق يكون ذلك على وجوه: فمن اختلاف اللفظ والمعنى وهو الأكثر والأشهر مثل رجل وفرس وسيف ورمح، ومنه اختلاف اللفظ واتفاق المعنى بقولنا سيف وليث وأسد على مذهبنا في أن كل واحد فيه منها فيه ما ليس في الآخر من معنى وفائدة، ومنه اتفاق اللفظي واختلاف المعنى كقولنا عين الماء وعين المال وعين الركبة وعين الميزان، ومنه قضى بمعنى حكمه وقضى بمعنى أمر وقضى بمعنى أعلم وقضبمعى صنع وقضى بمعنى فرغ، وهذا وإن اختلفت ألفاظها فالأصل واحد.<sup>2</sup>

وعرفه كذلك الغزالي بقوله: لفظ الواحد الذي يطلق على موجودات مختلفة بالحد والحقيقة إطلاقا متساويا كالعين تطلق على العين الباصرة، وينبوع الماء، وقرص الشمس، وهذه مختلفة الحدود والحقائق.<sup>3</sup>

كما عرفه الزبيدي بقوله: هو لفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على

<sup>1</sup> - المبرد، ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، ت: أحمد محمد بن سليمان أبو رعد، ج 1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط 1، 1989، ص ص 47، 48.

<sup>2</sup> - أحمد ابن فارس، الصحاحي في فقه اللغة، ص 52.

<sup>3</sup> - الغزالي، معيار العلم في المنطق، ت: سليمان دنيا، دار المعارف مصر، 1961، ص 81.

السواء عند أهل تلك اللغة<sup>1</sup>.

كما عرفه ابن الجوزي: واعلم أن معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة واحده ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد، هو حركه واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمه ذكرت نظيرا للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر، وتفسير كل كلمه بمعنى غير معنى الآخر هو الوجوه، إذن: النظائر اسم للألفاظ، والوجوه اسم للمعاني، فهذا الأصل في وضع كتب الوجود والنظائر والذي أراد العلماء بوضع كتب لوجوه والنظائر أن يعرف السامع لهذه النظائر أن معانيها تختلف وأنه ليس المراد بهذه اللفظة ما أريد بالأخرى<sup>2</sup>.

هناك الكثير من التعريفات التي أوردها العلماء قديما تثبت هذه الظاهرة اللغوية المتمثلة في المشترك اللفظي قصد تبين دلالة اللفظ ومعناه من سياق إلى آخر، وخاصة تلك الدراسات التي بحثت في القرآن الكريم سواء كان قراءة أو تفسيراً أو تأصيلاً، من خلال هذه التعريف نجد أن هناك اتفاق حول مفهوم المشترك اللفظي، الذي يقصد به اتفاق في اللفظ واختلاف في المعنى.

وقد عرفه من المحدثين عبد الواحد وافي بقوله بأن تكون بالكلمة الواحدة عده معاني تطلق على كل منها على طريق الحقيقة لا المجاز<sup>3</sup>.

وقد أشار ابن القيم رحمه الله إلى لفظ المشترك عند الحديث عن وقوعه ويقول في هذا الباب "كل من الإجمال والاشتراك والاشتباه يقع في الألفاظ تارة، وفي الأفعال تارة، وفيهما معا تارة<sup>4</sup>، ويضيف قائلاً "أن أكثر الألفاظ القرآنية الدالة على معنيين فصاعدا هي من هذا القبيل ومثال

<sup>1</sup> - الزبيدي، تاج العروس، ج1، ص25.

<sup>2</sup> - جمال الدين عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ت: محمد عبد الكريم كاظم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، ص83.

<sup>3</sup> - عبد الواحد وافي، فقه اللغة العربية، تحفة مصر، ط3، 2004، ص145.

<sup>4</sup> - ابن القيم، إغاثة اللهفان، ج2، ص107.

ذلك قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾<sup>1</sup> ، من خلال هذه الآية ابن القيم يوضح استعمال اللفظة المعنيين ، حيث يقول فسر الذلوك بالزوال وفسر بالغروب وحكياً قولين في كتب التفسير، وليس بقولين بل اللفظ يتناولهما معاً، فإن الذلوك هو الميل وذلوك الشمس ميلها ولهذا الميل مبدأ ومنتهاى فمبدأه الزوال ومنتهاه الغروب فاللفظ متناول لهما بهذا الاعتبار لا يتناول المشترك لمعنييه ولا اللفظ لحقيقته ومجازه<sup>2</sup>.

ومن الأمثلة أيضاً ما تقدم عن تفسير الغاسق بالليل والقمر، أن ذلك ليس باختلاف بل يتناولهما لتلازمهما، فإن القمر آية لليل ونظائره كثير، ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ط فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾<sup>3</sup> قيل لولا دعاؤكم إياه وقيل: دعاؤه إياكم إلى عبادتي فيكون المصدر مضافاً إلى المفعول، وعلى الأول مضاف إلى الفاعل وهو الأرجح من القولين وعلى هذا المراد به نوعا الدعاء وهو في دعاء العبادة أظهر أي ما يعبأ بكم ربي لولا أنكم تعبدونه، وعبادته تستلزم مسألته فالنوعان داخل فيه<sup>4</sup>. وهذا ما يؤكد ابن قيم قوله كذلك فإن الدعاء في القرآن الكريم يراد به دعاء العبادة ودعاء المسألة ويراد به مجموعهما تارة وهم متلازمان، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة، وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ط أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ط﴾<sup>5</sup> يتناول نوعيه الدعاء وبكل منهما فسر الآية قيل أعطيه إذا سألني وقيل: أثيبه إذا عبدني، والقولان متلازمان وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنييه كليهما أو استعمالاً اللفظ في حقيقته و مجازه . بل هذا استعمال له في حقيقته الواحدة المتضمنة للأمرين جميعاً فتأمل

<sup>1</sup> - الإسراء (78).

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج3، ص4 .

<sup>3</sup> - الفرقان (77).

<sup>4</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج3، ص4 .

<sup>5</sup> - البقرة(186).



فإنه موضع عظيم النفع قل من يظن له. وأكثر ألفاظ القرآن الدالة على معنيين فصاعدا هي من هذا القبيل<sup>1</sup>.

ويّضح أن ابن القيم أوضح أن المشترك لا يستعمل لمعنيين في سياق واحد وإذا اجتمع ذلك يدل على معنيين متلازمين لا يفترق أحدهما عن الآخر، كما دل الدلوک على الزوال والغروب من خلالها الميل، وكما أوضح أن الدعاء يدل على العبادة والمسالة وهم متلازمان متضمنان لبعض. ومن خلا له اتضح أن ابن القيم لا يقر اللفظ المشترك بمعنيين في سياق واحد فيقول: "أن المشترك إذا اقترنت به قرائن ترجح أحد معنييه وجب الحمل على الراجح"<sup>2</sup>. وقوله أيضا في موضع آخر أن الأكثرين لا يجوزون استعمال اللفظ المشترك في معنيين، لا بطريق حقيقة ولا بطريق المجاز<sup>3</sup>.

أمّا عن أسباب وقوعه فيقول ابن القيم في هذا: أن اغلب أسباب الاشتراك تسميه أحد القبيلتين الشيء باسم وتسميه الأخرى بذلك الاسم مسمى آخر، ثم تشيع الاستعمالات بل قال المبرد وغيره لا يقع الاشتراك في اللغة إلا بهذا الوجه خاصة والواضع لم يضع لفظا مشتركا البتة<sup>4</sup>. و هذا يوضح أن المشترك سببه كثره الواضعين لأن الواضع الواحد يضع معنى واحد للفظ واحد.

ومما أشار إليه ابن القيم :

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج3، صص 3-4 .

<sup>2</sup> - ابن القيم، زاد المعاد، ج5، ت : شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، ط3 ، بيروت، لبنان، 1998، ص 572.

<sup>3</sup> - ابن القيم، جلاء الأفهام ، ت: مشهور بن حسن آل سليمان، دار ابن الجوزي، ط1، 1997، الرياض، ص 260 .

<sup>4</sup> - ابن القيم، زاد المعاد ، ج 5 ، ص 541.

1- لفظة العين:

عين: العين والياء والنون أصل واحد صحيح يدل على عضو به يبصر وينظر. قال الخليل: العين الناظرة لكل ذي بصر. والعين تجمع على أعين وعيون وأعيان<sup>1</sup>.

ويقال: عنت الرجل، إذا أصبته بعينك، فأنا أعينه عينا، وهو معيون. ورجل عيون معيانا: خبيث العين. والعائن الذي يعين<sup>2</sup>.

ومن باب العين: الذي تبعته يتجسس الخبر، كأنه شيء ترى به ما يغيب عنك.

ومن الباب العين الجارية النابعة من عيون الماء، إنما سميت عينا تشبيها لها بالعين الناظرة لصفاتها ومائها.

ومن الباب العين: السحاب ما جاء من ناحية القبلة، وهذا مشبه بمشبهه، لأنهم يشبه بعين الماء التي شبهت بعين الإنسان<sup>3</sup>.

ومن الباب ماء عائن، أي سائل. ومن الباب عين السقاء<sup>4</sup>.

العين: حاسة البصر والجمع أعين وأعينات جمع الجمع وأعيان وعيون والمعاناة، والنظر بالعين عاينته معاينة وعيانا وعينته، رأيته ومنه قولهم لقيته عيانا ورأيته عيانا والعين الذي هو الإصابة بالعين وما تصرف منه<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - ابن فارس، مقاييس اللغة، ج4، ص 199 .

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ج4، ص 199 .

<sup>3</sup> - ابن فارس، مقاييس اللغة، ج4، ص 200 .

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 201 .

<sup>5</sup> - علي أبي الحسن بن إسماعيل النحوي الأندلسي المعروف بابن سيده، المخصص، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ج1، ص 93 .

وجاء في القاموس المحيط: العين الباصرة، مؤنثة ج: أعيان وأعين وعيون، ويكسر حج: أعينات، وأهل البلد، ويحرك، وأهل الدار، والإصابة بالعين، والإصابة في العين، والإنسان، ومنه: ما بها عين، أي: أحد، ود لهذيل، والجاسوس، وجريان الماء، كالعينان، ومحركة، والجلدة التي يقع فيها البندق من القوس، والجماعة، ويحرك، وحاسة البصر، والحاضر من كل شيء، وحقيقة القبلة، وحرف الهجاء حلقية مجهورة، وينبغي أن تنعم بإبنته، ولا يبالغ فيه فيوول إلى الاستكراه<sup>1</sup>،... وكبير القوم، والمال، ومصب ماء القناة، ومطر أيام لا يقلع، ومفجر ماء الركية، ومنظر الرجل، والميل في الميزان،... والنظر، ونفس الشيء،... ووحد الأعيان، للإخوة من أب وأم، وهذه الأخوة تسمى: المعاينة، وينبوع الماء، ج: أعين وعيون،... وأنت على عيني، أي: في الإكرام والحفظ جميعا. وعبد عين، أي كالعبد مادمت تراه،... وعين صيد، وعين تمر، وعين أنى: مواضع، ورجل معيان وعيون، شديد الإصابة بالعين، ج عَيْنٌ،... وصنع ذلك على عين وعينين، وعمد عين، وعمد عينين، أي: تعمده بالجد واليقين،... ولقيته أول عين، أول الشيء،... ولقيته عيانا، أي معاتنة،...<sup>2</sup>.

يتّضح من التعريفين أنّ للعين عدة معاني منها العين: وهو كل شيء حاضر هو عين، وعين الباصرة عين الإنسان، وعين الماء، وعين الجاسوس . ونجد ابن القيم قد فصل في هذا بقوله: (العين) يراد بها حقيقة الشيء المدركة بالعيان أو ما يقوم مقام العيان، وليست اللفظة على أصل موضوعها، لأن أصلها أن يكون مصدرا وصفة لمن قامت به، ثم عبر عن حقيقة الشيء بالعين، كما عبر عن الوحش بالصيد، وإنما الصيد في أصل موضوعه مصدر من صاد يصيد، ومن ههنا لم يرد في الشريعة عبارة عن نفس الباري سبحانه وتعالى، لأن نفسه سبحانه غير مدركة بالعيان في حقنا اليوم.

وأما عين القبلة وعين الذهب وعين الميزان فراجعة إلى هذا المعنى.

<sup>1</sup> - الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 1218 .

<sup>2</sup> - الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 1218 .

وأما العين الجارية فمشبهة بعين الإنسان لموافقتها لها في كثير من صفاتها.

وأما عين الإنسان فمسمّاة بما أصله أن يكون صفة ومصدرا لأن العين في أصل الوضع مصدر، كالدين، والزين، والبين، والأين، وما جاء على بنائه.

ألا تراهم يقولون: رجل عيون وعاین ويقولون: عنته أصبته بالعين وعاینته رأيته بالعين وفرقوا بين المعينين وكأن عاینته من الرؤیة أولى من عنته لأنه بمنزلة المفاعلة والمقابلة فقد تقابلتما وتعاينتما، بخلاف عنته فإنك تفرد بإصابته العين من حيث لا يشعر.<sup>1</sup>

ومّا يدلّ على أنّها مصدر في الأصل قوله تعالى: ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾<sup>2</sup> كما قال: ﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾<sup>3</sup> و﴿حَقُّ الْيَقِينِ﴾<sup>4</sup>، فالعلم والحق مصدران مضافان إلى اليقين فكذلك العين، هكذا قال السهيلي رحمه الله تعالى.

وفيه نظر، لأن إضافة عين إلى اليقين من باب قولهم: نفس الشيء وذاته، فعين اليقين نفس اليقين، والعين التي هي عضو سميت عينا لأنها آلة ومحل لهذه الصفة التي هي العين.

وهذا من باب قولهم: امرأة ضيف وعدل تسمية للفاعل باسم المصدر، والعين التي هي حقيقة الشيء ونفسه من باب تسمية المفعول بالمصدر كصيد.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 2، ص 3.

<sup>2</sup> - التكاثر (07).

<sup>3</sup> - التكاثر (05).

<sup>4</sup> - الواقعة (95).

<sup>5</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 2، ص 3.

فقد ذكر ابن القيم عدة معاني للعين: منها حقيقة الشيء المدرك بالعيان أي المشاهد بالعين يسمى عينا أينا كان ذلك، والعين الجارية أي عين الماء لأنها تشبه عين الإنسان في صفاتها وعين الإنسان أي العين الباصرة والناظرة، والعين التي تصيب الشيء فتأذيه، وتسمى العين العائنة.

## 2- إضافة العين إلى الله :

قال السهيلي إذا علمت هذا فاعلم أن العين أضيفت إلى الباري تعالى كقوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾<sup>1</sup> حقيقة لا مجازا كما توهم أكثر الناس، لأنه صفة في معنى الرؤية والإدراك، وإنما المجاز في تسمية العضو بها وكل شيء يوهم الكفر والتجسيم فلا يضاف إلى الباري تعالى لا حقيقة ولا مجازا.

ألا ترى كيف كفر الرومية من النصارى حيث قالوا في عيسى إنه ولد على المجاز لا على الحقيقة، فكفروا ولم يدروا.

ألا ترى كيف لم يصف سبحانه إلى نفسه ما هو في معنى عين الإنسان كالمقلة والحدقة حقيقة ولا مجازا نعم ولا لفظ الإبصار، لأنه لا يعطي معنى البصر والرؤية مجردا، ولكنه يقتضي مع معنى البصر معنى التحديق والملاحظة ونحوهما.

قلت كأنه رحمه الله غفل عن وصفه بالسميع البصير وغفل عن قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح "الأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه"<sup>2</sup>، وأما إلزامه التحديق

<sup>1</sup> - طه (39).

<sup>2</sup> - رواه مسلم، رقم 179 .

والملاحظة ونحوها فهو كإلزام المعتزلة نظيره في الرؤية فهو منقول من هناك حرفا بحرف. وجوابه من وجوه<sup>1</sup>.

أحدها: ما تعني بالتحديق والملاحظة. أمعنى البصر والإدراك أو قدرا زائدا عليهما غير ممتنع وصف الرب به. أو معنى زائدا يمتنع وصفه به. فإن عنيت الأولين منعنا انتفاء اللازم، وإن عنيت الثالث منعنا الملازمة، ولا سبيل إلى إثباتها بحال.

الثاني: أن هذا التحديق والملاحظة، إنما تلزم الصفة من جهة إضافتها إلى المخلوق لا تلزمها مضافة إلى الرب تعالى. وهذا كسائر خصائص المخلوقين التي تطرقت الجهمية بها إلى نفي صفات الرب وهذا من جهلهم وتلبيسهم. فإن خصائص صفات المخلوقين لا تلزم الصفة مضافة إلى الرب تعالى، كما لا يلزم خصائص وجودهم وذاتهم وهذا مقرر في موضعه وهذا الأصل الذي فارق أهل السنة طائفتي الضلال من المشبهة والمعطلة فعليك بمراعاته.

الثالث: قوله لا يعطي الإبصار معنى البصر والرؤية مجرد كلام لا حاصل تحته ولا تحقيق فإنه قد تقرر عقلا ونقلا أن لله تعالى صفة البصر ثابتة كصفة السمع.

فإن كان لفظ الإبصار لا يعطى الرؤية مجردة. فكذلك لفظ السمع وإن أعطى السمع إدراك المسموعات مجردا. فكذلك البصر. فالتفريق بينهما تحكم محض.

ومن فوائد هذه المسألة أن يسأل عن المعنى الذي لأجله قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ

عَيْنِي﴾<sup>2</sup> بحرف على، وقال تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾<sup>3</sup> بالباء و ﴿وَأَصْنَعَ الْفُلْكَ

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 2، ص 3-4.

<sup>2</sup> - طه (39).

<sup>3</sup> - القمر (14).

﴿<sup>1</sup> وما الفرق؟ فالفرق أن الآية الأولى وردت في إظهار أمر كان خفياً وإبداء ما كان مكتوماً، فإن الأطفال إذ ذاك كانوا يغذون ويصنعون سرا. فلما أراد أن يصنع موسى عليه السلام ويغذى ويربي على حال أمن وظهور لا تحت خوف واستسرار، دخلت (على) في اللفظ تنبيهاً على

المعنى، لأنها تعطي الاستعلاء والاستعلاء ظهور وإبداء فكأنه يقول سبحانه وتعالى: ولتصنع على أمن لا تحت خوف وذكر العين لتضمنها معنى الرعاية والكلاءة<sup>2</sup>.

وأما قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾<sup>3</sup> ، ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾<sup>4</sup> ، فإنه إنما يريد برعاية منا وحفظ ولا يريد إبداء شيء ولا إظهاره بعد كتم، فلم يحتج في الكلام إلى معنى (على) بخلاف ما تقدم هذا كلامه، ولم يتعرض رحمه الله تعالى لوجه الأفراد هناك والجمع هنا وهو من أطف معاني الآية.

والفرق بينهما يظهر من الاختصاص الذي خص به موسى في قوله تعالى: ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾<sup>5</sup> ، فاقتضى هذا الاختصاص الآخر في قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي﴾<sup>6</sup> (٣٩) فإن هذه الإضافة إضافة تخصيص. وأما قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾<sup>7</sup> ،

<sup>1</sup> - هود (37).

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 2، ص 5-6.

<sup>3</sup> - القمر (14).

<sup>4</sup> - هود (37).

<sup>5</sup> - طه (41).

<sup>6</sup> - طه (39).

<sup>7</sup> - هود (37).

﴿وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ﴾<sup>1</sup> فليس فيه من الاختصاص ما في صنع موسى على عينه سبحانه وتعالى واصطناعه إياه لنفسه وما يسنده سبحانه إلى نفسه بصيغة ضمير الجمع قد يريد به ملائكته كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾﴾<sup>2</sup> وقوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾<sup>3</sup> ونظائره فتأمله<sup>4</sup>.

يرى ابن القيم أن العين المضافة إلى الله تعالى حقيقية لأن الله أثبت لنفسه صفة البصر وأما ما جاء في الآيات السابقة، فلكل لها دلالتها ومعناها بحسب السياق الذي وردت فيه، ففي موسى عليه السلام جاءت لتدل على الظهور والأمن والرعاية والكلاءة، لأنه صبي يربي، وأما في نوح عليه السلام، فجاءت لتدل على الرعاية والخفظ، ليظهر وجه الاختصاص الذي خص الله به موسى على غير نوح.

### 3- فصل معنى الهداية:

**هدى:** الهاء والذال والحرف المعتل: أصلان (أحدهما) التقدم للإرشاد، والآخر بعثة لطف. فالأول قولهم: هديته الطريق هداية، أي تقدمته لأرشده. وكل متقدم لذلك هاد. والهدى: خلاف الضلال. ويقال هديته هدى<sup>5</sup>.

**الهدى:** بضم الهاء وفتح الدال: الرشاد والدلالة، ويذكر، النهار. هداه هدى هديا، هداية هدية بكسرهما، أرشده، فهدى واهتدى، وهداه الله الطريق، و- له، و- إليه،... والهدى والهدية، ويكسر:

<sup>1</sup> - القمر (14).

<sup>2</sup> - القيامة (18).

<sup>3</sup> - يوسف (03).

<sup>4</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 2، ص 5-6.

<sup>5</sup> - ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 6، ص 42.



الطريقة، والسيرة. والهادي: المتقدم، العنق. والهوادي: الجمع. و-من الليل: أوائله، و-من الإبل: أول رعييل يطلع منها<sup>1</sup>.

من خلال هذين التعريفين يتضح أن الهداية تعني الإرشاد والدليل والطريق. وقد أشار ابن القيم إلى ذلك بقوله: فاعلم أن أنواع الهداية أربعة:

أحدها: الهداية العامة المشتركة بين الخلق المذكورة في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾<sup>2</sup>، أي أعطى كل شيء صورته التي لا يشبهه فيها غيره، وأعطى كل عضو شكله وهيأته، وأعطى كل موجود خلقه المختص به، ثم هداه إلى ما خلقه له من الأعمال، وهذه هداية الحيوان المتحرك بإرادته إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، وهداية الجمال المسخر لما خلق له، فله هداية تليق به، كما أن لكل نوع من الحيوان هداية تليق به وإن اختلفت أنواعها وصورها، وكذلك كل عضو له هداية تليق به، فهدى الرجلين للمشي واليدين للبطش والعمل واللسان للكلام والأذن للاستماع والعين لكشف المرئيات، وكل عضو لما خلق له وهدى الزوجين من كل حيوان إلى الأزواج والتناسل وتربية الولد وهدى الولد إلى التقام الثدي عند وضعه وطلبه.

مراتب هدايته سبحانه لا يحصيها إلا هو فتبارك الله رب العالمين.

وهدى النحل أن تتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر ومن الأبنية، ثم تسلك سبل ربها مذلة لها لا تستعصي عليها، ثم تأوي إلى بيوتها، وهداها إلى طاعة يعسوبها واتباعه والإئتمام به أين

<sup>1</sup> - الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 1345.

<sup>2</sup> - طه (50).

توجه بها، ثم هداها إلى بناء البيوت العجيبة الصنعة المحكمة البناء، ومن تأمل بعض هدايته المبتوثة في العالم شهد له بأنه الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم، وانتقل من معرفة هذه الهداية إلى إثبات النبوة بأيسر نظر، وأول وهلة وأحسن طريق وأخصرها وأبعدها من كل شبهة، فإنه لم يهمل هذه الحيوانات سدى ولم يتركها معطلة، بل هداها إلى هذه الهداية التي تعجز عقول العقلاء عنها، كيف يليق به أن يترك النوع الإنساني الذي هو خلاصة الوجود الذي كرمه وفضله على كثير من خلقه مهملا وسدى معطلا لا يهديه إلى أقصى كمالاته وأفضل غاياته، بل يتركه معطلا لا يأمره ولا ينهاه ولا يثيبه ولا يعاقبه، وهل هذا إلا مناف لحكمته ونسبته له مما لا يليق بجلاله. ولهذا أنكر ذلك على من زعمه ونزه نفسه، عنه وبين أنه يستحيل نسبة ذلك إليه، وأنه يتعالى عنه فقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾<sup>1</sup> فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم<sup>116</sup> فنزه نفسه عن هذا الحسبان، فدل على أنه مستقر بطلانه في الفطر السليمة والعقول المستقيمة، وهذا أحد ما يدل على إثبات المعاد بالعقل، وأنه مما تظاهر عليه العقل والشرع، وكما هو أصح الطريقتين في ذلك، ومن فهم هذا فهم سر اقتران قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾<sup>2</sup> بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>3</sup>، وكيف جاء ذلك في معرض جوابهم عن هذا السؤال والإشارة به إلى إثبات النبوة، وأن من لم يهمل أمر كل دابة في الأرض ولا طائر يطير

<sup>1</sup> - المؤمنون ( 115، 116 ).

<sup>2</sup> - الأنعام (38).

<sup>3</sup> - الأنعام (37).

بجناحيه، بل جعلها أمّا وهداها إلى غاياتها ومصالحها، وكيف لا يهديكم إلى كمالكم ومصالحكم؟ فهذه أحد أنواع الهداية وأعمها.

النوع الثاني: هداية البيان والدلالة والتعريف لنجدي الخير والشر وطريقي النجاة والهلاك، وهذه الهداية لا تستلزم الهدى التام، فإنها سبب وشرط لا موجب، ولهذا ينبغي الهدى معها

كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾<sup>1</sup> أي بينا لهم وأرشدناهم ودللناهم فلم يهتدوا.

ومنها قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>2</sup>

النوع الثالث: هداية التوفيق والإلهام، وهي الهداية المستلزمة للإهداء فلا يتخلف عنها، وهي

المذكورة في قوله: ﴿وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>3</sup> وفي قوله: ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَىٰ

هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾<sup>4</sup>، وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من يهد الله

فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له" وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾<sup>5</sup>

فنفي عنه هذه الهداية وأثبت له هداية الدعوة والبيان في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - فصلت (17).

<sup>2</sup> - الشورى (52).

<sup>3</sup> - النحل (93).

<sup>4</sup> - النحل (37).

<sup>5</sup> - القصص (56).

<sup>6</sup> - الشورى (52).

الرابع: غاية هذه الهداية، وهي الهداية إلى الجنة والنار إذا سيق أهلها إليهما، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾<sup>1</sup> وقال أهل الجنة فيها: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا ۖ وَقَالَ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ النَّارِ: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾<sup>2</sup> مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾<sup>3</sup> إذا عرف هذا فالهداية المسئولة في قوله الصراط المستقيم إنما تتناول المرتبة الثانية والثالثة خاصة فهي طلب التعريف والبيان والإرشاد والتوفيق والإلهام<sup>4</sup>.

فالهداية عند ابن القيم أنواع منها عامة يشترك فيها كل المخلوقات، لأن الله هدى كل مخلوق إلى طريقة في العيش، ومنها هداية البيان والدلالة والتعريف لمعرفة ما يضر وينفع من الخير والشر، وهداية التوفيق والإلهام: وهي هداية تتضمن الدعوى والبيان إلى الصراط المستقيم، وغاية هذه الهداية هي الجنة أو النار. أما معنى الهداية من الأقوال والأفعال فيحدها السياق الذي ترد فيه.

#### 4- معنى كلمة السبت:

السبت : الراحة، والقطع ، والدهر، وحلق الرأس، وإرسال الشعر عن العقص، وسير للإبل ، والحيرة ، والفرسُ الجواد، والغلام العارم الجريء، وضرب العنق، ويوم الاسبوع ، ج: أسبت ، وسبوت ، والرجل كثير النوم، والرجل الداهية، كالسبات والفعل كنصر وضرب، وبالكسرك جلود البقر، وكل جلد مدبوع،... وبالضم: نبات كالختمي، ويفتح،... والمسبت الذي لا يتحرك،

<sup>1</sup> - يونس(09).

<sup>2</sup> - الأعراف (43).

<sup>3</sup> - الصافات (22، 23) .

<sup>4</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 2، ص 30-33 .

...والسبات، كعراب، النوم، أة خفته،... وأقمت سبتا وسبته وسنبتة: برهة وكفر سبت: بالشام  
 .وابنا سبات: الليل والنهار .والمسبوت : الميت،...والسبتي : الجريء، والنمر، ج: سبأت.  
 والسبته: المعزى. والسبتان، بالكسر: الأحمق...<sup>1</sup> . من خلال هذا التعريف يتضح أن للسبت  
 معاني متعددة وقد أشار إلى ذلك ابن القيم بقوله: من كتاب الجمل لابن فارس السبت من الأيام  
 والجمع أسبت وسبوت، والسبت: الدهر، والسبت: الراحة، والسبت: السير السهل، والسبت:  
 حلق الرأس، والسبت: الحيرة، والمسبت: المتحير، والسبت: ضرب العنق، والسبت: الغلام العارم،  
 قال: يصبح سهلان ويمسى مسبتا والسبت جلود مدبوغة بقرظ<sup>2</sup> .

فابن القيم تناول معاني متعددة ومختلفة للسبت يوضح معناها السياق الذي ترد فيه.

## 6- معاني لفظة إبراهيم:

في "إبراهيم" ست لغات: أحدها إبراهيم وهي اللغة الفاشية، والثانية إبراهيم، والثالثة:  
 إبراهيم، والرابعة: إبراهيم، والخامسة: إبراهيم، والسادسة: أبرهم، قال عبد المطلب:

عدت بما عاذ به إبراهيم      مستقبل الكعبة وهو قائم

وقال أيضا:

نحسن آل الله في كعبة      لم يزل ذاك على عهد إبراهيم<sup>3</sup>

أشار ابن القيم إلى أن لفظة إبراهيم تشترك فيها مجموعة من اللغات وتختلف في بعض  
 حروف نطقها بزيادة، أو نقض. وهو اسم علم أعجمي.

<sup>1</sup> - الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 152 .

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 4، ص 173 .

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 4، ص 174-176 .

ثانيا: دلالة سياق الترادف:

**-الترادف:** يعتبر الترادف من أهم الظواهر اللغوية التي ساهمت في إثراء اللغة، من خلال توفير مجموعه من الخيارات، لدى المؤلف حتى يعبر باللفظ المناسب في السياق الذي يراه المنتج، ويمكن تعريف الترادف لغة واصطلاحا فيما يلي:

**أ- لغة:** يعرفه ابن فارس في مقاييس اللغة بقوله: الرء الدال والفاء أصل واحد مطرد، يدل على اتباع شيء، فالترادف التابع، والردف الذي يرادفك<sup>1</sup>.

أما ابن منظور فيعرفه بقوله أن الردف ما اتبع الشيء، وكل شيء تبع شيئا فهو ردفه، وإذا تبع الشيء خلف الشيء فهو الترادف، وترادف الشيء تبع بعضه بعضا<sup>2</sup>.

يعرفه الزبيدي بقوله: كل ما تبع شيئا فهو ردفه، والمترادف أن تكون أسماء لشيء واحد وهي مولدة ومشتقة من تراكب الأشياء. من خلال هذا التعريف يتضح أن هناك اتفاق حول مفهوم الترادف وهو التابع في اللغة<sup>3</sup>.

**ب- اصطلاحا:** عرفه الشريف الجرجاني كتابه التعريفات فيقول: الترادف عبارة عن الإتحاد في المفهوم وقيل هو توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد<sup>4</sup>.

ويعرفه الغزالي كذلك بقوله: أما المترادفة فتعني بها الألفاظ المختلفة، والصيغ المتواردة على مسمى واحد<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - أحمد ابن فارس، مقاييس اللغة، ج1، ص 519 .

<sup>2</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص 1152 .

<sup>3</sup> - الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 23، ص 328، وص 335.

<sup>4</sup> - الشريف الجرجاني، التعريفات، ص 37 .

<sup>5</sup> - الغزالي، المستصفى، ج 1، ص 26 .

وجاء في القاموس الوسيط: ترادفت الكلمتان كان بينهما الترادف، وترادف الكلمتين أن تختلفا لفظا وتتحددا معنى<sup>1</sup>. من خلال هذه التعاريف يتضح أن الترادف يكون للمعنى واحد ألفاظ كثيرة.

وقد أشار ابن القيم إلى الترادف بقوله: " الأسماء الدالة على مسمى واحد نوعان:

**أحدهما:** أن يدل عليه باعتباره ذات فقط، فهذا النوع هو المترادف ترادفا محضاً، وهذا كالحنطة والقمح والبر والاسم والكنية واللقب، إذا لم يكن فيه مدح ولا ذم، وإنما أوتي به لمجرد التعريف.

**والنوع الثاني:** أن يدل على ذات واحده باعتبار تباين صفاتها كأسماء الرب تعالى، وأسماء كلامه، وأسماء اليوم الآخر، فهذا النوع مترادف بالنسبة إلى الذات، متباينة بالنسبة إلى الصفات فالرب والرحمن والعزيز والقدير والملك يدل على ذات واحدة باعتبار صفات المتعددة، وكذلك البشير والنذير والحاشر والعاقب والمأحي، وكذلك يوم القيامة ويوم البعث ويوم الجمع ويوم التغابن ويوم الآزفة ونحوها، وكذلك القرآن والفرقان والكتاب والهدى ونحوه، وكذلك أسماء السيف، فإن تعددها بحسب أوصاف، وإضافات مختلفة، كالمهند والغضب الصارم ونحوها<sup>2</sup>. ومن خلال هذا النص يتضح أن ابن القيم يرى بوقوع الترادف في اللغة وهو مقبول عنده نظراً للأمثلة التي أتى بها.

كما يشير ابن القيم إلى سبب وقوعه فيقول في هذا الشأن بقوله: "قد يقع الترادف باعتبار واضعين مختلفين، ويسمى أحدهما المسمى باسم، ويسميه الواضع الآخر باسم غيره، ويشتهر الوضعان عند القبيلة الواحدة، وهذا كثير"<sup>3</sup>. فابن القيم يرى أن سبب وقوع الترادف هو كثرة الواضعين للألفاظ. ومما ذكره ابن القيم وأشار إليه:

<sup>1</sup> - القاموس الوسيط، ص 367.

<sup>2</sup> - ابن القيم، روضة المحبين، ت: أحمد شمس الدين، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2003، ص 39.

<sup>3</sup> - ابن القيم، روضة المحبين، ص 39.

1- معاني غدوة وبكرة:

**أ- غدو:** الغين والذال والحرف المعتل أصل صحيح يدل على زمان. ومن ذلك الغدو، يقال غدا ويغدو. والغدوة والغداة عُدى، جمع الغداة غدوات. والغادية: سحابة تنشأ صباحاً. وأفعل ذلك غدا. والأصل غدوا. والغداء: الطعام بعينه، سمي بذلك لأنه يؤكل في ذلك الزمان<sup>1</sup>.

**-الغدوة:** بالضم: البكرة، أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس، كالغداة والغدية ج غدوات وغديات وغديا غدو، أو لا يقال غدايا مع عشايا. وغدا عليه غدوا وغدوة، بالضم، واغتنى: بكر وغاداه: باكره. والغد: أصله غدو، وهو غدي وغدوي. والغادية: السحابة تنشأ غدوة، أو مطر الغداة. والغداء: طعام الغدوة ج أغدية. وتغدي: أول النهار<sup>2</sup>. إذن فالغدوة تدل على معنى الصباح من اليوم وهي نفسها البكرة.

**-بكر:** الباء والكاف والراء أصل واحد، فهو أول الشيء وبدؤه، والبكرة هي الغداة، والجمع البكر. والتبكير والبكور والإبكار المضي في ذلك الوقت. والإبكار: البكرة. كما أن الإصباح اسم الصبح، و باكرت الشيء إذا بكرت عليه<sup>3</sup>.

**ب- البكرة:** بالضم: الغدوة،... وبكر عليه، وإليه، وفيه بكورا، وبكر وابتكر وأبكر، وباكره: أتاه بكرة، وكل من بادر إلى الشيء: فقد أبكر إليه في أي وقت كان،... وبكر وأبكر وتبكر: تقدم والباكور: المطر في أول الوسمي، كالمبكر والبكور، والمعجل من كل شيء<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 4، ص 415.

<sup>2</sup> - الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 1317.

<sup>3</sup> - ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 1، ص 287.

<sup>4</sup> - الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 353-354.



والبكرة تدل على معنى الصباح الباكر وهي نفسها الغدة. وقد أشار إلى ذلك ابن القيم بقوله: وأما (غدوة) و(بكرة) فهما اسما علم وعدم التنوين فيهما للتعريف والتأنيث، والذي أخرجهما عن باب (ضحوة) و(عشية) وإن كان فيهما معنى الغدو والبكور كما كان في أخواتهما معاني الفعل أنهما قد بنيا بناء لا يكون عليه المصادر ولا النعوت وغيرها للعلمية، كما غير (عمارة) و(عمر) وأشباههما، وكما غير (الدبران)، وفيه معنى الدبور إيدانا بالعلمية وتحقيقا لمعناها، ألا ترى أن ضحوة على وزن صعبة من النعوت وضربة من المصادر، والمصادر ينعت بها، وضحي على وزن هدى وعلى وزن حطم من النعت، وكذلك سائر تلك الأسماء، وغدوة وبكرة بخلاف ذلك قد غيرتا عن لفظ الغدو والبكور تغييرا بينا.

قيل: كلام العرب يدل على خلاف ذلك لأنهم لا يكادون يقولون: خرجت اليوم في الغدوة، وللغدوة خير من أول الليل. كما يقال: السحر خير من أول الليل، فالسحر كسائر الأجناس في تنكيه وتعريفه، وغدوة وبكرة من اليوم بمنزلة رجب وصفر من العام، فقد تبين مخالفتها لسحر وضحوة وأخواتهما وأنهما بمنزلة أسماء الشهور الأعلام وأسماء الأيام الأعلام، نحو السبت والجمعة. وإذا ثبت هذا فهما اسمان متمكنان يجوز إقامتهما مقام الفاعل إذا قلت: "سير بزيد يوم الجمعة غدوة" فلا يحتاج إلى إضافة، ولا إلى لام تعريف، وتقول: "سير به يوم الجمعة غدوة" على الظرف فيهما جميعا، لأنها بعض اليوم، كما تقول: سرت العام رجبا كله، وتقول أيضا: سير به يوم الجمعة غدوة برفعهما، كأنهما بدل من اليوم، ولا تحتاج أيضا إلى الضمير كما تحتاج في بدل البعض من الكل لأنها ظرف في المعنى .

ولو قلت: كره يوم السبت غدوة على البدل لم يكن بد من إضافة غدوة إلى ضمير المبدل منه، لأن اليوم ليس بظرف، فيكون كقولك: كرهت الخميس سحره، إذا أردت البدل، لأن المكروه هو السحر دون سائر اليوم، وإنما يستغنى عن ضمير يعود على اليوم إذا تركته ظرفا على حاله، لأن بعض اليوم إذا كان ظرفا لفعل كان جميع ذلك اليوم ظرفا لذلك الفعل .

واعلم أنه ما كان من الظروف له اسم علم فإن الفعل إذا وقع فيه تناول جميعه وكان الظرف مفعولا على سعة الكلام، فإذا قلت: سرت غدوة، فالسير وقع في الوقت كله، وكذلك سرت السبت والجمعة وصفر والمحرم كله مفعول على سعة الكلام لا ظرف للفعل، لأن هذه الأسماء لا يطلبها الفعل ولا هي في أصل موضوعها زمان، إنما هي عبارة عن معان أخرى، فإن أردت أن تجعل شيئا منها ظرفا ذكرت لفظ الزمان وأضفته إليها، كقولك: سرت يوم السبت وشهر المحرم، فالسير واقع في الشهر ولا يتناول جميعه إلا بدليل، والشهر ظرف وكذلك اليوم. قال سيبويه: ومما لا يكون الفعل إلا وقعا به كله سرت المحرم وصفر. هذا معنى كلامه<sup>1</sup>.

فقد تناول ابن القيم غدو بكرة لأنهما من نفس الزمن وهما مترادفتان لهذا جاءتا على نفس الهيئة من حيث أنهما نكرتان واسما علم تشبهان في بنائهما أسماء الشهور ولهما معنى الغدو والبكور وهما ظرفا زمان ووقته من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس<sup>2</sup>. وهما اسمان ممنوعان من الصرف إذا كانا معينان من يوم بعينه كأن تقول: آتية يوم الجمعة غدوةً فإن نكرت صرفت، تقول سر عليه غدوةً من الغدوات. وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾<sup>3</sup>،<sup>4</sup>. بهذا يكون كل من غدوة وبكرة ظرفان وهما وقت من اليوم مرادفان لهما نفس الأحوال من حيث التعريف والتأنيث والتنكير والتصريف وقد تناولهما ابن من الجانب النحوي لا من الجانب المعجمي .

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج2، ص ص 83-84 .

<sup>2</sup> - ينظر: فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج2، ص 186 .

<sup>3</sup> - مريم (62).

<sup>4</sup> - ينظر: فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج2، ص 186

## 2- معاني ألفاظ التخلف العقلي:

جاء في لسان العرب: العته: التجنن والرعوننة، وقيل : ... وقد عته الرجل عتتها وعتتها وعتاها. والمعته: المدهوش من غير مس جنون . والمعته والمخفوق: المجنون، وقيل المعته ناقص العقل. ورجل معته إذا كان مجنون مضطرباً في خلقه. وفي الحديث رفع القلم عن ثلاثة: الصبي والنائم و المعته ؛ قال: هو المجنون المصاب في عقله<sup>1</sup>. يتضح من خلال هذا التعريف أن العته له معاني عدة بحسب الاستعمال، فهو يعني الجنون ويعني فقد العقل نقصه واضطرابه. وقد أشار ابن القيم إلى ذلك بقوله:

يقال: مجنون، ومغبون، ومهروع، مخفوع، ومعته، وممتوه، وممته، وممسوس، وبه لمص، ومصاب في عقله، فهذه عشرة ألفاظ، وأما مخروع فصحفتها العامة من مهروع<sup>2</sup>.

فقد أشار ابن القيم إلى مرادفات لها معنى واحد هو التخلف العقلي، أو ما يصيب العقل من مرض أو خلل، ويختلف في درجة الخلل أو المرض الذي يصيب العقل، بهذا سمو كل درجة من المرض باسم، وإن كان المرض واحداً.

## 3- معاني كلمة المولى:

المولى : الرب .و- المالك.و- كل من ولى أمراً وقام به. و- الولي المحب.و- الصاحب. و- الحليف.و- النزيل. و- الجار.و- الشريك. و- الصهر. و- القريب من العصبية، كالعم، وابن العم، ونحو ذلك . و- المنعم . و- المنعم عليه.و- المعتق.و- العبد.و- التابع.(ج) موال<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص512.

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج4، ص148 .

<sup>3</sup> - المعجم الوسيط، ص1058 .

أن المولى له معاني كثيرة ومتعددة منها ما يدل على الخالق جل وعلا، ومنها ما يدل المخلوقين كالمصاحبة والمصاهرة والقربى... إلخ . وقد أشار ابن القيم إلى ذلك بقوله: قال ابن الأثير في "النهاية": وقد تكرر ذكر المولى في الحديث، وهو اسم يقع على جماعة كثيرة، فهو الرب، والمالك، والسيد، والمنعم، والمعتق، والناصر، والمحب، والتابع، والجار، وابن العم، والحليف، والعقيد، والصهر، والعبد، والمعتق، والمنعم عليه<sup>1</sup>. وتعد هذه المعاني التي أشار إليها ابن القيم معاني متباينة يضبطها السياق الذي ترد فيه.

**4-معاني القنوت:** الطاعة، السكوت والدعاء، والقيام في الصلاة ، والإمسك عن الكلام، وأقنت: دعا على عدوه، وأطال القيام في صلاته، وأدام الحج، وأطال الغزو، وتواضع لله تعالى<sup>2</sup>. فالقنوت له معاني عدة وتجتمع في معنى واحد وهو العبادة، وتختلف في نوع العبادة. وقد أشار ابن القيم إلى ذلك بقوله: قال في "النهاية" أيضا: القنوت في الحديث ويرد بمعان متعددة كالطاعة والخشوع والصلاة والدعاء والعبادة والقيام وطول القيام والسكوت<sup>3</sup>.

فقد أشار ابن القيم إلى القنوت بأنه لديه معاني متعددة تتمثل في العبادة التي يكتنفها الوقار والطمأنينة، وهي تختلف من عبادة إلى أخرى تتحدد من خلال السياقات التي ترد فيها .

### ثالثا: دلالة سياق التضاد:

يعد التضاد من الظواهر اللغوية المهمة التي ساهمت في إثراء اللغة العربية، ويمكن تعريفه لغة واصطلاحا كما يلي :

**أ- لغة:** جاء في المعاجم العربية تضاد والمخالفة والخصوم: عرفه ابن سيده الضد ضربا من الخلاف، وإن لم يكن كل الخلاف ضدا<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج4، ص174 .

<sup>2</sup> - الفيروزآبادي، قاموس المحيط، ص 158.

<sup>3</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد ،ج4، ص174 .

<sup>4</sup> - ابن سيده،المخصص،ج13، ص259.

أما ابن منظور فعرفه بقوله الضد كل شيء ضاد شيئاً ليغلبه، والسواد ضد البياض، والموت ضد الحياة، والليل ضد النهار والجمع أضداد<sup>1</sup>.

وأما الفيروزبادي صاحب القاموس المحيط فعرفه بقوله: الضد بالكسر، والضديد المثل، والمخالف ضد ويكون جمعا، وضده في الخصومة: غلبه، وعنه: صرفه ومنعه، وبنو ضد قبيلة من عاد، وضاده خالفه وهما متضادان<sup>2</sup>. ومن خلال هذه التعريفات ينصرف مفهوم التضاد إلى المخالفة والخصومة في اللغة.

ب- اصطلاحاً: يعرفه أبو حاتم السجستاني بقوله: "أما المعروف في ضد من كلام العرب وخلاف الشيء، كما يقال: الإيمان ضد الكفر والعقل ضد الحمق وجاء في قوله تعالى: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾<sup>3</sup> أي أضداداً"<sup>4</sup>.

يقول الأنباري في هذا الصدد: إن الكلام يصحح بعضه بعضاً، يرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه، فجاز وقع اللفظة على المعنيين المتضادين، لأنه يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين المتضادين دون الآخر<sup>5</sup>.

ومن خلال هذه التعريفات يتضح أن هناك توافق بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي لمفهوم التضاد، وهو المخالفة سواء كانت الكلمة واحدة تدل على معنيين مختلفين، أو كلمتين مختلفتين في اللفظ والمعنى معا وهذا، الذي عليه اغلب اللغويين قديما وحديثا.

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج3، ص263.

<sup>2</sup> - الفيروزآبادي، قاموس المحيط، ص375.

<sup>3</sup> - مريم (82).

<sup>4</sup> - أبو حاتم السجستاني، كياب الأضداد، ت محمد عودة أبو حري، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1994، ص79.

<sup>5</sup> - محمد بن القاسم الأنباري، كتاب الأضداد، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت، 1960، ص2.

وقد أشار إلى ذلك ابن القيم في الكثير من الأمثلة التي ساقها لنا في كتابه ومن ذلك:

### 1- الأمس واليوم والغد وسبب اختصاص كل لفظ بمعناه :

**أ-أمس:** مثلثة الآخر مبنية: اليوم الذي قبل يومك بليلة بينى معرفة، ويعرب معرفة، فإذا دخلها أل، فمعربة. وسمع : رأيتَه أمس، منونة وهي شاذة ج: أمسٌ وأموس وأماس<sup>1</sup>.

**ب-اليوم:** مج أيام .ويوم أَيَوْمٌ وَيَوْمٌ، كفرح، وَوَوْمٌ وذو أيام، وذو أَيَومٍ: شديدٌ، أو آخر يوم في شهر، وأيام الله تعالى: نعمه<sup>2</sup>.

**ج-وغدٌ:** أصله غَدُوٌّ، فحذفوا الواو بلا عوض، ويدخل الألف واللام للتعريف.الغدوة: أصل الغد، وهو اليوم الذي يأتي بعد يومك، فحذفت لامه ولم يستعمل تاما إلا في الشعر،...والغد: ثاني يومك، محذوف اللام، وربما كني به عن الزمن الأخير.وفي التنزيل العزيز: سيعلمون غدا من الكذاب الأشر، يعني يوم القيامة<sup>3</sup>.

من خلال هذه التعريفات يتضح أن معنى الأمس: هو اليوم الذي قبل اليوم أي اليوم الماضي، ومعنى اليوم هو اليوم الحاضر، أما الغد: هو اليوم الذي يأتي بعد اليوم الحاضر، أي بعد يومك. وقد أشار ابن القيم على ذلك بقوله:اعلم أن أقرب الأيام إليك يومك الذي أنت فيه، فيقال: فعلت اليوم، فذكر الاسم العام، ثم عرف بأداة العهد، ولا شيء أعرف من يومك الحاضر، فانصرف إليه، ونظيره (الآن) من آن والساعة من الساعة، وأما (أمس) و (غد) فلما كان كل واحد منهما متصلا بيومك اشتق له اسم من أقرب ساعة إليه، الأمس فاشتق لليوم

<sup>1</sup> - الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 530 . وينظر : فاضل صالح السمرائي، معاني النحو، ج2، ص ص179-180.

<sup>2</sup> - الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ص 1173 .

<sup>3</sup> - ابن منظور، لسان العرب ، ج15، ص 117 .

الماضي أمس الملاقي للمساء، وهو أقرب إلى يومك من صباحه، أعني صباح غد، فقالوا: أمس وكذلك غد فقد اشتق الاسم من الغد وهو أقرب إلى يومك من مساءه، أعني مساء غد.

وتأمل كيف بنوا (أمس) وأعربوا (غدا) لأن أمس صيغ من فعل ماض وهو أمسى، وذلك مبني فوضعوا أمس على وزن الأمر من أمسى يمسي، وأما (الغد) فإنه لم يؤخذ من مبني إذ لا يمكن أن يقال هو مأخوذ من غدا، كما يمكن أن يقال أمس من أمسى، بل أقصى ما يمكن فيه أن يكون من الغدو والغدوة، وليستا بمبنيتين، وهذه العلة أحسن من علة النحاة أن أمس بني لتضمنه معنى اللام وأصله الأمس.

قالوا لأنهم يقولون أمس الدابر فيصفونه بذي اللام، فدل على أنه معرفة ولا يمكن أن يكون معرفة إلا بتقدير اللام، وهذا أولا منقوض بقولهم: غد الآتي، فيلزم على طرد علتهم أن ينوا غدا.

وأیضا فإن أمس جرى مجرى الإعلام وهو والله أعلم بمنزلة أصمت وأطرق مما جاء منها بلفظ الأمر اسم علم لمكان، يقول الرجل لصاحبه: فقد اصمت إذا جاوزه، فاصمت في المكان كأمس في الزمان، ولعله أخذ من قولهم: أمس بخير وأمس معنا ونحوه، ولا يقال: كيف يدعي فيهم العلمية مع شيوعه، لأننا نقول: علميته ليست كعلمية زيد وعمرو بل كعلمية أسامة وذؤالة وبرة وفجار وبابه مما جعل الجنس فيه بمنزلة الشخص في العلم الشخصي.

فإن قيل: فما الفرق بينه وهو اسم الجنس.

إذا قيل: هذا ما أعضل على كثير من النحاة حتى جعلوا الفرق بينهما لفظيا فقط

وقالوا: يظهر تأثيره في منع الصرف ووصفه بالمعرفة وانتصاب الحال عنه ونحو ذلك، ولم يهتدوا لسر الفرق بين أن موضع اللفظ لواحد منهم منكر شائع في الجنس ولمسمى الجنس المطلق، فهنا ثلاثة أمور تتبعها ثلاثة أوضاع:

أحدها: معرف معين من الجنس له العلم الشخصي كزيد .

الثاني: واحد منهم شائع في الجنس غير معرف فله الاسم النكرة كأسد من الأسد .

والثالث: الجنس المتصور في الذهن المنطبق على كل فرد من أفرادهِ وله علم الجنس كأسامة، فنظير هذا أمس في الزمان، ولهذا وصف بالمعرفة، فأعلق بهذه الفائدة التي لا تجدها في شيء من كتب القوم، والحمد لله الوهاب المان بفضلهِ<sup>1</sup>. ويتضح من كلام ابن القيم أن هذه الأسماء اشتقت من أقرب زمن لها فاشتق للأمس أقرب زمن له وهو المساء واشتق للغد أقرب زمن له وهو الصباح الذي هو الغدو. ويتضح من هذا أن هذه الأسماء أضداد فيما بينها وهي ظروف تقع في أزمنة مختلفة أو بالأحرى متضادة .

## 2- ضحوة وعشية ومساء:

أ- ضحوة: الضحو والضحوة والضحية، كعشية : ارتفاع النهار. والضحى: فويقه، ويذكرن ويصغر ضحيا، بلا هاء، والضحاء، بالمد : إذا قرب انتصاف النهار، وبالضم والقصر : الشمس. اتيتك ضحوة: ضحى. وأضحى: صار فيها.

وضحا وضُحُوا وضُحُوا وضُجِيًّا: برز للشمس. وكسعى ورضي ضُحُوا وضُحيا: أصابته الشمس. وأرض مَضْحاةً: لاتكاد تغيب عنها الشمس<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، صص 85- 86. وينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 7، ص ص 111-112 .

<sup>2</sup> - الفيروزآبادي ، القاموس المحيط، ص 1304-1305 .



**ب-عشية:** من عشو: العين و الشين والحرف المعتل أصل صحيح يدل على ظلام وقلة وضوح في الشيء، ثم يفرَّع ما يقاربه .ومن ذلك العشاء،وهو أول ظلام الليل . وعشواء الليل ظلمته. ...والعاشية: كل شيء يعشو بالليل إلى ضوء نار. ... والعشي: آخر النهار. فإذا قلت عشية فهة ليوم واحد. تقول : لقيته عشية يوم كذا، ولقيته عشية من العشيات . . . . يقال : لقيته عشي يوم كذا، كما يقال عشية يوم كذا، إذا العشيُّ إنما هو آخر النهار وقد قيل كل ما كان بعد الزوال فهو عشي . وتصغيره العَشِيَّة عشيشية. والعشاء ممدود ومهموز بفتح العين، وهو الطعام الذي يؤكل من آخر النهار وأول الليل<sup>1</sup>.

**ج-والمساء والإمساء:** ضد الصباح والإصباح. والممسي: الإمساء، والاسم: الميسي، بالضم والكسر. وأتيته مساء أمس،ومسيه، بالضم والكسر، وأمسيته، بالضم . . . .ومسيته تسمية: قلت له كيف أمسيت، أو مساك الله بالخير<sup>2</sup>. من خلال هذه التعريفات يتضح أن معاني كل من ضحوة التي تدل على الصباح و بروز شمس، وعشية التي تدل آخر النهار وأول الليل، أما المساء فهو ضد الصباح وبالأحرى ضد ضحوة. وقد أشار ابن القيم إلى ذلك بقوله:وأما ضحوة وعشية ومساء، ونحو ذلك فإنها مفارقة لسحر من حيث كانت منونة وإن أردتها ليوم بعينه وهي موافقة له في عدم التصرف والتمكن. والفرق بينهما أن هذه أسماء فيها معنى الوصل لأنها مشتقة مما وصف به الأوقات التي هي ساعات اليوم، فالعشي من العشاء، والضحوة من قولك: فرس أضحى وليلة أضحيان يريد البياض، والصباح من الأصبح، وهو لون بين لونين، فإذا قلت: خرجت اليوم عشاء وظلاما وضحي وبصرا، حكاه سيبويه، فإنما تريد خرجت اليوم في ساعة وصفها كذا، وخرجت وقتا مظلما أو مبصرا ونحو ذلك، فقد بان لك أنها أوصاف لنكرات، وتلك النكرات هي أجزاء اليوم وساعاته، ألا ترى أنك إذا قلت: خرجت اليوم ساعة منه أو مشيت اليوم وقتا منه لم يكن إلا منونا إلا أن ساعة ووقتاً

<sup>1</sup> - ابن فارس، مقاييس اللغة، ج4، ص322 .

<sup>2</sup> - الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص1334 .

غير معين، وضحوة وعشية قد تخصصا بالصفة، ولكنه لم يتعرف، وإن كان ليوم بعينه لأنه غير معرف بالألف واللام، كما كان سحر، لأن سحر اسم جامد يتعرف كالأسماء ويخبر عنه، وأما نعتة فلا يكون كذلك، لأن النعت لا يكون فاعلا ولا مفعولا ولا يقام مقام المنعوت إلا على شروط مخصوصة<sup>1</sup>. يتضح من خلال ما أورده ابن القيم أن معاني هذه الظروف مشتقة من أوصاف الأوقات التي في اليوم فضحوة من الضحى وهو الصباح وعشية من العشاء وهي أول الليل والمساء وهو آخر النهار وقد وردت متضادة فيما بينها أي أضداد فالصباح ضده المساء وضحوة ضدها عشية والصباح من الضحوة والمساء من العشية.

### 3- تفضيل الأرض أم السماء:

أ- الأرض: مؤنثة اسم جنس، أجمع بلا واحد، ولم يسمع أرضة ج: أرضات وأروض وأرضون وآراض، والأراضي غير قياسي، وأسفل قوائم الدابة، وكل ماسفل<sup>2</sup>.

ب- السماء: سما سموا: ارتفع، و-به: أعلاه، كأسماء،... والسماء: م، وتذكر، وسقف كل شيء، وكل بيت، ورواق البيت، كسماوته، وفرس، وظهر الفرس، والسحاب، والمطر، أو مطرة جيدة ج: أسمية، وسموات وسمي، وسماء<sup>3</sup>. وسمو: السين والميم والواو أصل يدل على العلو. يقال سموت، إذا علوت وسمما بصره: علا... جمع سماؤ. والعرب تسمي السحاب سماء، والمطر سماء سماء... والسماء سقف البيت، وكل عالٍ مطلّ سماء...<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 2، ص 82.

<sup>2</sup> - الفيروزآبادي، قاموس المحيط، ص 636.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 1296.

<sup>4</sup> - ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 3، ص 98.

وبهذا يتضح أن معنى الأرض هو كل ما سفلى ومعنى السماء هو كل ما على. وقد أشار ابن القيم إلى ذلك من خلال تناوله تفضل الأرض أم السماء حيث يقول: اختلف الناس هل السماء أشرف من الأرض أم الأرض أشرف من السماء، فالأكثر على الأول.

واحتج من فضل الأرض بأن الله تعالى أنشأ منها أنبياءه ورسله وعباده المؤمنين، وبأنها مساكنهم ومحل أحياء وأمواتا، وبأن الله سبحانه وتعالى لما أراد إظهار آدم للملائكة قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ﴾<sup>1</sup> فأظهر فضله عليهم بعلمه واستخلافه في الأرض، وبأن الله سبحانه وتعالى وضعها بأن جعلها محل بركاته عموما وخصوصا، فقال: ﴿وَجَعَلْ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ۗ﴾<sup>2</sup> ووصف الشام بالبركة في ست آيات ووصف بعضها بأنها مقدسة، ففيها الأرض المباركة والمقدسة والوادي المقدس، وفيها بيته الحرام ومشاعر الحج والمساجد التي هي بيوته سبحانه، والطور الذي كلم عليه كليمه ونجيه، وإقسامه سبحانه بالأرض عموما وخصوصا أكثر من إقسامه بالسماء، فإنه أقسم بالطور والبلد الأمين والتين والزيتون، ولما أقسم بالسماء أقسم بالأرض معها، وبأنه سبحانه خلقها قبل خلق السماء كما دلت عليه سورة (حم السجدة) وبأنها مهبط وحيه ومستقر كتبه ورسله، ومحل أحب الأعمال إليه وهو الجهاد، والصدقة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومغايرة أعدائه ونصر أوليائه، وليس في السماء من ذلك شيء، وبأن ساكنيها من الرسل والأنبياء والمتقين أفضل من سكان السماء من الملائكة، كما هو مذهب أهل السنة، فمساكنهم أشرف من مسكن الملائكة، وبأن ما أودع فيها من المنافع والأنهار والثمار والمعارف والأقوات والحيوان والنبات ما هو من بركاتهم لم يودع في السماء مثله، وبأن الله سبحانه قال: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ۗ﴾<sup>3</sup> ، ثم قال: ﴿وَفِي

<sup>1</sup> - البقرة (30).

<sup>2</sup> - فصلت (10).

<sup>3</sup> - الذاريات (20).

السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾<sup>1</sup> فجعل الأرض محل آياته، والسماء محل رزقه، ولو لم يكن له فيها إلا بيته وبيت خاتم أنبيائه ورسله حيا وميتا، وبأن الأرض جعلها الله قرارا وبساطا ومهادا وفراشا وكفاتا، ومادة للساكن لملابسه وطعامه وشرابه ومراكبه وجميع آلاته، ولا سيما إذا أخرجت بركتها وازينت وأنتت من كل زوج بهيج.

قال المفضلون للسماء: يكفي في فضلها أن رب العالمين سبحانه فيها، وأن عرشه وكرسيه فيها، وأن الرفيق الأعلى الذي أنعم الله عليه فيها، وأن دار كرامته فيها، وأنها مستقر أنبيائه ورسله وعباده المؤمنين يوم الحشر.

وأنها مطهرة مبرأة من كل شر وخبث وذنس يكون في الأرض، ولهذا لا تفتح أبوابها للأرواح الخبيثة، ولا يلج ملكوتها، ولأنها مسكن من لا يعصون الله طرفة عين، فليس فيها موضع أربع أصابع إلا وملك ساجد أو قائم، وبأنها أشرف مادة من الأرض وأوسع وأنور وصفى وأحسن خلقه وأعظم آيات، وبأن الأرض محتاجة في كمالها إليها ولا تحتاج هي إلى الأرض، ولهذا جاءت في كتاب الله في غالب المواضع مقدمة على الأرض وجمعت وأفردت الأرض، فبشرفها وفضلها أتى بها مجموعة، وأما الأرض فلم يأت بها إلا مفردة وحيث أريد تعدادها قال: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾<sup>2</sup>، وهذا القول هو الصواب، والله سبحانه وتعالى أعلم.<sup>3</sup>

ومن خلال ما قدمه ابن القيم من محاسن للأرض والسماء نجده وضع مقارنة بين السماء والأرض تمثلت هذه المفارقات في شكل أزداد بين الأرض والسماء وهما في الأصل ضدان حتى الذين تناولوا ذلك جعلوها مقارنة بين ضدتين، أو بالأحرى هي موازنة لا يمكن الفصل فيها بحكم

<sup>1</sup> - الذاريات (22).

<sup>2</sup> - الطلاق (12).

<sup>3</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج4، ص 18.

قطعي، حتى وإن استندنا إلى الفروق من الكتاب والسنة، لأن كل من الأرض والسماء له فضله وميزته .

#### رابعاً: دلالة سياق الفروق اللغوية:

تعد الفروق اللغوية ظاهرة من ظواهر اللغة، التي تهتم بمدى علاقة الكلمة بمعناها، وعلاقة الكلمة بما ترد فيه من سياقات، وعلاقتها كذلك في الألفاظ المشابهة لها، أو التي تحمل المعنى القريب من معناها، ولهذا ألف بعض العلماء في هذا الباب بين معاني الكلمة في السياق، ومعانيها مع ما يشبهها من مرادفات ومشارك اللفظي أو التضاد؛ حتى نعرف المقصود من الفروق اللغوية يمكن أن نعرفه لغة والاصطلاح بما يلي:

أ- لغة: يتضح من معنى الفروق أنه الفصل بين الشيئين أو التمييز بينهما، ويعرفه ابن فارس بقوله: "الفاء والراء والقاف أصل صحيح يدل على تمييز وتزييل بين شيئين"<sup>1</sup>.

وعرفه ابن منظور بقوله: "الفرق ما بين الشيئين حين يفترقان، والفرق الفصل بين شيئين فرق يفرق فرقاً: فصلاً، وقوله تعالى: ﴿فَالْفُرْقَاتِ فَرَقًا﴾<sup>2</sup>، وقال ثعلب: هي الملائكة تزييل بين الحلال والحرام"<sup>3</sup>.

كما عرف الراغب الأصفهاني بقوله: "الفرق يعاقب الفلق، ولكن الفلق يقال اعتباراً بالانشقاق، والفرق يقال اعتباراً بالانفصال"<sup>4</sup>. من خلال هذه التعريفات يتضح أن الفروق مقصود بها الفصل والتمييز بين الشيئين.

<sup>1</sup> - ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 2، ص 350 .

<sup>2</sup> - المرسلات (04)

<sup>3</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج 10، ص 301.

<sup>4</sup> - الراغب الأصفهاني، مفردات في غريب القرآن، ج 1، ص 632 .

**ب- اصطلاحاً:** يعتبر الفرق عند أهل الاصطلاح من الظواهر اللغوية التي اهتم بها العلماء قديماً وحديثاً، ويراد به تلك المعاني الدقيقة التي يمكن من خلالها الفصل بينها وبين الألفاظ التي تشابها في المعنى. ويعرفه أبو هلال العسكري بقوله: "ما رأيت نوعاً من العلوم، وفنا من الآداب إلا وقد صنّف فيه كتب تجمع أطرافه، وتنظم أصنافه إلا الكلام في الفرق بين معاني تقاربت تشكل القرب بينها نحو: العلم والمعرفة، والفطنة والذكاء، وما شكل ذلك، فإني ما رأيت في الفرق بين هذه المعاني وأشباهها كتاباً يكفي الطالب ويقنع الراغب"<sup>1</sup>.

ونجد كذلك مما نتحدث في الفروق اللغوية الجاحظ في كتابه البيان والتبيين حيث يقول: وقد يستخف الناس ألفاظاً يستعملونها وغيرها حق بذلك منها، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع، والعجز الظاهر، والناس لا ينكرون السغب ويذكرون الجوع في حاله القدرة والسلام، وكذلك ذكر المطر؛ لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامّة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين الغيب<sup>2</sup>.

وكذلك نجد ابن قتيبة تحدث بهذا الشأن في كتابه أدب الكاتب حيث يقول: "ولقد جرى في هذا المجلس كلام كثير في ذكر عيوب الرقيق وما رأيت أحداً منهم يعرف الفرق بين الوكع والكوع، والحنف من الفدع، واللمى من اللطع، فلما رأيت هذا الشأن كل يوم إلى نقصان وخشيت أن يذهب رسمه ويغفو أثره: جعلت له حظاً من عنايتي وجزاء من تأليفي"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص 21 .

<sup>2</sup> - الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص 20 .

<sup>3</sup> - ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص 14 .

ومن خلال هذه التعريفات الاصطلاحية يتضح أن مفهوم الفرق في الاصطلاح يتفق إلى حد بعيد مع التعريف اللغوي، الذي يقصد به الفصل والتمييز بين الألفاظ المتشابهة في المعاني. وقد أشار ابن القيم إلى الفروق اللغوية من خلال التفريق بين الكثير من المفاهيم والمصطلحات والألفاظ، الموثقة في كتابه الذي بين أيدينا:

### 1- الفرق بين الشهادة والرواية:

الفرق بين الشهادة والرواية أن الرواية يعم حكمها الراوي وغيره على ممر الأزمان، والشهادة تخص المشهود عليه، وله، ولا يتعداهما إلا بطريق التبعية المحضة. فالزام المعين يتوقع منه العداوة، وحق المنفعة والتهمة الموجبة للرد، فاحتيط لها بالعدد، و الذكورية وردت بالقرابة والعداوة وتطرق التهم، ولم يفعل مثل هذا في الرواية التي يعم حكمها ولا يخص، فلم يشترط فيها عدد ولا ذكورية، بل اشترط فيها ما يكون مغلبا على الظن صدق المخبر وهو العدالة المانعة من الكذب، واليقظة المانعة من غلبة السهو والتخليط.

لما كان النساء ناقصات عقل ودين لم يكن من أهل الشهادة، فإذا دعت الحاجة إلى ذلك قويت المرأة بمثلها، لأنه حينئذ أبعد من سهوها وغلطها لتذكير صاحبته لها .

وأما اشتراط الحرية ففي غاية البعد ولا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا إجماع، وقد حكى أحمد عن أنس بن مالك، أنه قال: ما علمت أحدا رد شهادة العبد، والله تعالى يقبل شهادته على الأمم يوم القيامة، فكيف لا يقبل شهادته على نظيره من المكلفين، وتقبل شهادته على الرسول صلى الله عليه وسلم في الرواية، فكيف لا يقبل على رجل في درهم، ولا ينتقض هذا بالمرأة، لأنها تقبل شهادتها مع مثلها لما ذكرناه، والمانع من قبول شهادتها وحدها منتف في العبد .

وعلى هذه القاعدة مسائل: أحدها الإخبار عن رؤية هلال رمضان، من اكتفى فيه بالواحد جعله رواية لعمومه للمكلفين، فهو كالأذان، ومن اشترط فيه العدد ألحقه بالشهادة، لأنه لا يعم الأعصار، ولا الأمصار، بل يخص تلك السنة وذلك المصر، في أحد القولين، وهذا ينتقض بالأذان نقضا لا محيص عنه.

وثانيها: الإخبار بالنسب بالقافة، فمن حيث أنه خبر جزئي عن شخص جزئي، يخص ولا يعم، جرى مجرى الشهادة، ومن جعله كالرواية غلط، فلا مدخل لها هنا بل الصواب أن يقال من حيث هو منتصب للناس انتصابا عاما، يستند قوله إلى أمر، يختص به دونهم من الأدلة والعلامات، جرى مجرى الحاكم، فقوله: حكم لا رواية.

ومن هذا الجرح للمحدث والشاهد هل يكتفي فيه بواحد إجراء له مجرى الحكم، أو لا بد من اثنين إجراء له مجرى الشهادة على الخلاف.

وأما أن يجري مجرى الرواية فغير صحيح وأما للرواية والجرح وإنما هو يجرحه باجتهاده لا بما يرويه عن غيره.

ومنها: الترجمة للفتوى والخط والشهادة وغيرها هل يشترط فيها التعدد مبني على هذا، ولكن بناءه على الرواية والشهادة صحيح ولا مدخل للحكم هنا.

ومنها: التقويم للسلع، من اشترط العدد رآه شهادة، ومن لم يشترطه أجراه مجرى الحكم لا الرواية. ومنها القاسم، هل يشترط تعدده على هذه القاعدة، والصحيح الاكتفاء بالواحد لقصة عبد الله بن رواحة .

ومنها: تسبيح المصلي بالإمام هل يشترط أن يكون المسبح اثنين، فيه قولان مبنيان على هذه القاعدة .



ومنها: المخبر عن نجاسة الماء، هل يشترط تعدده فيه قولان .

ومنها: الخارص، والصحيح في هذا كله الاكتفاء بالواحد كالمؤذن وكالمخبر بالقبلة، وأما تسييح المأموم بإمامة ففيه نظر.

ومنها: المفتي يقبل واحدا اتفقا .

ومنها: الإخبار عن قدم العيب وحدوثه عند التنازع، والصحيح الاكتفاء فيه بالواحد، كالتقويم و القائف.

وقالت المالكية: لا بد من اثنين ثم تناقضوا فقالوا إذا لم يوجد مسلم قبل من أهل الذمة<sup>1</sup> .

من خلال ما أوده ابن القيم يتضح الفرق بين الشهادة والرواية، فالرواية لا تقتضي الشهود والعدد والذكورية، وغيرها من الشروط التي ذكرها ابن القيم، لأن لا يترتب عنها ضرر أما الشهادة فتقتضي كل ما ذكر ويتحدد ذلك إلى نوع المسألة المطروحة.

## 2- الفرق بين الشك والريب:

الفرق بين الشك والارتياب: أن الارتياب شك مع تهمة، وشاهد أنك تقول: أني شك اليوم في المطر، ولا يجوز أن تقول أني مرتاب بفلان إذا شككت في أمره واتهمته<sup>2</sup>. يتضح من هذا الفرق أن الشك أسبق من الارتياب فكل ارتياب فكل ارتياب شك وليس العكس.

وقد أشار ابن القيم إلى ذلك بقوله: الفرق بين الشك والريب من وجوه: أحدها: أنه يقال شك مريب لا يقال: ريب مشكك، الثاني: أن يقال: رابني أمر كذا ولا يقال: شككني،

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ص ص 15 - 16.

<sup>2</sup> - أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص 99 .

الثالث: أنه يقال رابه يريبه إذا أزعجه وأقلقه، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد مر بظبي خافت في أصل شجرة: "لا يريبه أحد" ولا يحسن هنا لا يشككه أحد، الرابع: أنه لا يقال للشاك في طلوع الشمس أو في غروبها أو دخول الشهر أو وقت الصلاة هو مرتاب في ذلك وإن كان شاكا فيه، الخامس إن الريب ضد الطمأنينة واليقين فهو قلق واضطراب وانزعاج، كما أن اليقين والطمأنينة ثبات واستقرار، السادس يقال رابني مجيئه وذهابه وفعله ولا يقال شككني، فالشك سبب الريب فإنه يشك أولا فيوقعه شكه في الريب، فالشك مبتدأ الريب كما أن العلم مبتدأ اليقين<sup>1</sup>. إذا فابن القيم فرق بين الشك والريب وذلك في ستة فروق لا غير، وهذه الفروق لا تتجلى ولا تتضح إلا عند الاستعمال والتوظيف لمصطلح الشك والريب في الكلام.

أولا: يقال: شك المريب، فإذا لم يطمئن للشيء، وأزابك أمرا قلت هذا ولا يستحسن أن تقول ريب مشك، فالأول حصل فيه الترتيب وهو ترتيب منطقي، فإن الشك كما سبق عند ابن القيم أول الريب، أما القول في الثاني ريب مشك، فإن الترتيب هنا غير منطقي، لأن الريب سبق الشك، وهذا لا يجوز أن ينطلق منه ولا أن ينطق به.

ثانيا: تستطيع القول: رابني أمر كذا أو رابني فعلك أو قولك، ولا يقال شككني أمر كذا أو شككني فعلك أو قولك، والبديل أن تقول شككت في ذلك الأمر أو شككت في فعلك أو قولك.

ثالثا: تستطيع أن تقول: رابه يريبه إذا أزعجه وأقلقه، ولكن لا تستطيع القول: شاكه يوشكه.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج4، ص ص 85، 86 .

رابعاً: لا تستطيع القول: على الذي هو شك في طلوع الشمس أو غروبها أو دخول وقت الصلاة هو مرتاب في طلوع الشمس أو غروبها أو مرتاب في دخول وقت الصلاة، فهذا لا يستحسن حتى وإن كان الشخص شاكاً فيه.

خامساً: أن الريب هو نقيض اليقين واليقين أنك تجزم في نفسك وتعتقد أمراً ما. فإذا فاليقين هو الثبات على الأمر والاستقرار عليه وذلك في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾<sup>1</sup> ثم يقول الله تعالى في نفس السورة: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾<sup>2</sup>، أي أن الله سبحانه وتعالى يخاطب المؤمنين والذين لهم ريب في يوم القيامة ويوم النشور وبهذا لما ارتابوا في هذا الأمر خالفوا اليقين الذي هو الحقيقة وعين الصواب وأصبحوا في اضطراب وقلق وعدم معرفة اليقين والاعتقاد به. ولما كان لديك شك ثم كبر هذا الشك وربي حتى أصبح ريباً وبهذا فإنك لا ترتاب مباشرة بل تشك ثم ترتاب.

سادساً: والسادس أنك لا تستطيع القول شككني بجيئه، أو ذهابه، أو قوله، أو فعله، بل تقول رابني بجيئه، أو ذهابه، أو قوله، أو فعله، أو تقول شككت في جيئه، أو ذهابه، أو قوله، أو فعله. وبهذا يكون الشك هو المسبب للريب وهو أوله كما أن العلم أول اليقين.

فمفهوم الشك والريب عند ابن القيم يقترب كثيراً في المعنى إلا أن ابن القيم ميز بين الشك والريب في الاستعمال، فبين أين يمكن أن يستعمل لفظ الريب وأين يمكن استعمال لفظ الشك. ولكن من حيث الاشتقاق والمعنى يكاد الشك يكون ريباً إلا أن الشك هو بداية الريب كما يفضي الظن أحياناً إلى الإثم، يؤدي الشك أيضاً إذا زاد إلى الريب، وبهذا فالريب متضمن للشك ولكن الشك ليس متضمن للريب، وما يؤكد أن الشك ليس ريباً وأنه هو أوله قوله

<sup>1</sup> - التكاثر (05).

<sup>2</sup> - التكاثر (07).

تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكِّ مُرِيِبٍ﴾<sup>1</sup>، أي أن الشك يخالف الريب ولو كان نفسه لذكر لفظ واحد ولكن الشك قبل الريب وأوله وهذا يظهر في الترتيب.

يتضح من كلام ابن القيم أن الشك لا يكون مريباً إلا إذا صاحبه قلق واضطراب، وبهذا فالشك مبتدأ الريب، وليس كل شك ريب.

### 3- الفرق بين الحس والعلم :

الفرق بين العلم الحس: أن الحس هو أول العلم ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾<sup>2</sup> أي: علمه هو في أول وهلة، ولهذا لا يجوز أن يقال: إن الإنسان يحس بوجود نفسه، قلنا: فارس وتسمية العلم حساً وإحساساً مجاز، ويسمى بذلك لأنه يقع مع الإحساس، من قبيل الإدراك والآلات التي يدرك بها حواس: كالعين والأذن والأنف والفم.

والقلب ليس من الحواس، لأن العلم الذي يختص به ليس بإدراك، وإذا لم يكن العلم إدراكاً لم يكن محله حاسة، وسميت الحاسة حاسة على النسب لا على الفعل، لأنه لا يقال منه، حسست، وإنما يقال: حسستهم إذا أبدتهم قتلاً مستأصلاً، وحقيقته أنك تأتي على إحساسهم فلا تبقي لهم حساً<sup>3</sup>. من خلال هذا يتضح ان الفرق بين الحس والعلم أن الحس اسبق من العلم لأن الإنسان يدرك الأشياء بحواسه ثم ينشأ عنها العلم بها. وقد أشار ابن القيم إلى ذلك بقوله: قال ابن عقيل في مسألة: ما إذا ألقى في مركبهم نار و استوى الأمران عندهم، فيه روايتان،

<sup>1</sup> - سبأ (54).

<sup>2</sup> - آل عمران (52).

<sup>3</sup> - أبوهلال العسكري، الفروق اللغوية، ص 90 .

قال: واعلموا أن التقسيم والتفصيل ما لم تمس النار الجسد، فإن مسته فالإنسان بالطبع يتحرك إلى خارج منها، لأن طبع الحيوان الهرب من المحس ويغلب الحس على التأمل والنظر في العاقبة، فتصير النار دافعة له بالحس، والبحر ليس محسوسا أذاه له، لكن الغرق والمضرة معلومة والحس يغلب على العلم.

يبين هذا ما يشاهد من الضرب والوخز للإنسان الذي قد نصبت له خشبة ليصلب عليها أو حفر له بئر ليلقي فيها، فإنه يتقدم إلى الخشبة والبئر، لأن الضرر فيهما ليس بمحس، والوخز بالإنسان والضرب محس فهو أضرار ناجز واقع، وإذا أردت أن تعلم ذلك فانظر إلى وقوف الحي وحنوحه عن التحرك إذا تكافأ عنده الأمرين في الحس والعلم. بيانه: إنسان هجم عليه سبع على حرف نهر جار عميق وهو لا يحسن السباحة، فإنه لا محالة يتحرك نحو الماء راميا نفسه لأجل إلقاء السبع له وهجومه عليه، فلو هجم عليه من قبل وجهه سبع فالتفت فإذا وراءه سبع آخر وهما متساويان في الهجوم عليه لم يبق للطبع مهرب وتوازنت المكروهات، فإنه يقف مستسلما صامدا للبلاء، وكذلك تكافؤ كفة الميزان.

قلت: هذا صحيح من جهة الوهم والدهش، وإلا فلو كان عقله حاضرا معه لتكافأ عنده الأمران: المحسوس والمعلوم، وكثيرا ما يحضر الرجل عقله إذ ذاك فيتكافأ عنده المحسوس والمعلوم، فيستسلم لما لا صنع له فيه، ولا يعين على نفسه، ويحكم عقله على حسه، ويعلم أنه أن صبر كان له أجر من قتل، ولم يعن على نفسه وإن ألقى في الهلاك لم يكن من هذا الأجر على يقين، بل ولا يستلزم ذلك للإيمان بالثواب، بل إذا تصور حمد الناس له على صبره وعدم جزعه بإلقاء نفسه في الهلاك هربا مما لا بد له منه رأى الصبر أحمد عاقبة، وأنفع له أجلا، فمحكم في فمحكم العقل يقدم الصبر، ومحكم الحس يهرب من التلف إلى التلف، فليست الطباع في هذا متكافئة، والله أعلم<sup>1</sup>. فمن خلال هذا فقد تناول ابن القيم أولا مسألة الحس أسبق و أغلب من

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج3، ص ص 125، 126 .

العلم، والثانية مسألة تكافؤ الحس والعلم عندما توازنت وتساوت عنده المكروهات، وفي هذه الحال الحس لا يسبق العلم ولا العلم يسبق الحس، ويقدر ابن القيم أن محكم العقل ( العلم ) يقدم الصبر، ومحكم الحس يقدم الهلاك ما لم يسبق عليها الوهم والدهشة .

#### 4- الفرق بين الاستدلال والدلالة:

الفرق بين الاستدلال والدلالة: أن الدلالة ما يمكن الاستدلال به، والاستدلال فعل المستدل ولو كان الاستدلال والدلالة سواء لكان يجب أن لو صنع جميع المكلفين للاستدلال على حدث العالم أن لا يكون في العالم دلالة على ذلك<sup>1</sup>. إذن فالدلالة أعم من الاستدلال، وبهذا فالدلالة هي كل ما يكمن الاستدلال به من أدلة نصوص، أقوال، أفعال، أما الاستدلال فهو ذلك اختيار الفعل المناسب للمسألة من قول أو فعل أو نص فيستدل به.

وقد أشار ابن القيم إلى ذلك بقوله: الاستدلال شيء والدلالة شيء آخر، فلا يلزم من الغلط في أحدهما الغلط في الآخر، فقد يغلط في الاستدلال والدلالة صحيحة كما يستدل بنص منسوخ أو مخصوص على حكم، فهو دال عليه تناولا، والغلط في الاستدلال لا في الدلالة، وعكسه كما إذا استدللنا بالحیضة الظاهرة على براءة الرحم، فحكمنا بجلها للزوج ثم بانته حاملا، فالغلط هنا وقع في الدلالة نفسها لا في الاستدلال، فتأمل هذه الفروق<sup>2</sup>. فابن القيم يفرق بين الدلالة والاستدلال انطلاقا من الاستعمال أو التطبيق أو الفعل فيرى أنه يمكن أن تكون الدلالة صحيحة والاستدلال غلط لأن المستدل لم يحسن اختيار النص المناسب عند الاستدلال وإذا كان العكس وكان الغلط في الدلالة فهنا الرجوع إلى أصل المسألة وتحديد الدلالة المناسبة للاستدلال، وبالتالي الدلالة أصل لاستدلال وأعم منه.

<sup>1</sup> - أبوهلال العسكري، الفروق اللغوية، ص 70 .

<sup>2</sup> - ابن القيم ، بدائع الفوائد ، ج 4 ، ص 170 .

5- الفرق بين الحمد والمدح :

الفرق بين الحمد والمدح: أن الحمد يكون إلا على إحسان، والله حامد لنفسه على إحسانه إلى خلقه، فالحمد مضمن بالفعل، والمدح يكون بالفعل والصفة وذلك مثل أن يمدح الرجل بإحسانه إلى نفسه، وإلى غيره، وأن يمدحه بحسن وجهه وطول قامته، ويمدحه بصفات التعظيم ومن نحو، قادر، وعالم، وحكيم، ولا يجود أن يمدحه على ذلك، وإنما يمدحه على إحسان يقع منه فقط<sup>1</sup>. يتضح من الكلام أن الحمد لا يكون إلا لله عز وجل، والمدح يكون لعباده. وقد أشار ابن القيم إلى ذلك بقوله: الفرق بين الحمد والمدح أن يقال الإخبار عن محاسن الغير إما أن يكون إخباراً مجرداً من حب وإرادة، أو مقروناً بحبه وإرادته، فإن كان الأول فهو المدح وإن كان الثاني فهو الحمد، فالحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه، ولهذا كان خبراً يتضمن الإنشاء، بخلاف المدح فإنه خبر مجرد، فالقائل إذا قال: الحمد لله، أو قال: ربنا لك الحمد تضمن كلامه الخبر عن كل ما يحمد عليه تعالى باسم جامع محيط متضمن لكل فرد من أفراد الحمد المحققة والمقدرة، وذلك يستلزم إثبات كل كمال يحمد عليه الرب تعالى، ولهذا لا تصلح هذه اللفظة على هذا الوجه ولا ينبغي إلا لمن هذا شأنه وهو الحميد المجيد.

ولما كان هذا المعنى مقارناً للحمد لا تقوم حقيقته إلا به؛ فسره من فسره بالرضى والمحبة وهو تفسير له بجزء مدلوله، بل هو رضاء ومحبة ومقارنة للثناء، ولهذا السر والله أعلم جاء فعله على بناء الطباع والغرائز، فليل حمد لتضمنه الحب الذي هو بالطباع والسجايا أولى وأحق من فهم وحذر وسقم ونحوه، بخلاف الإخبار المجرد عن ذلك وهو المدح، فإنه جاء على وزن فعل، فقالوا مدحه لتجرد معناه من معاني الغرائز والطباع، فتأمل هذه النكتة البديعة، وتأمل الإنشاء الثابت في قولك: ربنا لك الحمد، وقولك: الحمد لله، كيف تجده تحت هذه الألفاظ، ولذلك لا

<sup>1</sup> - أبوهلال العسكري، الفروق اللغوية، ص 50.

يقال موضعها المدح لله تعالى ولا ربنا لك المدح، وسره ما ذكرت لك من الأخبار بمحاسن المحمود إخبارا مقترنا بحبه وإرادته وإجلاله وتعظيمه.

فإن قلت: فهذا ينقض قولكم: إنه لا يمتنع أن يحمد الله تعالى من شاء من خلقه، فإن الله تعالى لا يتعاضمه شيء ولا يستحق التعظيم غيره، فكيف يعظم أحدا من عباده؟. قلت: المحبة لا تنفك عن تعظيم وإجلال للمحبوب ولكن يضاف إلى كل ذات بحسب ما تقتضيه خصائص تلك الذات فمحبة العبد لربه تستلزم إجلاله وتعظيمه، وكذلك محبة الرسول تستلزم توقيره وتعزيه وإجلاله، وكذلك محبة الوالدين والعلماء وملوك العدل، وأما محبة الرب عبده فإنها تستلزم إعزازه لعبده وإكرامه إياه والتنويه بذكره وإلقاء التعظيم والمهابة له في قلوب أوليائه، فهذا المعنى ثابت في محبته وحمده لعبده سمي تعظيما وإجلالا أو لم يسم.

ألا ترى أن محبته سبحانه لرسله كيف اقتضت أن نوه بذكرهم في أهل السماء والأرض ورفع ذكرهم على ذكر غيرهم وغضب على من لم يحبهم ويوقرهم ويجلهم، وأحل به أنواع العقوبات في الدنيا والآخرة، وجعل كرامته في الدنيا والآخرة لمحبيهم وأنصارهم وأتباعهم، أولا ترى كيف أمر عباده وأوليائه بالصلاة التي هي تعظيم وثناء على خاتمهم وأفضلهم صلوات الله عليه وسلامه؟ أفليس هذا تعظيما لهم وإعزازا وإكراما وتكريما؟<sup>1</sup>. يتضح من كلام ابن القيم أن الفرق بين الحمد والمدح أن كلا منها يتضمن الإخبار عن محاسن الغير، فإن كانت هذه المحاسن نابعة عن حب وإرادة فهو حمد، وأن كانت خالية من ذلك فهو مدح، ثم فصل ابن القيم في ذلك بقوله: أن الحب يتم عند ذكر محاسن الغير الإجلال والتعظيم وهذا لا يكون إلا لله جلا وعلا بخلاف المدح الذي يكون مجردا من الحب والإرادة. ويضيف قائلا .

<sup>1</sup> - ابن القيم ، بدائع الفوائد، ج 2، ص ص 76-79.



## 6- الفرق بين الحمد والمدح وبين الشاء والمجد:

فإن قيل: فقد ظهر الفرق بين الحمد والمدح واستبان صبح المعنى وأسفر وجهه، فما الفرق بينهما وبين الشاء والمجد الفرق بين الحمد والمدح وبين الشاء والمجد؟.

قيل قد تعدينا طورنا فيما نحن بصدده، ولكن نذكر الفرق تكميلاً للفائدة، فنذكر تقسيماً جامعاً لهذه المعاني الأربعة أعني الحمد والمدح والثناء والمجد فنقول: الإخبار عن محاسن الغير له ثلاث اعتبارات: اعتبار من حيث المخبر به، واعتبار من حيث الإخبار عنه بالخبر، واعتبار من حيث حال المخبر. فمن حيث الاعتبار الأول ينشأ التقسيم إلى الحمد والمجد، فإن المخبر به إما أن يكون من أوصاف العظمة والجلال والسعة وتوابعها، أو من أوصاف الجمال والإحسان وتوابعها، فإن كان الأول فهو المجد، وإن كان الثاني فهو الحمد، وهذا لأن لفظ "م ج د" في لغتهم يدور على معنى الاتساع والكثرة، فمنه قولهم: أجد الدابة علفاً، أي أوسعها علفاً، ومنه مجد الرجل فهو ماجد، إذا أكثر خيره وإحسانه إلى الناس. قال الشاعر:

أنت تكون ماجد نبيل إذا تهب شمال بليلى

ومنه قولهم: "في شجر النار واستمجد المرخ والعفران" أي كثرت النار فيهما، ومن حيث اعتبار الخبر نفسه ينشأ التقسيم إلى الشاء والحمد، فإن الخبر عن المحاسن إما متكرر أو لا. فإن تكرر فهو الشاء، وإن لم يتكرر فهو الحمد، فإن الشاء مأخوذ من الثني وهو العطف، ورد الشيء بعضه على بعض، ومنه ثنيت الثوب ومنه التثنية في الاسم فالمثنى مكرر لمحاسن من يثنى عليه مرة بعد مرة، ومن جهة اعتبار حال المخبر ينشأ التقسيم إلى المدح والحمد، فإن المخبر عن محاسن الغير إما أن يقتنر بإخباره حب له وإجلال أو لا، فإن اقتنر به الحب فهو الحمد وإلا فهو المدح، فحصل هذه الأقسام وميزها، ثم تأمل تنزيل قوله تعالى فيما رواه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يقول: "العبد الحمد لله رب العالمين، فيقول الله: حمدي عبدي، فإذا قال:

الرحمن الرحيم قال: أثنى علي عبدي " لأنه كرر حمده. فإذا قال "مالك يوم الدين، قال مجدي عبدي"<sup>1</sup> فإنه وصفه بالملك والعظمة والجلال، فاحمد الله على ما ساقه إليك من هذه الأسرار والفوائد عفوا لم تسهر فيها عينك ولم يسافر فيها فكرك عن وطنه ولم تتجرد في تحصيلها عن مألوفاتك، بل هي عرائس معان تجلى عليك وتزف إليك، فلك لذة التمتع بها ومهرها على غيرك، لك غنمها وعليه غرمها<sup>2</sup>.

يتضح من كلام ابن القيم أنه قسم الفرق بين الحمد والمدح وبين الثناء والمجد على ثلاثة اعتبارات كالتالي: الاعتبار الأول: من حيث المخبر به وهو الفرق بين الحمد والمجد: فالمجد يتضمن أوصاف العظمة والجلال والسعة وتوابعها، أما الحمد من أوصاف الجمال والإحسان وتوابعها. والاعتبار الثاني: من الإخبار عنه بالخبر وهو الفرق بين الثناء والحمد وهو الإخبار عن المحاسن فإن تكررت فهو الثناء، وإن لم يتكرر فهو الحمد. والاعتبار الثالث: من حيث جال المخبر: هو الفرق بين المدح والحمد: فإن المخبر عن محاسن الغير فإن قترن إخباره بحب وإجلال فهو الحمد وإن لم اقترن به الحب فهو المدح.

### 7- الفرق بين يفترقان ويتفرقان:

جاء في لسان العرب أن: التفرق والافتراق سواء، ومنهم من يجعل التفرق للأبدان والافتراق في الكلام، يقال فرقت بين الكلامين فافترقا، وفرقت بين الرجلين فتفرقا<sup>3</sup>. أي الافتراق خاص الكلام والتفريق خاص بالأجسام. وقد أشار ابن القيم إلى ذلك بقوله: قال أبو عمر غلام شعبة سأل أبو موسى أبا العباس يعني ثعلبا هل بين يفترقان ويفترقان خلاف قال نعم

<sup>1</sup> - رواه مسلم، رقم الحديث: 395 . وغيره .

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 2، ص ص 76-79 .

<sup>3</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج 10، ص 300.

أخبرنا ابن الأعرابي عن المفضل قال يقال افترقا بالكلام وتفرقا بالأجسام<sup>1</sup>. إذن يتفرقان خاص بالأجسام، ويفترقان خاص الكلام.

### 8- الفرق بين المرُضِع والمرُضِعة:

يوجد هذا اللفظ في مادة رَضَعَ في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي بمعنى رَضَعَ الصبي رِضَاعًا وَرِضَاعَةً، أي مص الثدي وشرب وأرضعته أمه، أي سقته فهي مرضعة بفعلها، ومُرْضِعٌ أي: ذات رَضِيعٍ ويجمع الرضيع على رُضِعٍ، وراضع على رَضَعٍ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لو لا بهائم رَتَّع، وأطفال رَضَع، ومشايخ رَكَّع، لصب عليكم العذاب صبًّا». ويقال رَضِيعٌ وراضِعٌ. ويقال: الرضاعة من المجاعة، أي إذا جاع أشبعه اللبن لا الطعام.

ورضع الرجل يرضعُ رضاعَةً فهو رَضِيعٌ راضِعٌ: لثيم، وقوم راضعون وَرِضَعَةٌ. يقال لأنه يرضع لبن ناقته من لؤمه، والراضعتان من السن، اللتان شرب عليهما اللبن وهما الشيتان المتقدمتان والمتقدمتا الأسنان كلها. والروضع، الأسنان التي تطلع في فم المولود في وقت رِضَاعِهِ<sup>2</sup>.

وجاء في مقاييس اللغة: رضع: الرء والضاد والعين أصل واحد، وهو شرب اللبن من الضرع أو الثدي. تقول رضع المولود يرضع. ... ويقال امرأة مرضع، إذا كان لها ولد ترضعه. فإن وصفتها بإرضاعها الولد قلت مرضعة. قال جل ثناءه: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾<sup>3</sup><sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 4، ص 177 .

<sup>2</sup> - الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ت عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ج 2، صص 123-124 .

<sup>3</sup> - المحج (02).

<sup>4</sup> - ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 2، ص 400.

وجاء في لسان العرب: المرزعة التي ترضع وتديها في في ولدها وعليه قوله تذهل كل مرزعة، وقال وكل مرزعة كل أم. قال والمرضع التي دنا لها أن ترضع ولم ترضع بعد. والمرضع: التي معها الصبي الرضيع. وقال الخليل امرأة مرضع ذات رضيع<sup>1</sup>. يتضح من هذه التعريفات أن هناك فرق بين مرضع ومرزعة فالأولى تدل التي لها ولد ترضعه أما مرزعة فهي التي باشرت فعل الرضاعة بإلقامها تديها لولدها. وقد أشار ابن القيم إلى ذلك بقوله:

أن المرزُوع من لها ولد ترضعه والمرزعة من ألقمت الثدي للرضيع، يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾<sup>2</sup>، أي أن المرأة قد تذهل عما ترضع إذا كان غير مباشر للرضاعة، فإذا ألقمت المرزعة تديها للرضيع وباشر الرضاعة أو الرضاع لم تستطع المرزُوع أن تذهل عنه إلا باشتغالها بأمر أعظم من الرضاعة<sup>3</sup>.

يقول أيضا: "وتأمل رحمك الله تعالى السر البديع في عدوله سبحانه عن كل حامل إلى قوله ذات حمل، فإن الحامل قد تطلق على المهية للحمل وعلى من هي في أول حملها ومباده، فإذا قيل ذات حمل لمن يكن إلا لمن ظهر حملها وصلح للوضع كاملاً أو سقطاً، كما يقال ذات ولد، فأتى في المرزعة بالتاء التي تحقق فعل الرضاعة دون التهيؤ لها، واتى في الحامل بالسبب الذي يحقق وجود الحمل وقبوله للوضع والله سبحانه وتعالى أعلم"<sup>4</sup>.

يعطي ابن القيم، في هذا القول مثال لبيان الفرق أكثر، فإذا قلت ذات ولد وهي التي لها ولد ترضعه، وأما دخول التاء على المرزعة، فذلك لتحقيق فعل الرضاع دون التهيؤ والاستعداد له، وكذلك تقول ذات حمل لمن كان حملها جاهز للوضع دون التهيؤ له.

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص 127.

<sup>2</sup> - الحج (02).

<sup>3</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج4، ص17.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج4، ص17.

خامسا: دلالة سياق الكلمات المفردة:

### 1-معاني لفظ شهد:

جاء في أساس البلاغة للزمخشري قوله: "شهد: شهدته وشاهدته، وشوهدت منه حال جميلة. ومجلس مشهود. وكلمته على رؤوس الأشهاد، وهم شهودي وشهادتي، والله يشهد لي، ولا استشهده كاذبا، وهو من أهل المشهد والمشاهدة، وشهدت بكذا وشهدت عليه، وأشهدني فلان "والله على كل شيء شهيد" <sup>1</sup>.

أما في قاموس المحيط ف جاء بمعنى : شاهده، سمعه، شهود: حضره ، فهو شاهد ، ج : شهود وشُهِدَ، وشهد لزيد بكذا شهادة :أدى ما عنده من الشهادة، فهو شاهد، ج : شهد ، بالفتح، ج شهود وأشهاد، واستشهده : سأله أن يشهد، والشهيد، وتكسر شينه، الشاهد ، والأمين في شهادة، والذي لا يغيب عن علمه شيء <sup>2</sup>.

من خلال هذه التعريفات للفظة شهد يتضح أن تعني الحضور والمشاهدة ذلك الحدوث بالتالي فهي شهادة على ذلك. وقد أشار ابن القيم إلى ذلك قوله: شهد في لسانهم لها معان أحدها الحضور ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ <sup>3</sup> وفيه قولان: أحدهما من شهد المصر في الشهر والثاني من شهد الشهر في المصر وهما متلازمان.

والثاني الخبر، ومنه "شهد عندي رجال مرضيون، وأرضاهم عندي عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "نهي عن الصلاة بعد العصر وبعد الصبح" <sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - الزمخشري، أساس البلاغة، ج1، ص 527 .

<sup>2</sup> - الفيروزآبادي، قاموس المحيط ، ص 292 .

<sup>3</sup> - البقرة (185).

<sup>4</sup> - رواه البخاري، رقم الحديث 581، ومسلم، رقم الحديث 826.

والثالث الإطلاع على الشيء . ومنه قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾<sup>1</sup>  
 وإذا كان كل خبر شهادة، فليس مع من اشترط لفظ الشهادة فيها دليل من كتاب، ولا سنة ولا  
 إجماع ولا قياس صحيح وعن أحمد فيها ثلاث روايات: إحداهن: اشترط لفظ الشهادة .

**والثانية:** الاكتفاء بمجرد الإخبار، اختارها شيخنا .

**والثالثة:** الفرق بين الشهادة على الأقوال، وبين الشهادة على الأفعال.

فالشهادة على الأقوال لا يشترط فيها لفظ الشهادة، وعلى الأفعال يشترط، لأنه إذا قال  
 سمعته يقول، فهو بمنزلة الشاهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يخبر عنه<sup>2</sup>.

يتضح من كلام ابن القيم أن لفظة شهد لديها عدة معاني متقاربة فيما بينها فمنها  
 الحضور، والإخبار، والإطلاع على الشيء وعيها ثلاث آراء: منها من أطلق عليها من الفقهاء  
 لفظ الشهادة، ومنها من اكتفى بمجرد الإخبار، ومنها الفرق بين الشهادة على الأقوال والشهادة  
 على الأفعال، فالشهادة تشترط في الأفعال ولا تشترط في الأقوال.

## 2- معاني أسماء الأيام:

جاء في قاموس المحيط: اليوم : مح : أيام . ويوم أيوم ويوم، كفرح، وووم وذو أيام وذو  
 أيويم: شديد، أو آخر يوم في شهر . وأيام الله نعمه<sup>3</sup> .

وقال ابن فارس في مقاييس اللغة: الياء والواو والميم : كلمة واحدة ، وهي اليوم: الواحد من  
 الأيام ، ثم يستعيرونه في الأمر العظيم ويقولون نعم فلان في اليوم إذا نزل ، وأنشد :

نعم أخو الهيجاء في اليوم اليمِي

<sup>1</sup> - المجادلة (06).

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 18 .

<sup>3</sup> - الفيروزآبادي، قاموس المحيط، ص 1173.

وقال قوم: هو مقلوب كان في اليوم: والأصل في أيام أيوم، لكنه أدغم<sup>1</sup>. وقد أشار ابن القيم إلى ذلك بقوله:

لما كانت الأيام متماثلة لا يتميز يوم من يوم بصفة نفسية ولا معنوية، لم يبق تمييزها إلا بالأعداد ولذلك جعلوا أسماء أيام الأسبوع مأخوذة من العدد نحو الاثنين والثلاثاء والأربعاء، أو بالأحداث الواقعة فيها كيوم بعث، ويوم بدر، ويوم الفتح، ومنه يوم الجمعة، وفيه قولان:

أحدهما: لاجتماع الناس فيه للصلاة.

والثاني: وهو الصحيح لأنه اليوم الذي جمع فيه الخلق وكمل، وهو اليوم الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين لفصل القضاء.

وأما يوم السبت فمن القطع كما تشعر به هذه المادة، ومن السبب لانقطاع الحيوان فيه عن التحرك والمعاش. والنعال السبتية التي قطع عنها الشعر، وعلة السبب التي تقطع العليل عن الحركة والنطق، ولم يكن يوماً من أيام تخليق العالم بل ابتداء أيام التخليق الأحد وخاتمتها الجمعة هذا أصح القولين وعليه يدل القرآن، وإجماع الأمة على أن أيام تخليق العالم ستة فلو كان أولها السبت لكان سبعة.

وأما حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم في "صحيحه" "خلق الله التربة يوم السبت"<sup>2</sup>.

فقد ذكر البخاري في "تاريخه" أنه حديث معلول، وأن الصحيح أنه قول كعب وهو كما ذكر، لأنه يتضمن أن أيام التخليق سبعة والقرآن يرده.

واعلم أن معرفة أيام الأسبوع لا يعرف بحس ولا عقل، ولا وضع يتميز به الأسبوع عن غيره، وإنما يعلم بالشرع، ولهذا لا يعرف أيام الأسبوع إلا أهل الشرائع، ومن تلقى ذلك عنهم وجاورهم، وأما الأمم الذين لا يدينون بشريعة ولا كتاب فلا يتميز الأسبوع عندهم من غيره ولا

<sup>1</sup> - ابن فارس، مقاييس اللغة، ج6، صص 159، 160.

<sup>2</sup> - رواه مسلم، ص 2789.

أيامه بعضها من بعض، وهذا بخلاف معرفة الشهر والعام فإنه بأمر محسوس<sup>1</sup>. لقد ذكر ابن القيم أن الأيام لم تكن تتميز عن بعضها لم يكن هناك ما يميزها ولم يبق ما يميزها إلا الأعداد لذلك جعلوا أيام الأسبوع مأخوذة من العدد، أو الأحداث والوقعة فيها كالجمعة لاجتماع الناس فيه، وقيل اليوم الذي جمع الله فيه الخلق وكمل . أما يوم السبت فمن القطع وهو انقطاع الحيوانات من الحركة والمعاش وهو السبات. ليخلص في الأخير إلى أن أيام الأسبوع لا تعرف لا بالعقل ولا بالحس وإنما تعرف بالشرع ويعرفها أهل الشرائع.

### 3- معنى كلمة الكلام :

جاء في قاموس المحيط : الكلام : القول ، أو ما كان مكتفيا بنفسه، والكلمة اللفظة، والقصيدة، ج: كلم . وتكلم تكلماً وتكلاماً: تحدثا . وتكلما: تحدثا بعد تهاجر<sup>2</sup> .

كلم: الكاف واللام والميم أصلان : أحدهما يدل على نطق مفهم. الكلام تقول : كلمته أكلمه تكليماً؛ وهو كليمي إذا كلمك أو كلمته. ثم يتسعون فيسمون اللفظة الواحدة المفهمة كلمة، والقصة كلمة، والقصيدة بطولها كلمة. ويجمعون الكلمة كلمات. وكلما . قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾<sup>3</sup>،<sup>4</sup>. يتضح من هذه التعريفات أن الكلام هو القول وكل كلمة مفهومة لها معنى فهي كلام. وقد أشار إلى ذلك ابن القيم بقوله:

من كلام السهيلي: الكلام هو تعبير عما في نفس المتكلم من المعاني، فإذا أضمر ذلك المعنى في نفسه، أي أخفاه ودل المخاطب عليه بلفظ خاص سمي ذلك اللفظ ضميراً تسمية له باسم مدلوله .

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص 84،85 .

<sup>2</sup> - الفيروزآبادي، قاموس المحيط، ص 1155 .

<sup>3</sup> - النساء (46).

<sup>4</sup> - ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 5، ص 131 .



ولا يقال فكان ينبغي أن يسمى كل لفظ ضميراً على ما ذكرتم لأن هنا مراتب ثلاثة:

أحدها: المعنى المضمّر وهو حقيقة الرجل مثلاً .

والثاني: اللفظ المميز له عن غيره وهو زيد وعمرو .

والثالث: اللفظ المعبر عن هذا الاسم الذي إذا أطلق كان المراد به ذلك الاسم، بخلاف قولك زيد وعمرو فإنه ليس ثم إلا لفظ ومعنى، فخصوا اسم الضمير بما ذكرناه<sup>1</sup>. فابن القيم قد حدد معنى للكلام بقوله اللفظ المعبر به عن مراده بحيث إذا سمع فهم معناه، وهو عنده ثلاث مراتب: كلام مضمّر وهو حقيقة الرجل أي يفهم من كلامه الظاهر كلامه المضمّر. واللفظ المميز له عن غيره المفهوم معناه من النطق بالأسماء. واللفظ المعبر عن الاسم إذا أطلق تطابق الاسم مع مدلوله.

#### 4- معنى كلمة كل:

جاء في مقاييس اللغة: "كل" الكاف واللام أصول ثلاثة صحاح. فالأول يدل على خلاف الحدة، والثاني يدل على إطفاء شئ بشئ، والثالث عضو من الأعضاء. والإكليل: السحاب يدور بالمكان. سمي الإكليل لإطفائه بالرأس<sup>2</sup>.

سئل المبرد عنها فقال: جاء بقولهم لإحاطة الأجزاء، فقيل له: فأجمعون؟ فقال: لو جاءت كلهم لاحتمل أن يكون سجدوا كلهم في أوقات مختلفات فجاءت أجمعون لتدل أن السجود كان منهم كلهم في وقت واحد، فدخلت كلهم للإحاطة، ودخلت أجمعون لسرعة الطاعة. وقال ابن

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 85.

<sup>2</sup> - ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 5، ص 121.

الأثير :موضع الكل، الإحاطة بالجميع<sup>1</sup>. من خلال هذه التعريفات لكل يتضح أن معناه هو الإحاطة الشيء ومعرفته. وقد أشار ابن القيم إلى ذلك بقوله:

كل: لفظ دال على الإحاطة بالشيء، وكأنه من لفظ الإكليل والكلالة والكلمة مما هو في معنى الإحاطة بالشيء وهو اسم واحد في لفظه جمع في معناه ولو لم يكن معناه، معنى الجمع لما جاز أن يؤكد به الجمع، لأن التوكيد تكرر للمؤكد فلا يكون إلا مثله إن كان جمعا فجمع وإن كان واحدا فواحد. وحقه أن يكون مضافا إلى اسم منكر شائع في الجنس من حيث اقتضى الإحاطة، فإن أضيفته إلى معرفة كقولك: كل إخوتك ذاهب قبح إلا في الابتداء، لأنه إذا كان مبتدأ في هذا الموطن كان خبره بلفظ الإفراد تنبيها على أن أصله أن يضاف إلى نكرة، لأن النكرة شائعة في الجنس وهو أيضا يطلب جنسا يحيط به، فإما أن تقول كل واحد من إخوتك ذاهب، فيدل أفراد الخبر على المعنى الذي هو الأصل وهو إضافته إلى اسم مفرد نكرة، فإن لم يجعله مبتدأ وأضيفته إلى جملة معرفة كقولك: رأيت كل إخوتك وضريت كل القوم، لم يكن في الحسن بمنزلة ما قبله، لأنك لم تضيفه إلى جنس ولا معك في الكلام خبر مفرد يدل على معنى إضافته إلى جنس كما كان في قولهم: كلهم ذاهب وكل القوم عاقل، فإن أضيفته إلى جنس معرف باللام نحو قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهٖ مِنْ كُلِّ الشَّجَرَةِ﴾<sup>2</sup> حسن ذلك، لأن اللام للجنس لا للعهد ولو كانت للعهد لقبح كما إذا قلت خذ من كل الثمرات التي عندك لأنها إذا كانت جملة معرفة معهودة وأردت معنى الإحاطة فيها فالأحسن أن تأتي بالكلام على أصله، فتؤكد المعرفة بـ"كل" فتقول: خذ من الثمرات التي عندك كلها، لأنك لم تضطر عن إخراجها عن التوكيد كما اضطررت في النكرة حين قلت: لقيت كل رجل، لأن النكرة لا تؤكد، وهي أيضا شائعة في الجنس كما تقدم.

<sup>1</sup> - الزبيدي، تاج العروس، ج30، ص ص 337-339.

<sup>2</sup> - الأعراف (57).

فإن قيل: فإذا استوى الأمران كقولك: كل من كل الثمرات وكل من الثمرات كلها فلم  
اختص أحد النظمين بالقرآن في موضع دون موضع؟.

قيل: هذا لا يلزم لأن كل واحد منه فصيح ولكن لا بد من فائدة في الاختصاص .

أما قوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾<sup>1</sup>، فمن هاهنا لبيان الجنس لا  
للتبويض والمجورور في موضع المفعول لا في موضع الظرف، وإنما تريد الثمرات نفسها إلا أنه  
أخرج منها شيئاً وأدخل من لبيان الجنس كله، ولو قال أخرجنا به من الثمرات كلها لذهب  
الوهم إلى أن المجورور في موضع ظرف، وأن مفعول أخرجنا فيما بعد ولم يتوهم ذلك مع تقديم  
كل لعلم المخاطبين أن كلا إذا تقدمت تقتضي الإحاطة بالجنس، وإذا تأخرت وكانت توكيدا  
اقتضت الإحاطة بالمؤكد خاصة جنسا شائعا كان أو معهودا معروفا .

وأما قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾<sup>1</sup> ولم يقل من الثمرات كلها ففيها الحكمة  
التي في الآية قبلها، ومزيد فائدة وهو أنه تقدمها في النظم قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ  
وَالْأَعْنَابِ ﴾<sup>2</sup> فلو قال بعدها كلي من الثمرات كلها لذهب الوهم إلى أنه يريد الثمرات المذكورة  
قبل هذا، أعني ثمرات النخيل والأعناب، لأن اللام إنما تنصرف إلى المعهود فكان الابتداء بكل  
أحسن للمعنى وأجمع للجنس وأرفع للبس وأبدع في النظم، فتأمله .

وإذا قطعت عن الإضافة وأخذ عنها فحقها أن تكون ابتداء ويكون خبرها جمعا ولا بد من  
مذكورين قبلها، لأنها إن لم تذكر قبلها جملة ولا أضيف إلى جملة بطل معنى الإحاطة فيها  
ولم يعقل لها معنى، وإنما يجب أن يكون خبرها جمعا لأنها اسم في معنى الجمع، فتقول: كل  
ذاهبون إذا تقدم ذكر قوم، لأنك معتمد في المعنى عليهم وإن كنت مخبرا عن كل، فصارت

<sup>1</sup> - النحل (69).

<sup>2</sup> - النحل (67).

بمنزلة قولك رهط ذاهبون والنفر منطلقون، لأن الرهط والنفر اسمان مفردان ولكنهما في معنى الجمع.

والشاهد لما بيناه قوله سبحانه: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾<sup>1</sup> ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾<sup>2</sup> ﴿وَكُلٌّ كَانُوا ظَلِيمِينَ﴾<sup>3</sup> وإن كانت مضافة إلى ما بعدها في اللفظ لم تجد خبرها إلا مفردا للحكمة التي قدمتها قبل، وهي أن الأصل إضافتها إلى النكرة المفردة، فتقول كل إخوتك ذاهب، أي كل واحد منهم ذاهب ولم يلزم ذلك حين قطعها عن الإضافة فقلت: كل ذاهبون، لأن اعتمادها إذا أفردت على المذكورين قبلها وعلى ما في معناها من معنى الجمع، واعتمادها إذا أضيفتها على الاسم المفرد إما لفظا وإما تقديرا كقوله صلى الله عليه وسلم: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"<sup>4</sup> ولم يقل راعون ومسؤولون. ومنه كلكم سيروى. ومنه قول عمر: أو "كلكم يجد ثوبين" ولم يقل تجدون.

ومثله قوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾<sup>5</sup> وقال تعالى: ﴿كُلٌّ لَهُ قَلْبَتُونَ﴾<sup>6</sup> فجمع وقال تعالى: ﴿إِن كُلٌّ مِّنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾<sup>7</sup>، فإن

<sup>1</sup> - الأنبياء (33).

<sup>2</sup> - الأنبياء (93).

<sup>3</sup> - الأنفال (54).

<sup>4</sup> - رواه البخاري، ص 893، ومسلم، ص 1828.

<sup>5</sup> - الرحمن (26).

<sup>6</sup> - الروم (26).

<sup>7</sup> - مريم (93).

قيل فقد ورد في القرآن: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾<sup>1</sup> ﴿كُلُّ كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾<sup>2</sup> وهذا يناقض ما أصلتهم .

قيل: إن في هاتين الآيتين قرينة تقتضي تخصيص المعنى بهذا اللفظ دون غيره.

أما قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ فلأن قبلها ذكر فريقين مختلفين ذكر مؤمنين وظالمين، فلو قال يعملون وجمعهم في الإخبار عنهم لبطل معنى الاختلاف، فكان لفظ الأفراد أدل على المعنى المراد كأنه يقول كل فهو يعمل على شاكلته .

وأما قوله: ﴿كُلُّ كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾<sup>3</sup> فلأنه ذكر قرونا وأما وختم ذكرهم بذكر قوم تبع، فلو قال كل كذبوا، و"كل" إذا أفردت إنما تعتمد على أقرب المذكورين إليها، فكان يذهب الوهم إلى أن الإخبار عن قوم تبع خاصة بأنهم كذبوا الرسل، فلما قال كل كذب علم أنه يريد كل فريق منهم، لأن أفراد الخبر عن كل حيث وقع إنما يدل على هذا المعنى كما تقدم . ومثله : ﴿كُلُّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ﴾<sup>4</sup>

وأما قولنا في كل إذا كانت مقطوعة عن الإضافة فحقها أن تكون مبتدأة وإنما يريد أنها مبتدأة يخبر عنها، أو مبتدأة باللفظ منصوبة بفعل بعدها لا قبلها، أو مجرورة يتعلق خافضها بما بعدها نحو: ﴿وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسَيْنِ﴾<sup>4</sup>.

وقول الشاعر: بكل تداوينا

<sup>1</sup> - الإسراء (84).

<sup>2</sup> - ق (14).

<sup>3</sup> - البقرة (285).

<sup>4</sup> - النساء (95).

ويقبح تقديم الفعل العامل فيها إذا كانت مفردة كقولك: ضربت كلا ومررت بكل، وإن لم يقبح كلا ضربت وبكل مررت من أجل أن تقديم العامل عليها يقطعها عن المذكور قبلها في اللفظ، لأن العامل اللفظي له صدر الكلام وإذا قطعتها عما قبلها في اللفظ لم يكن لها شيء تعتمد عليه قبلها ولا بعدها فقبح ذلك.

وأما إذا كان العامل معنويا نحو كل ذاهبون فليس بقاطع لها عما قبلها من المذكورين لأنه لا وجود له في اللفظ، فإذا قلت: ضربت زيدا وعمرا وخالدا، وشتمت كلا وضربت كلا، لم يجز ولم يعد بخبر لما قدمناه.

إذا عرفت هذا فقولك: كل إخوتك ضربت سواء رفعت أو نصبت يقتضي وقوع الضرب بكل واحد منهم، وإذا قلت: كل إخوتك ضربني، يقتضي أيضا أن كل واحد منهم ضربك، فلو قلت: كل إخوتي ضربوني وكل القوم جاءوني، احتمل ذلك، واحتمل أن يكونوا اجتمعوا في الضرب والمجيء، لأنك أخبرت عن جملتهم بخبر واقع عن الجملة، بخلاف قولك: كل إخوانك جاءني، فإنما هو إخبار عن كل واحد منهم، وأن الإخبار بالمجيء عنهم جميعهم، فتأمل على هذا قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾<sup>1</sup>، كيف أفرد الخبر لأنه لم يرد اجتماعهم فيه، وقال تعالى: ﴿كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾<sup>2</sup> فجمع لما أريد الاجتماع في المجيء، وهذا أحسن مما تقدم من الفرق فتأمل.

ولا يرد على هذا قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونَ﴾<sup>3</sup>، بل هو تحقيق له وشاهد، لأن القنوت هنا هو العبودية العامة

<sup>1</sup> - الإسراء (84).

<sup>2</sup> - الأنبياء (93).

<sup>3</sup> - البقرة (116).

التي تشترك فيها أهل السموات والأرض لا يختص بها بعضهم عن بعض، ولا يختص بزمان دون زمان وهي عبودية القهر. فالقنوت هنا قنوت قهر وذل لا قنوت طاعة ومحبة، وهذا بخلاف قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾<sup>1</sup> فإنه أفرد لما لم يجتمعوا في الفناء.

ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم: "وكلكم مسؤول عن رعيته"، فإن الله يسأل كل راع بمفرده.

ومما جاء مجموعا لاجتماع الخبر قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾<sup>2</sup> وما أفرد لعدم اجتماع الخبر قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾<sup>3</sup> وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾<sup>4</sup> إِنَّ كُلًّا إِلاَّ كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾<sup>5</sup> فأفرد لما لم يجتمعوا في التكذيب.

ونظيره في سورة ق: ﴿كُلُّ كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾<sup>6</sup> وتأمل كيف كشف قناع هذا المعنى وأوضحه كل الإيضاح بقوله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾<sup>7</sup> كيف أفرد آتية لما كان المقصود الإشارة إلى أنهم وإن أتوه جميعا فكل واحد منهم منفرد عن كل فريق من صاحب أو قريب أو رفيق بل هو وحده منفرد، فكأنه إنما أتاه وحده وإن أتاه مع غيره لانقطاع

<sup>1</sup> - الرحمن (26).

<sup>2</sup> - الأنبياء (33).

<sup>3</sup> - ص (12-14).

<sup>4</sup> - ق (14).

<sup>5</sup> - مريم (95).

تبعيته للغير وانفراده بشأن نفسه، فهذا عندي أحسن من الفرق بالإضافة وقطعها. والفرق بذلك فرقه السهيلي رحمه الله تعالى فتأمل الفرقين و استقرأ الأمثلة والشواهد<sup>1</sup>.

يتضح من هذا الكلام أن ابن القيم أعطى مفهوما لكل الذي معناه الإحاطة وهو اسم واحد في لفظه وجمع في معناه. و يفيد التوكيد ، وقد فصل ابن القيم في ذلك من خلال استعراضه لعدد من السياقات التي وردت في القرآن وماذا أفادت كل وما معناها بحسب الموضع الذي وردت فيه فقد وردت في سياق الجمع ووردت في سياق الأفراد وبهذا يتضح معنى كل .

### 5- معنى كلمة عرفت:

جاء في تاج العروس: قول الراغب: المعرفة والعرفان : إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره، فهي أخص من العلم، ويضاده الإنكار.

وعرفه يعرفه معرفة، وعرفانا، بكسرتين مشددة الفاء: عِلْمَه . ويقال: فلان يعرف الله ورَسُولَه، ولا يقال: يعلم الله متعديا إلى مفعول واحد لما كان معرفة البشر لله تعالى وهو تدبر آثار دون إدراك ذاته، ويقال: الله يعلم كذا ، ولا يقال: يعرف كذا؛ لما كانت المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصل إليه بتفكر<sup>2</sup>.

عرف: العرفان: العلم؛ قال ابن سيده: وينفصلان بتحديد لا يليق بهذا المكان، عرفه يعرفه عِرْفَة وعِرْفَانَا وعِرْفَانَا ومعرفة ؛ قال أبو ذؤيب يصف سحابة:

مرته النعامي، فلم يعترف      خلاف النعامي من الشام يحا

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1 ، ص ص 192 - 196 .

<sup>2</sup> - الزبيدي، تاج العروس، ج 24 ، ص 133 .



ورجل عروف وعروفة: عارف يعرف الأمور ولا ينكر أحدا رآه مرة، والهاء في عروفة للمبالغة . والعريف والعارف بمعنى مثل عليم وعالم؛ قال طريف بن مالك العنبري، وقيل طريف بن عمرو:

أوكلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا إليّ عريفهم يتوسم

أي عارفهم<sup>1</sup>.

ومن خلال هذه التعريفات يتضح معنى عرفت التي تعني إدراك الشيء بالتفكير والتدبير، وهي أدق وأخص من العلم، وتعني كذلك العلم بالشيء. وقد أشار ابن القيم إلى ذلك بقوله: قولهم: عرفت كذا أصل وضعها لتمييز الشيء وتعيينه حتى يظهر للذهن منفردا عن غيره وهذه المادة تقتضي العلو والظهور، كعرف الشيء لأعلاه ومنه الأعراف، ومنه عرف الديك، وأما علمت فموضوعة للمركبات لا لتمييز المعاني المفردة، ومعنى التركيب فيها إضافة الصفة إلى المحل، وذلك أنك تعرف زيدا على حدته، وتعرف معنى القيام على حدته ثم تضيف القيام إلى زيد، فإضافة القيام إلى زيد هو التركيب وهو متعلق العلم.

فإن قلت: علمت فمطلوبها ثلاثة معان محل وصفة وإضافة الصفة إلى المحل، وهن ثلاث معلومات، إذا عرفت هذا فقال بعض المتكلمين: لا يضاف إلى الله سبحانه إلا العلم لا المعرفة، لأن علمه متعلق بالأشياء كلها مركبها ومفردا تعلقا واحدا، بخلاف علم المحدثين فإن معرفتهم بالشيء المفرد وعلمهم به غير علمهم ومعرفتهم لشيء آخر، وهذا بناء منه على أن الله تعالى يعلم المعلومات كلها بعلم واحد، وأن علمه بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عين علمه بكذب مسيلمة الكذاب والذي عليه محققو النظر خلاف هذا القول، وأن العلوم متكثرة متغايرة بتكثر المعلومات وتغايرها، فلكل معلوم علم يخصه ولإبطال قول أولئك وذكر الأدلة الراجحة على صحة قول هؤلاء مكان هو أليق به، وعلى هذا فالفرق بين إضافة العلم إليه تعالى وعدم إضافة

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص 236 .

المعرفة لا ترجع إلى الأفراد والتركيب في متعلق العلم، وإنما ترجع إلى نفس المعرفة ومعناها فإنها في مجاري استعمالها إنما تستعمل فيما سبق تصوره من نسيان أو ذهول أو عزوف عن القلب، فإذا تصور وحصل في الذهن قيل عرفه أو وصف له صفته ولم يره، فإذا رآه بتلك الصفة وتعينت فيه قيل عرفه ألا ترى أنك إذا غاب عنك وجه الرجل ثم رأيته بعد زمان فتبينت أنه هو، قلت: عرفته، وكذلك عرفت اللفظة، وعرفت الديار، وعرفت المنزل، وعرفت الطريق.

وسر المسألة: أن المعرفة لتمييز ما اختلط فيه المعروف بغيره فاشتبه، فالمعرفة تمييز له وتعيين، ومن هذا قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾<sup>1</sup>، فإنهم كان عندهم من صفته قبل أن يروه ما طابق شخصه عند رؤيته وجاء كما يعرفون أبناءهم من باب ازدواج الكلام وتشبيه أحد اليقينين بالآخر، فتأمله وقد بسطنا هذا في كتاب التحفة المكية وذكرنا فيها من الأسرار والفوائد ما لا يكاد يشتمل عليه مصنف. وأما ما زعموا من قولهم: إن علمت قد يكون بمعنى عرفت واستشهادهم بنحو قوله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾<sup>2</sup> وبقوله: ﴿وَعَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾<sup>3</sup> فالذي دعاهم إلى ذلك أنهم رأوا "علمت" قد تعدت إلى مفعول واحد، وهذا هو حقيقة العرفان، فاستشهاد ظاهر، على أنه قد قال بعض الناس: أن تعدي فعل العلم في هذه الآيات وأمثالها إلى مفعول واحد لا يخرجها عن كونها علما على الحقيقة، فإنها لا تتعدى إلى مفعول واحد على نحو تعدي عرفت، ولكن على جهة الحذف والاختصار، فقوله: "لا تعلمهم نحن نعلمهم" لا تنفي عنه معرفة أعيانهم وأسمائهم، وإنما تنفي عنه العلم بعدوانهم ونفاقهم، وما تقدم من الكلام يدل على ذلك.

<sup>1</sup> - البقرة (146).

<sup>2</sup> - التوبة (101).

<sup>3</sup> - الأنفال (60).

وكذلك قوله: ﴿وَعَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾<sup>1</sup> فرما كانوا يعرفونهم ولا يعلمونهم أعداء لهم فيتعلق العلم بالصفة المضافة إلى الموصوف لا بعينه وذاته، قال هذا، وإنما مثل من يقول إن علمت بمعنى عرفت من أجل أنها متعدية إلى مفعول واحد في اللفظ، كمثّل من يقول إن سألت يتعدى إلى غير العقلاء بقولهم سألت الحائط وسألت الدار، ويحتج بقوله: ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾<sup>2</sup> قال: وإنما هذا جهل بالمجاز والحذف، وكذلك ما تقدم، وليس ما قاله هؤلاء بقوي، فإن الله سبحانه نفى عن رسوله معرفة أعيان أولئك المنافقين هذا صريح اللفظ، وإنما جاء نفي معرفة نفاقهم من جهة اللزوم فهو صلى الله عليه وسلم كان يعلم وجود النفاق في أشخاص معينين، وهو موجود في غيرهم ولا يعرف أعيانهم، وليس المراد أن أشخاصهم كانت معلومة له معروفة عنده وقد انطوا على النفاق وهو لا يعلم ذلك فيهم، فإن اللفظ لم يدل على ذلك بوجه.

والظاهر بل المتعين أنه صلى الله عليه وسلم لو عرف أشخاصهم لعرفهم بسيماهم وفي لحن القول، ولم يكن يخفى عليه نفاق من يظهر له الإسلام ويبطن عداوته وعبادة الله عز وجل، والذي يزيد هذا وضوح الآية الأخرى، فإن قوله: ﴿تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَعَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ﴾<sup>3</sup> فيهم قولان: أحدهما: أنهم الجن المظاهرون لأعدائهم من الإنس على محاربة الله ورسوله.

وعلى هذا: فالآية نص في أن العلم فيها بمعنى المعرفة، ولا يمكن أن يقال إنهم كانوا عارفين بأشخاص أولئك جاهلين عداوتهم كما أمكن مثله في الإنس.

<sup>1</sup> - الأنفال (60).

<sup>2</sup> - يوسف (82).

<sup>3</sup> - الأنفال (60).

والقول الثاني: أنهم المنافقون، وعلى هذا فقوله: "لا تعلمونهم" إنما ينبغي حمله على معرفة أشخاصهم لا على معرفة نفاقهم، لأنهم كانوا عالمين بنفاق كثير من المنافقين يعلمون نفاقهم ولا يشكون فيه فلا يجوز أن ينفي عنهم علم ما هم عالمون به، وإنما ينفي عنهم معرفة أشخاص من هذا الضرب، فيكون كقوله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾<sup>1</sup> فتأمله<sup>2</sup>. و يتضح من كلام ابن القيم أن معنى لفظة عرفت هي التمييز، وتعينه حتى يظهر عن غيره من الأشياء، وقد فصل ابن القيم في هذا من خلا تلك السياقات التي ساقها، والتي تثبت لنا أن معنى عرفت وردت في مواضع على أنها العلم، وودر العلم في بعض المواضع بمعنى عرفت، و هذا بحسب السياق الذي ترد فيه.

#### 6- معنى الاستعادة:

جاء في قاموس المحيط: العوذُ : الإلتجاء، كالعياذ والمعاذ والمعادة والتعوذ والإستعادة،...والعوذُ بالتحريك: الملجأ، كالمعاذ والعياذ<sup>3</sup>.

وجاء في لسان العرب :عوذ : عاذ به يعوذ عواذا و عياذا ومعادا:لاذبه ولجأ إليه واعتصم. ومعاذ الله أي عياذا بالله. قال الله عز وجل: "معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده" يوسف؛ أي نعوذ بالله معادا أن نأخذ غير الجاني بجنايته.و المعاذ : المصدر والمكان والزمان أي قد لجأت إلى ملجأ ولذت بملاذ. والله عز وجل معاذ من عاذ به وملجأ من لجأ إليه، والملاذ مثل المعاذ؛ وهو عياذي أي ملجئي. وعدت بفلان واستعدت به أي لجأت إليه<sup>4</sup>. يتضح من هذه التعريفات أن معنى العوذ هو الإلتجاء والولوذ إلى ملجأ يحمي ويعصم من الشيء المستعاد منه .

<sup>1</sup> - التوبة (101).

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج2، ص ص 51-53 .

<sup>3</sup> - الفيروزآبادي، القاموس المحيط ، ص 335 .

<sup>4</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج 3 ، ص 498 .

وقد أشار ابن القيم إلى ذلك بقوله: اعلم أن لفظ "عاذ" وما تصرف منها يدل على التحرز والتحصن والنجاة، وحقيقة معناها الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه، ولهذا يسمى المستعاذ به: معاذاً، كما يسمى ملجأً ووزراً.

وفي الحديث: أن ابنة الجون لما أدخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها، قالت: أعوذ بالله منك، فقال لها: "قد عدت بمعاذ الحقي بأهلك"<sup>1</sup> فمعنى أعوذ ألتجىء، واعتصم وأتحرز، وفي أصله قولان أحدهما أنه مأخوذ من الستر.

**والثاني:** أنه مأخوذ من لزوم المجاورة. فأما من قال إنه من الستر، قال العرب تقول للبيت الذي في أصل الشجرة التي قد استتر بها عوذ بضم العين وتشديد الواو وفتحها، فكأنه لما عاذ بالشجرة واستتر بأصلها وظلها سموه عوداً، فكذلك العائد قد استتر من عدوه بمن استعاذ به منه واستجن به منه.

ومن قال هو لزوم المجاورة، قال العرب تقول للحم إذا لصق بالعظم فلم يتخلص منه "عوذ" لأنه اعتصم به واستمسك به فكذلك العائد قد استمسك بالمستعاذ به، واعتصم به ولزمه. والقولان حق، والاستعاذة تنتظمهما معاً، فإن المستعيز مستتر بمعاذه متمسك به معتصم به، قد استمسك قلبه به ولزمه كما يلزم الولد أباه إذا أشهر عليه عدوه سيفاً وقصده به، فهرب منه فعرض له أبوه في طريق هربه، فإنه يلقي نفسه عليه ويستمسك به أعظم استمساك، فكذلك العائد قد هرب من عدوه الذي يبغى هلاكه إلى ربه ومالكه، وفر إليه وألقى نفسه بين يديه واعتصم به واستجار به والتجأ إليه.

وبعد فمعنى الاستعاذة القائم بقلبه وراء هذه العبارات، وإنما هي تمثيل وإشارة وتفهم، وإلا فما يقوم بالقلب حينئذ من الالتجاء والاعتصام و الإنطراح بين يدي الرب والافتقار إليه والتذلل

<sup>1</sup> - رواه البخاري، رقم الحديث: 5258. ومسلم، رقم الحديث: 2008. وغيرهم.

بين يديه أمر لا تحيط به العبارة ونظير هذا التعبير عن معنى محبته وخشيته وإجلاله ومهابته فإن العبارة تقصر عن وصف ذلك، ولا تدرك إلا بالاتصاف بذلك، لا بمجرد الصفة والخبر كما أنك إذا وصفت لذة الوقاع لعنين لم تخلق له شهوة أصلا فلو قربتها وشبهتها بما عسالك أن تشبهها به لم تحصل حقيقة معرفتها في قلبه، فإذا وصفتها لمن خلقت فيه وركبت فيه عرفها بالوجود والذوق.

وأصل هذا الفعل "أعوذ" بتسكين العين وضم الواو ثم أعل بنقل حركة الواو إلى العين وتسكين الواو، فقالوا: أعوذ على أصل هذا الباب، ثم طردوا إعلاله فقالوا في اسم الفاعل: عاوذ وأصله عاووذ، فوَقعت الواو بعد ألف فاعل فقلبوها همزة، كما قالوا قائم وخائف وقالوا في المصدر عياذا بالله، وأصله عواذا كلواذ، فقلبوها الواو ياء لكسرة ما قبلها، ولم تحصنها حركتها لأنها قد ضعفت بإعلالها في الفعل، وقالوا مستعيذ وأصله مستعوذ كمستخرج، فنقلوا كسرة الواو إلى العين قبلها، ثم قلبت الواو قبلها كسرة فقلبت ياء على أصل الباب.

فإن قلت: فلم دخلت السين والتاء في الأمر من هذا الفعل كقوله: ﴿فَأَسْتَعِذُ بِاللَّهِ﴾<sup>1</sup> ولم تدخل في الماضي والمضارع بل الأكثر أن يقال: أعوذ بالله وعذت بالله، دون أستعيذ واستعذت؟.

قلت: السين والتاء دالة على الطلب، فقوله: أستعيذ بالله، أي أطلب العياذ به كما إذا قلت: أستخير الله، أي أطلب خيرته، وأستغفره أي أطلب مغفرته، وأستقيله أي أطلب إقالته، فدخلت في الفعل إيذانا لطلب هذا المعنى من المعاذ، فإذا قال المأمور: أعوذ بالله، فقد امثل ما طلب منه لأنه طلب منه الالتجاء والاعتصام، وفرق بين نفس الالتجاء والاعتصام، وبين طلب ذلك. فلما

<sup>1</sup> - النحل (98).

كان المستعيز هاربا ملتجئا معتصما بالله أتى بالفعل الدال على ذلك دون الفعل الدال على طلب ذلك فتأمله<sup>1</sup>.

يتضح من كلام ابن القيم أن معنى العوذ هو: التحرز والتحصن والنجاة، ولها معنيين هما: الستر والمجاورة، كما نجد أن ابن القيم فصل في معنى عوذ من خلال سرده لأقوال العرب، وماورد في القرآن الكريم من آيات تدل على معنى عوذ وهي أستعد بالله، والتي لا تخرج عن معنى طلب الالتجاء والاعتصام.

### 7- معنى كلمة الأجداث:

وجاء في قاموس المحيط: الحدث، محركة: القبر، ج: أجدث وأجداث . والجدثة : صوت الحافر والخف، ومضغ اللحم. واجتدث: اتخذ جدثا<sup>2</sup>. وجاء في مقاييس اللغة: جدث: الجيم والدال والثاء كلمة واحدة : الحدث القبر وجمعه أجداث<sup>3</sup>. يتضح من هذه التعريفات أن الأجداث هي القبور. وقد أشار إلى ذلك ابن القيم بقوله: الأجداث: القبور، وفيها لغتان بالثاء والفاء، أهل العالية تقوله بالثاء، وأهل السافلة بالفاء<sup>4</sup>. يتضح أن من كلام ابن القيم أن الأجداث تنطق بالثاء والفاء، إذا نطقت بالفك السفلي تنطق أجداًف، وإذا نطقت بالفك العلوي تنطق أجداث، وهي سواء، وتعني القبور.

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج2، ص ص166-168 .

<sup>2</sup> - الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص 166 .

<sup>3</sup> - ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 1، ص 436 .

<sup>4</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج4، ص 171 .

8- معنى القبلة: القبلة: الثمة معروفة، والجمع القُبل وفعله التقبيل، وقد قبَّل المرأة والصبي<sup>1</sup>.  
القبلة: عربية، والبوس: فارسي<sup>2</sup>.

9- معنى سبحانك اللهم وبحمدك:

قال المارزي: المعنى في قول الإنسان سبحانك اللهم وبحمدك: أي بحمدك سبحانك<sup>3</sup>.

سبحانك اللهم وبحمدك: أي أسبحك متلبسا بحمدك يعني أنزهك متلبسا بالثناء عليك<sup>4</sup>.

سبحانك اللهم وبحمدك هذه الجملة تتضمن التنزيه والإثبات.

تتضمن التنزيه في قوله سبحانك اللهم، والإثبات في قوله: وبحمدك لأن الحمد هو وصف محمود بالكمال مع محبته وتعظيمه، فتكون هاتان الجملتان جامعتين للتنزيه والإثبات. وقوله سبحانك اسم مصدر من سبح ويسبح، والمصدر يسبيح، واسم المصدر سبحان، دائما منصوب على المفعولية المطلقة، محذوف العامل، مضاف. ففيه ثلاثة أشياء:

أولاً: أنه منصوب على المفعولية المطلقة دائما.

والثاني: أنه محذوف العامل دائما.

والثالث: أنه مضاف دائما.

ومعناه: تنزيها لك يا رب عن كل نقص<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص 544 .

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج4، ص 147 .

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج4، ص 174 .

<sup>4</sup> - عبد القادر شبيه الحمد، فقه الإسلام في شرح بلوغ المرام، للحافظ ابن حجر العسقلاني، مطابع الرشيد المدينة المنورة، ط 1، ج 1، ص 228.

<sup>5</sup> - محمد بن صالح بن عثيمين، الشرح الممتع على زاد المستقنع، دار ابن الجوزي، ط 1، 2002، ج 3، ص 42 .



وينزه الله عن ثلاثة أشياء هي: عن النقص في صفات الكمال. وعن صفات النقص المجردة عن الكمال. وعن مماثله المخلوقين.

أما الحمد فهو: وصف المحمود بالكمال، والكمال الدَّائِي والفعلي، فالله سبحانه وتعالى كامل في ذاته، ومن لازم كماله في ذاته أن يكون كاملاً في صفاته<sup>1</sup>.

وإذا جمعت بين التنزيه والكمال في قولك: سبحانك اللهم وبحمدك فعلى هذا؛ فالواو تفيد معنى المعية، ويعني نزهتك تنزيها مقرونا بالحمد<sup>2</sup>.

## 10- معنى كلمة الجهل:

قال ابن القيم -رحمه الله- متحدثاً: في لفظة الجهل: "الجهل قسمان بسيط وهو عبارة عن عدم المعرفة بالكلية مع عدم تلبس بظن ومركب وهو جهل أرباب الاعتقادات الباطلة".

والقسم الأول هو الذي يطلب صاحبه العلم، أما صاحب الجهل المركب فلا يطلبه<sup>3</sup>.

وقال أبو هلال العسكري: "والجهل أن الجاهل يتصور نفسه بصورة العالم ولا يجوز خلاف ما يعتقد، وإن كان قد يضطرب حاله فيه لأنه غير ساكن النفس إليه وليس كذلك الظان"<sup>4</sup>.

والمرتبة الأخرى الحمق: وهو الجهل بالأمور الجارية في العادة، ولهذا قالت العرب (أحمق من دغة) وهي امرأة ولدت فضنت أنها أحدثت فحمتها العرب بجهلها بما جرت به العادة من الولادة، وكذلك قولهم (أحمق من المهوره إحدى خادمتيها) وهي امرأة راودها رجل عن نفسها فقالت: لا تنكحني بغير مهر فقال لها مهرك إحدى خدمتيك أي: خلاخيلك فرضيت،

<sup>1</sup> - محمد بن صالح بن عثيمين، الشرح الممتع على زاد المستقنع، ج3، ص 44.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ج3، ص 45.

<sup>3</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج4، ص171.

<sup>4</sup> - أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص100.

فحمقتها العرب لجهلها بما جرت به العادة في المهور، والجهل يكون بذلك أو بغيره ولا يسمى الجهل بالله حمقا<sup>1</sup>.

وقال الشيخ بن صالح العثيمين -رحمه الله-: "الجهل البسيط هو عدم الإدراك بالكلية، والجهل المركب هو إدراك الشيء على وجه يخالف ما عليه"<sup>2</sup>.

### 11- معنى لفظ الصلاة وربطه بالرحمة:

إذا تتبعنا لفظة الصلاة في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، فإن الصّلاة ألفها واو، لأن جمعها الصّلوات، ولأن التثنية صلّوان.

والصّلاة: وسط الظّهر لكل ذي أربع وللناس، وكل أنثى إذا ولدت انفرج صلاها، قال:

كان صلا جهيزة حين قامت حباب الماء يتبع الحبابا

وإذا أتى الفرس على غثر الفرس السابق قيل قد صلى وجاء مصليا لأن رأسه يتلو الصّلاة الذي بين يديه.

وصلوات اليهود كنائسهم وأحدها صلاة

وصلوات الرسول للمسلمين: دعاؤه لهم وذكرهم.

وصلوات الله على أنبيائه والصالحين من خلقه، حسن ثنائه عليهم، وحسن ذكره لهم وقيل مغفرته لهم.

وصلاة الملائكة: الاستغفار.

<sup>1</sup> - أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص103.

<sup>2</sup> - شرح كل من عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ومحمد بن صالح العثيمين -رحمهم الله-، شرح الأصول الثلاثة، دار الآثار، ط1، ص15.

وفي الحديث: «أن للشيطان مَصَالِي، وفخونًا».

والمصلاة أن تنصب شركا ونحوه ليقع فيه شيء فنصطاد ونقول صليت، أي: نصبت المصلاة وتجمع مَصَالِي.

الصَّلا: الحطب.

الصَّلا: النار وصلّى الكافر نارا فهو يصلّاها، أي قاسى حرها وشدتها.

وصَلَيْتُ اللحم صَلِيًّا: شويته وإذا أَلْقَيْتُهُ في النار قلت أَصْلَيْتُهُ إِصْلَاءً وَصَلَيْتُهُ تَصْلِيَةً<sup>1</sup>.

لكن ابن القيم أورد في باب لفظه الصلاة، أنها إذا جاءت بمعنى الرحمة، فهو باطل من ثلاث أوجه.

أحدها: أن الله تعالى غاير بينهما في قوله: ﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾<sup>2</sup>.

ولو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقال سبحانه وتعالى: ﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أو

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ ويكون ذكر أحدهما يكفي لكن الله عز وجل

مايز وفارق بينهما.

ثانيهما: أن سؤال الرحمة يشرع لكل مسلم، وبذلك يمكن القول مثلا أسأل الله أن يرحمك، ولكن

الصَّلاة تختص بالنبي صلى الله عليه وسلم، والرحمة عامة ولهذا منع العلماء الصَّلاة على معين غير

النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يمنع أحدهم الترحم على معين، أي أجازوا الترحم على الأشخاص

دون النبي صلى الله عليه وسلم.

<sup>1</sup> - الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، مكتبة لبنان، ط1، سنة 2004م، ص453.

<sup>2</sup> - البقرة (157).

ثالثها: أن رحمة الله سبحانه وتعالى وسعت كل شيء، أما صَلَاتُهُ فهي لخواص عباده، أي أن الرحمة هي لجميع ما خلق الله سبحانه وتعالى، غير أن صَلَاتُهُ للأنبياء ومن اصطفاهم في خلقه جلا في علاه.

ثم يورد ابن القيم أن قولهم الصلاة بمعنى الدعاء مُشكل من ثلاث وجوه:

أحدها: أن الدعاء يكون بالخير والشر، والصَّلَاة لا تكون إلا بالخير.

ثانيها: أن الدعوة تتعدى باللام، يمكن القول دعوت لفلان، ولكن الصَّلَاة لا تتعدى إلا بعلی، يمكن القول صليت على فلان، ولا يمكن القول صَلَّيْتُ لفلان.

ثالثها: أن فعل الدعاء يستلزم مَدْعُوًّا له، تقول: دعوة الله لك بالخير، أما فعل الصَّلَاة فلا يقتضي ذلك، فلا نقول صَلَّيْتُ الله عليك ولا لك.

ثم يورد أن الصَّلَاة حيثما وجدت وتصرفت ترجع إلى الحنو والعطف إلا أن الحنو والعطف يكون محسوسا ومعقولا، فيضاف إليه ما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى وينفي عنه ما لا يليق بجلاله وعظمته.

كما أن العلو محسوس ومعقول، فالمحسوس منه صفات الأجسام والمعقول منه صفة ذي الجلال والإكرام.

ورحمة العبد للعبد هي رقة إذا وجدها الراحم من نفسه انعطف على المرحوم وانثنى عليه، أما الرحمة من الله للعباد هي جود وفضل، فإذا صلى الله على العبد بمعنى أفضل عليه وأنعم.<sup>1</sup>

<sup>1</sup>- ينظر: ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، صص 33-34.

إذا فلفظة الصلّاة لا يمكن أن تدل على الرحمة، وذلك بحجج الأوجه الثلاث المذكورة سابقاً، كما أنّها إذا أُريد بها الدعاء كان هذا مُشكّل بالوجوه الثلاث، أما إذا أُريد بها العطف والحنو فهذا مقبول على حد قول ابن القيم .

### سادساً: دلالة سياق التعبير الاصطلاحي:

دلالة التعبير الاصطلاحي: التعبير الاصطلاحي هو المعنى الذي يتحقق من عبارات مسكوكة ومتماسكة تعبر عن وحدة لغوية ذات دلالات خاصة أو عبارات ثابتة الصيغة اللفظية، أو القالب اللفظي الجاهز الذي يعبر عن معنى خاص يرتبط به، ويدخل معه في علاقة ثابتة، في إطار الاجتماعي والثقافي واحد، ويصبح وحدة متكاملة في الكلام يتداولها المجتمع و يتوارثها الأجيال<sup>1</sup>.

واستخدم حلمي خليل مصطلح التراكيب الاصطلاحية، والعبارات الاصطلاحية)، وظهر المصطلح الأول في كتابه "الكلمة: دراسة لغوية ومعجمية"، إذ يقول: "هناك تراكيب معينة، منعّدة كلمات يصبح لها معنى يختلف عن معناها وهي في حالة الأفراد... هذا التركيب نسّميه التراكيب الاصطلاحية: Idioms. مثال ذلك (جناح المسلمين)، و(أصابع زينب)"<sup>2</sup>. وذكر حلمي خليل المصطلح الثاني ( العبارة الاصطلاحية) في حديثه عن العبارات المولّدة وعرفها حلمي خليل بأنها: "عبارة عن لفظين أو أكثر تنظم معاً في الوضع الذي يقتضيه علم النحو، ولكنها في النهاية تؤدّي إلى دلالات مختلفة عمّا يقتضيه ظاهر التركيب"<sup>3</sup>.

وقد أشار الدارسون إلى غناء اللغة العربية بهذه القوالب، خاصة في المعاجم والكتب القديمة لمفاهيمها من التعابير الاصطلاحية والأمثال والحكم وغيرها من الدراسات التي تناولت علوم القرآن والتفسير والأصول والفقه، وغيرها من العلوم التي تحتاج إلى التعبير الاصطلاحي .

<sup>1</sup> - محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، ص176.

<sup>2</sup> - حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، اسكندرية: دارالمعرفة الجامعية، ط2، 1995، ص148.

<sup>3</sup> - خليل، حلمي، المولد دراسة في نمو وتطور اللغة العربية بعد الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص412.

وينقسم التعبير الاصطلاحي من الناحية الدلالية إلى تعبير حقيقي وتعبير مجازي:

التعبير الحقيقي: هو التعبير الذي يدل على معنى مباشر من صريح لفظه أو يقترب في معناه من الدلالة الحقيقية.

التعبير المجازي: هو التعبير الذي يدل على معناه من دلالة البعيدة غير المباشرة مثل التعبير تشبيهي وتعبير الاستعاري والتعبير الكنائي<sup>1</sup>.

### 1. خصائص التعبير الاصطلاحي:

التعبير الاصطلاحي وحدة دلالية واحدة، تؤدي المعنى من خلال مجموعها الكلي أو العناصر المكونة لها.

دلالة التعبير الاصطلاحي تقتصر على المعنى المجازي البعيد ولا ينصرف إلى معناه الحقيقي القريب<sup>2</sup>.

ويعد التعبير الاصطلاحي جزء من السياق وليس العكس، لأن التعبير الاصطلاحي هو الآخر له معنى سياقي لكن معنى السياق ثابت غير منصرف أو مفكك أو متعدد، وقد يتعدد معنى هذا السياق الثابت، الألفاظ قد تلد في التعبير الاصطلاحي و يعد معنى هذا التعبير جزءا من معاني اللفظ في السياقات المختلفة التي تحقق معانيه المعجمية، لفظة ألقى ومن أمثلة ذلك التي من معانيها: كشف وأبان و أوضح، وهذه معان اصطلاحية من قولنا ألقى الضوء على: الحقيقة. هذا الجانب المعاني لأخر بالتي جاء من سياقات مختلفة مثل: ألقى خصمه على الأرض: طرحه أرضا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاَحَ﴾<sup>3</sup> طرحها. وألقى بيانا على الشعب: قرأ، أعلن، وألقى إليه القول: أبلغه إياه، وألقى السمع: استمع وأصغى، وألقى القبض عليه: أمسكبه، وألقى ما في جعبته: أفرغها. أو قال ما في نفسه (تعبير مجازي) ألقى السلام إليه: حياه به، وألقى الله في قلب

<sup>1</sup> - محمود عكاشة، التحليل اللغوي، ص ص 178-179 .

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 184 .

<sup>3</sup> - الأعراف (150).

هكذا: قذفه فيه، وألقى الله تعالى القرآن: أنزله على نبيه صلى الله عليه و سلم<sup>1</sup>. ومن خلال هذا فإن التعبير الاصطلاحي من المواضيع التي تدرس دلالة التعابير الاصطلاحية التي تحمل معاني مجازية تحتاج توضيحاً وشرحاً من ذلك الاصطلاحات الآتية: التأويل، والإشارة، والمجاز. وقد أشار ابن القيم إلى ذلك:

أولاً: المجاز:

المجاز و أحد أبرز عناصر البلاغة البيانية اللفظية التي يتميز بها الكلام البليغ الفصيح، وتعني الدلالة اللغوية لكلمة (المجاز) الانتقال من مكان إلى مكان أو ذات الشيء الذي نقل من موضع إلى موضع آخر، ومن ثمة الانتقال من معنى إلى معنى آخر، وهذا المعنى الذي انتقلت منه الكلمة هو الذي يسميه البلاغيون الحقيقة، فكأن (المجاز) عدول عنها وانتقال من دلالة إلى أخرى.

أ- تعريف المجاز:

ويعرف ابن سنان الخفاجي (ت 466هـ) الحقيقة بقوله: "اللفظ الموصوف بأنه حقيقة هو ما أريد به ما وضع لإفادته" و"المجاز هو اللفظ الذي أريد به ما لم يوضع لإفادته"<sup>2</sup>.  
وأما عبد القاهر الجرجاني: فالحقيقة عنده هي كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضح، وإن شئت قلت: في مواضعه وقوعاً لا يستند فيه إلى غيره... مثال ذلك كلمة (الأسد) تريد به (السبع) فإنك قد أردت به ما وضعه الواضع لهذه الكلمة.

أمّا المجاز فهو كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها الملاحظة بين الثاني والأول:، ويقول أيضاً: الغرض المقصود بهذه العبارة أعني المجاز أن تبين أن اللفظ أصلاً مبدوءاً به في الوضع ومقصوداً، وأن جريه على الثاني إنما على سبيل النقل إلى شيء آخر<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - محمود عكاشة، التحليل اللغوي، ص 186.

<sup>2</sup> - الأمير أبي محمد عبد الله بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 1982، ص 43.

<sup>3</sup> - ينظر: محمد مصطفى هدار، البلاغة العربية، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 1989، ص ص 49، 50.

وأما السيوطي فيقول في التفريق بين الحقيقة والمجاز في كتابه المزهر: "اعلم أن الفرق بين الحقيقة والمجاز لا يعلم من جهة العقل ولا السمع، ولا يعلم إلا بالرجوع إلى أهل اللغة، والدليل على ذلك أن العقل يتقدم على وضع اللغة، فإذا لم يكن فيه دليل على أنهم وضعوا الاسم لمسمى مخصوص امتنع أن يعلم به أنهم نقلوه إلى غيره، لأن ذلك فرع العلم بوضعه، وكذلك السمع إنما يرد بعد حصول المواظبة وتمهيد التخاطب واستمرار الاستعمال وإقرار بعض الأسماء فيها وضع له واستعمال بعضها في غير ما وضع له، فيمتنع لذلك أن يقال إنه يعلم به أن استعمال أصل اللغة لبعض الكلام هو في غير ما وضع له لامتناع أن يعلم الشيء بما يتأخر عنه"<sup>1</sup>، ويجدد التطور الدلالي عند الباحثين والانتقال من المجاز إلى الحقيقة أو العكس في صور أربع:

أولاً: أن يغلب استعمال اللفظ في معنى على سبيل المجاز لعلاقة المشابهة، أو غيرها حتى يصير المعنى المجازي هو الذي ينساق إليه الذهن عند إطلاق اللفظ.

ثانياً: أن يغلب استعمال اللفظ الموضوع في الأصل لمعنى كلي يتناول عدة جزئيات في جزء خاص من هذه الجزئيات حتى تصير هذا المعنى الجزئي هو المتبادر منه عند الإطلاق.

ثالثاً: أن يغلب اللفظ الدال على معنى في مدلول عام على طريق التوسع حتى يصير هذا المعنى العام هو المتبادر من اللفظ عند إطلاقه.

رابعاً: أن ينقل اللفظ مقصوداً من معناه الأصلي اللغوي إلى معنى اصطلاحى لعلاقة بين المعنيين فلا ينتجه الذهن عند استخدامه إلى غير مهناه الجديد، ومن ذلك ألفاظ الصلاة، الصوم، الزكاة، والفاعل والمفعول... الخ<sup>2</sup>.

إذن المجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي.

<sup>1</sup> - محمد مصطفى هدارة، البلاغة العربية، ص 50، 51.

<sup>2</sup> - محمد مصطفى هدارة، البلاغة العربية، ص 15-52.



والعلاقة: هي المناسبة للمعنى الحقيقي والمعنى المجازي (أي بين المنفى المنقول عنه والمنقول إليه) وقد تكون غيرها، فإذا كانت العلاقة المشابهة فالمجاز استعارة وإلا فهو مجاز مرسل. القرينة: وهي المانعة من إرادة المعنى الحقيقي وقد تكون لفظية وقد تكون حالية<sup>1</sup>.

### ب- أقسام المجاز:

وينقسم المجاز إلى قسمين أساسيين وهامين هما: المجاز المرسل والمجاز العقلي ويجري في الإسناد.

**1. المجاز المرسل:** هو الكلمة المستعملة قصداً في غير معناها الأصلي لملاحظة علاقة غير متشابهة مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الوضعي.

أما العلاقة في المجاز المرسل فهي كثيرة ومتنوعة وأهمها: السببية، المسببة، الكلية، الجزئية، الملازمة، الآلية، اعتبار ما كان، اعتبار ما يكون، الحالية، المحلية، العموم، الخصوص، المجاورة... إلخ<sup>2</sup>.

**2. المجاز العقلي:** هو إسناد الفعل أو ما في معناه من اسم الفاعل، أو اسم المفعول أو المصدر إلى غير ما هو له في الظاهر، من المتكلم، لعلاقة مع قرينة تمنع من أن يكون الإسناد إلى ما هو له.

### ج- علاقاته:

السببية، الزمانية، المكانية، المفعولية، الفاعلية، المصدرية<sup>3</sup>.

وقد أشار ابن القيم إلى ذلك بقوله:

من ادعى صرف لفظ عن ظاهره إلى مجازه لم يتم له ذلك إلا بعد أربعة مقامات:

أحدها: بيان امتناع إرادة الحقيقة.

<sup>1</sup> - السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ص 216، 217.

<sup>2</sup> - السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ص 217، 218، 219. وينظر: محمد مصطفى هدارة، البلاغة العربية، ص 22.

<sup>3</sup> - السيد أحمد الهاشمي، نفسه، ص ص 220، 221. وينظر: محمد مصطفى هدارة، نفسه، ص ص 53-58.

الثاني: بيان صلاحية اللفظ لذلك المعنى الذي عينه وإلا كان مفترياً على اللغة .

الثالث: بيان تعيين ذلك المحمل إن كان له عدة مجازات.

الرابع: الجواز عن الدليل الموجب لإرادة الحقيقة.

فما لم يتم بهذه الأمور الأربعة كانت دعواه صرف اللفظ عن ظاهره دعوة باطلة، وإن ادعى مجرد صرف اللفظ عن ظاهره ، ولم يعين له مجملاً لزمه أمران: أحدهما بيان الدليل الدال على امتناع إرادة الظاهر، والثاني جوابه عن المعارض<sup>1</sup>.

ويضيف قائلاً: مدعى صرف اللفظ عن ظاهره وحقيقته إلى مجازه يتضمن دعواه الإخبار عن مراد المتكلم ومراد الواضع، أما المتكلم فكونه أراد ذلك المعنى الذي عينه الصارف، وأما الواضع فكونه وضع اللفظ المذكور دالاً على هذا المعنى، فإن لم تكن دعواه مطابقة كان كاذباً على المتكلم والواضع، بخلاف مدعي الحقيقة فإنه إذا تضمنت دعواه إرادة المتكلم للحقيقة وإرادة الواضع كان صادقاً، أما صدقه على الواضع فظاهر، وأما صدقه على المتكلم معرفة مراد المتكلم إنما يحصل بإعادته من كلامه، وأنه إنما يخاطب غيره للتفهم والبيان، فمتى عرف ذلك من عادته وخاطبنا لما هو المفهوم من ذلك الخطاب علمنا أنه مراده منه، وهذا بحمد بين لاختفاء فيه<sup>2</sup>. من خلال ما قدمه ابن القيم حول المجاز يبين مدي أهميته في إيضاح مراد المتكلم من خلال تلك الشروط التي وضعها عند صرف اللفظ عن ظاهره إلى المجاز .

<sup>1</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج4، ص 169 .

<sup>2</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد ، ج 4 ، ص 169.

ثانيا: التأويل:

أ- التأويل لغة: فأصله في اللغة من الأول، ومعنى قولهم ما تأويل هذا الكلام؟ أي إلام تقول العاقبة في المراد به؟ كما قال تعالى ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾<sup>1</sup>، أي تكشف عاقبته، ويقال: آل الأمر إلى كذا، أي صار إليه، وقال تعالى ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾<sup>2،3</sup>. وأصله من المال: وهو العاقبة والمصير، وقد أولته فال، أي صرفته فانصرف، فكان التأويل صرف الآية إلى ما تحتمله من معاني<sup>4</sup>.

ومعنى التأويل: فهو لغة من الأول بمعنى الرجوع، فكأن المفسر أرجع الآية إلى ما يحتمله من المعاني، ويرى بعض العلماء أن التأويل مرادف للتفسير حتى قال صاحب القاموس: أول الكلام تأويلا، وتأوله بمعنى: دبره وقدره، وفسره، ومنه قوله تعالى ﴿أَبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَأَبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾<sup>5،6</sup>.

ب- اصطلاحاً: التأويل هو ترجيح أحد الاحتمالات دون قطع<sup>7</sup>.

والتأويل: فهو ترجيح بعض المعاني المحتملة من الآية الكريمة التي تحتمل عدة معانٍ<sup>8</sup>. وتأويل: هو المعاني الخفية المستنبطة التي تحتاج إلى تأمل وتفكر والتي تحمل عدة معان فيرجح المفسر منها ما كان أقوى عن طريق النظر والاستدلال، وليس هذا الترجيح بقطعي بل هو ترجيح

<sup>1</sup> - الأعراف (53).

<sup>2</sup> - الكهف (82).

<sup>3</sup> - ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص148.

<sup>4</sup> - ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص148. وينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص2260.

<sup>5</sup> - آل عمران (07).

<sup>6</sup> - ينظر: محمد علي الصابوني، البيان في علوم القرآن، ص66.

<sup>7</sup> - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص2262.

<sup>8</sup> - ينظر: محمد علي الصابوني، البيان في علوم القرآن، ص66.

للأظهر والأقوى، إذ الحكم بأنه المراد قطعي تحكم في كتاب الله، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>1</sup>،<sup>2</sup>.

وقد أورد ابن القيم مفهوما واضحا حيث يقول: المجاز والتأويل لا يدخل في المنصوص وإنما يدخل في الظاهر المحتمل له، وهنا نكتة ينبغي التفطن لها، وهي أن كون اللفظ نصا يعرف بشيئين.<sup>3</sup>

أحدهما عدم احتمال له غير معناه وضعا كالعشرة، والثاني ما أطرده استعماله على طريقة واحدة في جميع موارد؛ فإنه نص في معناه، لا يقبل تأويلا ولا مجازا، وإن قدر تطرق ذلك إلى بعض أفراد، وصار هذا بمنزلة خبر المتواتر، لا يتطرق احتمال الكذب إليه، وإن تطرق إلى كل واحد من أفراد بمفرده<sup>4</sup>.

وهذه عصمة نافعة، تدلك على خطأ كثير من التأويلات السمعيات، التي أطرده استعمالها في ظاهرها وتأويلها والحالة هذه غلط، فإن التأويل إنما يكون لظاهر قد ورد شاذا مخالفا لغيره، ومن السمعيات فيحتاج إلى تأويله لتوافقها، فأما إذا أطرده كلها على وتيرة واحدة صارت بمنزلة النص، وأقوى، وتأويلها ممتنع فتأمل هذا<sup>5</sup>.

ومن خلال هذا المفهوم يتضح أن ابن القيم جعل التأويل والمجاز واحد لا فرق بينهم وهو يوافق بهذا التعريفات اللغوية والإصطلاحية. و التأويل لا يكون في الشيء المتعارف عليه وإنما للفظ وضع في غير سياقه، فخالف بذلك ما كان يجب أن يكون عليه في سياقه المناسب.

<sup>1</sup> - آل عمران (07).

<sup>2</sup> - ينظر: محمد علي الصابوني، البيان في علوم القرآن، ص 67.

<sup>3</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 24 .

<sup>4</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج 1، ص 24 .

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ج 1، ص 24 .

ثالثاً: الإشارة:

تعتبر الإشارة من العناصر البلاغية التي تعتمد على المعنى في كشف مقصدية المتكلم، وفك شيفرته والعلاقة التواصلية بين الملقى والمتلقي .

الإشارة: أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على المعنى الكثير بإيماء أو لمحة تدل عليه، وأنها إشارة المتكلم إلى معاني كثيرة بلفظ يشبه لقلته واختصاره بإشارة اليد، فإن المشير بيده لو عبر عنها بلفظ لتحتاج إلى ألفاظ كثيرة، ولا بد للإشارة من اعتبار صحة الدلالة وحسن البيان مع الاختصار، فإن لم تفهم الإشارة فذاك من العبث، ولهذا قال هند بن أبي هالة في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يشير بكفه كلها وإذا تعجب قلبها، وإذا حدث اتصل بها فضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى"، وهذا يعني أنه يشير بيده في الموضع الذي تكون فيه الإشارة أولى من العبارة، وهذا حذق بمواضع المخاطبات<sup>1</sup>.

ومن شواهد الإشارة في كتاب الله العزيز قوله تعالى ﴿وَعِضُّ الْمَاءِ﴾<sup>2</sup>، فإنه سبحانه أشار بهاتين اللفظتين إلى انقطاع مادة الماء من مطر السماء ونبع الأرض، وذهاب الماء الذي كان حاصلًا على وجه الأرض قبل الإخبار إذ لو لم يكن ذلك لما غاض الماء.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾<sup>3</sup>، فالمع كل ما تميل النفوس إليه من الشهوات وتلتذذ الأعين من المرئيات، لتعلم أن هذا اللفظ، القليل جدا عبر عن معان كثيرة لا تنحصر عدداً،<sup>4</sup> ومن الإشارة نوع يقال له اللحن والوحي: وهو يجمع العبارة والإشارة بعد لا يفهم طريقة إلا ذو فهم<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - ابن أبي الأصبغ، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق حسين محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ص 200.

<sup>2</sup> - هود (44).

<sup>3</sup> - الزخرف (71).

<sup>4</sup> - ابن أبي الأصبغ، تحرير التحبير، ص 202.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص 204.

الإشارة: "وهو أن يرى المفسر معنى آخر، غير معنى الظاهر تحتمله الآية الكريمة<sup>1</sup>.

الإشارة: أن يكون اللفظ القليل مشاراً به إلى معان كثيرة بإيماء إليها ولحمة تدل عليها<sup>2</sup>.

الإشارة: بلاغة عجيبة، تدل على بعد المرمى وقُرب المقدرة، وهي كل نوع من الكلام لحمة دالة، واختصار وتلويح يعرف مجملاً ومعناه بعيد عن ظاهر لفظه<sup>3</sup>.

الإشارة: أن تطلق لفظاً جلياً تريد به معنى خفي وذلك من لمح الكلام وجواهر النثر والنظام<sup>4</sup>.

وفن الإشارة: وقد تقدم بحثه وعرفه قدامة فقال: "هو أن يكون اللفظ القليل دالاً على كثير من المعاني حتى تكون دلالة اللفظ بمثابة الإشارة باليد، أو الإيماء بالحاجب والعين، فإنها تشير بحركة واحدة سريعة إلى أشياء كثيرة تستوعب العبارات الطويلة، ومن أمثلتها في الآية التي نحن بصددنا قوله: ﴿وَعِضَ الْمَاءُ﴾<sup>5</sup>، فإنه غيض الماء يشير إلى انقطاع مادة الماء من نبع الأرض، ومطر السماء، ولو لا ذلك لما غاض الماء<sup>6</sup>، ومنها أنه تعالى لم يصرح بفاعل غيض، وقيل وكما لم يصرح في صدر الآية بقائل قيل: وكذا لم يصرح بمن سوى السفينة تنبيهاً على أن تلك الأمور العظام لم يتصور وقوعها إلا من قادر لا يكتنه، وقهار لا يغالب، فلا يذهب الوهم إلى فاعل غيره، ولا ينشط الخيال إلى مدى أبعد من هذا المدى، وقيل في وجه العدول عن تصريح الفاعل إشارة إلى أن هذه الأمور أهون عند الله تعالى من أن ينسبها إلى قدرته صراحة. ومنها أفراد الماء إشعاراً بأن هذا الماء لم يحصل من اجتماع المياه وتكاثرها بل هو نوع واحد حصل بقدرته تعالى دفعة واحدة.

<sup>1</sup> - محمد علي الصابوني، البيان في علوم القرآن، ص 171.

<sup>2</sup> - أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 348.

<sup>3</sup> - ابن رشيق، العمدة، ج 1، ص 302.

<sup>4</sup> - ابن القيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان، 1987، ص 17.

<sup>5</sup> - هود (44).

<sup>6</sup> - محي الدين درويش، إعراب القرآن، ج 3، ص 430.

ويعرف ابن القيم الإشارة بقوله :

الإشارة تدل عليه قرائن الأحوال من الإيماء باللحظ واللفظ الخارج من طرف اللسان وهيئة المتكلم، فقامت تلك الدلالة مقام التصريح بلفظ الإشارة، لأن الدال على المعنى إما لفظ وإما إشارة وإما لحظ، فقد جرت الإشارة مجرى اللفظ فلتعمل فيما عمل فيه اللفظ وإن لم تقو قوته في جميع أحكام العمل<sup>1</sup>.

وأصح من هذا أن يقال معنى الإشارة ليس هو العامل إذ الاسم الذي هو "هذا" ليس بمشتق من أشار يشير، ولو جاز أن تعمل أسماء الإشارة لجاز أن تعمل علامات الإضمار لأنها أيضا إيماء وإشارة إلى مذكور، وإنما العامل فعل مضمّر تقديره "انظر" و"أبصر" لدلالة الحال عليه من التوجه واللفظ، وقد قالوا "لمن الدار مفتوحا بابها" فأعملوا في الحال معنى "انظر" و"أبصر" ودل عليه التوجه من المتكلم بوجهه نحوها، وكذلك: ﴿ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴾<sup>2</sup> وهو قوي في الدلالة لاجتماع اللفظ مع التوجه<sup>3</sup>.

وإذا ثبت هذا فلا سبيل إلى تقديم الحال لأن العامل المعنوي خفي يدل عليه الدليل اللفظي أو التوجه أو ما شاكله<sup>4</sup>.

ابن القيم يقدم لنا مفهوما واضحا حول الإشارة مبرزا أنواع الإشارة سواء كانت لفظية أو غير لفظية إلا أنها تحقق نفس الدلالة والمراد المبحوث عنه .

<sup>1</sup> - ابن القيم ، بدائع الفوائد، ج1، ص168 .

<sup>2</sup> - هود (72).

<sup>3</sup> - ابن القيم، بدائع الفوائد، ج1، ص168 .

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص168 .

خاتمة



السياق يحتاج كل ما يحيط به حتى يضع الدلالة الوضع الذي يتناسب مع الموقف الذي يحتاجه المتكلم في تلك اللحظة بغية إيصال مراده للمتلقي بحيث يفهم المتلقي ذلك.

- فابن القيم يثبت أن للصوت دور في تحديد الدلالة، من خلال السياق الذي يرد فيه الحرف، ومن خلال تتابعه في بنية الكلمة، كما للكلمة دور في تحديد الدلالة من خلال السياق الذي ترد فيه، وهكذا بالنسبة للجمل انطلاقاً من الأصوات التي تصدرها تلك الحروف عندما تتلاحم مع بعضها.

- ويبرز هذا في القرآن الكريم، فالمتتبع لدلالة سياق الحروف المتقطعة في القرآن، يتضح له مدى مناسبة سياق الحروف لسياق السور، التي ترد فيها سواء كان هذه منفردة، أو مجتمعة في سياق متوالي مرتب حسب الصفة أو المخرج.

- ودلالة السياق الصريفي: تبحث في دلالة الكلمة ضمن التركيب، لأنها أكثر وضوحاً دلالياً في أداء الكلام، الذي يكون ضمن السياقات المختلفة التي يستعملها المتكلم في التعبير عما يريد، وفقاً للحاجة والمقتضى الذي يقتضيه الحال أو الموقف.

فابن القيم يوضح هذا من خلال الصيغ الأوزان، فنجد مثلاً: المصادر الكثير من صيغها يدل وصفها على معناها مثل زلزل على وزن فعلل.

أما دلالة سياق المشتقات: كاسم الفاعل فدلالته في السياق كما أخبر ابن القيم تدل أن هذه الصفة اختاروها هم لأن الصفة من فعلهم كما في قوله تعالى: "ولا الضالين".

أما صيغ المبالغة فجاءت لها معاني متعددة ومختلفة بحسب السياق الذي ترد فيه، وقد تدل صيغتها على معناها مثل الخناس التي تدل على التكرار الذي يفيد المبالغة في الدفع الحث.

أما دلالة سياق الأفعال فتختلف من زمن إلى آخر بحسب السياق الذي يرد فيه، انطلاقاً من الحدث الذي يفرضه الموقف، أو المقام، أو المناسبة، أو السبب.

- ودلالة السياق النحوي تركز في تحديد الدلالة، انطلاقاً من التركيب الذي يستعملها المتكلم، ليوصل مراده إلى المتلقي.

إذن فالسياق له دور في فهم النصوص دلالياً، انطلاقاً من التأليف والترتيب الذي يتضمنه نظم النص.

ولنخلص في النهاية إلى أن دلالة السياق النحوي تهتم بالسياق، من خلال البنية النحوية وعلاقة الكلمات بعضها ببعض، ووظائفها، ومواقعها من الترتيب.

والسياق له دور في تحديد الدلالة النحوية، لأن الضم أو النظم أو التأليف للكلمات في جمل أو نصوص يتم عبر خصائص وعوامل للسياق الذي يحدد الدلالة من خلال ما يقتضيه حال المتكلم من جهة، وقابلية المتلقي لهذا الكلام من منطلق الموقف الذي يجمعهما، أو الحال، أو المقتضى المقال الذي يستدعي الألفاظ التي ترتسم في السياق الذي يحدد مراد المتكلم، انطلاقاً من الترتيب الذي يسوق فيه هذه الألفاظ التي تنظم في سياقها، وفق قواعد وقوانين النحو نحو المتلقي، الذي يستقبل هذا الكلام في فهم مقصوده ودلالته.

و قد أشار ابن القيم إلى ذلك من خلال تعرضه لدلالة سياق التقديم والتأخير، فمن ذلك تقديم الشيء في السياق بالسبب، أو بالسبق في الزمن، أو الرتبة، أو الشرف والفضل، كما يكون للعناية والاهتمام.

أما دلالة سياق الحذف: فتتضمن عدة دلالات في سياقات القرآن منها ما ذكره ابن القيم في أن أفعال الإحسان والرحمة والجود مضافة إليه تعالى، أما أفعال العدل والجزاء والعقوبة فحذف فاعلها وبني الفعل معها للمفعول تأدبا في الخطاب، وفي الآية نسب النعمة إليه وذكر الغضب

وحذف الفاعل. كما يدل الحذف علما لعلمبالشيء، أو تعظيمه، وكل هذا يحدده السياق الذي سيق فيه الكلام.

أما حروف المعاني: فلها معاني عدة، تختلف من حرف لآخر ومن سياق لآخر، وهذه المعاني كذلك تأخذ عملها ودورها داخل السياق، فنجد ابن القيم يذكر دلالة حرف "ثم" الذي يفيد الترتيب والتراخي أي المهلة بعد العطف، وكذلك حرف "حتى" الذي يفيد الغاية بعد العطف ... وقد تتغير دلالتها بحسب التركيب الذي ترد فيه، مثل حرف الام الذي يرد لام كي ولام الجحود ولام الصيرورة "العاقبة" ... ويبقى الموجه لدلالة ومحدداتها هو السياق.

- أما دلالة السياق المعجمي الدلالي: فتركز على اللفظة أو الكلمة المعجمية التي تكون أكثر قوة ووضوحا عندما نسوقها في سياق ما، من خلال مقام أو موقف معين، فتحدد دلالتها داخل ذلك السياق، ويصبح هو الضابط والمعين للدلالة في هذا الاستعمال، وقد أخذ العلماء في دراسة دلالة السياق المعجمي عدة مباحث، منها: المشترك اللفظي، والتضاد، والترادف، والفروق اللغوية، ودلالة سياق الكلمات المفردة، والتعبير الاصطلاحي.

إذن فالسياق هو الضابط والمحدد للدلالة، وفق ضوابط لغوية من قواعد ونظم بلاغية، وعوامل غير لغوية، أطلق عليها علماء اللغة مصطلح السياق الخارجي، المتمثل في الظروف من مزاج وعادات وتقاليد وعرف ودين ومواقف ومقامات ومناسبات وأسباب... إلخ. إذن فالسياق تعرف به دلالة الكلمات داخل التراكيب و النصوص، حتى وإن اختلفت تلك السياقات وتعددت المواقف والأحوال أو تغيرت، يبقى السياق هو المسؤول عن تحديد ومعرفة الدلالة.

قائمة

المصادر والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

- الحديث النبوي الشريف

### أ-المصادر والمراجع بالعربية:

1) إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الانجاز المصرية، ط 5، 1984 .

2) إبراهيم بن مراد، المعجم العربي بين التطبيق والتنظير، جامعة منوبة، تونس، الجامعة الأمريكية في بيروت، كريس مارغريت وايرهاوزر جويت للدراسات العربية من سلسلة محاضرات التي يراها الكري 2009 يجررها : رمزي بعليكي.

3) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة.

4) أحمد ابن محمد الحملوي، شذا العرف في فن الصرف، دار الكيان.

5) أحمد التونجي، وراجي الأسمر، المعجم المفصل في علوم اللغة (الاستنابات)، ط 1.

6) أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج وت :عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، مجمع الملك فهد للطباعة المصحف الشريف، الأمانة العامة، الشؤون العلمية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ، 2004 .

7) أحمد بن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة، تح:أحمد صقر، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة (د-ت).

8) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح:عبد السلام هارون دار الفكر، الطبعة الثانية، 1979.

9) أحمد عبد الغفار السيد ، التصوير اللغوي عند علماء الأصول، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996 .

10) أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3، 2008 .

11) أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث، عالم الكتب، ط2، 2009.

12) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998.

## قائمة المصادر والمراجع

- 13) أحمد مختار عمر، دراسة الأصوات اللغوية، علم الكتب، 1998.
- 14) أحمد نعيم الكراعيني، علم الدلالة بين النظري والتطبيقي، بيروت، ط1، 1993م.
- 15) إدريس خويا، البحث الدلالي عند الأصوليين: قراءة مقصدية الخطاب الشرعي عند الشوكاني، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2011.
- 16) إسماعيل ابن عمر ابن الكثير، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي ابن محمد السلامة، دار طيبة، بيروت، ط2، 1999.
- 17) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة، 1990 .
- 18) الأمير أبي محمد عبد الله بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 1982 .
- 19) الأمير أمين آل ناصر الدين، دقائق العربية جامع أسرار اللغة وخصائصها، مكتبة لبنان، بيروت، ط3، سنة 1986.
- 20) أيوب بن موسى الحسيني القريني أبو البقاء الكفوي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: تحقيق: عنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998.
- 21) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، وزارة الشؤون الإسلامية، الكويت، ط2، 1992.
- 22) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل، مكتبة دار التراث، بيروت، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1984.
- 23) البدر اوي زهران، مقدمة في علوم اللغة، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1993.
- 24) بسام بركة، علم اللغة العام أصوات اللغة العربية، مركز الإنماء القومي، 1988، لبنان، بيروت.

## قائمة المصادر والمراجع

- 25) بهاء الدين عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ط 20، دار التراث، القاهرة، 1980.
- 26) تمام حسان، اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 2007.
- 27) تمام حسان، الأصول، عالم الكتب القاهرة، 2000.
- 28) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، مطبعة النجاح الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994.
- 29) تمام حسان، السياق، دار العلوم، مطبعة عبير الكتاب، القاهرة، 1993.
- 30) توفيق الزبيدي، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث من خلال بعض نماذجه، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984.
- 31) جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1998.
- 32) جرجي شاهين عطية، سلم اللسان في الصرف والنحو والبيان، دار ريجاني، بيروت، ط 4.
- 33) جرول بن أوس الحطيئة، الديوان، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د ت.
- 34) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، مجمع الملك فهد للطباعة المصحف الشريف، الأمانة العامة، الشؤون العلمية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1426 هـ.
- 35) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، التعبير في علم التفسير، تح: فتحي عبد القادر فريد، دار العلوم، الرياض، ط 1، 1402 هـ.
- 36) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية.
- 37) جمال الدين عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ت محمد عبد الكريم كاظم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1.

## قائمة المصادر والمراجع

- 38) جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر، بيروت، ط 1.
- 39) جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب:تح أمين محمد عبد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، 1999.
- 40) حازم أبو الحسن القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح، محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرابة للكتاب، ط3، 2008.
- 41) الحافظ الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول، مكتبة الصفا، ط1، 2004م.
- 42) الحسن أبو علي ابن رشيقي القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، 1383 هـ.
- 43) الحسن أبو علي بن عبد الله بن الحسن ابن سينا ، الإشارات والتنبيهات، شرح نصر الدين الطوسي، تح. سليمان دنيا، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1992.
- 44) الحسن أبو علي بن عبد الله بن الحسن ابن سينا، الهداية في المنطق، تح: محمد أحمد عبد الحلیم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 45) الحسن بن عبد الله بن سهل أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تح، محمد ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، 1998.
- 46) الحسن بن عبد الله بن سهل أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تح: علي محمد بجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1952.
- 47) الحسن بن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ت: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992.
- 48) الحسين أبو القاسم بن محمد المعروف بالراغبالأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيد الكيلاني، الميمنية، القاهرة، ط1، 1324هـ.
- 49) حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية ومعجمية، دارالمعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط1995، 2.



## قائمة المصادر والمراجع

- 50) خديجة الحديثي، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، مكتبة النهضة، بغداد، ط 1، 1965.
- 51) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، ط 1، الجزائر، 2007.
- 52) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، 1390 هـ.
- 53) خليل أحمد عمارة، في نحو اللغة وتركيبها (منهج وتطبيق)، ط 1، عالم المعرفة، جدة، 1984.
- 54) الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ت: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2003.
- 55) خليل حلمي، المولد، دراسة في نمو وتطور اللغة العربية بعد الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.
- 56) رضي الدين محمد ابن الحسن، الاستربادي النحوي، شرح شافيه ابن الحاجب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1982.
- 57) الرماني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله ومحمد زغول سلام، دار المعارف، مصر، ط 3.
- 58) رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي، الطبعة 6، 1999.
- 59) زكي الدين أبو محمد ابن أبي الأصعب، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: حسين محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- 60) سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، شرح التلويح على التوضيح لمثن التنقيح في أصول الفقه، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت، لبنان.
- 61) سهل بن محمد بن عثمان أبو حاتم السجستاني، كتاب الأضداد، ت محمد عودة أبو حري، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1994.

## قائمة المصادر والمراجع

- 62) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- 63) شرف الدين حسين ابن محمد الطيبي، التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، تح: هادي عطية الهلالي، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط 1، 1407 هـ.
- 64) شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، مطبعة السعادر، مصر، 1955.
- 65) شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسله، ت: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض.
- 66) شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان، 1987.
- 67) شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية، الكافية الشافية في انتصار الفرقة الناجية (القصيصة النونية)، ت: بكر بن عبد الله بوزيد وآخرون، ط1، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، 1328 هـ.
- 68) شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية، جلاء الأفهام، ت: مشهور بن حسن آل سليمان، دار ابن الجوزي، ط1، 1997، الرياض.
- 69) شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية، روضة المحبين، ت: أحمد شمس الدين، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2003.
- 70) شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ت: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت، لبنان، 1998.
- 71) شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسله، اختصره الشيخ فاضل محمد بن الموصللي، دارالكتب العلمية، بيروت لبنان.
- 72) شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تح محمد حامد الفقي، ط2، دار المعارف، بيروت، لبنان، 1975.

## قائمة المصادر والمراجع

- 73) شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد ، تحقيق:أحمد بن شعبان بن أحمد، مكتبة الصفا، ط1، 2005.
- 74) صادق قيني أبو حامد ومحمد عريف الحرباوي، المدخل لمصادر الدراسات الأدبية واللغوية والمعجمية القديمة والحديثة، دار ابن الجوزي، الأردن، عمان، ط1، 2005.
- 75) صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، المكتب العربي الحديث، الاسكندرية.
- 76) ضياء الدين ابن الأثير الجزري، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح : كامل محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- 77) طاش كبري زادة أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تح: كامل كامل بكري، عبد الوهاب أبو النور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبناء، ط1، 1985.
- 78) طاهر سليمان حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د.ت.
- 79) طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع بالإسكندرية، (د.ت).
- 80) عادل فاخوري، منطق العرب من وجهة نظر المنطق الحديث، دار الطليعة، بيروت، ط3 ، 1999.
- 81) عباس محمود العقاد، أشتات متجمعات في اللغة والأدب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012.
- 82) عبد الجليل منقور، علم الدلالة ومباحثه في التراث العربي -دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العربي- دمشق، 2001.

## قائمة المصادر والمراجع

- 83) عبد الرحمان حسين حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1996.
- 84) عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط 1، 2010.
- 85) عبد الرحمن أبو القاسم بن اسحاق الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، القاهرة، 1909.
- 86) عبد الرحمن بن جاد البناني، على جمع الجوامع للسبكي، دار الفكر، ب ط، ب ت.
- 87) عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدر العربية للكتاب، تونس، ط 2، 1982.
- 88) عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق، دار الكتب، 1991.
- 89) عبد القادر شبيه الحمد، فقه الإسلام في شرح بلوغ المرام للحافظ ابن حجر العسقلاني، مطابع الرشيد المدينة المنورة، ط 1 .
- 90) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، تح : محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة، ط 5، 2004.
- 91) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1401 هـ.
- 92) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني، 1991.
- 93) عبد الكريم مجاهد، الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء، عمان، الأردن.
- 94) عبد اللطيف حماسة، النحو والدلالة، دار الشروق، ط 1، 2000.
- 95) عبد الله أبو محمد بن مسلم ابن قتيبة الدينوري ، تأويل مشكل القرآن، تح: احمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط 2، 1973.

## قائمة المصادر والمراجع

- 96) عبد الله أبو محمد بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1958.
- 97) عبد الله جمال الدين ابن هشام الأنصاري المصري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، د.ط، د.ت.
- 98) عبد الله جمال الدين ابن هشام الأنصاري المصري، شرح شذور الذهب، شرح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، 2003.
- 99) عبد المالك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، المكتبة العصرية، بيروت، ط 2، 2000.
- 100) عبد المنعم خليل، نظرية السياق بين القدامى والمحدثين، دار الوفاء، الإسكندرية، ط 1، 2007.
- 101) عبد الواحد وافي، فقه اللغة العربية، نهضة مصر، مصر، ط 3، 2004.
- 102) عبده الراجحي، التطبيق الصربي، دار النهضة العربية، بيروت، 1973.
- 103) عثمان أبو الفتح ابن جني، اللمع في العربية، تح: سيمح أبو مغلي، دار مجد اللاوي، 1988.
- 104) عثمان أبو الفتح ابن جني، المصنف، تحقيق ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين، إدارة إحياء التراث القديم، ط 1.
- 105) عثمان أبو الفتح ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن الهنداوي، دار القلم، دمشق، ط 2، 1993.
- 106) عثمان أبو الفتح ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، 1952.
- 107) علي ابن أحمد الواحدي أبو الحسن النيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تح: عاد أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

## قائمة المصادر والمراجع

- 108) علي أبو القاسم عون، بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، دار المدار الإسلامي، ط1، 2006.
- 109) علي أبي الحسن بن إسماعيل النحوي الأندلسي المعروف بابن سيده، المخصص، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
- 110) علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعاجم، مطابع جامعة الملك سعود، ط1، 1991.
- 111) علي آيتأوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، مؤسسة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2000.
- 112) علي بن عبد الواحد أو حسن الأنصاري، المنزح البديع في تحسين أساليب البديع، تح: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، ط1، 1980.
- 113) علي بن عصفور أبو الحسن، شرح جمل الزجاج، تح: صاحب أبو نجاح، دط، دت.
- 114) علي بن محمد الآمدي، الأحكام في أصول الأحكام، ت. عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي، المملكة العربية السعودية، ط1، 2003.
- 115) علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، في معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2004.
- 116) عمر أبو عثمان بن بخر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة السابعة، 1998.
- 117) عمر أبو عثمان بن بخر الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2.
- 118) عمر أبو عثمان بن بخر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1975، 2.

## قائمة المصادر والمراجع

- 119) عمرو أبو بشر بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تح، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988.
- 120) عواطف كنوش، الدلالة السياقية عند اللغويين، دار السياب، لندن، 2008.
- 121) عودة خليل أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم، مكتبة المنار، الأردن، ط 1، 1985.
- 122) فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، شركة العاتك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2003.
- 123) فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في اللغة العربية، دار عمار، الطبعة الثانية، 2007.
- 124) فايز الداية، علم الدلالة الغربي النظرية والتطبيق، دمشق، دار الفكر، ط2، 1996.
- 125) فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان، ط1، الأردن، 1997.
- 126) قدامة بن جعفر أبو الفرج، نقد الشعر، تح: مصطفى كمال، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1963.
- 127) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ت محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط8، 2005.
- 128) محمد أبو بكر ابن السراج، الأصول في النحو، ت عبد الله الفتيلي، مؤسسة الرسالة، ط2، 1996.
- 129) محمد أبو بكر بن الحسن بن دريد، الاشتقاق وجمهرة اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، 1958.
- 130) محمد أبو عبد الله بن أبي الوفاء الموصلي المعروف بابن القبيهي، التنمية في التصريف. ت: محسن ابن سالم العميري، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، ط 1، 1993.

## قائمة المصادر والمراجع

- 131) محمد أبو نصر الفارابي، الحروف، تح. محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ط 2، 1990.
- 132) محمد أحمد أبو الفرج، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، 1966.
- 133) محمد الرازي فخر الدين، تفسير فخر الرازي التفسير الكبير و مفاتيح الغيب، دار الفكر، ط1، 1981.
- 134) محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، لبنان، ط 2، 1964.
- 135) محمد أمان بن علي الجامي، ينظر الصفات الإلهية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط2، 1413هـ.
- 136) محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، ت ح، أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط 1، 1938.
- 137) محمد بن الطيب أبو بكر البقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، 1997.
- 138) محمد بن القاسم الأنباري، كتاب الأضداد، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت، 1960.
- 139) محمد بن صالح بن عثيمين، الشرح الممتع على زاد المستقنع، دار ابن الجوزي، ط1، 2002.
- 140) محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: محمود محمد الطناحي، التراث العربي، الكويت، 1993.
- 141) محمد بن علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان، ط 1، 1996.



## قائمة المصادر والمراجع

- 142) محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول من تحقيق الحق إلى علم الأصول، تح: سامي ابن العربي، دار الفضيلة، الرياض، ط 1، 2000.
- 143) محمد بن علي بن وهب بن دقيق العيد تقي الدين أبو الفتح، أحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ، تح أحمد محمد شاكر، ط 2، 1987 .
- 144) محمد بن محمد أبو حامد الغزالي .، معيار المعلم في المنطق، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 2013.
- 145) محمد بن محمد أبو حامد الغزالي ، معيار العلم في المنطق، تـ: سليمان دنيا ، دار المعارف، مصر، 1961.
- 146) محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، المستصفى في علم الأصول، تح: حمزة بن زهير حافظ، الجامعة الإسلامية، كلية الشريعة، المدينة المنورة.
- 147) محمد بن محمد أبو نصر الفارابي ، الألفاظ المستعملة في المنطق، ت. محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ط 2، 1986.
- 148) محمد بن محمد أبو نصر الفارابي، الفصول الخمس، منطق الفارابي، تح. رفيق العجم، دار المشرق، بيروت، 1985.
- 149) محمد بن يزيد أبو العباس المبرد، ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد، ت : أحمد محمد بن سليمان أبو رعد ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ج 1، ط 1 ، ، 1989.
- 150) محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 2010.
- 151) محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 152) محمد عبد اللطيف حماسة، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي ، دار الشروق، ط 1، 2000.

## قائمة المصادر والمراجع

- 153) محمد علي التهانوي، موسوعة كشافاصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان، الطبعة 1، 1996.
- 154) محمد علي الصابوني، البيان في علوم القرآن، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1985.
- 155) محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 2، 2007.
- 156) محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: محمود محمد الطناحي، التراث العربي، الكويت، 1993.
- 157) محمد مسلم الغنيمي، حياة ابن قيم الجوزية، المكتب الإسلامي، ط 2، 1981.
- 158) محمد مصطفى هدارة، البلاغة العربية، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 1989.
- 159) محمود أحمد نخلة، علم اللغة النظامي، مدخل إلى النظرية عند هاليداي، ط 2، ملتقى الفكر، الاسكندرية، 2001.
- 160) محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت (د.ط).
- 161) محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، دار النشر الجامعي، ط 2، القاهرة، 2011.
- 162) محي الدين درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار الرشيد، مؤسسة الإيمان، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1995.
- 163) مصطفى الغلاييني، جامع دروس العربية، المكتبة العصرية، ط 28، 1993.
- 164) مصطفى ناصف، نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأطلس، بيروت، ط 2، 1981.
- 165) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، مصر، 2004.

## قائمة المصادر والمراجع

- 166) منذر عياشي، اللسانيات والدلالة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1996.
- 167) موفق الدين أبي البقاء بن يعيش، شرح المفصل، إدارة الطبعة المنيرية، مصر.
- 168) نجم الدين قادر كريم زنكي، نظرية السياق، دراسة أصولية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971.
- 169) نور الهدى لوشن، علم الدلالة (دراسة وتطبيق)، المكتب الجامعي الحديث للإسكندرية.
- 170) هادي نهر، علم اللغة التطبيقي، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007.
- 171) يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليميني، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، طبع بمطبعة المتقطف، مصر، 1914.
- 172) يوسف أبو يعقوب بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، مطبعة دار الرسالة، بغداد، ط1، 1982.
- 173) يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1، 1410 هـ.
- ب-المراجع المترجمة:**
- 174) بيار جيرو، علم الدلالة، ترجمة: منذر عياشي، دار طلاس، الطبعة الأولى، 1988.
- 175) جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، تر: مجلس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987.
- 176) جون لاينز، علم الدلالة، تر: عبد الحليم الماشطة، مطبعة جامعة البصرة، 1980.
- 177) روبرت ديوجراندي، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، القاهرة، ط1، 1418.
- 178) ستيفانأولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، د ت.
- 179) فنديس، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014.

ج-الأطروحة:

180) تهاني بنت سالم بن أحمد باحويرث، أثر السياق في توجيه المتشابه اللفظي في القصص القرآني (رسالة ماجستير) إشراف: عبد العزيز عزت، جامعة أم القرى، كلية الدعوي وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، 2008.

181) ردة الله الطلحي، دلالة السياق، رسالة دكتوراه، ج1، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1418 .

د-المقالات العلمية:

182) حضر، أكبر حسن كسير، أصالة البحث الدلالي عند العرب من حيث النشأة وتطور التأليف، مجلة جامعة تكريت للعلوم، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة تكريت(4)، المجلد 19، العدد 12.

183) غنية تومي، السياق اللغوي في درس اللساني الحديث، مجلة أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد السادس 2010.

و-المراجع باللغة الأجنبية:

1) petit larousse en couleurs, édition Paris 1984.

2)Micro Robert, imprime en France, par brodard graphique, ED Paris, 2004.

# فهرس الموضوعات

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ-ج	<u>مقدمة</u>
مدخل: دلالة السياق	
25-2	<b>I- علم الدلالة</b>
7-2	أولاً: علم الدلالة لغة واصطلاحاً
5-2	أ- الدلالة لغة
7-5	ب- الدلالة اصطلاحاً
15-8	ثانياً: نشأة علم الدلالة
13-8	1- نشأة علم الدلالة عند القدماء
9-8	أ- عند الهنود
10-9	ب- عند اليونان
13-10	ج- عند العرب
13	2- نشأة علم الدلالة عند المحدثين
14-13	أ- عند الغرب
15-14	ب- عند العرب المحدثين
25-15	ثالثاً: علاقة علم الدلالة بالعلوم الأخرى
15	1- علاقة علم الدلالة بعلم اللغة
17-16	2- علاقة علم الدلالة بعلم الأصوات

## فهرس الموضوعات

19-17	3-علاقة علم الدلالة بعلم الصرف
21-19	4-علاقة علم الدلالة بعلم النحو
22	5-علاقة علم الدلالة بعلم المعاجم
23	6-علاقة علم الدلالة بعلم الرموز
25-23	7-علم الدلالة والعلوم الأخرى
34-25	<b>II- السياق:</b>
28-25	أولاً: السياق لغة واصطلاحاً
34-29	ثانياً: السياق في الدراسات الحديثة
<b>الفصل الأول: دلالة السياق عند العرب والعربيين</b>	
77-37	<b>I-الدلالة عند العرب والغربيين:</b>
37	أولاً: الدلالة عند العرب:
48-38	1- الدلالة عند اللغويين العرب
55-48	2-الدلالة عند البلاغيين
55-49	أ-البلاغيين
58-55	ب- البلاغيون النقاد
71-58	3-الدلالة عند الأصوليين
77-71	ب-الدلالة عند الأصوليين المناطقية
82-77	ثانياً: الدلالة عند المحدثين:

## فهرس الموضوعات

80-77	1.الدلالة عند الغربيين المحدثين
82-80	2.الدلالة عند المحدثين العرب
120-82	<b>II- السياق عند العرب والغربيين:</b>
92-82	أولاً: السياق عند العرب
82	1-السياق عند العرب القدامى
88-82	أ- السياق عند اللغويين
91-88	ب- السياق عند البلاغيين
96-91	ج-السياق عند المفسرين
99-96	د-السياق عند الأصوليين
108-100	<b>2-السياق عند الغربيين :</b>
102-100	أ- السياق عند هانس HANSSON
105-102	ب- السياق عند "فان دايك" « van dijk »
106-105	ج-السياق عند فيرث Firth
107-106	د-السياق عند جون لايتز
108-107	هـ-أنواع السياق:
107	1- السياق اللغوي
107	2- السياق العاطفي
107	3- سياق الموقف



## فهرس الموضوعات

108-107	4- السياق الثقافي
120-108	ثالثا: السياق عند العرب المحدثين:
116-108	1-السياق اللغوي أو اللساني أو المقالي
116-113	- أنواع السياق:
116-113	1-السياق اللغوي
115-114	أ-السياق الصوتي
115	ب-السياق الصرفي
115	ج-السياق النحوي
116	د-السياق المعجمي
117-116	2- السياق غير اللغوي :
116	أ-سياق الموقف
116	ب-سياق المقام
116	ج-السياق العاطفي
117	د-السياق الثقافي
117	هالسياق في القرآن الكريم
118	رابعا: دلالة السياق عند ابن القيم :
123-118	1-ترجمة الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى-
127-123	2-دلالة السياق عند ابن القيم

## فهرس الموضوعات

الفصل الثاني: دلالة السّيق الصّوتي	
152-135	دلالة سيق الأصوات (الحروف الهجائية) <b>phoneme</b>
151-139	1. الهمزة والنون في الضمير أنا
175-152	دلالة الحركات وحروف المد في السيق
160-153	حركة البنية أو الشكل
163-160	دلالة الحركات الإعراب:
166-163	دلالة سيق الأصوات المركبة
165-164	- الهمزة والهاء في اسم الله
166-165	- الحاء والتاء، والحاء والذال في حتى وحد
167-166	دلالة السيق كلمة « الحب »
170-167	دلالة سيق الأصوات الفوق تركيبية
175-171	دلالة سيق التكرار الصوتي
172-171	1. <u>تكرار معنى كلمة وسواس</u>
175-172	2. <u>دلالة سيق الحروف المقطعة في بداية سور القرآن الكريم</u>
الفصل الثالث: دلالة السّيق الصّرفي	
181-180	-الأوزان الصرفية
192-182	أولاً: دلالة سيق المصادر
192-182	المصدر

## فهرس الموضوعات

209-192	ثانيا: دلالة سياق المشتقات
200-195	1. دلالة اسم الفاعل
201-200	2. دلالة سياق اسم المفعول
204-201	3. دلالة سياق صيغ المبالغة
206-204	4. دلالة سياق المكان
209-206	- مشتقات أخرى:
231-209	ثالثا: دلالة سياق أوزان الأفعال
220-213	1. دلالة سياق الفعل الماضي
227-221	2. دلالة سياق الفعل المضارع
231-228	3. دلالة سياق الأمر
<b>الفصل الرابع: دلالة السياق النحوي</b>	
271-238	أولا: دلالة سياق التقديم والتأخير
241-238	1- مفهوم التقديم والتأخير
241	2- أقسام التقديم والتأخير
241	3- التقديم والتأخير عند ابن القيم
248-245	1. تقديم الأرض على السماء
252-248	2. تقديمه المال على الولد
254-252	3. تقديم المال على النفس

## فهرس الموضوعات

255-254	4. تقديم الغفور على الرحيم
257-256	5. تقديم السجود على الركوع
258-257	6. تقديم الطائفين والقائمين على الركع السجود
259-258	7. تقديم الملائكة على الإنس
261-259	8. تقديم الإنس على الجن
262-261	9. تقديم عاد على ثمود
262	10. تقديم العزيز على الحكيم
263-262	11. تقديم التوابين على المتطهرين
264-263	12. تقديم الإفك على الإثم
264	13. تقديم هماز على مشاء بنميم
265-264	14. تقديم الرجال على الركبان:
266-265	15. تقديم غسل الوجه ثم اليد ثم مسح الرأس ثم الرجلين في الوضوء
267	16. تقديم النبيين على الصديقين
270-267	17. تقديم السمع على البصر
271-2709	18. تقديم المجرور وتأخير المفعول
-272	ثانيا: دلالة سياق الحذف
289-272	1. الحذف
232-28	2. حروف المعاني

## فهرس الموضوعات

292-290	1-تعريفالحرف
332-292	2-أهميةحروفالمعاني
<b>الفصل الخامس: دلالة السّياق المعجمي</b>	
338-334	<u>معجم اللغة:</u>
355-338	أولاً: دلالة سياق المشترك اللفظي
346-343	1. لفظة العين
350-347	2. إضافة العين إلى الله
354-350	3. فصل معنى الهداية
355-354	4. فائدة معنى السبب
355	5. فائدة لغات إبراهيم
362-356	ثانياً: دلالة سياق الترادف
360-358	1. فصل غدوة وبكرة
361	2. فائدة ألفاظ التحلف العقلي
362-361	3. فائدة معاني المولى
362	4. معاني الفنون
371-362	ثالثاً: دلالة سياق التضاد
366-364	1. الأمس واليوم والغد وسبب اختصاص كل لفظ بمعناه
368-366	2. ضحوة وعشية ومساء

## فهرس الموضوعات

371-368	3. تفضيل الأرض أم السماء
386-371	رابعاً: دلالة سياق الفرق اللغوية
375-373	1. الفرق بين الشهادة والرواية
378-375	2. الفرق بين الشك والريب
380-378	3. الفرق بين الحس والعلم
380	4. الفرق الاستدلال والدلالة
382-381	5. الفرق بين الحمد والمدح
384-383	6. الفرق بين الحمد والمدح وبين الثناء والمجد
385-384	7. الفرق بين يفترقان ويتفرقان
386-385	8. الفرق بين المرُضِع والمرُضِعة:
411-387	خامساً: دلالة سياق الكلمات المفردة
388-387	1. معاني لفظ شهد
390-388	2. معاني أسماء الأيام
391-390	3. معنى كلمة الكلام
398-392	4. معنى كلمة كل
403-399	5. معنى كلمة عرفت
405-403	6. معنى الاستعادة
406	7. معنى كلمة الأجداث

## فهرس الموضوعات

406	8. معنى القبلة
407-406	9. معنى سبحانك اللهم وبحمدك
408	10. معنى كلمة الجهل
411-409	11. معنى لفظ الصلاة وربطه بالرحمة
422-411	سادسا: دلالة سياق التعبير الاصطلاحي
422-412	1. خصائص التعبير الاصطلاحي
417-413	أولا: المجاز
419-417	ثانيا: التأويل
422-419	ثالثا: الإشارة
426-424	خاتمة
443-428	قائمة المصادر والمراجع
454-445	فهرس الموضوعات
463-455	ملخص الأطروحة

# ملخص الأطروحة



## ملخص الأطروحة

يتضمن الموضوع الذي نبحت فيه دلالة السياق عند ابن القيم لمعرفة مدى اهتمام علماء الأصول باللغة باعتبارها علم آلة في اجتهادهم لا يمكن الاستغناء عنه .

السياق يعد أساس لغوي في تحديد الدلالة منذ القدم وقد أشار العلماء إلى أهمية السياق أو المقام وما يتطلبه من مقال مخصوص يتلاءم معه كما أن للسياق أهمية كبيرة في تحديد والتفريق بين معاني مشترك اللفظ، وأن التحديد الدقيق للدلالة إنما يرجع إلى السياق اللغوي، ولذا نجد اهتمام كبير بهذا الأمر عند علماء الأصول لبيان المعنى في النصوص الشرعية، لأن الإخبار عن الله يقتضي الدقة عندهم في تحديد الدلالة وهي على نوعين قرائن لفظية وقرائن مقامية (حالية ومكانية) وفهم أثر هذه القرائن في تحديد دلالة النص، ومن خلال هذا نجد أن السياق هو الذي يحدد دلالة الكلمة ضمن النص والمعنى المراد على رغم من تعدد معاني ودلالات الألفاظ المتشابهة والمتشابهة خارج السياق أو تعدد الألفاظ والكلمات الدالة على نفس المعنى خارج السياق، وهذا مما يؤكد أن ضبط دلالة معاني الألفاظ يكون أكثر وضوحا وانضباطا داخل السياق .

ويقوم السياق في أحيان كثيرة بتحديد الدلالة المقصودة من الكلمة في جملتها ومنذ قدم أشار العلماء إلى أهمية السياق أو المقام وتطلبه مقالا مخصوصا يتلاءم معه، وقالوا عبارتهم المعروفة " لكل مقام مقال ". فالسياق متضمن داخل التعبير المنطوق بطريقة ما، ولذلك ركز النحاة على اللغة المنطوقة، فتعرضوا للعلاقة بين المتكلم وما أراده من معنى والمخاطب وما فهمه من الرسالة، والأحوال المحيطة بالحدث الكلامي.

ولأجل دراسة دلالة السياق لا بد أم نتناوله ضمن مستويات اللغة والمتمثلة في المستوى الصوتي، والمستوي الصرف، والمستوي النحوي، والمستوي المعجمي الدلالي.

وقد بدأنا بحثنا بمقدمة تناولنا الأسباب والدوافع اختيار الموضوع والإشارة إلى أهم الرسائل التي تناولت مثله كما تناولنا مدخل تناولنا فيه مفاهيم حول الدلالة والسياق، وفصل نظيري توسعنا فيه أكثر في التعريف بنشأة الدلالة والدلالة عند العرب وعند العرب وكذلك السياق.

## ملخص الأطروحة

وقد تناولنا في دلالة السياق الصوتي دلالة سياق الصوت ( الحرف )، ودلالة سياق الصوت المركب ( الكلمة )، ودلالة سياق فوق التركيب ( الجملة ، النص ) .

أما دلالة السياق الصرفي فتناولنا فيها دلالة سياق المصادر، ودلالة سياق المشتقات، ودلالة سياق الجموع ، ودلالة سياق مشتقات أخرى .

وأما دلالة سياق النحوي فتناولنا فيه دلالة سياق حروف المعاني، دلالة سياق الحذف، ودلالة سياق التقديم والتأخير ، ...إلخ.

أما دلالة السياق المعجمي الدلالي فتناولنا فيه دلالة السياق المعجمي الترادف، والتضاد، والمشارك اللفظي، ودلالة السياق الدالة تناولنا فيها الفرق الدلالية بين المصطلحات الدلالية (الفرق اللغوية ) والتأويل والمجاز ...إلخ .

وخاتمة تضمنت نتائج البحث وخلاصته .

### الكلمات المفتاحية :

الدلالة - السياق - بدائع الفوائد- ابن القيم - دلالة السياق الصوتي - دلالة السياق النحوي - دلالة السياق الصرفي - السياق المعجمي الدلالي .

## Résumé :

Résumé d'une thèse soumise pour obtenir un doctorat en sciences du langage extrait de l'ouvrage d'Ibn AlQayym « El badaa El fawaid »

Le thème que nous avons abordé vise l'étude du contexte sémantique chez Ibn AlQayym , car les linguistes ont considéré la langue comme une science rationnelle .

Le contexte est un principe langagier qui détermine le sens, son importance fut indiquée par les savants sur le plan de l'article (qui nécessite une écriture spécifique) et sur le plan du contexte (qui dévoile la polysémie du mot). Cette perspective étudiant les textes légitimes du livre sacré fut conférée aux théologues de l'époque. Le premier genre met l'accent sur les indicateurs de sens. Quant au deuxième, il précise le rôle des indicateurs de lieu dans la structure d'un texte. C'est pourquoi le sens projeté d'un mot se définit à travers la phrase. D'ailleurs, cette polémique justifie l'expression courante de certains savants « pour chaque contexte, il y a un article. » . Cette liaison est ancrée dans l'expression langagière de l'émetteur et le sens décelé dans le message du récepteur.

Et pour analyser le sens du contexte, il est impératif d'interpréter les niveaux de la langue : Iconique, sémantique et phonétique. C'est pour cette raison que nous avons commencé cette recherche par une introduction expliquant les causes et les objectifs relatifs au thème. Nous avons aussi présenté dans cette préface les significations liées au sens et

au contexte et une partie théorique sur le développement du concept connotatif chez les Arabes. Notre rapport fut orienté vers le contexte muet de la syllabe et vers le contexte acoustique composé (le mot) qui constitue la surcomposition de la phrase et du texte. En fait, la connotation grammaticale fut attribuée aux sources, aux fractions polysémiques et aux genres du nombre. Excepté la connotation lexicale ,elle fut attribuée aux sens des syllabes .

**les mots clés :**

Signification - contexte - dépôts d'intérêts - Ibn al-Qayyim -  
signification du contexte phonémique - signification du  
contexte grammatical - signe du contexte morphologique -  
contexte lexical sémantique.

**Summary :**

Summary of a thesis submitted for obtaining a Ph.D. degree in linguistic studies tagged by the connotation of context at Ibn al-Qayyim, “creativity of interest” as a model

The topic in which we discuss the connotation of context at Ibn al-Qayyim to find out to what extent is the interest of scholars of the origins of the language , considered as a science tool in their diligence that cannot be dispensed with

And the context is a linguistic basis in determining the significance Since ancient times.Besides, the scholars have indicated the importance of context or denomination and what it requires from a specific article that fits with it. Also, the context has great importance in defining and distinguishing between the meanings of the shared utterance. And that the precise definition of the indication is due to the linguistic context; and therefore, we find great interest in this matter among the scholars of origins of the language to clarify the meaning in the legal texts ;because the news about God requires accuracy in their identification of the significance and they are of two types of verbal and established evidence (spatial and current) and understanding the impact of these evidence in determining the meaning of the text; and through this, we find that the context determines the significance of the word within the text and the desired meaning, despite the multiplicity of meanings and connotations of similar words outside the context or the

multiplication of words and words indicating the same meaning outside the context and this what confirms that setting the significant meanings of the words are more Clear and disciplined within the context .

And the context often determines the intended significance of the word in its sentence ; and since an early age , the scholars had pointed to the importance of the context or the situation and its requiring a specific article that fits with it . They had said their well-known phrase or saying "for each situation its utterance." The context is somehow embedded within the spoken expression ; therefore , the grammarians had focused on the spoken language. They had tackled the relationship between the speaker and the intended meaning , the addressee and his understanding of the message, and the peripheral conditions of the speech event.

In order to study the significance of context, we must take it up within the levels of language represented in the phonological level , the grammatical level, and the semantic lexical level.

We have started our research with an introduction examining the causes and motives of choosing the topic ,and pointing to the most important papers that dealt with it. We also discussed an approach in which we dealt with concepts about significance and context and a theoretical chapter in which we expanded more in defining the significance at the Arabs as well as the context.

In the significance of the phonological context, we have dealt with the connotation of the context of the phoneme ( character ) ,and the connotation of the context of the complex phoneme (the word), and the connotation of a context above the composition ( the sentence ,the text).

As for the connotation of the morphological context, we discussed the significance of the context of the sources , the significance of the context of derivatives ,and the significance of the context of the totality , and the significance of the context of other derivatives.

As for the connotation of the grammatical context, we dealt with the significance of the context of the letters of meanings, the significance of the context of the deletion, the significance of the context of presentation, delay, exception, affirmation, etc.

As for the significance of context of the semantic lexicon , we discussed the significance of the synonym lexical context , the opposite , the verbal joint ; and the significance of the signifying context ,we discussed the semantic difference terminology (linguistic difference), interpretation, and metaphor.

And a conclusion that included the results of the research and its summary

Keyword : significance - context – creativity of interests - Ibn Aqqayim - significance of the phonemic context –

significance of the grammatical context – significance of the morphological context - semantic lexical context .